الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى
جامعة الفاتح
كلية الآداب - قسم التاريخ
شعبة الدراسات العليا

أشهر علماء الأندلس الذين كانت لهم رحلة إلى المشرق الإسلامي في القرنين

(3 - 4 هـ / 9 - 10 م)

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الإجازة العالية (الماجستير)

في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالب: علي عبد السلام سعد كعوان

إشراف: أ . د المبروك غنية الأسطى

للعام الجامعي (2006 _ 2007 مسيحي)

بسم الله الرحمن الرحيم

[قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ]

صدق الله العظيم

سورة الزمر الآية 10

الإهداء

إلى الباحثين عن فجر ثقافة العرب والمسلمين، المجاهدين في سبيل

إحياء التراث الخالد.

إلى روح أمي الطاهرة، أسأل الله أن يتغمد روحها بواسع

رحمته.

إلى والدي العزيز، الذي لم يأل ، جهداً ، في تيسير السبل أمامي

للنهل من ينبوع العلم.

إلى كل من ضحى من أجل إتمام هذا البحث، وبخاصة أسرتي

التي أخذت منها دراستي ، وقتي وجهدي .

أهدي هذه الثمرة المتواضعة

الباحث علي كعولي

الشكر والتقدير

يسعدني وقد أنهيت دراستي هذه أن أتقدم بجزيل شكري، وبالغ امتناني إلى أستاذي الفاضل الدكتور/ المبروك غنية الأسطى الذي أشرف على هذه الرسالة، وأحاطني برعايته وتوجيهاته القيمة أثناء عملي في إنجاز هذه الدراسة، فاستفدت كثيراً من غزير علمه، وثقافته الواسعة، وإرشاداته القيمة، وملاحظاته الصائبة، وإمدادي بالعديد من المراجع القيمة، التي اعتمدت عليها في رسالتي، مما كان له أبلغ الأثر فيما وصل إليه هذا البحث في صورته النهائية.

كذلك أتوجه بالشكر إلى الأستاذ الفاضل/ بشير رمضان التليسي، أمين قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة الفاتح، على حفاوته بطلاب العلم، وتيسير سبل الدراسة لهم، والأستاذ الفاضل/ علي حسين الشطشاط، أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة قاريونس، والأستاذ مفتاح بلعيد اغويطة، أستاذ التاريخ الحديث بجامعة المرقب الذي كان له الفضل الكبير في دراستي العليا بقسم التاريخ بكلية الآداب والعلوم الخمس جامعة المرقب، كما لا يفوتني هنا أن أشكر أخي وأستاذي محمد سالم العابر أستاذ اللغة العربية بقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بكلية الآداب والعلوم بالخمس جامعة المرقب، الذي أشرف على رسالتي لغوياً، وساعدني في درء الأخطاء الإملائية واللغوية؛ حتى ظهرت الدراسة في صورتها الجلية، بارك الله له في علمه وعمله.

كما أتقدم بجزيل الشكر أيضاً لكل أصدقائي وأخص منهم أحمد حسين الشريف، ومفتاح جمعة إشكيك، ومصطفى محمد الصابري، والأستاذ علي سالم جمعة شخطور، والأستاذ محمد إمحمد أبوراس، أستاذا اللغة العربية بجامعة المرقب، والأستاذ مصباح عبدالسلام مفتاح على دعمهم إياي بالعديد من المصادر التي ساعدتني في إنجاز هذه الدراسة.

كما أتقدم بشكري إلى كل العاملين بمكتبات جماهيريتنا الحبيبة وأخص بالذكر منها مكتبة كلية الدعوة الإسلامية والمكتبة القومية بطرابلس، ومكتبة الجامعة الأسمرية بزليتن، ومكتبة أحمد الزروق بمصراتة وغيرها من المكتبات الأخرى، لهم مني فائق الاحترام والتقدير .

كما لا يفوتني أن أشكر أهل العلم بكل من المغرب الحبيب، وأخصّ بالذكر الدكتور محمد المغراوي، أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة محمد الخامس بالرباط، والعاملين في حقل العلم بالمكتبة الحسنية بالرباط، وأهل العلم في كل من جمهورية مصر العربية، والجمهورية التونسية، من خلال مؤسساتهم العلمية التي أسهمت بقدر ليس بالقليل في توفير المادة العلمية التي أبحث عنها لإنجاز هذا العمل المتواضع .

" والله ولي التوفيق "

الباحث...

" الرموز "

نهج أهل المعرفة والبحث العلمي من المؤرخين المحدثين على استعمال بعض الرموز والاختصارات عند تدوين معلوماتهم في المتن أو الهامش، وقد أخذت على نفسي السير على نهجهم في كتابة بعض الرموز وهي على النحو التالي:

1/ هـ تستعمل للإشارة إلى التاريخ الهجري.

2/ م تستعمل للإشارة إلى التاريخ الميلادي " المسيحي".

3/ ج تستعمل للإشارة للجزء من الكتاب إذا كان الكتاب يتكون من عدة أجزاء.

4/ مج تستعمل للإشارة للمجلد من الكتاب إذا كان الكتاب يتكون من عدة مجلدات.

5/ ت تستعمل لتوضيح تاريخ وفاة الأشخاص.

6/ (تح) تستعمل بين قوسين لتوضيح المُحقق أو المُصحح أو المُعلّق على الكتاب.

7/ (تر) تستعمل بين قوسين للإشارة للشخص الذي قام بترجمة أو تعريب الكتاب أو المقال.

8/ ق تستعمل للإشارة إلى القسم من الكتاب إذا كان الكتاب يتكون من أقسام عدة، أو القرن

9/ ط تستعمل للإشارة إلى طبعة الكتاب في حالة عدم وجود تاريخ الطبع.

10/ (د. ت) تستعمل للإشارة إلى عدم وجود تاريخ طبع الكتاب.

11/ (د. ط) تستعمل للإشارة إلى عدم وجود طبعة للكتاب.

12/ (د. م) تستعمل للإشارة إلى عدم وجود مكان الطبع.

قائمة المحتويات

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل الخلق أجمعين، ورضي الله عن صحابته الصالحين، وسدّد الله خطانا على هدى التابعين وتابعيهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الدراسة المنصبة على المواضيع التاريخية بارزة الأثر في حياة سلفنا الصالح، تزيح الكثير من الغموض عن الإسهام الكبير الذي أسهم به أولئك العرب المسلمون لرسم مسيرة حياة الدولة العربية الإسلامية، مشرقها ومغربها، من زرع لروح التواصل بين الأقطاب المتنافرة سياسياً، وجعل الدولة تصل إلى ما وصلت إليه من الازدهار الحضاري الذي أشاد به العدو قبل الصديق، وكان من أهم تلك الفئات العلماء العرب، الذين وضعوا أسس الحياة العلمية، وعملوا على تطويرها من خلال تعلم المعارف ثم نشرها بين ذويهم وأهلهم.

وقد ساعدهم على القيام بهذا العمل تلكم الرحلات العلمية التي قاموا بها، حيث كان الطالب منهم ينتقل من بلد لآخر؛ لتلقي العلم مباشرة من أساتذته الكبار، دون قيود تفرض على تنقلاتهم، باذلاً من أجل ذلك الغالي والنفيس، بحيث يتنقل بين المدن الإسلامية المختلفة، لينهل العلم من منابعه الأصيلة، الأمر الذي أدي إلى سرعة انتقال العلوم والمعارف بين أرجاء العالم الإسلامي، وبروز العديد من العلماء المشاهير في جميع مجالات العلم المختلفة.

و كان لدعوة الدين الإسلامي الحنيف وحثه المستمر على طلب العلم، من خلال آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ دور كبير في تلك الاستجابة وذلك الإقبال على طلب العلم، فهبوا راحلين طلباً للعلم فُرادى وجماعات، في عهد كان السفر فيه قاسياً وشاقاً، والرحلات مُجْهدة، فلم تكن هناك طرق معبدة، ولا قوافل منظمة، تساعد على إنجاز رحلة كاملة؛ بل تحمّل كل ذلك طالب العلم من أجل تحقيق هدفه دون اكتراث لكل ما من شأنه أن يعيق رحلته.

ومن خلال الاطلاع على تاريخ الحياة العلمية بالأندلس، لفت انتباه الباحث – في بعض مصادر التاريخ الإسلامي – قيام رحلات علمية أندلسية كبيرة قام بها بعض أهل العلم، من الأندلس وإليه، وكان لها الأثر الكبير في دخول علوم المشرق إلى الأندلس، وازدهار الحضارة في هذا البلد الذي تتابعت عليه دهوراً مظلمة قبل وصول الإسلام إليه، وحيث إنّ الدراسات السابقة لتاريخ الأندلس لم تقم بتسليط الضوء على هذه الرحلات العلمية، ولا على أولئك العلماء وأعمالهم بالشكل المطلوب في دراسة متخصّصة، رأى الباحث من الضروري أن تكون هناك دراسة بهذه الكيفية لأشهر علماء الأندلس الذين كانت لهم رحلات علمية إلى المشرق الإسلامي، وقيد الباحث هذه الدراسة بفترة زمنية معينة وهي القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين، على اعتبار أن هذه الفترة هي باكورة دخول العلوم إلى الأندلس، ونمو التفكير العلمي لدى الأندلسيين، وكذلك حاول الباحث أن يبين أثر هذه الرحلات على العلوم وتطورها على أيدي هؤلاء العلماء.

وتكمن أهداف الدراسة في الآتي:

1/ تسليط بعض الضوء على تاريخ حياة أشهر العلماء الأندلسيين الذين رحلوا إلى المشرق الإسلامي طلباً للعلم، والتعريف بمآثرهم ومكتشفاتهم العلمية في ميادين العلم المختلفة.

2/ إعادة الثقة إلى من اهتزت ثقتهم بأنفسهم، وقادهم اليأس إلى تمجيد الفكر الغربي، واحتقار مجهودات العلماء العرب، بإبراز الأعمال العلمية الجليلة التي قام بها علماؤنا العرب المسلمون في القرنين الثالث والرابع الهجريين /التاسع والعاشر الميلاديين، والتعريف بأهم عوامل ذلك النمو والازدهار الذي شهدته الأندلس خلال هذه الحقبة الزمنية من الحكم العربي الإسلامي لها والذي دام قرابة ثمانية قرون.

3/ وضع مساهمة متواضعة لتكون مرجعاً في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، وذلك لتشجيع الطلاب والباحثين على الاهتمام بتراثهم العربي المجيد، وحفزهم إلى السير حثيثاً على درب أسلافنا الذين أفنوا زهرة شبابهم في خدمة العلم .

أهمية الدراسة:

أما أهمية الدراسة، فتكمن في كونها دراسة ببلوغرافية، تهتم بالعلماء ومآثرهم، كما أنها تسلط الضوء على الكثير من الأخبار التاريخية المهمة التي تبين مدي عمق التواصل العلمي بين قطبي المشرق العربي الإسلامي والمغرب العربي الإسلامي، وتدحض الأخبار القائلة بفُرقة الوطن العربي الإسلامي، كما توضح عُمق علاقة الأخوة الإسلامية رغم الخلافات السياسية بين المنطقتين .

أسباب اختيار الموضوع:

إن أسباب اختياري لهذا الموضوع ترجع إلى تحفيز أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور/علي حسين الشطشاط في أيام دراستي في المرحلة التمهيدية على دراسة هذا الموضوع، لما له من أهمية بالغة في إبراز أشهر العلماء الأندلسيين الذين كانت لهم رحلة إلى المشرق العربي الإسلامي، وإظهار مآثرهم، وذلك لعدم تخصيص أي أحد من الباحثين المحدثين ـ حسب علمي ـ دراسة وافية ومتخصّصة في هذا الموضوع، وإيماناً مني بأن تكون باكورة أعمالي البحثية في موضوع جديد في التاريخ الإسلامي، ليكون عاملاً من عوامل الدفع بإخواني الطلاب للمزيد من البحث بما يقدمه من معلومات.

إشكاليات الدراسة:

سأطرح خلال هذا الموضوع العديد من الإشكاليات محاولاً الإجابة عليها من خلال ما يتوفر لدي من معلومات، لعلها تكون دليلي للوصول بالموضوع إلى درجة النضج العلمي، وتحقيق الفائدة المرجوة من هذه الدراسة، وهي كالتالي:

1/ هل كان لدخول الإسلام والمسلمين في الأندلس دور في زرع بذرة الحضارة بها؟ وهل المنهج التربوي والتعليمي الإسلامي هو الدافع الأول في تحريك الطاقة وتجددها في نفوس أهل الأندلس، وأنه كان العامل الأساسي الذي دفع بأهل الأندلس إلى حب العلم والمغامرة من أجله محاولة منهم للحاق بركب الحضارة آنذاك؟

2/ ماهو الدور الذي لعبه الساسة من أمراء وخلفاء ووزراء في نمـو وتطـور الحياة العلمية بالأندلس، ودفع الطلاب إلى التوجه نحو العلم والتعلم والنهـل مـن معارف المشرق العربي الإسلامي، سواء الدينية منها أو العلمية؟

3/ ما هو المنهج الذي اتبعه الأندلسيون للأخذ بأسباب الحضارة ؟ وهل كان جلب المصنفات المشرقية أحد تلك الأسباب التي ساهمت في النهوض بالجانب الثقـافي والعلمي وازدهار الحضارة في الأندلس؟

المنهج المُتبع في الدراسة:

سيكون المنهج في دراسة هذا الموضوع المنهج التاريخي السردي للأخبار التاريخية، وتحليل النصوص، وإخضاع المعلومات للتدقيق والمقارنة والاستنتاج.

وقد واجهت الباحث عدة صعوبات وعقبات أثناء إعداد هذه الرسالة، منها:

1/ وجود بعض المصادر التاريخية الأولية في أماكن متفرقة مما اضطر الباحـث إلى السعي وراءها بالتنقل بين مدن الجماهيرية العظمى، والسفر إلـى المكتبـات خارج الجماهيرية حتى يتمكن من الحصول عليها، كما حاول الباحث مراراً السفر إلى إسبانيا لاستكمال تلك المصادر المهمة في هذا المجال؛ إلاّ التوفيق لم يحالفـه في ذلك لعدة أسباب منها الأوضاع المالية.

2/ تفرق المعلومات بين المصادر التاريخية، مما دفع الباحث إلى أن يدرس العديد منها دراسة كاملة، لكي يستطيع أن يُلِمّ بالمعلومات التي تتطلبها هذه الدراسة، وقد تنوعت المصادر حول هذا الموضوع من كتب التاريخ وكتـب التـراجم وكتـب التربية الإسلامية.

وستشمل دراسة الموضوع على مقدمة، وخمسة فصول رئيسية وخاتمـة، وهي على النحو التالي:

في الفصل التمهيدي تركزت الدراسة على جغرافية الأندلس، وتاريخهـا منذ قيام الدولة الأموية بها، وعلاقتها بالدولة العربية الإسـلامية فـي المشـرق الإسلامي، ودراسة المؤثرات الثقافية المشرقية عليها، وتبيان دورها الهام في تطبع الأندلس بالطابع العربي الإسلامي المشرقي.

أما الفصل الأول والذي حمل عنوان الحياة العلمية في الأندلس فقد خصّص للحديث عن مكانة العلم والعلماء في الإسلام، ودور الأمراء والخلفاء والتجار في الرقي العلمي، ثم الحديث عن نظام التعليم من خلال إبراز أمكنته ومراحله، ومواده ومناهجه، ثم الحديث عن الرحلة في طلب العلم، وبواكير علماء الأندلس الذين رحلوا إلى المشرق الإسلامي في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي.

واختص **الفصل الثاني** بدراسة أشهر علماء الأندلس الذين رحلوا إلى المشرق الإسلامي في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وحاول الباحث فيه أن يترجم لأشهرهم من حيث الأثر العلمي على بلاد الأندلس بوجه خاص، وعلى الحضارة الإسلامية بوجه عام، وقد سعى في أن أوفر للقارئ معظم المعلومات المهمة لتكون الترجمة وافية ما أمكن، وهي على النحو التالي:

1/ اسم العالم، ونسبه، ومولده إن وجد، ومذهبه.

2/ حياته العلمية قبل قيامه بالرحلة، وبعدها.

3/عصره الذي عاش فيه.

4/أسباب رحلته ونتائجها.

5/ شيوخه الذين درس عليهم، وتلاميذه الذين أخذوا عنه.

6/ أهم العلوم التي نبغ فيها، وأهم مصنفاته التي ألفها إن أمكن ذلك.

7/ أقوال العلماء فيه.

8/ ذكر تاريخ وفاة العالم.

أما الفصل الثالث فتركزت الدراسة فيه على أشهر علماء الأندلس الذين رحلوا إلى المشرق الإسلامي في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وقد اتبع فيه نفس الطريقة التي في الفصل السابق.

وكان الفصل الرابع والأخير يحمل عنوان أثر الرحلة الأندلسية إلى المشرق العربي الإسلامي في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية بالأندلس؛ لتوضيح الأثر الذي خلّفه أولئك العلماء على الحياة الدينية، والعلمية بالأندلس.

وأخيراً، وليس أخراً، تأتي الخاتمة، ثم قائمة المصادر والمراجع.

عرض لأهم مصادر الدراسة:

نظراً لأن الدراسة في هذا الموضوع كان أغلبها ببلوغرافياً، فإن الباحث حاولت أن يركز على المصادر الأصلية، من كتب التراجم، ومصادر التاريخ العام، والحوليات، وكتب المختارات التاريخية، والأدبية، وكتب الجغرافية، كما حاول الاستفادة من بعض المراجع الحديثة التي تناولت الفترة الزمنية المزمع دراستها، والتي تنوعت بين كتب التاريخ السياسي، والحضاري، وكتب التربية الإسلامية، والمقالات التي نُشرت في بعض المجلات العلمية، وخاصة العربية، والتي اعتمد مؤلفوها على المصادر الأصلية، ومن أهم هذه المصادر ــ للتمثيل لا الحصر ــ ما يلي:

1/ كتاب تاريخ افتتاح الأندلس لمؤلفه أبو بكر محمد القرطبي المعروف بابن القوطية (ت367هـ/977م) تحقيق عبدالله أنيس الطباع، بيروت 1994م، وهو كتاب يتناول الأحداث التاريخية بالأندلس منذ الفتح العربي حتى وفاة الأمير عبدالله ابن محمد سنة 300هـ/912م.

2/ كتاب أخبار مجموعة في فتح الأندلس، وذكر أمرائها لمؤلف مجهول، تحقيق إبراهيم الأبياري، طبعة دار الكتاب المصري القاهرة، ودار الكتاب اللبناني ببيروت 1989م، وهو من أهم المصادر التاريخية لتاريخ الأندلس، وخاصة منذ فترة الفتح حتى عصر الخليفة عبدالرحمن الناصر (ت 350هـ/961م).

3/ كتاب تاريخ علماء الأندلس لمؤلفه أبي الوليد عبدالله بن محمد بن يوسف بن نصير الأزدي المعروق بابن الفرضي(ت403هـ/1012م) تحقيق روحية عبدالرحمن السويفي، دار الكتب العلمية ببيروت 1997م، وهو من أهم المصادر التي تقدم تراجم لعلماء الأندلس منذ الفتح حتى سنة 400هـ/1009م، وقد اعتُمد عليه في ترجمة علماء الأندلس، كما حوى هذا الكتاب على معلومات تاريخية غزيرة كانت بين سطور تلك التراجم.

4/ كتاب جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس لمؤلفه الحميدي الإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله الأزدي من أهل ميورقة (ت488هـ/1095م) الدار المصرية للتأليف والترجمة،القاهرة 1966م، وقد اعتُمد

عليه في ترجمة العلماء الأندلسيين، حيث امتاز بذكر كل عالم متضمناً سيرته، وأهم مآثره العلمية وغيرها؛ إلاَّ أن أغلب تراجمه كانت تنقصها الدقة، وربما كان مرد ذلك إلى أن الحميدي ألف كتابه هذا في المشرق العربي بعيداً عن وطنه، وقد اعتمد عليه الضبي في كتابه بُغية الملتمس اعتماداً كبيراً حتى أن الباحث ليجد بعض تراجمه نقلاً حرفياً من جذوة المقتبس.

5/ كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي أبي الفضل عياض بن مرسي اليحصبي(ت544هـ/1149م) تحقيق محمد سالم هاشم، بيروت 1998م، وهو معجم لرجال المذهب المالكي في العالم الإسلامي منذ حياة الإمام مالك بن أنس حتى عصر المؤلف، وقد سار فيه مؤلفه على الأبجدية، وقد تم الاستعانة به في ترجمة العلماء المالكيين.

6/ كتاب الصلة لابن بشكوال أبي القاسم خلف بن عبدالملك (ت 578هـ/1182م) طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة،القاهرة 1966م، ومعنى الصلة إكمالاً لكتاب تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي، وقد استعان به الباحث في ترجمة العلماء الذين لم يجد لهم ترجمة عند غيره، أو من كانت ترجمتهم ناقصة بعض الشيء فيه.

7/ كتاب بُغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس لمؤلفه أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة المعروف بالضبي (ت599هـ/1202م) القاهرة 1967م، وقد استعان الباحث بهذا الكتاب أيضاً في تراجمة العلماء الذين رحلوا إلى المشرق العربي الإسلامي، وهو واصلة لكتاب ابن الفرضي، وقد اهتم فيه مؤلفه بأهل العلم والأدب، ونقل نصوصاً من جذوة المقتبس كما ذُكر سالفاً، ويواصل في تراجمه حتى أواخر القرن السادس.

8/ كتاب التكملة لكتاب الصلة لابن الأبّار أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي(ت658هـ/1260م)، تحقيق عبدالسلام الهراس، دار الفكر، بيروت 1995م، وهو أربعة أجزاء، وهذا الكتاب من أوسع كتب التراجم الأندلسية التي وصلت إلينا حيث حوى الكتاب 3607 ترجمة، وقد استعان الباحث به في ترجمة العلماء أيضاً، وفي بعض أخبارهم.

9/ كتاب المُغرب في حُلي المغرب لابن سعيد أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد(ت 685هـ/ 1286م)، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة 1964م، وهو جزءان، وقد تم الاستعانة به في ترجمة بعض علماء الأندلس المعنيين بالترجمة.

10/ كتاب البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي (كان حياً سنة 712هـ/ 1312م)، تحقيق ج. س. كولان و إ. ليفي بروفنسال، بيروت 1980م، وهو من المصادر والأصول المهمة والأساسية في دراسة التاريخ الأندلسي، ومن أكثرها جدارة بالثقة، فهو تاريخ عام للمغرب والأندلس منذ الفتح حتى عصر بني مرين ويتكون من أربعة مجلدات.

11/ كتاب الديباج المُذَهَّبْ في معرفة أعيان المذهب لابن فرحون (ت 799هـ/1396م) وهو كتاب ترجم فيه المؤلف لعلماء المذهب المالكي في العالم الإسلامي، وقد استفاد منه الباحث عند الترجمة للعلماء المالكية في الأندلس.

12/ كتاب تاريخ ابن خلدون المُسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، لمؤلفه أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي(ت808هـ/1406م) بيروت 1992م، ويُعد من أهم المصادر في تاريخ الأندلس؛ لصلته بأخبار هذه الأقطار من جهة، ولاطلاعه المباشر على كل من أَلَّف فيها، وما أُلِّف حولها، كما أن مقدمته وهي التي تمثل الجزء الأول من الكتاب حوت أيضاً معلومات هامة عن حضارة العرب في الأندلس.

هذا، وقد استعان الباحث ببعض المراجع الحديثة التي تنوعت بين مراجع تاريخية وتربوية، ذُيلت في قائمة المراجع ليسهل الرجوع إليها من قبل القارئ الكريم.

وفي الختام لا يسع الباحث إلاّ أن يسأل الله التوفيق والسداد، فإن أصاب فمن الله، وإن أخطأ فمن نفسه، وما الكمال إلاّ لله وحده، وهو من وراء القصد.

الباحث......

الفصل التمهيدي

نبذة جغرافية وتاريخية عن بلاد الأندلس

المبحث الأول : جغرافية الأندلس.

المبحث الثاني: الدولة الأموية بالأندلس وعلاقاتها الخارجية مع المشرق الإسلامي

أولاً / قيام الدولة الأموية.

ثانيا/ العلاقات الخارجية للدولة الأموية.

1/ مع الدولة العباسية في بغداد .

2/ علاقة الأمويين بمصر .

المبحث الثالث: المؤثرات الثقافية المشرقية على الأندلس.

أولاً/ المؤثرات الثقافية الشامية.

ثانياً/ المؤثرات الثقافية المصرية.

ثالثاً/ المؤثرات الثقافية الحجازية.

رابعاً/ المؤثرات الثقافية العراقية.

المبحث الأول/ جغرافية الأندلس :

الأندلس اسم أطلقه الجغرافيون والمؤرخون المسلمون على جميع الأراضي الواقعة تحت السيادة الإسلامية من شبه الجزيرة الأيبيرية [1]، وهي جزء من أسبانيا والبرتغال اليوم[2]، يبلغ طولها حوالي 300 ميلاً وعرضها حوالي 80 ميلاً[3]، وهذا الاسم مأخوذ من قبائل الوندال[*] Vandals [4]، التي عَمَّرت الأندلس خلال القرن الثالث والرابع الميلاديين وحتى القرن الخامس الميلادي فسميت فاندلوسيا vandalusia أي بلاد الوندال، ثم عُربت للعربية ونطقت الأندلس[5]، أما تسمية شبه الجزيرة الأيبيرية فهي نسبة إلى قبائل قديمة يقال لها الابرو (ibere) وهي أقدم قبائل عَمَّرَتْ تلك البلاد[6].

وتقع الأندلس في الطرف الجنوب الغربي من القارة الأوربية قُبالة السواحل الشمالية للمغرب العربي، على شكل مثلث من الأرض يضيق شرقاً

---

(1) محمود شيت خطاب: الأندلس وما جاورها قبل الفتح الإسلامي وفي أيامه وفتح الأندلس وعبرة الفتح وحضارة المسلمين في الأندلس، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج6، 1959م، ص 83.

(2) إبراهيم بيضون : الدولة العربية في أسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت،1986م، ص 65 ، 66.

(3) محمد بن عبدالله الحميري: صفة جزيرة الأندلس(منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار)، (تح) إ.ليفي بروفنسال، دار الجيل، بيروت، 1988م، ص 4.

(*) وهم الفاندال الذين يكونون تلك القبائل الجرمانية التي سكنت نهر الأودر، ونهر الفيستولي في شرقي ألمانيا، وهؤلاء زحفوا نحو عام 411م من الشمال إلى الجنوب حتى وصلوا إلى مضيق جبل طارق وحكموا أسبانيا وجزءاً من المغرب في الفترة من 408ـ429م. الحميري : المصدر السابق، ص1. كذلك شكيب أرسلان: الحُلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، دار مكتبة الحياة، بيروت،(د. ت)، ج1، ص32. وإبراهيم بيضون: المرجع السابق، ص66. وصلاح خالص: إشبيلية في القرن الخامس الهجري، دار الثقافة، بيروت، (د. ت)، ص 19. وعلي حسين الشطشاط: تاريخ الإسلام في الأندلس (من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة)، دار قباء، القاهرة، 2001م، ص17.

(4) الحميري: المصدر السابق، ص 1 .

(5) محمود شيت خطاب، المرجع السابق، ص 83.

(6) شكيب أرسلان: المرجع السابق، ج1، ص 31. كذلك علي حسين الشطشاط: تاريخ الإسلام في الأندلس،المرجع السابق، ص 17.

ويتسع غرباً[1]، ويحيط بها المالح من ثلاث جهات عدا الشمال الشرقي حيث تفصلها جبال البُرت(البرتات)[*]عن جنوب فرنسا(بلاد الغال)، ويفصلها عن شمال أفريقيا من ناحية الجنوب مضيق جبل طارق[2] الذي كان يُسمى قبل الفتح الإسلامي مضيق بحر الزقاق[3]، حيث يبلغ طوله حوالي 80 كم، وعرضه من الشرق إلى الغرب حوالي 13ــ37كم[4] ، وأما باقي حدودها فتمتد ما بين البحر المتوسط في الشرق والمحيط الأطلسي[**] في الغرب مع قسم من الشمال [5].

وتُميز الجبال والمرتفعات تضاريس بلاد الأندلس، منها في الشمال سلسلة جبال البُرت أوالبرتات التي يبلغ ارتفاعها عن سطح البحر حوالي 700 متر تقريباً، وهي تفصل جنوب فرنسا عن الأندلس[6]، أمّا في الجنوب، فتمتد سلسلة جبال سيرامورينا، أو الجبال السمراء، إضافة إلى سلسلة جبال سيرانفاد، أي جبال الثلج المعروفة عند العرب بجبل شُلير، وقد عرفت بجبال الثلج لأن الثلج يغطي قمتها صيفاً وشتاءً، وتطل هذه الجبال على مدينة غرناطة [7]، وفي شرقي

---

(1) الحميري: المصدر السابق، ص2. كذلك عبدالواحد المراكشي: المُعجب في تلخيص أخبار المغرب، (تح) خليل عمران منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ص5ــ 6.

(*) تسمى هذه الجبال أحياناً البرانس، وهي تسمية خاطئة، لأن جبال البرانس تقع شمالي قرطبة وتعرف أيضاً بجبال المعدن. يُنظر الحميري: المصدر السابق، ص142.

(2) عبدالواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 28 . كذلك الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، 1989م ، مج2،ص 540. وسماه عبدالمؤمن عندما ملك الأندلس جبل الفتح، غير أن هذا الاسم لم يثبت وجرت العادة على الاسم الأول وهو جبل طارق. ابن الأثير:الكامل في التاريخ، (تح) أبو الفداء عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت 1998م، ج4، ص 268.

(3) المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب،(تح) يوسف محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، 1986م، مج1، ص 143.

(4) البكري: جغرافية الأندلس وأوربا (من كتاب المسالك والممالك)، (تح) عبد الرحمن علي الحجي، بيروت 1968 ص 85 ، 129. كذلك محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1969م، ق1، ص 53. وعلي حسين الشطشاط: تاريخ الإسلام في الأندلس، المرجع السابق، ص 16.

(**) يُعرف ببحر الظلمات، أو البحر المظلم، وأُقيانُس. الحميري: المصدر السابق، ص 2، 28 .

(5) إبراهيم بيضون : المرجع السابق ، ص 65 .

(6) محمود شيث خطاب: المرجع السابق، ص 81.

(7) البكري: المصدر السابق، ص 84 ــ 85 .

الأندلس، تمتد سلسلة جبال تسمى جبال شقورة، وفي أقصى الشمال تمتد سلسلة جبال الشارات، والتي تقسم البلاد طولياً، حيث توجد في شمالها مدينة طليطلة [1].

كما تتخلل الأندلس وديانٌ وأحواضٌ نهرية، مثل: نهر الأبـرو(Ebro)، الذي يروي مدينة سرقُسطة وما جاورها، ويُعتبر من ظمن الأنهار الشرقية التي تروي سهول شرق وشمال الأندلس [2]، ونهر المنهو (Minho)، ونهر دويـرة (Douro)، ونهر تاجة (Tajo)، وعلى ضفاف هذا النهر تقع كـلٌ مـن مدينـة طليطلة وشنت بري، وأشبونة [3]، ووادي آنة(Guadiana)، و نهر الوادي الكبير (Guadalquivir)الذي يروي أكثر أراضي السهل الجنـوبي، ويمـر بمـدينتي إشبيلية وقرطبة، حيث يصب غرباً في المحيط الأطلسي[4]، وتحتل السهول معظم شبه الجزيرة الأيبيرية، غير أن تجمع السكان كان مركّزاً دائماً قـرب الشـواطئ ووديان الأنهار الكبيرة، وكانت المدن الداخلية الرئيسة في العهد الروماني أمثـال: سرقسطة وطليطلة وماردة وإشبيلية وقرطبة حصوناً على الأنهار، وظلـت هـذه المدن على أهميتها في العهد القوطي والعهود العربية الإسلامية اللاحقة [5].

أما بالنسبة لمُناخ شبه الجزيرة الأيبيرية فقد قال فيه المؤرخـون أمثـال الحميري: ((الأندلس شامية في طيبها وهوائها، يمانية في اعتـدالها واسـتوائها، هندية في عطرها وذكائها، أهوازية في عظم جبالها، صينية في جواهر معادنهـا، عَدَنية في منافع سواحلها، فيها آثار عظيمة لليونانيين؛ أهـل الحكمـة وحـاملي الفلسفة)) [6]، وقال لسان الدين بن الخطيب: ((...خصَّ الله تعالى بلاد الأندلس من الرَيع وغَدَقْ السُقيا، ولذاذ الأقوات، وفراهة الحيوان، ودور الفواكه، وكثرة المياه، وتبَحُّر العمران، وجودة اللّباس، وشرف الآنية، وكثرة السلاح، وصـحة الهـواء،

---

(1) الإدريسي: المصدر السابق، مج2، ص 730.

(2) ياقوت الحموي: معجم البلدان، (تح) فريد عبدالعزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت،(د. ت)، ج4، ص 30 .

(3) المراكشي: المصدر السابق، ص 375 .

(4) الإدريسي: المصدر السابق، مج2، ص 545 .

(5) خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم بالأندلس، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت،2000م ص 11– 12.

(6) صفة جزيرة الأندلس، المصدر السابق، ص 3. كذلك المقري: المصدر السابق، مج1، ص 128.

وابيضاض ألوان الإنسان، ونُبل الأذهان، وفنون الصنائع، وشهامة الطباع، ونفوذ الإدراك، وإحكام التمدن والاعتمار، بما حُرِمَهُ الكثير من الأقطار مما سواها)) [(1)]، كما قال المقري نقلاً عن الرازي: ((بلد الأندلس...بلد كريم البقعة طيب التربة، خصب الجناب، منبجس الأنهار الغزار والعيون العِذَاب، قليل الهَوَام ذوات السُموم، معتدل الهواء والجو والنسيم، ربيعه وخريفه ومشتاه ومصيفه على قدر من الاعتدال، وسطه من الحال، لا يتولد في أحدها فصل يتولد منه فيما يتلوه انتقاص، وتتصل فواكهه أكثر الأزمنة وتدوم متلاحقة غير مفقودة، أما الساحل منه ونواحيه فيبادر بباكوره، وأما الثغر وجهاته والجبال المخصوصة ببرد الهواء، فيتأخر بالكثرة من ثمره، فمادة الخيرات بالبلد متمادية في كل أوان...)) [(2)].

من خلال هذا الوصف لمُناخ الأندلس يتضح للباحث إنّه كان متنوعاً، فالشرق والجنوب يقعان ضمن مناخ البحر الأبيض المتوسط، أمّا الشمال والشمال الغربي فيسودهما مُناخ غرب أوروبا، الأمر الذي انعكس على إنتاج المحاصيل الزراعية وتنوع الثروات بها، لذلك اشتهرت هذه البلاد منذ القدم بثروتها المعدنية المتعددة، وإنتاجها الزراعي الوفير، وتجارتها المزدهرة، وفي هذا الصدد يذكر ياقوت الحموي: ((أنها جزيرة كبيرة فيها العامر والغامر...تغلب عليها المياه الجارية والشجر والتمر والرخص والسعة في الأحوال)) [(3)]، ويؤكد ذلك الحميري بقوله: ((...والأندلس بقعة كريمة طيبة كثيرة الفواكه، والخيرات فيها دائمة، وبها المدن الكثيرة والقواعد العظيمة، وفيها معادن الذهب والفضة والنحاس والرصاص والزئبق واللازورد والشب والتوتيا والزاج والطفل)) [(4)]، وكانت هذه من العوامل المُغرية التي حفّزت أهل المغرب منذ القدم لخوض غمار البحر والهجرة إليها، كما كانت من الدوافع الرئيسة للغزوات الأجنبية عليها، كالفينيقيين الذين استعمروا المناطق الشرقية منها، كما عبر أقوام من الهندو جبال البُرت(Pyrenees)

---

(1) المقري، المصدر السابق، مج1، ص127 ــ 128.

(2) نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، المصدر السابق، مج1، ص 139 ــ140.

(3) ياقوت الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ج1، ص331 .

(4) صفة جزيرة الأندلس، المصدر السابق، ص 1.

واستوطنوا الأجزاء الشمالية والغربية من شبه الجزيرة، وأخيراً ومن أجل السيادة والتفوق سيطر الرومان على أسبانيا نسبياً، ورغم عدم سيطرة الرومـــان الكاملـــة على البلاد بسبب مواجهة السكان المحليين لهم؛ إلاّ أنّ الكثير من السكان اصطبغ بالصبغة الرومانية [1] .

ومثلما كان هناك تنوع في المُناخ بالأندلس كان التنوع في عناصر السكان أيضاً، فقد كان سكانها خليطاً من الكلتيين والإيبيريين واليونان والونـــدال والألان والسويف والرومان والقوط الغربيين، وهؤلاء هم خلـــيط مـــن عناصـــر فينيقيـــة ورومانية وجرمانية ويهودية، ومن ثَمَّ جاءت العناصر العربية التي يمثلها العرب المسلمون وسكان الشمال الإفريقي ومن اعتنق الإسلام من الأمم الأخرى[2].

ولهذا التكوين المتنوع المعقد للشعب الأندلسي آثار هامة على المجتمع في جميع نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعيـــة والفكرية،ســـاعد علـــى النهوض بها في جميع المجالات إلى أن أصبحت في مصاف الدول الكبرى بعد أن كانت لفترة من الزمن عبارة عن ولاية تابعة، كما كان مصدر قلق دائم للسلطة بما سببه من اضطرابات داخلية اتخذت في كثير من الأحيان مظاهر خطيرة تمثلت في الفتن والصراعات القبلية والطائفية استمرت حتى بداية القرن الخامس الهجـــري/ الحادي عشر الميلادي، وهو ماعَرَّفه المؤرخون المسلمون بالفتنة وقيام الـــدويلات المستقلة أي دول الطوائف.

---

(1) خليل السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص11ــ 12 .

(2) حسان حلاق: العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، الدار الجامعية، بيروت، 1986م، ص 15 ، 16.

المبحث الثاني/ قيام الدولة الأموية بالأندلس وعلاقاتها الخارجية مع المشرق العربي الإسلامي:

أولاً/ قيام الدولة الأموية:

بعد أنْ غابت شمس الدولة الأموية بالشام سنة 132هـ/749م، وحلَّ محلها حُكم العباسيين، خرجت الأندلس وبلاد المغرب العربي من سيطرة الخلافة العباسية رسمياً [1]، فبعد انتصار العباسيين في معركة الزاب من نفس العام وإعلان دولتهم، عملوا على مطاردة بني أمية لاستئصال شأفتهم، فتفرق الأمويون في البلاد للنجاة بأنفسهم وأرواحهم من بطش العباسيين، فهرب من بينهم الأمير عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك، وهرب معه أخوه الصغير سليمان[*] ومولاه بدر، ولحق بأخواله من قبيلة نفزة المغربية بسبرة[2]، وقد قاسى هذا الأمير الطريد من وطنه مرارة العيش في بلاد المغرب دون كلل أو ملل، واحتمل الآلام دون ضعف أو استسلام، إلى أن استقر به المقام أخيراً في قوم من زناته إحدى قبائل المغرب العربي التي تعيش في مغيلة على الساحل[3]، ومن هناك قرّر بأن يبادر بالاتصال بموالي بني أمية في الأندلس، وعملاً بذلك قام بإرسال خادمه بدر لقرية طرسونة[**] أو طُرُش [4]، فقام بدر بالاتصال بأبي عثمان عبيدالله بن عثمان وعبدالله خالد بن أبان بن أسلم[***]، وعرض عليهما كتاب عبدالرحمن الذي يُذكِّرهما فيه بأفضال أسلافه بني أمية، ويعرفهما مكانته منهم واعتقاده بأحقيته في

---

(1) خير الدين طلفاح: حضارة العرب في الأندلس، مطبعة الخانجي، القاهرة، (د. ت)، ص 62.

(*) قتله جنود بني العباس بعد أن منحوه الأمان عند محاولته مع أخيه عبدالرحمن عبور نهر الفرات. المقري: المصدر السابق، مج4، ص 28.

(2) مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، (تح) إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت،1989م، ص 56ـ 57. كذلك المقري : المصدر السابق، مج1، ص 314. ويزيد فيذكر أن نفزة قبيلة من قبائل طرابلس الغرب، سميت بهم قرية بمالقة.

(3) المقري: المصدر السابق، مج4، ص 29ـ 50.

(**) كانت مستقر العمال والقواد بالثغور، وكان أبو عثمان عبيدالله بن عثمان المعروف بصاحب الأرض قد اختارها محلاً، وآثرها على مدن الثغور منزلاً. الحميري: المصدر السابق، ص 123.

(4) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، (تح) عبدالله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت 1994م، ص84.

(***) كان أبو عثمان عبيدالله بن عثمان، وصهره عبدالله خالد بن أبان بن أسلم زعيما جند الشام النازلين بالبيرة . المقري: المصدر السابق، مج4، ص 29.

السلطة؛ لأن جده هو هشام بن عبدالملك، وأنه حقيق بوراثته، ويسألهما أن يقوما بأمره، وأن يتصلا بمن يلزم الاتصال به فائدة من موالي الأمويين وغيرهم، ثم يمهدا لدخوله الأندلس، ويوصيهما بالحذر في اتصالاته، ويمنيهما بمكانة عالية مقابل خدماتهما له، ويشكو فيه صنيع ابن حبيب به وبقومه بإفريقية، ويُعلِمهم أنه إن دخل إلى يوسف الفهري لم يأمنه، فاجتمعوا للتشاور في هذا الأمر، واتصلوا بيوسف بن بُخت وكان من رجالهم وكان في جند قنسرين، وبعد تشاورٍ بينهم قرروا أن يناصروا عبدالرحمن، على ألاّ يكون ذلك إلاّ بعد أن يُعرَض الأمر على الصُميل(*)، كي يأمنوا غدره إن رفض نصرتهم، وإلاّ كانت لهم مُضر وربيعة سندٌ قويّ في ما يعمدون القيام به من أمرهم[1].

غير أن الصُميل بعد أن قَبِلَ في بداية الأمر عرضهم بنصرة عبدالرحمن عاد وتردد في أمره، مقترحاً عليهم أن يتزوج عبدالرحمن بابنة يوسف الفهري، وأن ينزل آمناً في ظله، ثم صرفهما، وقال: إن عبدالرحمن من قوم لو بال أحدهم في الجزيرة غرقنا نحن وأنتم في بوله[2]، وكانت هذه خيبة أمل في مُضر وربيعة، فتوجهوا نحو اليمنية، فألفُوهم قوماً قد وغرت صدورهم يبحثون عن زعيم يثورون خلفه على الصُميل وأعوانه من القيسية للثأر منهم، فدخلوا في عقد بني أمية بالأندلس[3].

وعاد أنصار بني أمية مع ما يحملونه من يئس مضر، فأعدوا مركباً حملوا فيه الرجال مع بدر، ومضى القوم، وعبروا المضيق إلى المغرب، واجتمعوا لدى

(*) الصُميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن الكلابي: أحد سادات مضر، جده شمر من سادات الكوفة، دخل الأندلس في طالعة بلج بن بشر، وتولى الأندلس، قتله الأمير عبدالرحمن الداخل في سجن قرطبة مخنوقاً. ينظر المقري: المصدر السابق، مج1، ص227. ومج4، ص 23ــ26 ــ54. كذلك مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، المصدر السابق، ص 57، 92.

(1) مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، المصدر السابق، ص 66.

(2) ابن القوطية: المصدر السابق، ص 85ــ 86.

(3) المقري: المصدر السابق، مج1، ص 314.

عبدالرحمن الذي لقيهم بالترحيب، وبشروه بما تَمَّ لهم في الأندلس، وما تركوا عليه حال أبو عثمان وعبدالله بن خالد وغيرهم من الاجتماع عليه والرضى به[1].

تجهز عبدالرحمن للمسير للأندلس، فركب هو ومن معه البحر، ومضوا حتى حلّوا بالمَنكب، وكان ذلك سنة 138هـ/755م، وعند وصوله وَفَدَ عليه النقباء يهنئونه بسلامة الوصول، ويرحبون بمقدمه وحلوله بينهم، وهما أبوعثمان وصهره عبدالله بن خالد، ونقلاه إلى قرية طرش، حيث كان بيت أبي عثمان، وهناك توافدت عليه الوفود الأموية، فبدأ يُعِدُّ العدة للخروج إلى قرطبة[2].

وفي تلك الأثناء قامت المراسلات بين يوسف الفهري وعبدالرحمن الداخل لكنها لم تسفر عن شيء سوى الصدام آخر الأمر بين الفريقين، في معركة المُصارة التي هُزم فيها يوسف والصُميل، واستطاع بعدها عبدالرحمن الوصول إلى قرطبة والاستيلاء عليها، خاصة بعد أن تَمَّ له قتل الصُميل ويوسف الفهري وأعوانهما سنة 142هـ/ 759م [3] .

هكذا صفا الجو لعبد الرحمن الداخل، وصار إليه أمر الأندلس كله دون منازع، وانتهى على يديه أول عصور الأندلس وهو عصر الولاة، واختفى من ميدان السياسة آخر رجلين كانا يمثلان هذا العصر في تاريخ الأندلس حاملين معهما ثارات العصبية القبلية، وخلّفا الأندلس لتقوم فيه دولة إسلامية تُقيم صرح الأندلس الإسلامي بعد أنْ كاد ينهار .

غير أن عبدالرحمن لم يهنأ بنشوة النصر واعتلاء سدة الحكم، حتى قامت ضده ثورات عديدة؛ إلاّ أنه استطاع القضاء عليها، وتوطيد حكمه، وأهم هذه الثورات: ثورة العلاء بن المغيث اليحصبي الذي ثار بباجة سنة 146هـ/ 763م،

---

(1) مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، المصدر السابق، ص 71ـ 72.

(2) ابن القوطية: المصدر السابق، ص 86ـ 87.

(3) مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، المصدر السابق، ص92. كذلك ابن القوطية: المصدر السابق، ص 88ـ 89.
وخالد الصوفي: تاريخ العرب في الأندلس(الفتح وعصر الولاة)، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1980م، ج1، ص 313. وعلي الشطشاط: تاريخ الإسلام في الأندلس، المرجع السابق، ص 90ـ94.

والتي أعلن فيها الولاء للعباسيين[1]، وثورة سفيان بن عبدالواحد المكناسي سنة 152هـ/769م، الذي ادّعى أنه من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب، غير أنه قُتل على يد الأمير عبدالرحمن سنة 160هـ/ 776م[2]، وثورة عبدالرحمن بن حبيب الفهري المعروف بالصقلبي سنة 162هـ/ 778م، الذي ثار في تُدمير ودعا للعباسيين، غير أن عبدالرحمن استطاع أن يؤلب عليه أحد المغاربة وهو مشكار، فقتله وحمل رأسه للأمير عبدالرحمن، وبذلك انتهت ثورته[3]، كما قامت ثورة أخرى على عبدالرحمن بقيادة سليمان بن يقظان والي برشلونة، وثار معه بسرقسطة حسين بن يحيى الأنصاري، وذلك في سنة 165هـ/ 781م[4]، وغيرها من المؤامرات الأخرى[5]، لكن عبدالرحمن بفضل حزمه في قراراته وحسن تدبيره، استطاع أن يقضي عليها، وأن يفرّق شمل قادتها بالقتل تارة والتشريد في الأرض تارة أخرى .

ولم ينس عبدالرحمن الاهتمام بالأمور الداخلية، فأنشأ منصب الحجابة، كما اهتم بالجيش، وحشد له المتطوعة والمرتزقة من كل مكان، كما اهتم بالقوات البحرية، فأنشأ لها قواعد لبناء السفن في طرشونة وطرطوشة وقرطاجنة وإشبيلية وغيرها[6].

وقد عاش المجتمع الأندلسي في عهده حياة هانئة، حيث عمل على زرع بذور التسامح بين الطوائف المسلمة والمسيحية واليهودية، وقد كان مجتمع الأندلس يتكون في أوائل عصر الإمارة من العرب الذين نزحوا من الجزيرة والشام أثناء الفتوحات، وممن توافد عليها بعد أن علموا بانتصارات عبد الرحمن الداخل، وقد

---

(1) الحميري: المصدر السابق، ص36. كذلك ابن القوطية: المصدر السابق، ص 91ـ 92. والمقري: المصدر السابق، مج1، ص 318، مج4، ص 36. ومؤلف مجهول: أخبار مجموعة، المصدر السابق، ص 93.

(2) مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، المصدر السابق، ص97 ــ101.

(3) ابن عذاري المراكشي: البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، (تح) ج. س. كولان، وإ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1980م، ج2، ص56.

(4) المقري: المصدر السابق، مج4، ص 49.

(5) مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، المصدر السابق، ص 93ــ105.كذلك المقري: المصدر السابق، مج4، ص 49.

(6)علي حسين الشطشاط: تاريخ الإسلام في الأندلس، المرجع السابق، ص 99.

تمتعوا بامتيازات عن غيرهم، رفعت حظوتهم، مما دعا عبدالرحمن إلى أن يُنشئ لهم ديواناً سماه ديوان قريش، وبجانب هؤلاء برزت جماعة أخرى تُعرف بموالي الأمويين، وقد خصهم عبدالرحمن بالعطاء والوظائف العالية في الدولة.

بالإضافة إلى العرب كان هناك عنصر آخر وهم سكان المغرب العربي، وهؤلاء قد وصلوا الأندلس بأعداد كبيرة مع حملة طارق بن زياد، وسكنت هذه الأعداد منطقة شمال الأندلس، غير أن حوادث الزمن دفعت بالكثير منهم إلى الهجرة والعودة إلى المغرب، أما العنصر الثالث فقد كان من المولدين، أو المسالمة، وهؤلاء من سكان أسبانيا الأصليين الذين أسلموا منذ الفتح، والعنصر الأخير هم المستعربون أو العجم أو النصارى، وهم من مسيحيى أسبانيا ويهودها الذين بقوا على دينهم، وكانوا يتمركزون في مدن طليطلة وإشبيلية وقرطبة وماردة[1]، وقد ساعد اليهود العرب حيث استخدمهم العرب في حاميات المدن التي فتحوها، فكانوا ينعمون في ظل الحكم العربي، وكانوا ينتشرون بين المدن الإسبانية؛ إلا أن غرناطة كانت مركز ثقلهم، حتى أطلق عليها: إغرناطة اليهود[2].

ثانياً/ العلاقات الخارجية للدولة الأموية:

استمر الوجود الإسلامي في الأندلس بعد زوال الحكم الأموي في المشرق سنة 132هـ/749م، حيث تأسست الدولة الأموية في الأندلس من جديد على يد الأمير الأموي عبدالرحمن بن معاوية بن هشام، الذي فرّ إليها من بطش العباسيين، وأقام هناك دولة أموية جديدة، ظلت قائمة لفترة من الزمن تزيد على السبعة قرون ونيّف من 136 إلى 422هـ/753 إلى 1030م.

وعمل الأمير عبدالرحمن الداخل منذ وصوله إلى سدة الحكم بالأندلس على تنظيم دولته، وإقامة صرحها على أساس متين وقوي، فقضى على جميع الفتن الداخلية، كما عمل على رعاية سياسة الدولة الخارجية بإقامة علاقات مع دول

---

(1) الحميري: المصدر السابق، ص 122.

(2) المصدر نفسه، ص 23.

الجوار، والتي استطاع بها تأمين حدود دولته الناشئة، وضمان استمرار النفوذ الأموي بها.

ولقد اتبع بنو أمية في حكم الدولة العربية الإسلامية التي قامت في الأندلس سياسة تقوم على مبدأ التسامح مع جميع فئات المجتمع مسلمين، ومسيحيين، ويهود، وهذه السياسة ظل أثرها واضحاً في البلاد، فبفضل تلك الرعاية وذلك التسامح امتزجت الثقافات الدخيلة بالأندلس، وتبلورت حتى نشأت حضارة ظل أثرها واضحاً في كل أوجه الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية.

كما ساعدت الوحدة الدينية الأندلسيين على استمرار علاقاتهم مع المشرق الإسلامي، تلك الوحدة الدينية التي كان مصدرها الدين الإسلامي، وعلى الرغم من أن العلاقة السياسية ظلت تتذبذب بين العداء والتحسن؛ إلاّ أن الرابط الديني ظل رائد هذا التواصل بين الأندلس وبين دول الجوار الإسلامية، فقامت علاقات سوف يقوم الباحث بدراستها وتبيان عمقها من خلال دراسة العلاقة التي قامت بينهم وبين العباسيين في بغداد من جهة، والفاطميين بمصر والشام والتي كان لها الدور الكبير في التأثير على المجتمع الأندلسي من جهة أخرى.

1/ العلاقات الخارجية للأمويين مع الدولة العباسية :

بعد غروب شمس الدولة الأموية في المشرق على يد العباسيين، وإشراقها في الأندلس على يد عبد الرحمن بن معاوية ((الداخل)) سنة 138هـ/ 755م[1]، قُطع الدعاء في الخطبة لبني العباس[2]، وبذلك انفصل الأندلس عن الخلافة العباسية إدارياً وسياسياً، وأخذ سلطان بني العباس يتقلص عن بلاد الأندلس، وأصبح خلفاء بني العباس ينظرون إلى هذه الدولة الناهضة بعين الريب والجزع، ويخشون أن تكون خطراً على سيادتهم في الأقطار المغربية في المستقبل، لذا فإن فكرة سحقها في المهد لم تكن بعيدة عن الأوائل من خلفاء بني العباس [3] .

---

(1) خليل السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص 99ـ 100.

(2) ابن عذاري: المصدر السابق، ج 2، ص 48.

(3) ابن القوطية: المصدر السابق، ص 91.

لقد ارتبطت علاقات الأمويين الخارجية بالعباسيين بعامل مهم، كان لــه أثر كبير في طابع العداء الذي اتسمت به تلك العلاقة، وهذا العامل يتمثل فــي أن العباسيين منذ آلت الخلافة إليهم اعتبروا المغرب العربــي الإســلامي والأنــدلس ميراثاً شرعياً، تركه الأمويون لهم، وعلى هذا نظروا للأمويين بالأنــدلس نظــرة عداء، وأصبحت هذه النظرة تتحكم في العلاقات باعتبــار أن أمــويي الأنــدلس اقتطعوا جزءاً من ممتلكات العباسيين، وقد ظلت هذه العلاقة عدائية بــين خلفــاء الدولة العباسية وأمراء قرطبة في عصر قوة الدولة العباسية خلال العصر العباسي الأول، واستمرت حتى عهد العصر العباسي الثاني، ورغم ما كــان يســود هــذه العلاقة من الهدوء النسبي أحياناً؛ إلاَّ أنَّه سرعان ما كان يعود إلــى التــوتر مــن جديد، لأنَّ الأسس العدائية لتلك السياسة قد وضعت موضع التنفيذ منذ أيام مطاردة ولاة العباسيين بإفريقية لعبدالرحمن الداخل، ومحاولتهم الاستيلاء على الأنــدلس، وضمها للدولة، تلك المحاولة التي باءت بالفشل الذريع .

صمّم الخليفة أبو جعفر المنصور (136ــ158هـ/753ـــ774م)[1] علــى استرداد الأندلس، فاتفق مع العلاء بن مغيث اليحصبي لكي يُخضع له الأنــدلس، ويقضي على عبدالرحمن الداخل، وقد استجاب العلاء وعبر البحر إلى الأنــدلس سنة 146هـ/763م، ونزل بباجة على رأس جيش كبير، ولكنه هُزم وقُتل في النهاية على يد عبدالرحمن، وأُرسل رأسه إلى مكة، وبذلك فشــلت هــذه المحاولــة [2]، وعندما لم يتمكن أبو جعفر المنصور من استعادة سلطان العباسيين على الأندلس، عمل على استمالة عبدالرحمن الداخل، فأرسل إليه الرسل، وكثيراً ما كان يُظهــر إعجابه به، وبمقدرته وعزيمته التي جعلته وهو فتى شريداً طريداً أن يتمكن مــن تأسيس هذا الملك الواسع في تلك البلاد النائية، كما لقَّبه بصقر قريش، وكان كثيراً

---

(1) السيوطي: تاريخ الخلفاء، (تح) أحمد إبراهيم زهوة وسعيد العبدروسي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1999م، ص 201 ــ 203.

(2) ابن عذاري : المصدر السابق، ج2، ص51، 52. كذلك المقري :المصدر السابق، مج1، ص318. ومؤلف مجهول: أخبار مجموعة، المصدر السابق، ص 93. وابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، مج4، ص147، الذي يذكر أن عبور العلاء إلى الأندلس كان سنة 149هـ/ 769م.

ما يُشيد بذكر عبد الرحمن ويَعْدِلُهُ بنفسه[1]، ولمّا لم يظفر المنصور بشـــيء مــن وراء هذه السياسة، طرق باب «بيّين» ملك الفرنجة رغبة فــي مســاعدته علـــى عبدالرحمن الداخل، وتبادلا السفارة المصحوبة بالهدايا؛ ولكن هذه العلاقـــة بـــين الجانبين لم تؤدّ إلى شيء سوى ما ولَّدتهُ في نفس عبدالرحمن الداخل من مخاوف هجوم الفرنجة على بلاده، كما أن عبدالرحمن الداخل لم يحـــاول إظهـــار عدائــه العسكري للخليفة العباسي المنصور، ولذلك نرى أنّ المنصور وإن كان لم يـــنجح في القضاء على عبدالرحمن من الناحية العسكرية، فقد نجح إلى حـــدٍ بعيـــد مـــن الناحية السياسية، بوضع أساس سياسة العداء للأمويين التي سار عليها أبناؤه مـــن بعده [2].

وفي عهد محمد المهدي (158ــ 169هـ/774ــ785م)[3] الـــذي كانـــت سياسته الخارجية نحو الأمويين في الأندلس استمراراً لسياسة والده مـــن خـــلال محاولته استرجاع الأندلس إلى الدولة العباسية، فكان يضمر العداء لعبد الـــرحمن الداخل، كما كان أبو جعفر المنصور من قبله، ولكنه أحجم في البداية عن تجريـــد الجيوش إلى الأندلس لبعد الشقة، ووعورة الطريق، وقوة عبـــدالرحمن الـــداخل، فاكتفى كل من الرجلين بمعاداة الأخر [4] .

ولكن لم يلبث الخليفة العباسي المهدي أن وجَّه عبـــدالرحمن بـــن حبيـــب الفهري المعروف بالصقلبي بجيش إلى بلاد الأندلس سنة 161هـ/777م، فسار من إفريقية وعبر البحر ونزل تُدمير، ودعا للخليفة العباسي، كمـــا ســـعى للتحـــالف والتعاون مع ثوار العرب المعارضين لعبد الرحمن الداخل في الشمال والجنـــوب بالاشتراك مع شارلمان ملك الفرنجة، غير أن هذه المؤامرة الثلاثيـــة كـــان مـــن الصعب تنفيذها، ففشلت في مهدها، بمقتل الفهري، وانتهاء أمره [5]، وبـــذلك لـــم

---

(1) مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، المصدر السابق، ص 107. كذلك المقري، المصدر السابق، مج1، ص 317 .

(2) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل بيروت، ومكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1996م، ج2، ص 332.

(3) السيوطي: تاريخ الخلفاء، المصدر السابق، ص211 ــ212.

(4) حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ج2، ص 232 .

(5) مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، المصدر السابق، ص 100 . كذلك ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص55 =

تنجح سياسة المهدي في إعادة الأندلس إلى الدولة العباسية للمرة الثانية، وذلك يرجع إلى شجاعة الأمير الأموي عبدالرحمن الداخل وسرعته في مهاجمة أعدائه الواحد تلو الآخر على انفراد [1].

كما يُلاحظ في نفس الوقت عدم حدوث مواجهة مباشرة بين أمويي الأندلس وخلفاء بني العباس في المشرق العربي الإسلامي، ولم تتخذ الأندلس أي إجراء أو أي نشاطٍ ضدَّ الدولة العباسية؛ إلا ما يُروى من نيّة الأمير عبد الرحمن في أخذ الشام، ففي سنة 163هـ/779م أظهر الأمير عبدالرحمن الداخل التجهيز للخروج إلى الشام بزعمه لمحو الدولة العباسية، وأخذ ثأره منهم لولا تلك المحاولة الداخلية في بلاده التي تطلبت العدول عن تحقيق هذا الهدف[2]، أمّا في عهد هارون الرشيد (170ـ 193هـ/786ـ808م)[3] فقد قامت بينه وبين شارلمان صلات وصداقة، وتُبودلت بينهما السفارات والهدايا، وكانت المصالح السياسية وراء هذا التفاهم الوِدّي بينهما، فشرلمان أراد من وراء هذا التحالف أن يُضعف من نفوذ البيزنطيين من جهة، ومن جهة أخرى كان يخشى عاقبة انتشار الدعوة الإسلامية، واشتداد ساعدها في جنوب البرينيه، فكان عليه أن يُخمد دعوة الإسلام تأييداً لهيبة الكنيسة، وأن يسحق الأندلس الناهضة احتفاظاً بكبرياء الظفر، واتقاءً لخطر اقتحامها البرينيه، وانسياب جيوشها إلى ولايات فرنسا الجنوبية كما حدث مراراً من قبل، فهل كان لبني العباس دخل في سياسة شارلمان نحو الأندلس أم لا؟ ولكن الذي نعرفه هو أن شارلمان قد عَبَر البرينيه بجيش ضخم وحاصر مدينة سرقسطة؛ غير أنه هُزم في موقعة رونسفال(باب الشزري)، وبالرغم من عقد الصلح والمهادنة بين عبدالرحمن الداخل و شارلمان؛ إلاّ أن العداء استمر ب بينهما بتلك المحاولات التي أراد منها الفرنجة الكيد للأندلس [4].

= ـ 56. وابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص 148 ـ 149.

(1) ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص 55 ـ 56. وكذلك مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، المصدر السابق، ص 100ـ 101. وابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 268 .

(2) ابن الأثير: المصدر السابق، ج5، ص 245 . كذلك المقري: المصدر السابق ، مج3، ص 54.

(3) السيوطي: تاريخ الخلفاء، المصدر السابق، ص 219 ،229.

(4) محمد عبدالله عنان: مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، لجنة التأليف ولطباعة والنشر، القاهرة، 1929م، ص27 =

بينما استغل هارون الرشيد هذا التحالف ضد أعدائه البيزنطيين والأمويين في الأندلس على السواء [1]، فإن علاقة بغداد السياسية بقرطبة في عهد هارون الرشيد كانت شر علاقة؛ إذ أن الرشيد كان ينظر إلى بني أمية نظرة الخارجين على دولته، فكان يودُّ القضاء عليهم نهائياً؛ ولكن هم كانوا أكبر من ذلك وأقوى، فقاوموا شارلمان أكبر ملوك أوروبة مقاومة كبيرة، ولم يتمكن أن يفعل بهم شراً [2]، ممّا دفع بهارون الرشيد آخر الأمر إلى الاعتراف بالأمر الواقع في المغرب والأندلس، فعَدَلَ عن الخوض في مغامرات غير مأمونة العواقب، كما فعل أبوه المهدي وجده المنصور قبله، الأمر الذي جعله يكتفي بمحالفة جارهم القوي شارلمان ومن بعده ابنه لويس، وإقامة دولة مستقلة في إفريقية في نطاق التبعية للخلافة العباسية، وهي دولة الأغالبة، فكانت بمثابة ثغر عباسي أو دولة حاجزة لحماية أطراف الدولة الغربية من أخطار الخوارج الرستميين والأدارسة والأمويين والبيزنطيين على حدٍ سواء[3] .

غير أن فكرة فتح بلاد الأندلس وإعادتها إلى سلطان العباسيين لم تزل تشغل تفكير الخلفاء العباسيين لدرجة أن الخليفة المعتصم بالله (218ـ227هـ/823ـ841م)[4] عزم على المسير إلى أقصى المغرب العربي ليملك البلاد التي لم تدخل في ملك بني العباس لاستيلاء الأمويين عليها، وشرع في إعداد العدة لذلك، لكن عِلّته اشتدت عليه فمات دون ذلك [5].

= ـ 28. كذلك السيد عبدالعزيز سالم: العصر العباسي الأول(دراسات في تاريخ الغرب)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1978م، ص174، وما بعدها، ص 240 وما بعدها. وإبراهيم بيضون: المرجع السابق، ص 199ـ 203.

(1) أحمد مختار العبادي: دراسات في التاريخ العباسي والفاطمي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1982م، ص 89، 90.

(2) عبد المقصود نصار: العصر العباسي الأول، دار الطباعة المحمدية بالأزهر، القاهرة، 1976م، ص 161. كذلك السيد عبد العزيز سالم: العصر العباسي الأول، المرجع السابق، ص 174ـ180.

(3)أحمد مختار العبادي: دراسات في التاريخ العباسي والفاطمي، المرجع السابق، ص 92 .

(4) السيوطي: تاريخ الخلفاء، المصدر السابق، ص 259 ـ 260.

(5) المصدر نفسه، ص260 .

ومن ذلك كله يلاحظ أن الخلافة العباسية لم تقم من جانبها، أو تشارك بعمل جاد لإعادة الأندلس إلى سلطة الخلافة، وأغلب الظن أن ذلك راجع إلى خضوع كليهما وارتباطه بعقيدة الإسلام الواحدة، ولعل لبُعد الأندلس علاقة ما بالأمر، وأن ذلك سيخلف أحداثا جساماً وخسارة فادحة للطرفين لا داعي لها، بل اتجه حكامها إلى اتباع سياسة البحث عن حليف لهم من داخل الأندلس، لمناوأة أعدائهم البيزنطيين والأمويين على السواء، فتقربوا إلى أعدائهم الفرنجة، وترتب على ذلك أيضاً تحالف البيزنطيين مع الأمويين في الأندلس، واستمر ذلك التحالف في العصر العباسي الثاني، ورغم عدم وجود معاهدة ثنائية مزدوجة بين الخلافة العباسية ودولة الفرنجة من جهة، وضد الدولة الأموية و البيزنطية من جهة أخرى، لكن ذلك لم يمنع قيام نوع من العلاقات الودية بين هذه الدول، كالتي كانت بين الأندلس وبيزنطة، أيام قسطنطين السابع، والإمبراطور أوتو، للرد على علاقة العباسيين مع الفرنجة، ويظهر ذلك في عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر (300ــ 350هـ/ 912 ــ 962م حيث تبودلت السفارات بينهم[1].

وبينما كانت العلاقات السياسية تمضي في طريق العداء تارة والتحسن تارة أخرى، كانت العلاقات الثقافية قائمة بين سكان الدولتين، فلم تنقطع الأندلس بعد انفصالها عن الخلافة العباسية بكافة علاقاتها الحياتية الأخرى، وذلك بسبب قيام رابطة وضّاءة فريدة وهي رابطة العقيدة الإسلامية التي جمعت وألّفت بينهم، وليس مثلها رابطة من كافة الوجوه وعلى أي درجة [2] .

وعلى الرغم من أن العباسيين لم ينسوا ضياع هذا الإقليم المزدهر من أيديهم، ولم يستطيعوا أن يؤثروا فيه سياسياً، إلاّ أنهم استطاعوا أن يؤثروا فيه اقتصادياً وثقافياً تحت ستار العلاقات الثقافية في القرن الثالث الهجري/التاسع

---

(1) ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص 215. كذلك إيليفي بروفنسال: الإسلام في المغرب والأندلس، (تر) السيد محمود عبدالعزيز سالم وآخرون، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1990م، ص 92.

(2) عبد الرحمن علي الحجي: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار العلم للطباعة والنشر، بيروت، 1976م، ص 240.

الميلادي[1]، فيجد الباحث أنَّ نظام الحكم في الأندلس يسير إلى حدٍ كبير وفق نظام الحكم الذي أخذه العباسيون من الفرس، حيث بلاط الأمير عبدالرحمن الثاني (الأوسط) يتبع تقاليد البلاط العباسي الذي يتمشى مع تقاليد الأسرة الساسانية، إذ أن الحضارة المشرقية انتقلت إلى الأندلس في عهده، خاصة بعد أن ازدهرت العلوم في بغداد، بفضل الترجمة وانتشار صناعة الورق، ووصول (زرياب) إلى قرطبة، ونقله مظاهر الحضارة المشرقية السائدة وقتذاك، كما نجد هذا الأمير يتخذ بيت المال وديوان الخاتم وديوان الطراز على غرار نظام العباسيين في المشرق، ويلاحظ أنه يؤسس المصانع التي تنتج المنسوجات التي أصبحت تحاكي منسوجات العباسيين، إلى غير ذلك من التقاليد التي سار عليها خلفاؤه من بعده، وأدخلوا عليها بعض التعديلات التي أكسبتها طابعها الأسباني[2]، كما امتدت علاقة الأندلس التجارية حتى ثغور الشام، فكانت سفنها التجارية ترسو في تلك الثغور[3]، ولقد ظهرت معالم هذه العلاقة الثقافية بصورة واضحة في الصلة القوية بين الأمويين في الأندلس والعباسيين في المشرق العربي، وذلك يرجع إلى الوحدة الدينية، وإلى أنَّ أسباب الاتصال بين المواطنين في العالم الإسلامي كانت ممهدة ميسَّرة، فأرض الإسلام بلد واحد، فلم تكن هناك حدود سياسية ولا حواجز جمركية، ولم يكن يُسأل المسلم ماذا يقصد من رحلته؟ أو إلى أين يريد؟ فكان من معالم تلك العلاقة الثقافية ذلك الاهتمام بثقافة المشرق الذي بدأ منذ أواخر أيام عبدالرحمن الداخل يأخذ مأخذه، ولهذا كثرت الرحلة من وإلى الأندلس، وأصبح المشرق العربي الإسلامي مثالاً يحتذي به علماء الأندلس، كما كان أستاذ المشرق العربي الإسلامي يُتَطَلَّعُ إليه في إخلاص ورغبة لإحراز نفائس مؤلفاته وروائع آثاره، فإذا وفد إلى الأندلس وافد من أعلام المشرق العربي الإسلامي، قُوبل بالاحتفاء والترحيب والإكرام، كما تطلعت إليه العيون في إكبار، وأُجلس مجلس الأستاذ عن فخر واعتداد فهو تحفة نادرة، يتوافد الناس إلى رؤيتها، ويُقبلون عليه للاستفادة من

---

(1) إ. ليفي بروفنسال: حضارة العرب في الأندلس، (تر) ذوقان قرقوط، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د. ت)، ص 49.

(2) ليفي بروفنسال: حضارة العرب في الأندلس، المرجع السابق، ص 51 ــ53 . كذلك حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ج2، ص241 .

(3) محمد عبد الله عنان: تاريخ العرب في أسبانيا، مطبعة السعادة، القاهرة، 1924م، ص 211.

علمه، فكل ما يجيء من بغداد أومن أيِّ المدن الأخرى بالمشرق تستقبله الأنـــدلس بإعجاب وتقدير واحترام [1] .

هذا لمن قدم من المشرق، أمَّا مَنْ رحل منَ الأندلس إلى المشرق ليتـــزود بالزاد العلمي من الثقافة والعلم، ويرجع إلى بلاده حاملاً معه هذه المؤثرات الثقافية المشرقية من نفائس المؤلفات وروايات بدائع الأشعار، ومسجلات ضوابط اللغـــة والعلوم، فيتبوأ مكانة الأستاذ، ويُكبر في عيون الأندلسيين، إكباراً يخصُّه بالهيبـــة والجلال، وتُمهد له مناصب الفتيا والقضاء إن تفقه، والوزارة والكتابـــة إن تفقـــه وتأدب.

وهكذا كانت الرحلة من الأندلس إلى المشرق والعكس لا تكاد تنقطع، ومن الراحلين من يرتشف من حياضه ويرتوي من ثقافته ويرجع، ومنهم من يُؤْثِرُ البقاء حيث يستريح، وقارئ نفح الطيب يجده عاقداً فصلين ـ الفصل الخامس والسادس ـ عن الراحلين من الأندلس إلى المشرق العربي الإسلامي والعكس، وتشاركه فـــي ذلك كتب التراجم، ويقف على كثير من تراجم هؤلاء المهاجرين، وأسماء المؤلفات الوافدة من المشرق العربي، التي تضم نفائس أعلامه في مختلف مجالات الثقافـــة والعلم الديني واللغوية، والأدبية، والعلمية، وهؤلاء هم من الكثرة بحيث يســـجلون إعترافاً صريحاً بعلم المشرق وأساتذته، ويطول القول لو تمَّ عرض أشهر علمائهم هنا، فضلاً عن عامتهم[2]، لهذا خصصت لهم الفصل الثالث و الرابع .

وكان لبعد الأندلس وانقطاعها عن المشرق العربـــي الإســـلامي مركـــز الحضارة الإسلامية ومهدها واحتكاكها بالعالم الأوربي أثر كبير في تطلع أهلهـــا للرحلة إلى الشام والحجاز والعراق، إمَّا التماساً للعلم في مراكزه المختلفة ورغبة

---

(1) ليفي بروفنسال: حضارة العرب في الأندلس، المرجع السابق، ص65 ــ 66 .

(2) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، (تح) روحية عبدالرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت،1997م. كذلك الحميدي: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف، القاهرة، 1966م. والضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكتاب العربي، القاهرة 1967م. وابن بشكوال: الصلة، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، 1966م. والمقري: المصدر السابق، مج3، ص5 وما بعدها .

في تحصيله عن شيوخه في المشرق، وإمَّا سعياً للتجارة أو لآداء فريضة الحج [1]، أو طلباً للجاه والمنفعة ونشر العلم بالمغرب، كما واصلت المبادلات التجارية بين الشرق والغرب سيرها نشطة دون توقف، وما من أحد يستطيع أن ينكرها خلال هذه الفترة قيد البحث، فقد أخذت تنمو مع الزمن نمواً ملحوظاً، وكانت الأساطيل التجارية في موانئ الأندلس، تعمل بين موانئ مدن البحر الأبيض المتوسط، وتحمل البضائع المصدرة زراعية أو صناعية بصورة متواصلة ومستمرة [2].

وكان على الأندلس بعد فتحها أن تكون ملائمة لإقامة وتوثيق علاقات ثقافية وتجارية نشيطة مع دمشق ومصر وبغداد، وبذلك التحم المشرق بالمغرب علمياً واقتصادياً وفنياً عن طريق الرحلات التي كانت تتم غالباً عن طريق البحر، وأصبح للرحلات التجارية في البحر أثر كبير في خدمة البحارة المسلمين لطرق الملاحة، وكانت السفن التجارية تتردد ما بين الأندلس والمغرب، أو بين ثغور المغرب، وبين الإسكندرية والشام، أو بين المرية ومالقة والإسكندرية وطرابلس حاملة إلى المغرب والأندلس سلع المشرق مثل: التوابل وغيرها، وحاملة إلى المشرق سلع المغرب والأندلس[3]، وبذلك كانت الصلة بين مغرب الوطن العربي الإسلامي ومشرقه في العموم حسنة على المستوى العام .

2/ علاقة الأمويين بمصر:

أصبحت مصر بعد الفتح الإسلامي لها سنة 20هـ/ 640م[4] ولاية تابعة للخلافة العربية الإسلامية، وظلت على هذه التبعية أكثر من قرنين ونصف من الزمن أي منذ الخلافة الراشدة والأموية والعباسية إلى أن حكمها الطولونيون سنة 254هـ/ 868م، والذين أصبحت مصر في عهدهم دولة مستقلة مع الاعتراف بالتبعية للعباسيين اسمياً، وبقيت على هذا النحو حتى زالت دولتهم سنة 292هـ/904م،ومن ثَمّ عادت تبعيتها للخلافة العباسية في عهد الدولة الإخشيدية

(1) السيد عبدالعزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة العربية، بيروت، (د. ت)، ص 212.

(2) ليفي بروفنسال: حضارة العرب في الأندلس، المرجع السابق، ص 75 ، 76 .

(3) أحمد مختار العبادي: البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د. ت)، ص60 ــ 64.

(4) السيوطي: تاريخ الخلفاء، المصدر السابق، ص 104.

التي أسسها محمد بن طغج على أنقاض الدولة الطولونية سنة 292هـ/904م[1]، واستمرت هذه الدولة في حكم مصر مدة أربع وثلاثين سنة حتى سقطت بيد الفاطميين سنة 357هـ/ 967م، فجعلوا منها ولاية لدولتهم، ونقلوا عاصمتها إلى القاهرة [2].

هكذا أصبحت مصر كالمرآة تنعكس عليها الحركات السياسية والدينية التي تحدث في دار الخلافة، فلم تكن بعيدة عن تلك الأحداث السياسية أوفي معزل عنها؛ بل تأثرت بها وشاركت فيها، كما أصبحت قبلة أنظار الشخصيات الطامحة إلى المجد والسلطان، ويطول المقام لو تتبع الباحث تاريخ مصر خلال عصورها الإسلامية المختلفة وما تعاور عليها من قوى سياسية متباينة، وإنما المهم هنا هو علاقة الأمويين في الأندلس بمصر في فترة الدراسة.

فعندما ينظر الباحث في الحياة السياسية بمصر الإسلامية في القرن الثالث والرابع الهجري/التاسع والعاشر الميلادي، يلحظ تذبذباً بين التبعية والاستقلال، فقد مالت في النصف الأول من كل قرن إلى التبعية، بينما نجدها في النصف الثاني منهما تميل إلى الاستقلال، وخاصة في العهد الطولوني والفاطمي، وظلت على هذه الحال حتى مجيء الأيوبيين في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي.

ولهذا اختلفت طبيعة العلاقة بين الأندلس ومصر تبعاً لاختلاف الحياة السياسية في مصر، فكانت تتميز أحياناً بالودّ وإن كان بسيطاً، وأحياناً أخرى تتسم بالعداء، وخاصة أن مصر ظلت لفترة طويلة تابعة للعباسيين الذين كانوا أعداء الأمويين، كما ساهم الفاطميون في اتصاف علاقة الأندلس بمصر بالعداء، وذلك لمحاولاتهم العديدة هم أيضاً للنيل من الأندلس والسيطرة عليها وإقامة دولتهم بها ونشر مذهبهم الشيعي فيها[3]؛ غير أن هذه الحقبة الزمنية تخللتها أجواء من الودّ

---

(1) عبدالرحمن زكي: تراث القاهرة العلمي والفني في العصر الإسلامي، مكتبة الأنجلو، القاهرة، 1969م، ص 3.

(2) عبدالله كامل موسى عبدة: الفاطميون وآثارهم في إفريقية ومصر واليمن، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2001م، ص 46.

(3) محمود علي مكي: "التشيع في الأندلس إلى نهاية ملوك الطوائف"، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، العدد الأول والثاني، المجلد الثاني، 1954م، ص 111ـ116.

والصفاء في العلاقة الأندلسية المصرية، ولو كان بسيطاً خاصة في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، ذلك لأن مصر كانت تمثل المنفذ الرئيسي إلى شرق العالم الإسلامي، لذلك حرص الأمويون بالأندلس على أن تكون العلاقات المصرية الأندلسية حسنة؛ إلاّ أنّه يُلاحظ أنّ هذه العلاقات كانت ضعيفة نوعاً ما، وقد تمثلت هذه العلاقات في العلاقات التجارية والثقافية، ومرجع ذلك إلى أن مصر كانت ولاية عباسية خاضعة للعباسيين، وتسير على نفس المنهج الذي تسير عليه بغداد، واستمرت العلاقة السياسية بين الأندلس و مصر تتسم بهذا الطابع الودّي الضعيف، وذلك بالرغم مما شهدته هذه الفترة من استيلاء غزاة البحر الأندلسيين على الإسكندرية سنة 200هـ/815م[1]، وتأسيس جمهورية أندلسية بها استمرت زهاء اثنتي عشرة سنة أي إلى سنة 212هـ/827م، وذلك إبان الصراع الذي وقع بين الأمين والمأمون، والذي عانت منه الدولة العباسية الكثير، فانعكس ذلك على الحياة السياسية في مصر، فشملتها الفوضى والاضطراب أيضاً، فتحزب فريقٌ للأمين وفريقٌ آخر للمأمون، و ظهرت رغبة بعض الشخصيات في الاستقلال بالسلطة دون الخلافة العباسية، ونجحوا في ذلك إلى حدٍ ما، وأصبحت مصر آنذاك لا يكاد يربطها شيء بالحكومة المركزية الإسلامية[2] .

وعندما قامت الدولة الطولونية بمصر على يد أحمد بن طولون، وامتدت إلى الشام سنة 254هـ/868م، جعل ابن طولون علاقته بالعباسيين صورية، وأقام علاقات طيبة مع الأندلس؛ تقرباً للأمويين، ولعل تلك السياسة الجديدة كانت من باب الكيد للخليفة العباسي الموفق، إذ يرى المؤرخون أن ابن طولون بنى ضريحاً لمعاوية بن أبي سفيان في دمشق، ووطّد علاقته بالدولة الأموية الأندلسية عدو العباسيين[3]، كما يُذكر أنّ عدداً من علماء الأندلس رحلوا إلى مصر، فرحب بهم ابن طولون، وعيَّن بعضهم في مراكز الدولة الهامة، كذلك يرى الرحالة الأندلسي

---

(1) السعيد مصطفى السعيد: "الروابط الثقافية بين مصر وأسبانيا"، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية 1958م، مج 12، ص10.

(2) السيدة إسماعيل كاشف: مصر فجر الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، 1949م، ص 160.

(3) أحمد مختار العبادي: دراسات في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية، بيروت، 1972م، ص 134.

ابن جبير أنَّ الغرباء من أهل المغرب والأندلس في مصر كانوا يسكنون جامع ابن طولون، ويدرسون فيه منذ أيام مؤسسه أحمد بن طولون الذي أجرى عليهم الأرزاق في كل شهر، وجعل أحكامهم إليهم،حيث قدموا من أنفسهم حاكماً يتحاكمون عنده في طوارئ أمورهم[1]؛ غير أنَّه في سنة 292هـ/905م عادت مصر ولاية عباسية من جديد، وعادت العلاقة الأندلسية المصرية لا تختلف عن غيرها من الولايات التابعة للعباسيين في علاقتها بالأمويين، ففي هذا العام تأسست الدولة الإخشيدية التي استطاعت أن تنظم أمور البلاد المصرية التي اضطربت بعد سقوط الدولة الطولونية، كما امتدت سيطرتهم حتى شملت الشام ومكة والمدينة، واستمرت هذه الدولة تقوم بدورها لأربع وثلاثين سنة، تنهض بأمور مصر حتى سقطت في أيدي الفاطميين سنة 357هـ/967م، الذين جعلوا منها أهم ولاية في دولتهم وقاعدتها القاهرة [2].

ويبدو من خلال تاريخ العلاقات الفاطمية الأموية في الأندلس أنَّ الفاطميين شعروا باستحالة غزو الأندلس والسيطرة عليها وإقامة دولتهم بها، كما شعروا باستحالة بقاءهم في المغرب العربي الإسلامي، وأن بقاءهم فيه محفوف بالمخاطر أمام وثبات السكان المغاربة، وغارات الأمويين المستمرة ودسائسهم، فقرروا إخلاء هذا الميدان والتحول عنه إلى مصر؛ لكن هذا الابتعاد لم يحُل المشكلة بين الأمويين والفاطميين، بل استمر العداء بينهما، ولا أدلّ على ذلك من الخطاب الذي أرسله الخليفة الفاطمي العزيز بالله إلى الخليفة الحكم المستنصر الذي يهجوه فيه، وقد ردَّ عليه الخليفة الأموي الحكم بعبارة موجزة حاسمة " قد عرفتنا فهجوتنا، ولو عرفناك لأجبناك" [3] وفي هذا إشارة إلى الطعن في نسبه.

---

(1) ابن جبير: رحلة ابن جبير، الشركة العالمية للكتاب، ش. م. ل، (د. ت)، ص52. كذلك أحمد مختار العبادي: دراسات في التاريخ العباسي والأندلسي، المرجع السابق، ص 134ـ 135.

(2) عبدالرحمن زكي: المرجع السابق، ص 3.

(3) المرجع نفسه، ص 84.

وتحسباً لهذا الخطر الفاطمي ظل الأمير الحكم الثاني يسيطر على مضيق جبل طارق عن طريق سيطرته على سبتة وطنجة ومليلة [1].

وبهذا يُلاحظ أن العلاقة بين الأندلس والفاطميين بمصر ظلت علاقة يسودها العداء، لأن الفاطميين ظلوا على مناوئتهم السابقة للأمويين بالأندلس من خلال أنصارهم من القبائل الموجودة ببلاد المغرب، المتمثلة في حليفتها قبيلة صنهاجة، أو بمعنى آخر الدولة الزيرية، التي بسطت نفوذها باسم الفاطميين على جميع النصف الشرقي من المغرب(الأدنى والأوسط)، أمّا القسم الغربي من نهر ملوية إلى طنجة، فقد ظل تحت سيطرة قبيلة زناتة حليفة الأمويين، وهكذا حدث نوع من التوازن للقوى بين الخلافتين المتنازعتين وحلفائهما في المغرب[2].

غير أنه ومع مرور الزمن، وفي فترة حكم محمد بن أبي عامر فشلت جميع المساعي الفاطمية في السيطرة على المغرب الأقصى، وتقلص نفوذهم من الشمال الإفريقي، بسبب وقوف الأمويين على نواياهم، والقضاء على آخر قادة القبائل الموالية للفاطميين في المغرب وهو زيري بن عطية حفيد عبدالله بن خزر [*] في المعركة الفاصلة عند وادي منى قريباً من طنجة سنة 387هـ/997م، والتي هُزم فيها زيري بن عطية؛ لكن زيري رجع بعد هذه الهزيمة إلى ولائه للأمويين، ففي سنة 391هـ/999م كاتب المنصور بن أبي عامر بهذا، فعفى عنه، وحَسُنت سيرته حتى وافاه الأجل في السنة نفسها، فخلفه على حكم المغرب ولده المعز الذي ظل على ولائه للأمويين [4]، وبذلك دان المغرب الأقصى مجدداً للأمويين في الأندلس.

---

(1) خليل السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص 172.

(2) المرجع نفسه، ص 186.

(*) كان من قواد المنصور بن أبي عامر في المغرب، لكن علاقتهما فسدت بسبب مطامح زيري في أن يلقب بلقب الأمير بدل لقب الوزير الذي لقبه به المنصور بن أبي عامر، فأعلن تمرده وعصيانه، وحاول الاستقلال بأمور البلاد السياسية والاقتصادية، ثم خطب باسم الخليفة هشام المؤيد بدل المنصور بن أبي عامر، وطرد عمال المنصور بن أبي عامر من المغرب. للمزيد من التفصيل ينظر ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص249.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص 253.

والواقع أنّ انتصار العامريين في شمال أفريقيا لم يقف عند حدّ تأكيد سلطان بني أمية على المغرب الأقصى، بل تأكد بعودة المناوئين للوجود الأموي في المغرب إلى الولاء لهم، والتوسع في إعادة الأراضي التي كانت تابعة للفاطميين في المغرب الأوسط، وبذلك ظل ولاء المغرب الأوسط والأقصى تابعاً للأمويين حتى أواخر أيام العامريين [1] .

وإذا كانت العلاقات السياسية الفاطمية الأندلسية تتذبذب بين التحسن والتوتر، فإنّ العلاقات الأخرى الثقافية والتجارية شهدت نشاطاً ملحوظاً، فبالنسبة للعلاقات الثقافية بين أمويي الأندلس ومصر شهدت تطوراً بسبب ما كانت تتمتع به مصر من المركز العلمي الهام الأمر الذي دفع عدداً كبيراً من الأندلسيين إلى أن يفدوا إليها للنهل مما حوته من العلوم والمعارف، ونخص بالذكر من العلماء: فقيه الأندلس عيسى بن دينار (ت 212هـ/827م)[2] ويحيى بن يحيى الليثي(ت 233هـ/ 847م) الذي رحل إلى مصر، وسمع من الليث بن سعد(ت 175هـ/791م) وتفقه على يد الفقهاء المصريين أمثال: عبدالله بن وهب، وعبدالرحمن بن القاسم، وأنس ابن عياض[3]، ومنهم أيضاً زياد بن عبدالرحمن اللخمي الملقب بشبطون(ت204هـ/819م) الذي رحل إلى المشرق، وسمع بمصر من فقيهها الليث بن سعد أيضاً [4]، ومنهم كذلك قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف(ت 304هـ / 916م) الذي رحل إلى المشرق، وسمع بمصر من محمد بن عبدالله العمري، ومطلب بن شعيب، ومحمد ابن سليمان المهري، وغيرهم[5]، ومنهم قاسم بن ثابت أبو محمد العوفي السرقسطي (ت 302هـ/914م) الذي رحل مع أبيه، وسمع بمصر من أحمد بن شعيب النسائي، وأحمد بن عمرو البزاز، وكان محدثاً عالماً بالنحو والشعر [6]، ومنهم كذلك قاسم بن محمد بن قاسم بن سَيَّار (ت 278هـ/891م)

---

(1) خليل السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص 200ــ204.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 262. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص298ــ 299.

(3) الحميدي: المصدر السابق، ص 382ــ 384. كذلك المقري: المصدر السابق، مج2، ص221 ــ 222.

(4) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 131ــ 132.

(5) الضبي: المصدر السابق، ص 447ــ 448.

(6) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص382ــ383.

الذي رحل وسمع بمصر من محمد بن عبدالله بن عبدالحكم، والمزني، والبرقي، والحارث بن مسكين، ويونس بن عبدالأعلى، وإبراهيم بن المنذر، وغيرهم، ولزم ابن عبدالحكم للتفقه، وتحقق به وبالمزني، وكان يذهب مذهب الحجة والنظر والتقليد، ومال إلى مذهب الشافعي، وقد أثنى عليه ابن عبدالحكم بقوله: ((لم يقدم علينا من أهل الأندلس أعلم من قاسم بن محمد))[1]، ومنهم أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن حيون(ت 305هـ/917م) الذي رحل، وسمع بمصر من الخفاف النيسابوري، وإبراهيم بن موسى وغيرهما[2]، ومنهم أيضاً أبو عبدالله محمد بن فطيس الغافقي

(ت 319هـ/931م) وكانت له رحلة سمع فيها بمصر من محمد بن عبدالله بن عبدالحكم، ومن ابن وهب ابن أخ عبدالله بن وهب، وغيرهما[3]، وغير هؤلاء العلماء كثير ممن رحلوا إلى المشرق العربي الإسلامي ودخلوا مصر ودرسوا بها، وكتب التراجم الأندلسية تزخر بمثل هؤلاء العلماء، وقد خصصت لهؤلاء الرحالة الأندلسيين إلى المشرق العربي الإسلامي عامة سواء كان في القرن الثالث أو الرابع الهجريين الفصل الثالث والرابع من البحث للحديث عنهم بإسهاب .

هكذا كان لازدهار الحياة العلمية في مصر دور في توطيد العلاقة بين الأندلس ومصر في عصورها الإسلامية المختلفة، كما أنّ للعلاقات التجارية مساهمة فاعلة في مدّ أواصرَ التقاربِ بين البلدين، حيث إنّ موقع مصر المتوسط لبلدان المشرق الإسلامي جعل منها محطّاً رحال التجار، وسوقاً رائجة بالبضائع المشرقية التي يحتاج إليها سكان المغرب العربي بما فيه الأندلس، فأصبحت مصر بهذا الموقع الوسيط التجاري بين الشرق والغرب، و مخزناً لمختلف البضائع الشرقية والغربية، كما كانت مصر منفذ القوافل الأندلسية المتجهة إلى المشرق الإسلامي وخاصة القوافل التي تحمل الحجاج، والرحالة والعلماء والتجار، وقد

---

(1) المقري: المصدر السابق، مج2، ص 260 ـ 261.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 313ـ314.

(3) المقري: المصدر السابق، مج2، ص 272.

سارت هذه القوافل في الطرق التجارية التي امتدت بين مصر والواحات العربيـــة وبلاد المغرب.

وكانت السلعة القادمة من المغرب والأندلس عبر البحر المتوسط تصل إلى ميناء الإسكندرية الذي كان يحتل مكاناً هاماً، حيث قُربه من نهر النيل، ومنه تُحمل إلى الفسطاط عبر خليج الإسكندرية[1]، ومن الأندلس كان يصدَّر إلى الإســكندرية الزيت من إشبيلية[2]، والزئبق من قرطبة[3]، والموشّى مـــن المريـــة ومالقـــة[4]، والبسط التنتيلية من مرسية[5]، والتين المالقي الذي وصلت تجارتـــه إلـــى الهنـــد والصين[6]، تلك هي تجارة الأندلس الخارجية مع مصر والشرق بوجه عام.

المبحث الثالث/ المؤثرات الثقافية المشرقية على الأندلس:

إنّ العلاقة العربية الإسلامية بشبه الجزيرة الإيبيرية (الأندلس) قديمة بقدم الوجود العربي بها، أي منذ بداية عملية الفتح لها، وقد ساعد على ربط تلك العلاقة وتشديد أواصرها وإطالة عمرها، المنهج الذي اتبعه المسلمون من قادة للجيـــوش وجنود إبان الفتح وبعده وهو منهج التسامح مع كل عناصر السكان مسيحية كانت أم يهودية أم غيرها.

فمنذ الفتح الإسلامي لشبه الجزيرة الإيبيرية سنة 92هـ/710م على عهـــد الخلافـــة الأمويـــة إبـــان فتـــرة حكـــم الخليفـــة الأمـــوي الوليـــد بـــن عبدالملك(86ـــ96هـ/705ـــ714م) وحتى تأسيس البيت الأموي من جديـــد ســـنة 138هـ/755م، والذي استمر في حكم الأندلس إلى سنة 422هـ/1030م، توطـــدت العلاقات العربية الإسلامية بالأندلس، بفضل سياسة التسامح التي اتبعها الأمـــراء والخلفاء الأمويون مع السكان الأصليين للبلاد، وزالت معظم الخلافات والأحقـــاد

---

(1) أحمد مختار العبادي والسيد عبد العزيز سالم: تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م، ص177، 178.

(2) الحميري: المصدر السابق، ص 19. كذلك المقري: المصدر السابق، مج4، ص202.

(3) المقري: المصدر السابق، مج1، ص 189.

(4) المصدر نفسه، مج4، ص209 ـــ210.

(5) الحميري: المصدر السابق، ص182. كذلك المقري: المصدر السابق، مج1، ص 190. ومج4، ص 210.

(6) الحميري: المصدر السابق، ص 178. كذلك المقري: المصدر السابق، مج 1، ص 147.

التي من الممكن أن تكون حجر عثرة أمام المسلمين في أداء مهمتهم التي جاءوا من أجلها، كما أن طول عمر دولة الإسلام بالأندلس الذي استمر زهاء ثمانية قرون، كان من العوامل المساعدة على ترسيخ القواعد الصحيحة التي ساهمت في تدعيم حركه النهضة الحضارية في جميع المجالات، سواء أكانت السياسية أم الاجتماعية أم الاقتصادية أم العلمية، فنتج عن ذلك كله ولادة، وتبلور حضارة جديدة في الأندلس ظلت لفترة من الزمن مناراً أنار العالم الغربي، ونهض به من عهود الظلام إلى عصور النور والحياة الكريمة.

وحيث إنَّ أسبانيا قبيل الفتح كانت كغيرها من دول الغرب الأوربي ترزح تحت نير الاستعباد الطبقي والطائفي، وتنعدم فيها مظاهر الحياة العلمية النيرة، ويتألم شعبها تحت سيطرة رجال الدين والقساوسة والرهبان، حظهم الحرمان من جميع خيرات بلادهم، كما أن العلم ينعدم عندهم إلا من بعض العلوم الدينية التي تقرها الكنيسة، أما غيرها فلا يمكن لأي أسباني أن ينال منه أي قسط ولو كان بقدر قليل، و اقتصر التعليم في البلاد على طبقة النبلاء الإقطاعيين والأرستقراطيين ورجال الدين، أما بقية طبقات المجتمع فقد ظلت محرومة بدون وجه حق، وبدخول المسلمين إلى الأندلس، واستقرارهم بها زال الحاجز بين عناصر المجتمع الأندلسي الذي كان يضم كلاً من الأسبان والرومان والقوط واليهود وغيرهم، بفضل سياسة التسامح والتعايش التي انتهجها المسلمون مع جميع عناصر المجتمع، مسيحيين ويهود وغيرهم، فنشأت علاقة طيبة بين المسلمين والأسبان، وظهر جيل جديد أُطلق عليه اسم المولدين(*) و المستعربين(**)، والمسالمة أوالمسلماني(***)، وعناصر الرقيق من الصقالبة(****)، كما برز عنصر

(*) المولدين هم أبناء المسلمين الذين أُنجبوا من أمهات أسبانيات أوقوطيات ، وظهرت هذه الفئة من المجتمع الإسباني منذ أيام الفتح الأولى، وكانوا يعتنقون الإسلام. للمزيد يُنظر السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس(من الفتح حتى سقوط الخلافة بقرطبة)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997م، ص 128ـ 130.

(**) المستعربين هم النصارى الأسبان الذين آثروا الاحتفاظ بدينهم، لكنهم تأدبوا بآداب اللغة العربية، وبعادات العرب. للمزيد يُنظر المرجع نفسه، ص 130.

(***) هم سكان البلاد الإسبانية من أسبان وقوط وغيرهم، تركوا دينهم واعتنقوا الإسلام فسموا بالمسالمة. المرجع نفسه، ص 27.

(****) الصقالبة هو اسم كان يُطلق على أسرى الحرب من جميع البلاد الأوربية، وعلى من وقع في أيدي المسلمين

آخر في المجتمع الأندلسي وهو مزيج بين المولدين غير المستعربين، والمولدين نتيجة لظاهرة المصاهرة والزواج من الأسبانيات، لأن جلّ الفاتحين كانوا قد تركوا زوجاتهم، ورحلوا بمفردهم إلى الأندلس كجنود مقاتلين، ومن هنا يلاحظ بداية التأثر والتأثير بين المسلمين وسكان الأندلس الأصليين في جميع مناحي الحياة، الأمر الذي كان نتيجته نشاط في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والعلمية، بحيث أصبحت المدن الأندلسية من أغنى وأهم المدن الأوربية، ولا سيما قرطبة، كما أصبح الفرد في المجتمع الأندلسي عاملاً من عوامل النهوض بالبلاد من خلال مشاركته الفاعلة في بناء الحضارة الإسلامية في الأندلس؛ إذ أنّ الإسلام لم ينتشر في الأندلس إلا بفضل التعايش وإقامة تلك العلاقات مع المسيحيين واليهود، سواء في الداخل أم في الخارج، الأمر الذي دفع بعض العناصر المسيحية واليهودية إلى التعريب، ورضاهم بأن يعيشوا في ظل الحكم العربي الإسلامي دون أيّ مشاكل تذكر، كما أنهم لم يألوا جهداً في النهوض بالحياة العلمية، وتحصيل العلوم المشرقية بشتى أنواعها التي وفدت إليهم عن طريق علماء الأندلس والعلماء المشرقيين الذين وفدوا على الأندلس، أو بواسطة ذلك المنهج الذي اتبعه الأمراء الأمويون المتمثل في جلب المصنفات المشرقية، واستدعاء بعض العلماء المشرقيين، وفتح باب الرحلة إلى المشرق أمام الأندلسيين للنهل من المشرق، وجمع الكتب في مختلف المعارف والعلوم[1] .

كما جدّ أولئك المستعربون الأندلسيون في الإقدام على تعلم اللغة العربية للأخذ من العلوم العربية الإسلامية، فتتلمذ بعضهم على أيدي علماء مسلمين، فأصبحوا بذلك رسلاً للحضارة العربية الإسلامية الجديدة، وأتقن الكثير منهم اللغة العربية بالإضافة إلى اللغة اللاتينية، مما ساعدهم على نشر الثقافة العربية الإسلامية بين الأوساط الأسبانية والأوربية، وهذا الإقبال والتهافت على النهل من المعارف والعلوم العربية الإسلامية دفع بأحد المستشرقين الذين عاشوا في القرن

= من الرقيق، وقد أنشأ الخليفة عبدالرحمن الثالث جيشه منهم. للمزيد يُنظر أحمد أمين: ظهر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، (د. ت)، ج3، ص 6.

(1) أحمد أمين: ظهر الإسلام، المرجع السابق، ج3، ص22 ــ24.

الثالث الهجري/ التاسع الميلادي إلى أن قال: ((إنَّ إخوتي المسيحيين يدرسون كتب فقهاء المسلمين وفلاسفتهم لا لتفنيدها ولكن لتعلم أسلوب عربي بليغ، وا أسفاه إنني لم أجد اليوم علمانياً يُقبل على قراءة الكتب الدينية أو الإنجيل، بل إن الشباب المسيحي الذين يمتازون بمواهبهم الفائقة أصبحوا لا يعرفون علماً ولا أدباً ولا لغة إلاّ العربية، ذلك أنهم يُقبلون على كتب العرب في نهم وشغف، ويجمعون منها مكتبات ضخمة تكلفهم الأموال الطائلة، في الوقت الذي يحتقرون الكتب المسيحية وينبذونها)) [1].

لذلك بلغت الحضارة الأندلسية أوجها خلال العصر الأموي، أي في القرن الثاني والثالث والرابع للهجرة/الثامن والتاسع والعاشر الميلادي، وتذكر كتب التراجم الأندلسية والمشرقية العديد من العلماء الأندلسيين باختلاف مِلَلِهِمْ، حملوا على عاتقهم مشعل الحضارة، واستفادوا من وقتهم في دراسة العلوم، سواء كانت دينية، أو أدبية، أو علمية، ونشروها داخل البلاد الأندلسية، فأُلفت المئات من الكتب والمصنفات والفهارس، شملت كتب الفقه والأدب واللغة والنحو والصرف والفلسفة والسياسة والحساب والهندسة والطب والتاريخ والجغرافية .

هذا، وقد حدث نوع من التأثير الثقافي بين المشرق والمغرب والأندلس، يمكن دراسة بعض من ملامحه ومظاهره، كما يمكن للباحث أن يجد فواصل واضحة يمكن بها أن يقسم هذه المؤثرات إلى مؤثرات شامية ومصرية وعراقية وحجازية كان لها دور كبير في تصوير الجانب الحضاري في الأندلس في تلك الحقبة الزمنية.

أولاً/ المؤثرات الثقافية الشامية:

الشام هي تلك البلاد الواقعة في القارة الآسيوية شمال جزيرة العرب، والتي تَمَّ فتحها على يد القائد العربي المسلم خالد بن الوليد سنة 14هـ/635م [2]،

---

(1) سعيد عبدالفتاح عاشور: المدنية الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوربية، دار النهضة العربي، القاهرة، 1963م، ص 49. كذلك ليفي بروفنسال: حضارة العرب في الأندلس، المرجع السابق، ص 80.

(2) البلاذري: فتوح البلدان، (تح) عبد القادر محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م، ص 78.

وهي أول بلد عربي احتضن دولة عربية بعد عصر الرسولe والخلافة الراشدة، فقد أسس الأمويون دولتهم الأولى فيها إثر الخلاف الذي نشب بين آخر الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالبt، ومعاوية بن أبي سفيان، والذي كان نتيجته انتصار الحزب الأموي، وانفراده بالسلطة في الدولة الإسلامية سنة 40هـ/660م ومبايعة معاوية بن أبي سفيان بن أمية بن حرب خليفة للمسلمين، فانتقلت الخلافة الإسلامية من الحجاز ثم الكوفة إلى الشام، واتخذت دمشق عاصمة لها[1]، واستمرت هذه الدولة بالشام إلى سنة 132هـ/ 749م، عندما دبّ الوهن في جسم الدولة الأموية، نتيجة لما طرأ على البلاد من فرقة بين الساسة ومن تصارع على الحكم، وإهمال لشؤون الرعية، وتعصب الأمويين واضطهادهم لبقية إخوانهم من القبائل العربية والإسلامية الأخرى، فاستغل العباسيون الخصوم الألداء لبني أمية ذلك الوهن والضعف، وأعلنوا مناهضة الأمويين وتأسيس دولتهم[2]، وبقيام الدولة العباسية انتهى نفوذ الشام السياسي، وأصبح النفوذ للعراق، بعد أن أصبحت بغداد عاصمةً للدولة الجديدة سنة 149هـ/766م[3] .

بدأت الصلات بين الشام والأندلس قديماً، منذ أن نزحت القبائل العربية من أجناد الشام، تفتح إفريقية والمغرب والأندلس، وتدعوا أهلها إلى الإسلام، حاملة معها عادات وتقاليد البلاد الشامية، ورسومهم في الحياة، وازداد توطد هذه العلاقة بحلول صقر قريش؛ بل صقر الشام الأموي عبدالرحمن بن معاوية بن هشام الداخل في قرطبة، الذي أقام دولة بني أمية من جديد في الأندلس، والتي وصفها المقري على لسان ابن حزم بقوله: ((أنبل دول الإسلام وأنكاها في العدو))[4].

حمل هؤلاء الفاتحون الكثير من روح الشام إلى الأندلس، فحدث استلطاف بين البلدين، فالاستلطاف يكون بين البلدان كما يكون بين الأشخاص، وقد ساعد

---

(1) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، (تح) خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م، ج2، ص 150ـ 151.

(2) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت،2001م، مج4، ص 344. كذلك حسين عطوان: الرواية التاريخية في بلاد الشام، دار الجيل، عمّان، 1986م، ص 245ـ 246.

(3) الطبري: المصدر السابق، ج4، ص 494.

(4) نفح الطيب، المصدر السابق،مج1، ص 313. كذلك صلاح الدين المنجد: دمشق في نظر الأندلسيين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1958م، المجلد الخامس، العدد 1ـ2، ص 35.

على ذلك عوامل كثيرة منها: تشابه القطرين في الإقليم، وجمال الطبيعة، ورقة الهواء، فتونس والمغرب والأندلس تكاد تكون شامية في طيبها، وهوائها، وجمال طبيعتها، وفي هذا الصدد يذكر ابن سعيد الشبه الشديد بين الأندلس ودمشق خاصة، فيقول: ((ومنذ خرجت من جزيرة الأندلس وطُفْتُ برّ العَدْوَة، ورأيت مدنها العظيمة كمراكش، وفاس وسلا وسبتة، ثم طُفْتُ في إفريقية وما جاورها من المغرب الأوسط، فرأيت بجاية وتونس، ثم دخلت الديار المصرية فرأيت الإسكندرية والقاهرة والفسطاط، ثم دخلت الشام فرأيت دمشق وحلبَ وما بينهما، لم أرَ ما يشبه رونق الأندلس في مياهها وأشجارها إلاّ مدينة فاس بالمغرب الأقصى، ومدينة دمشق بالشام، وفي حماة مسحة أندلسية))[1]، وقد سُميت بعض مدن الأندلس باسم مدن الشام كغرناطة التي سُميت دمشق الأندلس [2]، كما سُميت كورة إلبيرة التي منها غرناطة دمشق؛ لأن جند الشام نزلوا بها عند الفتح، وسميت بذلك أيضاً لشبهها بدمشق في غزارة الأنهار وكثرة الأشجار، كما سُميت إشبيلية بحمص؛ وذلك لنزول أهل حمص بها وشهرتها بالتين الإشبيلي الذي اشتهرت به حمص في الشام[3]، كما زاد من موقع الشام في نفوس الأندلسيين الأخبار التي كانت ترد من بعض المسلمين عن الشام والتي تشير إلى وجود مقدسات إسلامية بها، مثل نعل الرسول e الموجود في دمشق، حيث انتعل هذه النعال الكثير من الأندلسيين والمغاربة، وأيضاً وجود مصحف عثمان بن عفان في المسجد الأموي بدمشق، وما كان حول دمشق من قبور الصحابة والأنبياء[4]، ومهما كانت صحة هذه الرواية من عدمها، فإنها أحاطت الشام بهالة من القداسة والبركة، وجعلته اسماً رنّاناً في نفوس الأندلسيين، مما دفعهم للرحلة إليها، ومن ثَمّ التأثير بثقافتهم في الثقافة الأندلسية .

---

(1) المقري: المصدر السابق، مج1، ص197. كذلك صلاح الدين المنجد، المرجع السابق، ص 35 ــ 36.

(2) المقري: المصدر نفسه، مج3، ص 144.

(3) المصدر نفسه، مج4، ص 145 ــ 146.

(4) صلاح الدين المنجد: المرجع السابق، ص 38.

هذا، وقد ساهم الشام بدور بارز في ثقافة وحضارة الأندلس بدخول المؤثرات الثقافية الشامية للأندلس، والتي عبرت إلى الأندلس مع الفاتحين، حيث إن عملية الفتح بدأت منذ أن كانت الحكومة الإسلامية في الشام، أي إبان عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك بن مروان بن الحكم(86ـ96هـ/705ـ714م)، فكان دخول تلك المؤثرات مصاحباً دخول أول علماء التابعيين مع القائد المسلم موسى بن نصير عندما دخل الأندلس لمساعدة طارق بن زياد في عملية فتح البلاد الأندلسية أمثال: محمد بن أوس الأنصاري[*]، وحنش الصنعاني[**]، وزرعة ابن روح الشامي، وزريق بن حكيم[1]، وعبدالرحمن بن عبدالله الغافقي[***]، وغيرهم كثير.

واستمر دخول تلك المؤثرات مع ازدياد توافد الجيوش الإسلامية من الشام على الأندلس، وتُعَدُّ طالعة بلج بن بشر القشيري [2] التي أُرسلت إلى الأندلس سنة (124هـ/ 741م)[3] من أولى الطوالع العسكرية العربية الإسلامية التي كان لها

(*) محمد بن أوس بن ثابت الأنصاري: كان من التابعين، يروي عن أبي هريرة، وروى عنه الحارث بن يزيد، ومحمد ابن عبدالرحمن بن نوفل الأسدي، وكان من أهل الدين والفضل، معروفاً بالفقه، ولي بحر إفريقية سنة 73هـ وكان عليه سنة 102هـ، وغزا المغرب والأندلس مع موسى بن نصير. للمزيد من التفصيل ينظر: المقري: المصدر السابق، مج4، ص59. كذلك ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، (تح) عبدالسلام الهراس، دار الفكر العربي، بيروت، 1959م ،ج1، ص 283. والمراكشي: المصدر السابق، ص 12.

(**) حنش بن عبدالله بن عمرو بن حنظلة بن فهد (وقيل ابن نهد) بن قنان (وقيل قيان) بن ثعلبة بن عبدالله بن ثامر السبأي الصنعاني: يكنى أبا راشدين، من أهل صنعاء الشام، وهي قرية بدمشق، كان مع علي بن أبي طالب بالكوفة، وقدم مصر ، وغزا المغرب مع رويفع بن ثابت، وغزا الأندلس مع موسى بن نصير ، وله بها آثار حيث يقال أنه بنى جامع سرقسطة ، ومسجد إلبيرة ولم يكمله، يروي عن علي بن أبي طالب وغيره، توفي سنة 100هـ/ 718، 719م. للمزيد من التفصيل ينظر المقري: المصدر السابق، مج1، ص264 ـ265، مج4، ص 6ـ7. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 201ـ203. والمراكشي: المصدر السابق، ص 13.

(1) المقري: المصدر السابق، مج4، ص 58 ـ 59.

(***) هو عبدالرحمن بن عبدالله الغافقي: من التابعين، وإنه العكي أمير الأندلس، وليها في حدود سنة 110هـ، استشهد في قتال الروم بالأندلس سنة 114هـ، يروي عن عبدالله بن عمر بن الخطاب،وعبدالله بن عمر بن عبدالعزيز، وعبدالله بن عياض. للمزيد من التفصيل ينظر: ابن الفرضي: المصدر السابق، ص210. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 274. والضبي: المصدر السابق، ص 365. والمقري: المصدر السابق، مج4، ص29. والمراكشي: المصدر السابق، ص13.

(2) المقري: المصدر السابق، مج4، ص 18.

(3) ابن القوطية: المصدر السابق، ص 51. حيث يذكر أن عدد جنود هذه الطالعة يقرب من عشرة آلاف، منهم ألفان

الدور الكبير في استمرار تسرب الثقافة الشامية إلى الأندلس، والتي كانت في عهد الخليفة هشام بن عبدالملك (105ـ125هـ/723ـ742م) [1]، والطالعة الثانية التي وفدت على الأندلس كانت مع أبي الخطّار حسان بن ضرار الكلبي، وعددهم ثلاثون رجلاً[2]، وفي ذلك يقول ابن القوطية: ((إنّه منذ عهد هشام بن عبدالملك نزل أهل الشام الأندلس، وتفرقوا في مدنها، فنزل أهل دمشق بإلبيرة، وأهل الأردن بريّة، ...)) [3].

وعندما انهارت الدولة الأموية في الشام، وتأسست في الأندلس من جديد على يد الأمير الأموي عبدالرحمن بن معاوية، عمل هذا الأمير على تجديد الحكم الأموي في الأندلس، فشهد عصره تدفق سيلٍ من المؤثرات الشامية على البلاد الأندلسية، حيث حرص الأمير عبدالرحمن الداخل على تجديد ما زال من المجد والثقافية والحضارة الأموية في المشرق، فأدخل العديد من الأنظمة الإدارية المعروفة بالشام وطبقها في الأندلس، ولأن الأمير عبدالرحمن كان على مستوى من الثقافة والأدب بدأت تتسرب ثقافة الشام الأدبية، وكان من الضروري أن تتأثر الأندلس بهذه الثقافة، وأن تكون الحياة الأدبية بها صدىً لحياة الشام الأدبية، فالشعر الأندلسي كان شعراً كلاسيكياً يحاكي شعر الأخطل[*] والفرزدق[**]

= من الموالي، وثمانية آلاف من العرب، بينما يشير المقري في كتابه نفح الطيب إلى أن طالعة بلج إلى الأندلس كانت سنة 122هـ، مج4، ص 18. كذلك حسين مؤنس: صورة الأرض، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 1980م، مج 14، ، ص 36.

(1) ابن القوطية: المصدر السابق، ص 44.

(2) ابن القوطية: المصدر السابق، ص 19. كذلك السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ المسلمين، المرجع السابق، ص 120.

(3) ابن القوطية :المصدر السابق، ص 44. كذلك المقري: المصدر السابق، مج1، ص 226 ـ227.

(*) الأخطل: هو غياث بن غوث، وإنما سمي الأخطل لسفهه واضطراب شعره، وهو من قبيلة تغلب التي سكنت الحيرة، ولد سنة 20هـ، ينظر ابن دُريد: الاشتقاق، (تح) عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، (د. ت)، ص338. كذلك شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة،(د. ت)، ص 258 وما بعدها.

(**) الفرزدق: واسمه همّام بن غالب، وإنما سمي الفرزدق لجهامة وجهه وغلظه،وهو شاعر تميمي أمضى حياته في الهجاء والمديح، وكان نبعاً كبيراً من ينابيع الشعر، مات بالبصرة، ودفن بالكاظمية، وعاش حتى قارب المائة من العمر. ينظر ابن دُريد: المصدر السابق، ص239. كذلك شوقي ضيف: المرجع السابق، ص 265 وما بعدها. كذلك الأصفهاني: الأغاني، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، (د. ت)، مج21، ص 276 وما بعدها.

وجرير(*)، وفي ذلك يقول المستشرق الألماني كارل بروكلمان بأن الشــعر فــي الأندلس كالشعر في الشام، فهو في معظمه شعر مدح، وهجــاء؛ ولكــن المــزاج الأندلسي استطاع أن ينفخ في قوالب الشعر البدوي العتيقة روحاً جديدة [1] .

كان من بين الشعراء الأندلسيين في تلك الفترة، القاضي والوالي والأمير، وأبناء الإمارة، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: القاضي معاوية بــن صــالح الحضرمي الحمصي(ت 158هـ/774م)(**) قاضي حمص سابقاً، وقاضي الأندلس في عهد عبدالرحمن بن معاوية، والوالي أبو الخطّار حسام بن ضرار الكلبي(***)، والصُّميل بن حاتم الكلابي (****)، والأمير عبدالرحمن الداخل نفســه، وســواهم، واستمر توافد الأدباء والشعراء من الشام على الأندلس في عهد الأمير محمد بــن عبدالرحمن (238ــ273هـ/ 852ــ886م) الذي كان شغوفاً بالشعر والأدب، فقرَّب إليه الأدباء والشعراء ومنهم أدباء الشام، ولعل من أبرزهم: الشاعر إبــراهيم بــن سليمان الشامي الذي دخل الأندلس في أواخر أيام الحكم بن هشام(180ـــــ206هـ/ 796ــ821م)، وكان شادياً للشعر، وقد أدرك بالمشرق كبار الشعراء، أمثال: أبي

(*) جرير شاعر تميمي من عشيرة كليب اليربوعية، توفي سنة 114هـ. ينظر شوقي ضيف: المرجع السابق، ص 276، 277. كذلك وأحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، نشره محمد أحمد بسيوني، الإسكندرية (د، ط) ،ص111ــ 112. ومحمد سعيد الدغلي: الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي وفي الأدب الأندلسي، منشورات دار أسامة، 1984م، ص 76ــ 78.

([1]) كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، (تر) نبيه أمين فارس؛ ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1953م، ص 300.

(**) خرج من الشام ودخل الأندلس سنة 123هـ، فسكن مالقة وبنى بأسفل قصبتها مسجداً، وهو منسوب إليه، ثم انتقل إلى إشبيلية، فسكنها ثم ولاه الأمير عبدالرحمن الأول قضاء قرطبة، وكان من أهل العلم وكبار رواة الحديث، لمزيد من التفصيل ينظر: النُباهي: تاريخ قضاة الأندلس، (تح) لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983م ص 43. كذلك ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 400.

(***) دخل الأندلس والياً من قبل حنظلة بن صفوان صاحب إفريقية، أيام الخليفة الوليد بن عبدالملك،في رجب سنة 125هـ ،وكان مع فروسيته شاعراً محسناً، توفي سنة 127هـ، وكثر أهل الشام عنده في قرطبة، ففرقهم بين المدن. للمزيد من التفصيل ينظر: المقري: المصدر السابق، مج1، ص 226 ــ227. و مج4، ص 22 ــ 29.

(****) دخل الأندلس والياً من قبل حنظلة بن صفوان صاحب إفريقية، أيام الخليفة الوليد بن عبدالملك،في رجب سنة 125هـ ،وكان مع فروسيته شاعراً محسناً، توفي سنة 127هـ، وكثر أهل الشام عنده في قرطبة، ففرقهم بين المدن. للمزيد من التفصيل ينظر: المقري: المصدر السابق، مج1، ص 226 ــ227. و مج4، ص 22 ــ 29.

نواس[*]، وأبي العتاهية[**] ونظرائهما من شعراء المشرق[1]، ومنهم أيضـــاً أبـــو إسحاق إبراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق، صاحب كتاب (معاقرة الشـــراب)، وكتاب (قطب السرور)، وله (مسند في الحديث)، وكتاب في القرآن سماه (سراج الهدى)، و(الرسالة الوحيدة والمؤنسة) و(قطب الأدب) وغير ذلك، وكـــان قدومـــه الأندلس على الإمام محمد بن عبدالرحمن، وكان شاعراً وأديباً كتب لابني الأغلب حتى انتهت دولتهم، ثم كتب لعبيد الله الفاطمي حتى مات، وكان من رواة شعر أبي تمام [2]، كما وفد من الشام على الأندلس الشاعر أبو اليسر المعروف بالرياضي، وأقام في بلاط محمد بن عبدالرحمن بن الحكم الذي أكرمه، وأدخل كتابـــاً افتعلـــه على لسان ابن الشيخ بالشام وألسنة عامة بلده، ومن ثم توجه الرياضي إلى مصر ناقلاً معه ملامح من ثقافة وحضارة الأندلسيين[3].

وفي الوقت الذي بدأ فيه الشعر يؤثر في البيئة الإسبانية المسيحية كانـــت اللغة العربية ومصطلحاتها قد سادت الأندلس، حيث اندفع سكان إسبانيا وأساقفتها لدراسة اللغة العربية، وكانت كلما مرّت السُنون ضاعت اللغة اللاتينية بشكل أكبر بحيث تُرجمت فيما بعد بيانات البابا، وقرارات المؤتمرات والمجامع المسيحية في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي إلى اللغة العربية للأسبان المســـيحيين فـــي الأندلس، الذين لم يعودوا يفهموا اللاتينية[4].

(*) هو أبو علي الحسن بن هانئ، المعروف بأبي نواس الشاعر، ولد بالأهواز سنة 136هـ أو 145هـ، ونشأ بالبصرة، وكان فصيح اللسان، بليغاً له حظ كبير من العربية، ووصفوه بأنه كان أشعر أهل عصره، وقد توفي في بغداد في خلافة الأمين بن الرشيد سنة 195هـ، أو سنة 196هـ. ابن الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، (تح) محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998م، ص 76.

(**) هو إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان، وكنيته أبو إسحاق، نشأة بالكوفة، ، وكان يبيع الفخار بالكوفة، ثم قال الشعر ،وكان غزير البحر كثير الألفاظ، وأكثر شعره في الزهد والأمثال، وسمي أبو العتاهية لطوله. وأنه كان يحب الشهرة والمجون والتعتُه، توفي سنة 209هـ وقيل سنة 211هـ. ينظر الأصفهاني: المصدر السابق، مج 4، ص 1، 2، 111.

(1) المقري: المصدر السابق، مج4، ص 117، 118.

(2) المصدر نفسه، مج4، ص 129، 130، 132.

(3) مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، المصدر السابق، ص 129، 130.

(4) حسان حلاق: دراسات في الحضارة العربية الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت، 1989م، ص 276.

وكما حدث في الشعر والأدب واللغة من تأثر، فقد تأثرت الأندلس أيضاً بالفن العربي الشامي في البناء والمعمار، ويلاحظ ذلك في بناء الأمويين للمدن كمدينة قرطبة وغرناطة فإنهما صورة من عمارة دمشق من حيث الموقع والمنازل ذوات الأحواش الداخلية وفي أشجارها وحدائقها، وقد ساهم الأمير عبدالرحمن الداخل بإرساله الرسل إلى بلاد الشام لجلب ما تموج به الشام من أشجار ونباتات، و يُعَدُّ صعصعة بن سلاّم أول من أدخل شجرة النخيل إلى الأندلس بأمر من الأمير عبد الرحمن الداخل، والتي تَمَّ زرعها في قصور الأندلس التي شيدها عبدالرحمن الداخل خارج قرطبة على نمط قصور أسلافه الأمويين بالشام، والتي كانت تُبنى خارج المدن، كما أنشأ مدينة الرصافة على غرار الرصافة التي بناها جده هشام خارج دمشق سنة 110هـ/728م [1].

وعلى نفس التأثر الشامي سار عبدالرحمن في بناء المساجد، فقد كان الطابع الشامي واضح كل الوضوح في زخارف المسجد ونظام سقفه وعقوده، وفي الممر الذي يصل القصر بالمسجد وهو المعروف باسم الساباط[*]، كما أن مئذنة المسجد تماثل في هيئتها مآذن مساجد الشام، ولا سيما مساجد دمشق والقدس، ويُرجع المؤرخون ذلك إلى استعانة عبدالرحمن بالبنائين والمهندسين الشاميين في بناء قصوره ومساجده و مقصوراته، وظل هذا الفن المعماري وفن النقوش العربية بأصالته العربية الشامية ومميزاته البسيطة وأشكاله الهندسية البديعة مؤثراً كبيراً على الفن الجرماني والفن الأوربي إلى عصر النهضة[2] .

وعلى صعيد المؤثرات الشامية في الأندلس جاء قول الجغرافيين العرب بأن الأندلس ((شامية في هوائها وشامية في حياتها))[3]، وكما قال المقري: ((الأندلس

---

(1) السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، المرجع السابق، ص 207. كذلك حسان حلاق، دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، المرجع السابق، ص 276.

(*) الساباطُ: سقيفة بين دارين تحتها طريق. الطاهر أحمد الزاوي: ترتيب القاموس المحيط، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1980م، ج2، ص511، مادة سبط.

(2) السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، المرجع السابق، ص 208. كذلك السيد عبدالعزيز سالم: المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 1968م، ص 5.

(3) حسان حلاق: دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، المرجع السابق، ص 279.

شامية في طيبها وهوائها))[1] وينقل لنا شكيب أرسلان نقلاً عن الشقندي قوله: ((غرناطة دمشق الأندلس ومسرح الأبصار ومطمح الأنفس، ولم تخلُ من أشراف أماثل وعلماء أكابر وشعراء أفاضل))[2]، وبهذا يقود الباحث الحديث إلى أعمال الأندلسيين في إدخال المؤثرات الشامية في المجال الزراعي بالأندلس، حيث عمل الأندلسيون على إدخال نظم الفلاحة وأساليب الري الشامية إلى بلادهم، وجلبوا نباتات وأشجار مثمرة من الشام، كما فعل عبدالرحمن الداخل عندما أدخل شجرة الرمان السفري والنخيل إلى الأندلس، كما أن النواعير[*] في الأندلس بنوعيها، ما يعمل بقوة الماء وما يعمل بقوة الدواب؛ هي من أصل شامي، كما انتقل إلى الأندلس عن طريق الجند الشامي تربية دودة القز وصناعة النسيج الحريري، وبخاصة في إقليم جيّان شرقي قرطبة حيث أُنزل جند قنسرين [3].

أمّا فيما يختص بالتأثير الشامي في الحياة الدينية في الأندلس، فقد سارت الأندلس في فترتها الأولى على نمط الحياة الدينية السائدة في الشام، وذلك راجع إلى دخول العديد من فقهاء وقضاة الشام إلى الأندلس، منهم على سبيل المثال فقيه أهل الشام وشيخها القاضي مصعب بن عمران الحمداني، ومعاوية بن صالح الحضرمي الحمصي، وصعصعة بن سلام الدمشقي، وسواهم كثير[4]، ونشرهم مذهب الإمام عبدالرحمن بن عمرو الأوزاعي (88ـ 157هـ/706ـ773م)[5] إمام أهل الشام الذي اهتم مذهبه بالتشريعات الحربية وأحكام الحرب والجهاد، وهذه التشريعات هي التي كانت تناسب وضع الأندلسيين في الفترة الأولى من الحكم الأموي كونها قائمة على الحرب والجهاد في سبيل الله، إضافة إلى أنه من

---

(1) نفح الطيب: المصدر السابق، ج1، ص 128.

(2) الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، المصدر السابق، ج1، ص 214 ـ 215.

(*) مفردها النّاعورة أي الدولاب . الطاهر أحمد الزاوي: مختار القاموس، الدار العربية للكتاب، 1983، 1984، ص610، حرف النون .

(3) المقري: المصدر السابق، مج1، ص227ـ 227. مج4، ص 207. كذلك أمين توفيق الطيبي: دراسات في التاريخ الإسلامي، الدار الأندلسية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، طرابلس، ليبيا، 1992، ص 181.

(4) حسان حلاق: دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، المرجع السابق، ص 280.

(5) محمد سعيد الدغلي: المرجع السابق، ص 30. كذلك ابن الجلاب البصري: التفريع، (تح) حسين بن سالم الدهماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م، ج1، ص 73.

الطبيعي أن ينقل أمراء بني أمية المذهب الديني الذي أقاموا عليه أحكامهم في بلادهم الأصلية وهي الشام، ولهذا اعتنق أهل الأندلس مذهب الإمام الأوزاعي، كما كان في الوقت نفسه مذهب أهل الشام، غير أنه أخذ في الاضمحلال مع منتصف القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي أمام المذهب الشافعي بالشام ، ومذهب الإمام مالك في الأندلس [1]، ويُذكر أن أول من نقل مذهب الإمام الأوزاعي إلى الأندلس هو الفقيه صعصعة بن سلام الدمشقي(ت 192هـ/807م) في سنة 150هـ/767م، وأخذ ينشره بين تلاميذه بالأندلس الذين كان منهم عبدالملك بن حبيب، وعثمان بن أيوب [2]، وزهير بن مالك البلوي القرطبي أبو كنانة، الذي كان يفتي بمذهب الأوزاعي، وكان معاصراً لعالم الأندلس عبدالملك بن حبيب السُلّمي الذي كان يطلب له أن يحدثه عن الأوزاعي إذا انفرد به دون أهل البلد، وقد مات زهير قبل سنة 250هـ/864م بعد موت عبدالملك بن حبيب أي في صدر أيام الأمير محمد بن عبدالرحمن [3].

كما شهدت الأندلس رحلة كثير من الفقهاء الشاميين والأندلسيين إلى الشام، منهم محمد بن إسحاق بن إبراهيم الأندلسي الذي روى عن إبراهيم بن عبلة، فكان يروي عن الأوزاعي منكر الحديث[4]، وأبو عبدالله محمد بن وضاح (ت287هـ/900م) الذي كان من الرواة المكثرين والأئمة المشهورين، ورحل إلى المشرق رحلتين في طلب العلم، ودخل دمشق، وأخذ بها عن عبدالرحمن بن إبراهيم قاضي دمشق المعروف بدُحَيم، ولما عاد إلى الأندلس أخذ يحدث فيها بما تعلمه من مشائخه في رحلته [5].

وفي عهد الحكم الثاني(350ـ 366هـ/ 961ـ976م) الذي كان جامعاً للعلوم محباً لها مكرماً لأهلها، كثر في عهده الاهتمام بجمع العلوم، فازدهرت

---

(1) ابن الجلاب البصري: المصدر السابق، ج1، ص 74.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 168ـ 169.

(3) الحميدي: المصدر السابق، ص221.

(4) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 296.

(5) الحميدي: المصدر السابق، ص 42 ، 93 ، 94. كذلك ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 305ـ 306.

الحياة العلمية في الأندلس، وكثرت بها المصنفات حتى راجت سوقها، فالحكم الثاني جمع وحده من الكتب في جميع العلوم ما لم يجمعه أحد قبله[1]، فكان يستجلب المصنفات من جميع الأقاليم والنواحي باذلاً فيها ما أمكن من الأموال حتى ضاقت بها مكتبة قصره، حيث كانت تحوي أكثر من أربعمائة ألف كتاب، وعدد فهارسها أربع وأربعون فهرسة، في كل فهرسة عشرون ورقة، ليس فيها غير عناوين الكتب وأسماء مؤلفيها(الدواوين)[2]، وكان أهل الأندلس كخليفتهم يحرصون كل الحرص على جمع واقتناء الكتب، مثلما كان يفعل الفقيه عبد الملك ابن حبيب (ت238هـ/852م) بجمعه للعلم حتى كثرت كتبه، والتي بسبب دراستها صار فقيهاً ونحويا ًوعروضياً وشاعراً ونسابةً إخبارياً، وكان بفضل كثرة علمه ونبوغه فيه؛ مقصد الملوك وأبنائهم [3].

غير أنه بعد وفاة وغياب هذا الرعيل الأول، لا سيما عبدالرحمن الداخل تبين أن المؤثرات الشامية بدأت تتقلص في الأندلس، حيث إن الأجيال الجديدة لم يسبق لها أن رأت الشام، أو ارتبطت بها كما ارتبط الجيل الأول بها، وزاد من تقلص تلك المؤثرات الشامية في الأندلس أيضاً الصراع الذي وقع بين أبناء عبدالرحمن الداخل؛ وهما سليمان وهشام، الذي مثل فيه سليمان الحزب الشامي، فهو من أم شامية، وأنصاره شاميين، أما هشام، فقد كان يمثل الحزب الأندلسي فهو من أم إسبانية، وكان نتيجة ذلك الصراع انتصار هشام وهزيمة سليمان الذي نُفي إلى المغرب سنة 174هـ/790م، مع أنصاره الشاميين، وكان معنى ذلك هزيمة الحزب الشامي، ومع ذلك كله فقد استمر هشام في الاعتماد على الشاميين، ففي حربه ضد سكان المغرب جهز هشام جيشاً قوامه اثني عشر ألفاً من الشاميين وانضم إليهم ثلاثة آلاف من المصريين[4].

---

(1) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، (تح) أحمد كمال زكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1980م، ج 23، ص 400.

(2) المقري: المصدر السابق، مج1، ص 368 ـ369.

(3) المصدر نفسه، مج2، ص 218ـ221.

(4) ابن خلدون: المصدر السابق، مج4، ص 149، 150.

ومما زاد أيضاً من البعد عن المؤثرات الشامية أن الأجيال اللاحقة من العرب الشاميين وغيرهم لم يتوفر لها المُناخ الملائم لزيارة الشام، والأخذ بثقافة أهله بسبب اضطراب الأوضاع في المشرق والذي تمثل في الصراع العباسي البيزنطي سنة 165هـ/781م، مما اضطرهم ذلك إلى التأقلم مع الأندلسيين [1] .

ثانياً/المؤثرات الثقافية المصرية:

مصر، تلك البلاد العربية التي تقع في الطرف الشمالي الشرقي من القارة الأفريقية، وتمتد من صحراء سيناء والبحر الأحمر شرقاً إلى السلُّوم غرباً، وقد فتحها العرب المسلمون كاملة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب t على يد عمرو ابن العاص سنة 21هـ/641م[2]، وتولي عمرو ولايتها زمناً ثم تولاها عبدالله بن أبي السرح في عهد عثمان بن عفان [3]، ثم أصبحت ظمن الولايات التابعة لمعاوية ابن أبي سفيان مع الشام في عهد الخليفة عمر بن الخطاب t وعهد الخليفة عثمان ابن عفان t، وحتى وصوله إلى سدة الحكم في الدولة الأموية التي وضع هو أساسها سنة 40هـ/660م، و بذلك كانت مصر أموية النزعة منذ زمن بعيد.

وأصبحت مصر في عهد هذه الدولة الرباط الأمامي لفتح المغرب والأندلس، مثلها مثل القيروان، وقد تكونت بينها وبين الأندلس روابط قديمة ترجع إلى الوقت الذي رُبطت فيه الأحداث بين العرب والأسبان، حيث يُذكر أن أبا الخطَّار حسام بن ضرار الكلبي عندما دخل الأندلس قام بتقسيم الجند العرب بين مدنها بعدما ضاقت قرطبة بهم، فأسكن المصريين مدينة باجة وتُدْمير التي سماها مصر[4]، وقد توثقت هذه العلاقة إلى حد كبير حتى أن بعض المؤرخين والجغرافيين المسلمين عدَّها ظمن دول المغرب العربي الإسلامي، فخرج بذلك عمَّا تعارف عليه جمهور الجغرافيين المسلمين في إدخال مصر ظمن بلاد

---

(1) الطبري: المصدر السابق، مج4، ص572.

(2) البلاذري: المصدر السابق، ص 135. كذلك السيوطي: تاريخ الخلفاء، المصدر السابق، ص 107، 108.

(3) السيوطي: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، (تح) خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت،1997م، مج2، ص 3 ـ4.

(4) المقري: المصدر السابق، مج1، ص 227.

المشرق، وكل ذلك يرجع إلى ارتباطها الوثيق بشمال أفريقيا وأسبانيا منـــذ أيـــام الخليفة هشام بن عبدالملك الذي قلّد عبيدالله بن الحبحاب ولاية مصـــر وإفريقيـــة والأندلس، فكان له من العريش إلى المغرب الأقصى والأندلس، وما بين ذلك، أي أن والي مصر في هذه الفترة امتد نفوذه من حدود مصر الشرقية إلـــى المحـــيط الأطلسي غرباً، إلى الحدود الفرنسية شمالاً عند جبال البرتات [1].

ولم تنقطع الصلات بين مصر والأندلس حتى في أيام الخلافـــة العباســـية وخصومتها مع الخلافة الأموية بالأندلس، بل استمرت، وفي ذلك يحدثنا التـــاريخ أنه كان بمصر عدد من الموالين للخلافة الأموية، استقر بعضهم في صعيد مصر وبعضهم في واحاتها، وقاموا بثورات ضد الخلافة العباسية؛ بل إن منهم من خلـــع الولاء لهذه الخلافة، وأعلن الولاء للخلافة الأموية بالأندلس، ومن بينها ذلك التدخل السياسي العجيب الذي حدث إثر ثورة الربض[*]في الأندلس، والتي قام على إثرها بعض هؤلاء الثوار على الحكم الأول بالتوجه عـــن طريـــق البحـــر الأبـــيض المتوسط إلى الديار المصرية، فبلغوها سنة 200هـ/815م وكونوا بهـــا جمهوريـــة أندلسية مستقلة[2]، دامت اثني عشرة سنة، ثم انتقلوا إلى جزيرة كريت[3].

استمرت هذه العلاقة وهذه الاتصالات قائمة بين البلـــدين تتوثـــق حينـــاً وتتذبذب حيناً آخر، تماشياً مع متطلبات السياسة في هذه العهود، وحتى في أيـــام الفاطميين وعدائهم الشديد للأمويين الذي تمثل في محاولاتهم المستمرة للنيل مـــن الأمويين والسيطرة على الأندلس والقضاء على حكمهم بها، وتـــدعيمهم المســـتمر لعلماء الشيعة، وإرسالهم جواسيس للتجسس على الدولة الأمويـــة فـــي الأنـــدلس،

---

(1) السعيد مصطفى السعيد: المرجع السابق، ص 10.

(*) الربض: هو الحي من المدينة، وقد حدثت ثورة الربض في الربض الغربي من قرطبة في عهد حكم الأمير الحكم ابن هشام (180ـ206هـ/796ـ821م)، وقد قام بها فقهاء المالكية كانت الأولى في سنة 189هـ والثانية كانت سنة 202هـ، غير أن الأمير استطاع إقماعها وتشتيت أنصارها بين البلدان، للمزيد من التفصيل ينظر الكندي: الولاة وكتاب القضاة، (تح) زفن كست، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د. ت)، ص 158. كذلك ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص 152.

(2) السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم بالأندلس، المرجع السابق، ص 224. كذلك صديق شيبوب: جمهورية أندلسية بالإسكندرية، مجلة الكتاب، فبراير 1949، ص 223 وما يليها

(3) الكندي: المصدر السابق، ص 158 ، 184.

ومحاولتهم نشر المذهب الشيعي بالبلاد لتكوين أنصار لهم من الداخل لمؤازرتهم عند تنفيذ أمر الموت، وهو الزحف والسيطرة على مقاليد الحكم في الأندلس وإيقاعها تحت سيطرتهم التامة، وإزالة الحكم الأموي منها وإقامة الدولة الفاطمية الشيعية التي تمتد حدودها من مصر حتى الأندلس، لكن خططهم وأطماعهم ذهبت أدراج الرياح بعد تلقب الأمير عبدالرحمن بن محمد بلقب الخلافة، فتسمّى بأمير المؤمنين الناصر لدين الله، لكن هذا العمل السياسي، والتخطيط المهول للقضاء على الأمويين بالأندلس لم يؤدِ إلى تجميد العلاقات الاجتماعية بين البلدين، بل استمر التأثير والتأثر بين مصر والأندلس، بفضل تلك النخبة النقية في المجتمع وهم العلماء والفقهاء والصالحين، الذين فتحوا أبواب حلقات دروسهم لكل طالب علم، بعيداً عن التعصب الطائفي والعرقي، فتسربت إلى الأندلس الكثير من مظاهر الثقافة المصرية في جميع مناحي الحياة الدينية والاجتماعية والثقافية وغيرها.

هذا، بالإضافة إلى ما كانت تتسم به الحياة التجارية من ربط للعلاقة بين البلدين، حيث إن سفن الأندلس لم تنقطع عن ميناء الإسكندرية رغم كل الخلافات، فكانت تشتري وتبيع السلع المختلفة بكل حرية [1] .

إنَّ كل هذه الاتصالات الاقتصادية، والعلمية، أسهمت بنصيب كبير في حدوث اتصالات ثقافية بين مصر وبلاد الأندلس، من خلال علماء مصر وطلبة الأندلس الذين توافدوا على المشرق عامة لتلقي العلم في مصر خاصة والمشرق عامة، والإقامة بها أحياناً أخرى.

و لعبت مصر دوراً كبيراً في نشر الدين الإسلامي أيام التابعين، حيث كان لها دور كبير في نشر المذهب المالكي[*] في والمغرب والأندلس، فقد كان المذهب

---

(1) جمال الدين الشيال: الصلات الثقافية بين المغرب ومدينة الإسكندرية، مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية، مطبعة جامعة الإسكندرية، 1962م، مج 15، 151.

(*) ظهر المذهب المالكي على يد الإمام مالك بن أنس وانتشر في أغلب أنحاء العالم، فكانت المدينة كلها على رأيه، ومنها انتقل المذهب إلى مصر وشاع فيها شيوعاً كاملاً إلى أن قدمها المذهب الشافعي. للمزيد من التفصيل ينظر ابن الجلاب البصري: المصدر السابق، ج1، ص 90.

المالكي منتشراً بمصر بعد أن انتقل من المدينة[1]، فاعتنقه العديد من أهلها مثـل عبدالله بن وهب المصري [2]صاحب كتاب (الجـامع فـي الحـديث)، ومؤسـس المدرسة المصرية المالكية، وقد عدّه طلبة الأندلس آنذاك أثبت الناس في المذهب المالكي، فتتلمذوا على يديه، وتعمقوا بعلمه في دراسة المذهب، ومن ثم سـاعدوا في نشره داخل الأندلس، وكان من بينهم عبدالملك بن الحسن بن محمد بن زريق، الملقب بزونان [3]، وفقيه الأندلس عيسى بن دينار (ت 212هـ/827م) الذي اختار في أواخر أيامه أن ينهج منهج عبدالله بن وهب، ويعوّل عليه في الأثر والحديث، ويترك رأى ابن القاسم[4]، وممن رحل إليه أيضاً وتأثر به الفقيه الأندلسي عبـدالله ابن كامل الذي أخذ يروي عنه حتى وفاته سنة 173هـ/789م [5] ، كمـا اخـتص برواية ابن وهب من أهل الأندلس الفقيه عبدالله بن جابر، الذي ظل يُدرِّسُ كتبـه إلى أن توفي سنة 250هـ/864م [6]، ومن الفقهاء المصريين الذين تركـوا أثـراً واضحاً على فقهاء الأندلس أيضاً الفقيه عبدالرحمن بن القاسم العتقي الذي تتلمـذ على يد مالك بن أنس، والليث بن سعد، وغيرهما كثير، وأطال صحبة مالك وحفظ فقهه، وكان له رياسة المالكية في مصر حتى وفاته بها سنة 191هـ/ 806م، وعليه

---

(1) شهدت المدرسة المصرية في بداية أمرها بعض الفقهاء، مثل: أبو ميسرة عبدالرحمن بن ميسر (ت 188هـ) وهو أول من أدخل في مصر قراءة نافع، أما عن أول من أدخل الحلال والحرام فيها فهو يزيد بن حبيب ، وجعفر بن أبي ربيعة، ثم كثر الترحال في الآفاق حتى تقدمت المدرسة المصرية في ميدان الفقه. المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1987م، ص 331.

(2) عبدالله بن وهب: مصري تتلمذ على مالك بن أنس، رحل في طلب الفقه والحديث، حتى بلغ عدد شيوخه أربعمائة، له مصنفات عديدة منها : الموطأ الأكبر، وكتاب الأموال، وتفسير الموطأ، توفي سنة 198هـ. القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، (تح) محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت 1998م، مج1، ص243ـ 250. كذلك ابن حجر العسقلاني: تقريب التهذيب، (تح) مسعد عبدالحميد السعدني، مكتبة القرآن، القاهرة، 1994م، ج1، ص 344. والسيوطي: طبقات الحفاظ، (تح) علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1996م، ص 142

(3) ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، (تح) مأمون بن محيي الدين الجنّان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1969م، ص 257. كذلك محمد مخلوف: شجرة النور الزكية، (تح) عبدالمجيد خيالي: دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م، ج1، ص 74 .

(4) القاضي عياض: المصدر السابق، مج2، ص 161.

(5) الضبي: المصدر السابق، ص 350.

(6) الحميدي: المصدر السابق، ص 258.

تفقه رجال المذهب المالكي في مصر وإفريقية والأندلس، ومن أبــرز مــن درس على يديه من فقهاء الأندلس الفقيه الأندلسي الكبير يحيى بن يحيى الليثي الــذي أثنى عليه بقوله ((كان ابن القاسم أعلمهم بعلم مالك وآمنهم عليه)) [1]، ولقد التــزم الفقهاء الأندلسيون بآرائه الفقهية، ونوه بذلك المؤرخون الأندلسيون، وافتخروا به، ويقول المقري نقلاً عن الشقندي في رسالته في فضل الأندلس:((وأهل قرطبة أشد الناس محافظة على العمل بأصح الأقوال المالكية، حتى أنهم كانوا لا يُوَلُّونَ حاكماً إلاَّ بشرط ألاَّ يعدل به في الحكم عن مذهب ابن القاسم))[2]، ويرجع إعجاب الفقهاء به إلى أن الفقيه ابن القاسم كان مجتهداً في المذهب، حتى إن الإمام مالــك نفســه أثنى عليه بقوله إنه مثل جِرابٌ[*] مملوء بالمسك [3]، ومن الذين رحلوا إليه مــن الأندلسيين الفقيه هشام بن هيثم (ت 220هـ/835م) الذي رحل إلى مصــر ودرس رواية ابن القاسم، ثم عاد إلى الأندلس وأخذ ينشرها عن مالك [4]، والفقيه الأندلسي أبو محمد قاسم بن هلال بن فرقد بن عمر القيسي (ت 237هـ/851م)[5] روى عن ابن وهب وابن القاسم، وظل يعول على رواية الفقهاء المصريين، والفقيه فضــل ابن عميرة بن راشد بن عبدالله الذي رحل إلى مصر، وسمع من الفقيه عبدالله بن وهب، وعبدالرحمن بن القاسم، وبعد عودته إلى الأندلس وُلِّي قضاء تُدمر في عهد الأمير الحكم بن هشام، وظل قاضياً إلى أن توفي ســنة 199هـ/814م[6]، وكــان يقضي برأي ابن القاسم، والفقيه محمد بن خالد(ت 220هـ/835م) درس الفقه على ابن القاسم[7]، وابن وهب، وعدد آخر من الفقهاء الأندلسيين الذين درسوا على يد علماء مصر، لذلك تعلقت الأفئدة برواياتهم .

---

(1) ابن فرحون: المصدر السابق، ص 239ـ241.

(2) المقري: المصدر السابق، مج 4، ص 202.

(*) الجراب هو المِزْوَدُ أو الوعاء. الطاهر الزاوي: ترتيب القاموس المحيط، المرجع السابق، ج1، ص 466. مادة جَرَبَ.

(3) ابن فرحون: المصدر السابق، ص 239.

(4) الحميدي: المصدر السابق، ص 364.

(5) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 279.

(6) الحميدي: المصدر السابق، ص 327.

(7) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 296..

كما شهدت المدرسة المالكية المصرية أيضاً فقيهاً آخر وهو الفقيه أشهب ابن عبد العزيز القيسي العامري (ت 204هـ/819م) هذا الفقيه الذي درس الفقه على يد مالك ابن أنس، والليث بن سعد، وقد قال فيه الشافعي: ما رأيت أفقه من أشهب، وقد انتهت إليه الرياسة بمصر بعد ابن القاسم [1]،وألف مؤلفات كان من أجلّها الاختلاف في القسامة[2]، وقد ذاع صيته في الأندلس، ثم خلفه الفقيه عبدالله ابن عبدالحكم بن أيمن (ت 224هـ/838م) الذي ظل يرأس المدرسة المالكية بعد أشهب[3]، فرحل إليه طلبة الأندلس، ونقلوا عنه أحاديث وأسانيد مالك، وغير هؤلاء الكثير، مثل: الفقيه أصبغ بن الفرج بن سعيد بن نافع (ت 225هـ/839م) والفقيه المصري المالكي محمد بن إبراهيم الإسكندري بن زياد، المعروف بابن المواز (ت 269هـ/882م أوسنة 281هـ/894م) [4]، وظل هذا التدفق عن طريق الرحلة العلمية إلى مصر جيلاً بعد جيل من أجل تحصيل العلم من العلماء والفقهاء المصريين الذين تعج بهم كتب التراجم الأندلسية.

عُدَّ موطأ الإمام مالك أعظم ما نُقل إلى الأندلس من مؤلفات المشرق الإسلامي، لأن مذهب مالك لم يدخل الأندلس كما دخل غيره من الأقطار الإسلامية الأخرى، بل دخلها كأنه عقيدة جديدة لا ينفصل عن الكيان السياسي والفكري العام للأندلس.

كما دخل إلى الأندلس مؤثر مصري آخر مع المذهب المالكي وهو مذهب الليث ابن سعد(ت 175هـ/ 791م)[5]، وهو مذهب لم يُقدَّر له الحياة في مصر،

---

(1) ابن فرحون : المصدر السابق، ص 162.

(2) الرازي: الجرح والتعديل، دار الفكر، بيروت، 1952م، ج2، ص432. كذلك القاضي عياض: المصدر السابق، مج 2، ص359، 477 .

(3) ابن فرحون: المصدر السابق، ص 217 ، 218 .

(4) المصدر نفسه، ص 331، 332.

(5) الليث بن سعد: عالم مصري ولد بقرية قرقشندة سنة94هـ/712م، وحج سنة 113هـ/731م، وسمع بمكة من شيوخ عديدين، وظل مقيماً بها يتوافد عليه الطلبة الأندلسيون، منهم يحيى بن يحيى الليثي الذي أخذ منه فقه اليمين مع الشاهد الواحد، وظل هذا المبدأ معمولاً به في الأندلس، وظل الليث يتردد عليه طلبة الأندلس حتى وفاته سنة 170 هـ/791م. سامح كريم: أعلام في التاريخ الإسلامي في مصر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1996م، ص164ـ 168 .

لعدم عناية تلاميذه بنشره، وانتشر بالأندلس إلى جانب المذهب المالكي واستمر قائماً بها إلى أواخر أيام العرب المسلمين بالأندلس.

وقد ساهمت الإسكندرية في ذلك التواصل الفكري، لأنها كانت حتى أيام الحكم الفاطمي الشيعي لمصر على المذهب السني، ولم تتنحى عنه رغم محاولات الفاطميين المستمرة والجادة في نشر مذهبهم الشيعي بين أهلها، وهذا ما رفع من مكانة الإسكندرية في نفوس الأندلسيين، و دفع الكثير منهم للإقامة بها بعد أن يستكمل رحلته في المشرق، لأنه كان يعد نوعاً من نيل شرف التفرد والمرابطة، ليستزيدوا من علم يطلبونه، وينشروا علماً حصلوا عليه وأصبحوا فيه أئمة وفقهاء، وهذا الأمر يدفع الباحث للقول أنّ الإسكندرية كانت الرباط الأمامي للدولة العربية الإسلامية في الأندلس [1].

وكما لعبت مصر بدورها في تأثر الأندلس بالمذهب السني المالكي لعبت أيضاً دوراً آخر على صعيد الحياة الدينية، وهو محاولات نشر ثقافة الشيعة على مذهب الإسماعيلية[*]في الأندلس، والذي كان سائداً بها أيام الفاطميين، حيث كان الفاطميون يرسلون الرسل للأندلس لغرض التجسس ونشر المذهب بها، وكانوا يستترون بستار من المصالح المشروعة كالتجارة والعلم والسياحة الصوفية، لذلك تسربت أفكار شيعية إلى الأندلس، وكان أول من اعتنق شيئاً منها بالأندلس هو العالم المصري الأندلسي محمد بن إبراهيم بن حَيّون الحجاري (ت 305هـ/917م) الذي لم يكن يذهب مذهب مالك، وكان يُتهم بالتشيع[2]، غير أنه كان حريصاً على كتمان مذهبه عملاً بمبدأ التقية الذي كان أصلاً من أصول التشيع[3]حتى لا يتعرض لاضطهاد الفقهاء المالكيين.

---

(1) جمال الدين الشيال: المرجع السابق، ص 148، 149.

(*) الإسماعيلية لقبوا بسبعة ألقاب وهي: الباطنية، والقرامطة، والجرمية، والسبعية، والبابكية، والحمرة، والإسماعيلية. محمد العربي: المناهج والمذاهب الفكرية والعلوم عند العرب، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1994م، ص68ــ 69.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 313ــ314.

(3) محمود علي مكي:المرجع السابق، مج 2، ص 105.

وعلى أية حال فإن نجاح الدعاية الفاطمية في نشر ثقافة الشيعة في الأندلس، واجتذاب أنصار لها من الأندلسيين كان محدوداً جداً، وذلك لِمَا كان للمذهب السني المالكي من قوة متأصلة في الأندلس، وتدخل الدولة في الأمر التي كان من مصلحتها أن يفهم التشيع على أنه مجموعة من الضلالات والبدع، لا تتفق مع ما يجب أن يكون عليه المسلم الصحيح من سير بمقتضى السنة وابتعاد عن محدثات الأمور، ولعل ما يمثل نظرة الأندلسيين المثقفين إلى التشيع ومدى ما كانوا يعرفونه منه ما روي عنه في كتاب أبي عمر أحمد بن عبدربه المشهور بالعقد الفريد[1]، وإنّ كان ذلك لا يمنع من القول بأنّ الفاطميين قد أفلحوا في ضمّ بعض رجال الفكر إلى صفهم، مثل محمد بن هانئ الأندلسي (ت 362هـ/972م)[2]، الذي استطاعت الدعاية الفاطمية اجتذابه فطُرد من الأندلس، ومن ثم التحق بخدمة المعز لدين الله الفاطمي، فصار الشاعر الرسمي للدول الشيعية العبيدية، وقد اعتبر شعره وثيقة مهمة، تُطلع الباحث على نظريات الإسماعيلية في مختلف شؤون الدين، والعقيدة[3].

وفي مجال التاريخ كانت مصر سباقة إلى تكون المدرسة التاريخية بالأندلس، وصاحبة الريادة في كتابة التاريخ الأندلسي، فكان أقدم كتاب وصل إلى القراء العرب عن تاريخ الأندلس هو كتاب" فتوح مصر والمغرب والأندلس"[4] للمؤرخ المصري عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم(ت257هـ/870م)، وقد انتشر هذا الكتاب في الأندلس، وأخذ عنه الكثير من المؤرخين الأندلسيين أمثال ابن

---

(1) ابن عبد ربه: العقد الفريد، تقديم خليل شرف الدين، دار ومكتبة الهلال، بيروت،(د. ت)، ج2، 403ـ411.

(2) ابن الأبّار: المصدر السابق، ج2، ص54. كذلك أبو القاسم محمد كرّو: ابن هانئ الأندلسي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس،1977م، ص 17.

(3) محمود علي مكي: المرجع السابق، مج2، ص 115. أبو القاسم محمد كرّو: المرجع السابق، ص 14.

(4) طبع في مدينة ليدن، مطبعة بريل، سنة 1930م، وأعادت طبعه مطبعة مكتبة المُثنى ببغداد، لصاحبها قاسم محمد الرجب. تقي الدين عارف الدوري: تاريخ المسلمين وحضارتهم في الأندلس، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1957م، ص 14. كما حققه الدكتور عبدالله أنيس الطباع، سنة 1964م. حسان حلاق: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، المرجع السابق، ص300. كذلك أحمد علي إسماعيل: صورة مصر الجغرافية عند الفتح كما صورها ابن عبدالحكم، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، 1995م، مج 27، ص 181.

القرضي والحميدي، وسواهما [1]، وأن أول كتاب كتبه أندلسي عن تاريخ الأندلس هو تاريخ عبدالملك بن حبيب(ت238هـ/852م) في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وقد عاش هذا المؤلف في مصر، وسمع كل ما سمعه من روايات أساتذته المصريين أثناء دراسته بها، أمثال عبدالله بن عبدالحكم [2] الذي كان تلميذاً لليث بن سعد، وعبدالله بن لهيعة، وعبدالله بن وهب، وهؤلاء العلماء كانوا قد تتلمذوا على يد أحد تلاميذ التابعين الذين كان لهم شرف المشاركة في الفتح الإسلامي للأندلس وهو موسى بن علي بن رباح(ت 163هـ/779م)، الذي كان مصدر معلوماته والده علي بن رباح، وقد مكث موسى بمصر مدة حيث أصبح أستاذاً لليث بن سعد، والواقدي، وعبدالله بن لهيعة الذين أخذوا على يديه التاريخ الأندلسي مشافهة، ومن ثم نقلوه بدورهم إلى تلاميذهم، وبذلك بدأت تظهر في الأفق أولى الكتابات للتاريخ الأندلسي[3]، ولما عاد عبدالملك بن حبيب إلى قرطبة وكان يعقد حلقات درسه في مسجدها الجامع[4]، تتلمذ على يديه جملة من الطلبة الأندلسيين منهم: إبراهيم بن يزيد بن قُلزُمْ بن مزاحم (ت 268هـ/881م)[5] وإبراهيم بن شعيب الباهلي(ت 265هـ/877م)[6] وإبراهيم بن لبيب (ت 278هـ/891م)[7] وأحمد بن مروان(ت 286هـ/899م) الذي ألّف المستخرجة للعتبي[8]، وغيرهم كثير تعج بهم كتب التراجم الأندلسية، ومن هنا كان الفضل في ذلك لمصر .

وفي مجال الأدب والشعر أيضاً كان لمصر دور في تأثر الأندلس بالأدب والشعر المشرقي، فقد دخل العديد من الشعراء المصريين إلى الأندلس، وكانوا ينشدون أشعار الشعراء المصريين، حيث يذكر المقري أن هناك فقيهاً شافعياً اسمه

---

(1) حسان حلاق: دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، المرجع السابق، ص 300.

(2) ابن فرحون: المصدر السابق، ص 253.

(3) السيد عبدالعزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب، المرجع السابق، ص 117.

(4) حسان حلاق: دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، المرجع السابق، ص 300.

(5) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 16.

(6) الضبي: المصدر السابق، ص218.

(7) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص18.

(8) المصدر نفسه: ص 30.

أبو الطاهر إسماعيل بن الإسكندراني دخل الأندلس في عهد عبـــدالرحمن الثالـــث سنة 343هـ/954م تاجراً ونزل مدينة مُرسية وأنشد فيها عن السلفي(*)، قوله[1]:

أنا من أهل الحـــديث وهم خير فئة

عشت تسعين وأر جو أن أعيش لمائة

كما سافر الكثير من الشعراء الأندلسيين إلى مصر، منهم على سبيل المثال لا الحصر الشاعر الأندلسي محمد بن هارون(ت 306هـ/918م) الذي التقى هناك بجملة من شعرائها وأدبائها[2]، كما رحل أيضاً إليها الشاعر الأندلسي ســعيد بــن أحمد بن خالد الذي التقى بشعرائها وعلمائها وأدبائها، وقــد طلـــب منـــه بعــض الشعراء المصريين إنشاد الشعر لأهل الأندلس، فأنشد شعراً جمـــيلاً، فقـــال أحـــد شعراء مصر: « لا يخفى أشعاركم إلى جانب أشعارنا، كما لا يخفى البـــدر فـــي سواد الليل » فقال سعيد: «وأين لأهل الأندلس بمثل قول الحسن بن هانئ؟ وأنشـــد أبيات يحيى بن حكم الغزال...فلما سمعها المصري طرب واهتـــز وقـــال: لله ذر الحسن، فلما أكثر قال له: الشعر والله ليحيى بن حكم الأندلسي، وإنما أردت تجربة نقدك والنقض عليك، فرد ذلك وأنكره حتى صح ذلك عنـــده، فخجـــل، وأظهـــر التعجب، ولم يراجع بعد في أشعار أهل الأندلس، وقال: وكان كثيراً ما يستنشدني لهم [3].

وفي الجانب المعماري شهدت الأندلس دخول مؤثر مصري آخر تمثل فـــي بناء المنارات وصوامع المساجد بالأندلس، التي كانت تشابه منـــارة الإســـكندرية القديمة، وإنّ عقود النوافذ ذوات السواري تشبه نظيرها في منارة إشبيلية، وبـــاب شاقرة بطليطلة كانت تشابه عقودها العقود التي اســـتخدمت فـــي القـــرن الثالـــث

(*) هو الحافظ العلامة وشيخ الإسلام أبو الطاهر عماد الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الأصبهاني، وسِلَفَة لقب لجده أحمد، ومعناها غليظ الشفة، كان من الحفاظ الخيرين، وكان أوحد زمانه في علم الحديث، وأعلمهم بقوانين الرواية، ألّف معجم شيوخ أصبهان، ومعجم شيوخ بغداد، ومعجم شيوخ السفر، توفي يوم الجمعة 5 ربيع الآخر سنة 576هـ وله 106 سنين. السيوطي: طبقات الحفاظ، المصدر السابق، ص 592.

(1) المقري: المصدر السابق، مج4، ص 140، 141.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 315.

(3) الحميدي: المصدر السابق، ص 228 ـــ229.

الهجري / التاسع الميلادي في مسجد أحمد بن طولون بالقاهرة [1]، كما عرفت الأندلس بناء الخزانات المائية عن الإسكندرية التي كانت تعج بها والتي بُنيت بها منذ أيام الرومان لحفظ المياه العذبة، وقد نقل الأندلسيون هذا الطابع من البناء، ونهجوا نهج الإسكندرية فيه، حيث لوحظ تواجدها بكثرة في مدينة مدريد[2]، حتى قيل: إنّ اسم مجريط (مدريد) مشتق من مجرى بمعنى القناة، وإيط بمعنى الكثرة، أي كثرة المجاري والقنوات الجوفية[3].

كما ساهم العديد من المهندسين المصريين في بناء مدينة الزاهرة، التي بُنيت في شمال غرب قرطبة، كالمهندس الإسكندري علي بن جعفر الإسكندراني، الذي أشرف مع مهندسين زميلين له من الأندلس هما عبدالله بن يونس عريف البنائين، وحسن بن محمد على جلب الرخام والسواري (رأس الأعمدة) من تونس وقرطاجة بإفريقية، وكان الخليفة يمنحهم على كل رخامة ثلاثة دنانير، وعلى كل سارية ثمانية دنانير سجلماسية[4] .

ثالثاً/ المؤثرات الثقافية الحجازية:

كان الحجاز خلال القرن الثاني للهجرة/ الثامن الميلادي مركز الثقافة العربية في العلوم الدينية والفنية والموسيقية، ويكفي لتكوين فكرة عن الازدهار الفني الذي بلغته مكة والمدينة في تلك الفترة الإطلاع على كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، الذي يذكر أن نشأة المدارس الموسيقية الأولى في الإسلام كانت في مكة والمدينة، ثم انتقلت مؤثراتها وخصائصها إلى الأندلس بواسطة المغنين والمغنيات والجواري الذين نقلوا أيضاً العادات والتقاليد الحجازية[5]، ومعلوم أن

---

(1) فون شاك: الفن العربي في أسبانيا، ترجمة الطاهر أحمد مكي، دار المعارف القاهرة، 1980م، ص 77.

(2) كانت تسمى مجريط، لكثرة مجاري المياه بها، وهي من بناء الأمير محمد بن عبدالرحمن، ينظر ياقوت الحموي : معجم البلدان، المصدر السابق، ج5، ص 69. وهذه المدينة الآن هي عاصمة لأسبانيا.

(3) أحمد مختار العبادي: "التأثير المتبادل بين الإسكندرية والمغرب"، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد 1995، المجلد 27، ص 70 ، 71.

(4) ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص 231. كذلك المقري: المصدر السابق، مج2، ص105.

(5) الأصفهاني: المصدر السابق، مج1، ص 13

الحجاز ولا سيما المدينة قد ازدهر الغناء فيها أيام الأمويين ولا سيما في وادي العقيق بظاهر المدينة[1]

كان من بين مغنيات المدينة اللاتي وفدن على الأندلس (فضل المدنية) [*] والجارية قلم [**] والجارية علم، وقد اشتريت هذه الجواري من المدينة للأمير عبدالرحمن، والذي أسس لهن داراً سماها(دار المدنيات)، وقد أثرن إعجاب الأندلسيين بغنائهن، كما دخلت إلى الأندلس جارية أخرى تميزت بغنائها الحسن وكانت أحسن الناس غناءً، وهي (عجفاء المغنية)[***] التي اشتريت للأمير عبدالرحمن، وحملت إليه، وبقيت مع أخواتها في الدار التي حملت اسمهن، وكانت بعض المغنيات المدنيات القادمات من الحجاز لا تهتم إلاَّ بقراءة القرآن الكريم، ونشد المدائح، والموشحات الدينية والشعر المتزن الملتزم[2]، وفي ذلك يذكر الحميدي بأن رجلاً مشرقياً يدعى الشيباني دخل قرطبة، وصادف أن التقى به قاضي قرطبة محمد بن إسحاق بن السليم عندما كان في إحدى جولاته بالمدينة، فأصابه مطر دفعه إلى أن يركن إلى دهليز الشيباني، فدعاه الشيباني للدخول، وقال له: ((عندي جارية مدنية لم يسمع بأطيب من صوتها، فإن أذنت أسمعتك عشراً من كتاب الله عزّ وجلّ وأبياتاً ، فقال: افعل، وأمر الجارية، فقرأت ثم أنشدت، فاستحسن ذلك القاضي وعجب منه)) [3] .

---

(1) ابن عبدربه: المصدر السابق، ج1، ص 5.

(*) كانت حاذقة بالغناء، وأصلها جارية لإحدى بنات هارون الرشيد، نشأت وتعلمت ببغداد، ثم رحلت إلى المدينة المنورة، فازدادت في تعلم الغناء بها،، واشتريت هنالك للأمير عبدالرحمن، مع صاحبتها علمَ المدنية، وصواحب غيرها، إليهنّ تنسب دار المدنيات بقصر الخلافة بقرطبة. ينظر المقري: المصدر السابق، مج4، ص137.

(**) أندلسية الأصل من البشكنس، أُسرت وحملت وهي صبية إلى المشرق، وعاشت بالمدينة المنورة، وبها تعلمت فن الغناء وأتقنته، كما كانت أديبة و راوية للشعر، حافظة لأخبار عالمة بضروب الأدب، اشتريت للأمير عبدالرحمن الداخل مع صاحبتها علم المدنية، وصواحب غيرها. المقري: المصدر السابق، مج4، ص 37.

(***) عجفاء المغنية المدنية كانت بدار مسلم بن يحيى مولى بني زهرة، وكانت من أحسن الناس غناءً، وابتيعت لعبد الرحمن بن معاوية. يُنظر المقري: المصدر السابق، مج4، ص 137 –138.

(2) حسان حلاق: دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، المرجع السابق، ص 293.

(3) الحميدي: المصدر السابق، ص 43. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص 59 ، 60.

أمَّا من الناحية الدينية، فقد ظهر أثر المدينة المنورة واضحاً في الأندلس، بدخول مذهب إمامها مالك بن أنس، ذلك الإمام الذي عاش في المدينة، وتوفي فيها سنة 179هـ/795م، كما دخل مؤلَّفه في الفقه والحديث وهو الموطأ(أي السهل الواضح) إلى الأندلس، وقد انتشر مذهبه في الأندلس في عهد الأمير هشام بن عبدالرحمن، وكان أول من أدخله إلى الأندلس أبو عبدالله زياد بن عبدالرحمن المعروف بشبطون، المتوفى سنة 204هـ/819م[1]،وقرعوس بن العباس، والغازي ابن قيس[2]، ومن بعدهم يحيى بن يحيى صاحب الرواية المشهورة للموطأ، وعبدالملك بن حبيب مؤلف الواضحة، والعُتبي مؤلف المستخرجة، ولعل من أهم عوامل انتشار هذا المذهب في الأندلس الدعم الأميري الذي لقيه هذا المذهب من الأمير هشام بن عبدالرحمن الداخل، الذي كان يحظى بتقدير كبير من الإمام مالك لهذا قام الأمير هشام بإلزام الناس جميعاً بمذهب مالك، وصيَّر الفقهاء والفُتيا عليه، وذلك منذ سنة 170هـ/786م؛ أي في حياة مالك بن أنس[3]، ومما ساعد أيضاً على انتشار هذا المذهب في الأندلس الخلافات السياسية بين العباسيين أتباع المذهب الحنفي[*]، والأمويين أتباع المذهب المالكي، بعد أن تخلوا عن مذهب الإمام أبي عمرو الأوزاعي، لأن الإمام مالك كان معادياً للحكم العباسي[4].

يذكر ابن القوطية، أنه في أيام عبدالرحمن بن معاوية دخل الغازي بن قيس الأندلس بالموطأ وبقراءة نافع بن أبي نعيم[**][1]، وفي أيامه أيضاً دخل

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 131 ــ 132.

(2) ابن القوطية: المصدر السابق، ص 92.

(3) ابن الجلاب البصري: المصدر السابق، ج1،ص 90.

(*) صاحب هذا المذهب هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت، إمام أصحاب الرأي، وفقيه أهل العراق، رأى مالك بن أنس، ولد سنة 80هـ، وتوفي سنة 150هـ للمزيد ينظر الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، (تح) مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت،1997م، ج13، ص 325ـ 427.

(4) حسان حلاق: دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، المرجع السابق، ص 294.

(**) نافع بن عبدالرحمن بن أبي نعيم، يكنى أبا الحسن، وقيل أبو عبدالرحمن، وقيل أبو عبدالله، وقيل أبو نعيم، وأشهرهم أبو رُوَيْم، كان أسود اللون، قارئ المدينة المنورة، قرأ القرآن على سبعين من التابعين، روى عنه الليث ابن سعد، وابن وهب وأشهب، وخالد بن مخلد، وسعيد القعنبي، وقالون وورش، وغيرهم خلق كثير، وكان صدوقاً، توفي سنة 169هـ الذهبي: معرفة القراء الكبار، تحقيق محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ص 64ــ66.كذلك عبد المنعم الهاشمي: عصر التابعين، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 2000م، ص574ـ 586.

أبو موسى الهواري عالم الأندلس، وكان قد جمع علم العربية إلى علم الدين، وكانت رحلتهما من المشرق إلى الأندلس بعد دخول عبدالرحمن بن معاوية إليها، وأضاف أيضاً أن زياداً بن عبدالرحمن اللَّخْمي رحل إلى المدينة المنورة، واجتمع هناك بالإمام مالك بن أنس الذي سأله عن الأمير هشام، فأخبره عن مذاهبه وحسن سيرته فقال مالك: ((ليت الله زين سماعنا بمثل هذا)) [2]، كما اجتمع بمالك قاضي الأندلس في عهد الأمير هشام بن عبدالرحمن القاضي محمد بن بشير عندما رحل إلى المشرق للحج حيث سمع من مالك بن أنس سماعاً يسيراً [3].

هذا، وقد حلَّ المذهب المالكي محل المذهب الأوزاعي باستثناء بعض المسائل التي تمسك بها الأندلسيون كإجازة غرس الأشجار في صحون المساجد.

ومن جهة أخرى فقد برزت في الأندلس مؤثرات مشرقية دينية أخرى، ففي طليطلة ظهر مذهب الخوارج، وقال ابن القوطية: ((...إنه ظهرت بالجزيرة خارجية تشبه مذاهبهم مذهب الخوارج أيام ثورتهم على معاوية وعلي رضي الله عنهما، ومن أحدثوه...)) [4]، وبالفعل فقد أجهز الحكم بن هشام عليهم، وأعمل فيهم السيف والقتل[5]، ثم عَمَدَ إلى تقريب الفقهاء المالكيين وفي مقدمتهم طالوت بن عبدالجبار المعافري، وهو أحد من روى عن مالك ونظرائه من أهل العلم [6].

ومن الملاحظ أن الأثر الحجازي الديني كان واضحاً في الأندلس أكثر من غيره، نظراً لكثرة وفود الفقهاء وطلاب الأندلس على مكة والمدينة، والعكس، فمن فقهاء مكة الذين دخلوا الأندلس وحملوا معهم المؤثرات المكية والمشرقية محمد بن عبدالواحد بن الزبير الزبيري المولود في مكة سنة 357هـ/967م، وقدْ مرّ أيضاً ببغداد والشام ومصر، وسمع بها، ثم دخل الأندلس، وحدَّث عن علماء المشرق[7]،

---

(1) ابن القوطية: المصدر السابق، ص 92ــ 93.

(2) ابن القوطية: المصدر السابق، ص 97.

(3) النُباهي: المصدر السابق، ص 47.

(4) ابن القوطية: المصدر السابق، ص 101.

(5) المقري: المصدر السابق، مج1، ص 325.

(6) حسان حلاق: دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، المرجع السابق، ص 295.

(7) الضبي: المصدر السابق، ص106ــ108.

كما وفد إلى الحجاز والمشرق سنة342 هـ/952م أبو محمد عبدالله بن محمد بـــن عبدالرحمن بن أسد الجهني البزاز (ت 390هـ/999م)، فتعلم الفقه على يد أبي بكر أحمد بن محمد بن أبي الموت المكي، وأحمد بن محمد بن أشته الأصبهاني صاحب كتاب(المحبَّر) في القراءات[1] ، وأبو محمد عبدالله بن إبراهيم بن محمد بن عبدالله ابن جعفر الأصيلي (ت سنة 392هـ/1001م)[2] ، الذي كان من كبـــار أصـــحاب الحديث والفقه، حيث دخل الحجاز والعراق، وسمع فيهما، ثم عاد إلـــى الأنـــدلس محدثاً أهله بما تعلمه[3]، كما أن الفقيه أبا محمد عبدالله بن الوليد بن سعد بن بكـــر الأنصاري ، وغيره الكثير ـ ممن لا يسع المقام لذكرهم ـ أسهموا بنقـــل معـــارف وعلوم المشرق إلى الأندلس سواء في العلوم النقلية أو العلمية منها.

---

(1) الحميدي: المصدر السابق، ص 251.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 205.

(3) الحميدي: المصدر السابق، ص 257، 258.

ثالثاً/ المؤثرات الثقافية العراقية:

بدأت المؤثرات العراقية تظهر بوضوح في الأندلس منذ أيام الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (136ــ158هـ/757ــ774م)[1]، الذي أسس مدينة بغداد سنة 145ــ 149هـ/762ــ766م، وجَعَلَها عاصمة ومقراً للخلافة العباسية[2]، وأصبحت بغداد بفضل مركزها السياسي والاجتماعي والعلمي والاقتصادي مدينة عالمية امتزجت فيها مختلف الثقافات، وسكنتها عناصرُ من مختلف الأجناس والأقوام، مثل:العرب والفرس والأتراك والروم والهنود والصينيين[3]، وكانت هذه العناصر قد بدأت بالمساهمة في بناء حضارة متمازجة، فساهمت في ترجمة المؤلفات والعلوم الفارسية والهندية والسريانية والإغريقية والمصرية، فجرى بها تعريب مؤلفات سقراط وأفلاطون وأرسطو، كما تُرجمت من اللاتينية إلى العربية الكثير من المؤلفات العلمية، وتمَّ تعريب كتب الرياضيات اليونانية، وتصحيحها والإضافة إليها، وتعريب القصص الهندية والفارسية، مثل: قصة السندباد الهندية، وكتاب كليلة ودمنة من الهندية إلى الفارسية والذي ترجمه ابن المقفع من الفارسية إلى العربية في زمن أبي جعفر المنصور، وقد تَمَّ تعريب كتاب (هزار افسانة) أي (ألف خرافة) وهو المعروف باسم (ألف ليلة وليلة)، وقد أشار المقدسي واصفاً العراق بقوله:((هذا إقليم الظرفا، ومنبع العلما، ولطيف الما، عجيب الهوا، ومختار الخلفا، أخرج أبا حنيفة فقيه الفقها، وسفيان سيد القُرّا، ومنه كان أبو عبيدة، والفرا، وأبو عمرو صاحب المقرا)) [4].

---

(1) السيوطي: تاريخ الخلفاء، المصدر السابق، ص 257.

(2) السيوطي: تاريخ الخلفاء، المصدر السابق، ص 209. كذلك إبراهيم أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 2001م، ص 45.

(3) إبراهيم أيوب: المرجع السابق، ص 249ــ251.

(4) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت، (د. ت)، ص 113.

كما شرع علماء الإسلام خلال عصره أي منذ سنة 143هـ/760م في تدوين الحديث والفقه والتفسير، فصنفت الكتب الدينية، وكثر تدوين العلم وتبويبه ودونت كتب العربية وكتب المغازي والسير والتاريخ وأيام الناس [1].

وقد ارتبط هذا التطور العلمي بتطور صناعة الورق آنذاك [2]، وتجليد الكتب ونسخها وتصحيحها، مما ساعد على انتشار الحضارة العراقية المتمازجة والمتفاعلة مع سواها من الحضارات، وقد أصبحت بغداد آنذاك كما قيل: قبلة علمية يحج إليها طلاب العلم من مختلف بقاع العالم الإسلامي ، وكانت الأندلس إحدى مناطق هذا العالم، فشهد العراق موجات أندلسية لتلقي العلم والفقه والمعرفة، حيث آثر الأمير عبدالرحمن الثاني (206ـ238هـ/821ـ852م) الابتعاد عن سياسة سلفه من الأمراء الأمويين، وهي السياسة القائمة على الابتعاد عن العراق ، وقرر الأخذ والنهل من ثقافة العراق وحضارته، فبدأ بنفسه بتقليد الخليفة العباسي في مظهره وملبسه، كما فتح أبواب الأندلس للتجار العراقيين، فامتلأت أسواق الأندلس بمنتجات العراق وصناعاته[3].

هذا واستمر خلفاؤه من بعده على نفس المنهج إلى عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر لدين الله، رغم معارضته لدعوة الفاطميين في المشرق، إلاّ أنه خلع على نفسه تبعاً للتقليد المشرقي لقب الناصر لدين الله، كما اقتدى بالخلفاء العباسيين بأن أنشأ جيشاً من الأجانب الصقالبة، فبينما اعتمد خلفاء بني العباس على العناصر التركية، نجد الأمويين يعتمدون في جيوشهم على عنصر الصقالبة السلاف [4].

([1]) السيوطي: تاريخ الخلفاء، المصدر السابق، ص 209.

(2) استمرت الدولة العباسية في استعمال ورق البردي الذي كان يُجلب من مصر، حتى العصر العباسي الثاني، عندما حل الكاغد الصيني بدلاً منه، منذ انتقل إلى العالم الإسلامي في القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي، كما انتقلت من سمرقند صناعة الورق إلى بغداد، ثم أسس الفضل بن يحيى البرمكي أول مصنع ورق في الإسلام سنة 178هـ/794م. يُنظر إبراهيم أيوب: المرجع السابق، ص244. وهالة شاكر: الورق والوراقون في العصر العباسي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2004م، ص 70ـ87.

(3) في أيامه جُلبت ذخائر قصور بغداد إلى الأندلس عند خلع الأمين، كما أنه اتخذ للوزراء في قصره بيت الوزارة. ابن سعيد: المُغرب في حُلي المغرب، (تح) شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1978م، ج1، ص 46.

(4) محمد عبدالله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، المرجع السابق، العصر الأول، ق2، ص 628.

كما شهدت قرطبة منذ عهد عبدالرحمن الثاني دخول مؤثرات فنية وأدبية عراقية، حيث تعلم هذا الأمير في عهد أبيه العلوم الحديثة والقديمة[1]، فكان يجد لذة في دراسته للكتب القديمة في الطب والفلسفة[2]، لذلك أحب علماء تلك العلوم، وأحسن استقبالهم، وأكرم ضيافتهم، فنقل علماء وفقهاء العراق معهم الكثير من المؤثرات الأدبية والعلمية العراقية، فاختلطت بالمؤثرات الشامية والحجازية والمصرية، ومن قضاته المقربين إليه الفقيه يحيى الليثي (ت 234هـ/848م)[3]الذي كان كثير الخلْو به لمشاورته، وسعيد بن محمد بن بشير، ومحمد بن شراحيل المعافري، وأبو عمرو بن بشير، وفرج بن كنانة الشذوني، ويحيى بن معمر اللاهماني الإشبيلي، وكان أخص الناس بعبد الرحمن من الأدباء عبيدالله بن قزلمان ابن بدر الداخل[4].

كما عمل عبدالرحمن الثاني على اقتناء الكتب النادرة، فأرسل العلماء إلى العراق وبعض بلدان المشرق لهذه الغاية، منهم: مبعوثه إلى العراق عباس بن ناصح الذي كان له الفضل الأول في إدخال كتاب (السند هند) إلى الأندلس وتعريف أهلها به[5]، كما وفد في عهده من فقهاء الموصل الذين وصلوا إلى إشبيلية إبراهيم ابن بكر الموصلي الذي حدّث بها عن أبي الفتح محمد بن الحسين ابن أحمد بن الحسين الأزدي الموصلي بكتابه (الضعفاء والمتروكين) وأصبح له تلامذة كثر من الفقهاء منهم إسماعيل بن عبدالرحمن بن علي المعروف بأبي محمد القرشي العامري(ت بعد سنة400هـ/1009م)، كما أن لبني حجاج بإشبيلية دوراً في إدخال المؤثرات العراقية إلى الأندلس تمثل في استضافة أميرهم إبراهيم بن حجاج اللخمي للعالم النحوي أبي محمد العذري البغدادي، والمغنية البغدادية قمر[6].

---

(1) ابن سعيد: المصدر السابق، ج1، ص 45.

(2) ليفي بروفنسال: حضارة العرب في الأندلس، المرجع السابق، ص 51.

(3) ابن سعيد : المصدر السابق،ج1، ص50.

(4) ابن القوطية: المصدر السابق، ص 75. كذلك مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، المصدر السابق، ص 125. وابن سعيد: المصدر السابق، ج1، ص46.

(5) ابن سعيد: المصدر السابق، ج1، ص 45، 324. كذلك ابن الفرضي: المصدر السابق، ص238.

(6) كانت من أهل الفصاحة والبيان، والمعرفة بصوغ الألحان ، جلبت له من بغداد، وكانت تقول الشعر. يُنظر =

وفي عهد الحكم الثاني الذي كان أيضاً محباً لعلوم وعلماء بغداد، استجلبت المصنفات من الأقاليم والنواحي، وبذل فيها مبالغ كبيرة من الأموال حتى ضـــاقت عنها خزانته[1]، فقد أدخل كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني قبـــل نشـــره فـــي بغداد، ودفع فيه ألف دينار لمؤلفه، كما طلب أيضاً من أبي الفرج تأليف كتاب عن سلالة الأمويين، فألّفه له وهو كتاب في أنساب بني أمية [2]، وطلب من القاضـــي أبي بكر الأبهري أن يبعث إليه من بغداد شرحه لمختصر ابن عبدالحكم[3].

أما في عهد المنصور محمد بن أبي عامر، فقد وفد عليه من بغداد الشاعر طاهر بن محمد المعروف بالمهند البغدادي(ت 203هـ/818م)، يقال أنه من ولـــد أحمد بن أبي طاهر صاحب كتاب تاريخ بغداد، وكان أديباً شاعراً متقـــدماً، وقـــد حظي حظوة كبيرة عند المنصور بأدبه، وأصبح من شعراء الدولة العامرية[4]، كما أن اللغوي الأديب أبا العلاء صاعد الربعي(ت 417هـ/1026م) الذي جـــاء مـــن الموصل إلى الأندلس أقام في بلاط المنصور بن أبي عـــامر فـــي حـــوالي ســـنة 380هـ/990م، وكان عالماً باللغة والأدب والأخبار والشعر، وقد ألّف للمنصـــور كتاب الفصوص على نحو كتاب النوادر لأبي علي القالي، كما ألّـــف لـــه كتـــب أخرى[5].

ومن فقهاء الأندلس الذين رحلوا إلى العراق طلباً للعلم عبدالله بن محمـــد ابن عبدالمؤمن (ت 390هـ/999م)الفقيه الأندلسي الذي رحل إلى المشرق رحلتين، دخل فيهما العراق، وسمع من فقهاء بغداد والبصرة، منهم: أبو بكر داسة التّمـــار، وأبو علي إسماعيل بن محمد الصفار، وأبو جعفر محمد بن يحيى بن علـــي بـــن

= المقري: المصدر السابق، مج4، ص 138.

(1) المصدر نفسه، مج4، ص 378.

(2) الأصفهاني: المصدر السابق، مج1، ص 5.

(3) المقري: المصدر السابق، مج1، ص 370.

(4) للمزيد من التفصيل ينظر الحميدي: المصدر السابق، ص 246.

(5) السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، (تح) محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، 1979م، ج2، ص7ـــ 8. كذلك ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، (تح) إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1987م، ق4، مج1، ص 8 وما بعدها. والمقري: المصدر السابق، مج4، ص 76 وما بعدها.

حرب، وغيرهم كثير، ثُمَّ عاد إلى الأندلس وحدث فيها [1]، كما توجه للعراق أيضاً الفقيه الأندلسي عبدالله بن محمد بن قاسم القلعي (ت 383هـ/993م)[2]، وسمع بالبصرة من أبي إسحاق إبراهيم بن سعيد البصري المالكي مؤلف أحكام القرآن، ثم عاد للأندلس وحدث فيها بما سمع[3]، كما وصل من العراق إلى قرطبة العالم الفقيه علي بن سعيد بن حزم بن غالب (384ـ 450هـ/994ـ1058م) الذي نَظَم شعراً في علمه وحنينه للعراق بقوله :

أنا الشمس في جو العلوم منيرة ولكن عيبي أن مطلعي الغرب

ولو أنني من جانب الشرق طالع لجد على ما ضاع من ذكرى النهب

ولي نحو أكناف العراق صبابة ولا غَرْوَ أنْ يُسْتَوْحَشُ الصب

فإن ينزل الرحمن رحلي بينهم فحينئذ يبدو التأسف والكرب[4]

أما فيما يختص بأثر العراق في الحياة الدينية بالأندلس، فقد تأثرت الأندلس في بعض فتراتها بالمؤثرات الدينية السائدة في العراق، حيث تسرب منها المذهب الظاهري[*] وانتشر في الأندلس[5]، كما أن المذهب المالكي الذي يعتبره البعض من المؤثرات الحجازية والمصرية، كان أيضاً من المؤثرات العراقية، حيث إن المذهب المالكي قد انتشر في العراق أيضاً، ثم نقله بعض علماء الأندلس عبر العراق، وليس عبر الحجاز ومصر فحسب، فمن فقهاء ورواة الحديث الأندلسيين الذين زاروا بغداد، ونقلوا معهم مذهب الإمام مالك بن أنس الفقيه عبدالله بن

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص204.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 202.

(3) الحميدي: المصدر السابق، ص254. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص 334.

(4) الحميدي : المصدر السابق، ص 308 ــ 311.

(*) ظهر هذا المذهب على يد داود بن علي أبو سليمان البغدادي المعروف بالأصبهاني في بغداد، وكان رئيس أهل الظاهر بها، ولد سنة 200هـ ، سمع من شيوخ عديدين أبرزهم إسحاق بن راهويه، واتصف بالتقوى والورع، واعتمد في مذهبه على النص الظاهري دون المعنى الحرفي، توفي سنة 270هـ. ينظر الذهبي: ميزان الإعتدال في نقد الرجال، (تح) علي محمد البجاوي، وفتحية علي البجاوي، دار الفكر العربي، بيروت، (د، ت)، مج2، ص 204ـ206.

(5) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 180ــ 181.

إبراهيم بن محمد الأصيلي(ت 392هـ/1001م)، فقد نقل هذا العالم الأندلسي بعد عودته إلى الأندلس مذهب مالك الذي تفقه به هنالك، كما جمع كتاباً في اختلاف مالك والشافعي وأبو حنيفة سماه كتاب"الدلائل على أمهات المسائل"[1]، علماً أن بعض فقهاء الأندلس الذين زاروا العراق، ودرسوا بها، اطلعوا على مذهب الإمام ابن حنبل والمذهب الحنفي مذهب العباسيين في بغداد، ولكن لم يقدر لهما الانتشار كثيراً في الأندلس بسبب الخلاف السياسي بين الأمويين والعباسيين [2] .

ومن الذين زاروا العراق أيضاً أبو عبد الله محمد بن عبدالملك بن أيمن بن فرج (ت 330هـ/941م) الذي رحل إلى المشرق ودخل بغداد، وسمع بها من أحمد ابن زهير بن حرب كتاب التاريخ، ومن إسماعيل بن إسحاق القاضي وعبدالله بن أحمد بن حنبل ومضر بن محمد الأسدي ومحمد بن جهم السِّمري وجماعة سواهم من نظرائهم، وحدّث بالمشرق والأندلس، وصنف السنن[3]، ومنهم أبو عبدالله محمد بن عبدالسلام الخُشني(ت 286هـ/899م) الذي عاد من العراق وبلاد المشرق إلى الأندلس، وأدخل معه إلى الأندلس كثيراً من حديث الأئمة، وكثيراً من اللغة والشعر الجاهلي رواية، وحدّث زمناً طويلاً، وانتشر علمه، ومن شيوخه الذين سمع منهم بالعراق، محمد بن بشار بن بُندار، وأبو موسى الزّمن، ونصر بن علي الجهضمي، وابن بنت أزهر السمّان، وغيرهم من أصحاب الحديث، وكتب ببغداد كتب أبي عبيد القاسم بن سلام[4]، كما سمع الإمام أبا عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل [5]، وممن رحل أيضاً من الأندلس إلى العراق في طلب العلم والتفقه أبو عبدالله محمد بن مطرف وهو فقيه فاضل مشهور[6].

ومن العراقيين الذين وصلوا الأندلس الرحالة التاجر الموصلي أبو القاسم ابن حوقل النصيبي الذي زار الأندلس ومدنها ووصف لنا في كتابه صورة

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص205.

(2) مصطفى الشكعة، الأئمة الأربعة، دار الكتاب المصري والكتاب اللبناني، القاهرة وبيروت، 1990م، ص 12.

(3) الحميدي: المصدر السابق، ص 67ــ 68.

(4) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص304ــ 305.

(5) الحميدي: المصدر السابق، ص 68.

(6) الضبي: المصدر السابق، ص 130.

الأرض معتبراً أن بعض مدنها وصناعاتها متشابهة مع مدن العراق وصـــناعاتها، ومما قاله عن مدينة قرطبة: ((وأعظم مدينة بالأندلس قرطبة، وليس بجميع المغرب لها شبيه، ولا بالجزيرة والشام ومصر ما يدانيها في كثرة أهــل، وســعة رقعــة، وفسحة أسواق، ونظافة مجال، وعمارة ومساجد، وكثرة حمامات وفنادق، ويــزعم قوم من سافرتها الواصلين إلى مدينة السلام أنها كأحد جانبي بغــداد))[1]، وحــول بعض الصناعات الأندلسية المماثلة للصناعات العراقية قال ابن حوقل: ((ويعمــل عندهم من الخز السكب والسفيق ما يزيد ما استعمل منه للسلطان على ما بالعراق، ويكون منه المشمع فيمنع المطر أن يصل إلى لا بسه)) [2] .

أما من الناحية الفنية، فقد اشتهرت بغداد بالموسيقى والغناء، ووفد منها إلى الأندلس الكثير من المغنيين والمغنيات، وبدأت الموسيقى العراقية تنتشر في مــدن ومناطق الأندلس، بالإضافة إلى الموسيقى المدنية، ففــي أوائــل عهــد الأميــر عبدالرحمن الثاني سنة 206هـ/821م وصل إلى قرطبة مغن عراقي كردي فارسي الأصل اسمه (زرياب) أبو الحسن علي بن نافع[3]، و زرياب بمعنى الطائر الأسود حسن التغريد، وكان زرياب أسود اللون حسن الصوت، وهــو تلميــذ للموســيقي العراقي الكبير إسحاق الموصلي، ومولى الخليفة المهدي، وقد ترك زرياب العراق في عهد الخليفة هارون الرشيد(170 ــ193هـ/786ــ808م) مضطراً بعد خلاف كبير مع أستاذه[4]، واتجه إلى المغرب ومن ثم إلى الأندلس، وقد تمت بينه وبــين أمير الأندلس الحكم مراسلة طلب بموجبها زرياب أن يحــل بالأنــدلس، فقوبــل بالترحاب من قبل الأمير، غير أن زرياب وصل الأندلس بعد وفاة أميرها الحكم، وتولي عبدالرحمن الثاني حُكم البلاد بعد والده، وعندما علم الأمير عبدالرحمن بن

---

(1) ابن حوقل : صورة الأرض، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1979م، ص 107ــ109. كذلك ياقوت الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ج4، ص 368.

(2) ابن حوقل: المصدر السابق، ص 109.

(3) المقري: المصدر السابق، مج1، ص 329.

(4) للمزيد من التفصيل يُنظر: المقري: المصدر السابق، مج4، ص 120.

الحكم بقدوم زرياب، بعث له بكتاب ترحيب بمقدمه، وطلب من عماله أن يحسنوا إليه، وأن يوصلوه إلى قرطبة [1].

هذا وقد نقل زرياب إلى الأندلس قواعد وأسس مدرسة الموسيقى العراقية، وطغى بذلك على مدرسة الحجاز الموسيقية، حيث علّم الأندلسيين طرقاً موسيقية جديدة في كيفية التأليف والأداء وكيفية الابتداء والانتهاء، وجَعلَ المضراب[*] من قوادم النسر بدلاً من الخشب مما ساعد على نقاء الصوت، كما أضاف وتراً خامساً لآلة العود [2]، ومما يذكره الحميدي عن زرياب وموقعه من الأندلس قوله: ((وزرياب عندهم كان يجري مجرى الموصلي في الغناء، وله طرائق أُخِذَتْ عنه، وأصوات استُفِيدَتْ منه، وأُلِّفت الكتب بها، وعلَتْ عند الملوك بضاعته وإحسانه فيها علواً مفرطاً، وشُهر شُهرةً ضُرب بها المثل في ذلك)) [3]، حيث ذُكر أنّه لمّا استمع ابن عبدربه صاحب العقد الفريد إلى صوت جميل يغني قال شعراً [4]:

يا من يظن بصوت الطائر الغرد ... ما كنت أحسب هذا البخل في أحدِ

لو أن أسماع أهل الأرض قاطبةً ... أصغت إلى الصوت لم ينقص ولم يزدِ

فلا تضنّ على سمعي تُقلّدُه ... صوتاً يجول مجال الروح في الجسد

لو كان زرياب حياً ثم أسمعه ... لذاب من حسد أو مات من كمدِ

والأمر اللافت للنظر أن موسيقى زرياب لا يزال أثرها ماثلاً إلى الآن في الموسيقى الإسبانية والمغربية والجزائرية والتونسية والليبية على السواء.

والواقع أن أثر زرياب لم يقتصر على الفن الموسيقي فقط؛ بل تعداه إلى الحياة الاجتماعية الأندلسية، فقد كان أثره هو وزوجته وبناته واضحاً من خلال قيام هذه العائلة بتعليم النساء الأندلسيات أسلوب تنظيم المظهر، وكيفية ترتيب

---

(1) المصدر نفسه، مج4، ص 121ـ 122.

(*) المضراب: هو الريشة التي يعزف بها على أوتار آلة العود لإظهار اللحن والنغم.

(2) المقري: المصدر السابق، مج4، ص 123.

(3) الحميدي: المصدر السابق، ص102 .

(4) المصدر نفسه، ص 102.

الألبسة، والأوقات المناسبة لارتداء كل نوع منها، وفق الألـــوان والأشـــكال فـــي فصول معينة من السنة، وفي وقت معين من اليوم، وقد عُرفــت هــذه المراســم واللياقات باسم مراسم زرياب، ومن جهة ثانية فقد نظّم زريـــاب أســـلوب تقـــديم الأطعمة، وعمل على إضافة مأكولات جديدة نقلها من العراق، كما أدخـــل إلـــى الأندلس أنواعاً من الخضراوات لم تكن شائعة فيها، وحرص هو وعائلتـــه علـــى تعليم الفتيات والوصيفات الأندلسيات أسلوب الجلوس على طاولة الطعام، وتراتيب تقديم الأطعمة، واقتداءً بزوجته وبناته تعلمت النساء الأندلسيات أناقـــة الملـــبس، فأصبحن يلبسن الثياب فاتحة الألوان في الربيع، والملابس البيضاء في الصـــيف، والمعاطف والقبعات المصنوعة من الفرو في الشتاء[1].

ويُذكر أن الأمير عبدالرحمن الثاني قد أعجب بالزي العراقي فلبس الثوب العراقي والغفارة العراقية(كوفية وغطاء للرأس)[2]، كما يقال أن منصب الـــوزير استحدث في الأندلس تأثراً بالأنظمة العباسية في العراق، وأن عبدالرحمن الثـــاني أول من رتب مسألة مجيء ودخول الوزراء إلى القصر والتكلم في الرأي، حسب ما هو معمول به في بغداد، وكان له وزراء لم يكن للخلفاء قبله ولا بعده مـــثلهم، ويذكر ابن القوطية أن زريابَ حلّ من عبدالرحمن بن الحكم كل محلٍّ، وكان أهلاً لذلك في أدبه، ورأيه وتقدمه في الصناعة التي كانت بيده، ومن أخباره أيضاً أنـــه غناه يوماً صوتاً استحسنه فقال:((يؤمر الخزان أن يدفعوا إليه ثلاثين ألف دينـــار، فأتاهم صاحب الرسائل بالعهد... فقال لصاحب الرسائل: نحن وإن كنـــا خُـــزان الأمير ـ أبقاه الله ـ فنحن خزان المسلمين نجبي أموالهم وننفقها في مصـــالحهم، لا والله ما ينفذ هذا، ولا منا من يرضى أن يرى هذا في صحيفته غـــداً، وأن نأخـــذ ثلاثين ألفاً من أموال المسلمين وندفعها إلى مغنٍ في صوت غناء، يدفع إليه الأمير أبقاه الله مما عنده))، فانصرف صاحب الرسائل، وأعلم الأمير بما قاله له الخزان،

---

(1) إ. ليفي بروفنسال: حضارة العرب في الأندلس، المرجع السابق، ص56 ـــ57.

(2) ابن القوطية: المصدر السابق، ص 76.

فتعجب زرياب من عدم الطاعة، فقال عبدالرحمن: ((هذه الطاعة ولأولينهم الوزارة على هذا الأمر، وصدقوا فيما قالوا، ثم أمر بدفعه إلى زرياب مما عنده)) [1] .

كما قدم من العراق العالم الفقيه أبو علي إسماعيل القالي(ت356هـ/966م)، الذي كان أحفظ أهل زمانه للغة والشعر الجاهلي، ونحو البصريين، وقد دخل قرطبة لثلاث بقين من شهر شعبان سنة 330هـ/941م، أي في عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر، فأستوطنها وأملى كتابه(الأمالي) بها، ووضع أكثر كتبه بها، ولم يزل بها إلى أن توفي، وقرأ عليه الناس بالأندلس كتب اللغة والأخبار، وقيل إنّ الحكم المستنصر بالله هو الذي استقدمه ورغّبه في الوفود عليه، وقرّبه منه، وأكرمه وبالغ في إكرامه، فاستفاد الناس منه وعولوا عليه، وممن أخذ عنه من أهل الأندلس أبوبكر محمد الزبيدي(ت 379هـ/989م)[2] وحدث عنه جماعة منهم: أبو محمد عبدالله بن الربيع، وابن عبدالله التميمي، وأحمد ابن أبَان، وابن سيد الزبيدي[3]، كما صنّف بها كتابه الأمالي، وكتاب النوادر، وكتاب المقصور والممدود، وكتاب شرح فيه قصائد المعلقات، وكتاب الإبل ونتاجها، والخيل وشياتها، والبارع في اللغة والذي بناه على حروف المعجم وهو يشمل على 5000 ورقة؛ غير أنه لم يتم، ومقاتل العرب الفرسان، وحلْى الإنسان، وفعلت وأفعلت، وغير ذلك، وكانت كتبه على غاية التقييد والضبط والإتقان[4].

ومن الوافدين على الأندلس من أهل المشرق علي بن بُندار بن إسماعيل ابن موسى بن يحيى بن خالد بن بَرْمَك، البرمكي، من أهل بغداد، قدم الأندلس تاجراً سنة 337هـ/948م، وكان قد أخذ عن أبي الحسن عبدالله بن أحمد بن محمد

---

(1) المصدر نفسه، ص 83 ـ 84.

(2) صاحب كتاب مختصر العين، كان مؤدباً للمؤيد هشام بن الحكم الثاني. ياقوت الحموي: معجم الأدباء، دار الكتب العلمية، بيروت 1991م، ج5، ص 329ـ332. كذلك المقري: المصدر السابق، مج4، ص 75.

(3) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، المصدر السابق، ج1، ص305. كذلك السيوطي: بغية الوعاة، المصدر السابق، ج 1، ص 453. والمقري: المصدر السابق، مج4، ص 73، 74.

(4) ياقوت الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ج1، ص 302 ـ 303. كذلك السيوطي: بغية الوعاة، المصدر السابق، ج1، ص 453. والمقري: المصدر السابق، مج4، ص 75ـ 76.

ابن المغلّس الفقيه الداودي، وتتلمذ عليه وسمع منه الموضح والمنجح من تآليفه في الفقه، وما تم له من أحكام القرآن [1] .

وهكذا يُلاحظ إنّ المسلمين جميعاً منذ الفتح حتى آخر مسلم نزل الأنــدلس وأقام بها على اختلاف أعراقهم، كانوا رسل حضارة أنارت جــزءاً مــن القــارة الأوربية، وأصبح الأندلس كوكباً يعكس أنوار الحضارة علــى جميــع الأقطــار المحيطة به، بعد أن انسابت إليه ثقافة المجتمع المشرقي، التي دأب الجميع علــى ملاحقتها، فساهم عامة الشعب، وساهم كبرائهم من الأمراء والخلفاء، فمنهم مــن رحل وتكبد مشاق وعناء السفر من أجل علم لعالم معــين فــي مكــان قريــب كالمغرب، ومنهم من تيسرت له أمور الرحلة، فاستمر إلى المشرق، وزار مصــر أو العراق أو الشام، ومنهم من زارها كلها، ونهلوا من ينــابيع ثقافــة المشــرق وعلومه، فمنهم علماء نبغوا في الحكمة والتنجيم والطب، غير أن جلهــم حــاول الإلمام بشتى أطراف العلوم، فصار منهم علماء ضاهوا أقرانهم بالمشرق، وشــهد لهم المغرب والمشرق معاً، من خلال النظر لآثارهم التي كانت شاهد عيان علــى ذلك العصر وتلك الحضارة. وهنا يتساءل الباحث كيف استطاع المسلم أن يصــل إلى هذا الرقي الفكري، وما هو المنهج الذي اتبعه المسلمون في الأندلس؛ ليرتقوا ببلادهم إلى أن تكون عاصمتها ومعظم مدنها في مصاف المدن المشرقية الكبرى في العراق والشام ومصر، ذلك سيكون الحديث عنه في الفصل القادم من الدراسة، و الذي سيحمل عنوان الحياة العلمية في الأندلس.

---

(1) المقري : المصدر السابق، مج4، ص 67 ــ 68.

الفصل الأول

الحياة العلمية في الأندلس

تمهيـــــد:

ــ مكانة العلم والعلماء في الإسلام.

ــ مساهمات الأمراء والخلفاء والتجار في الحياة العلمية.

المبحث الأول: نظام التعليم:

أولاً: أمكنة التعليم:

1/ الكُتّاب.

أ/ الكتاتيب الرسمية.

ب/ الكتاتيب الخاصة.

2/ المسجد.

3/ مجالس العلم والمناظرة.

4/ المكتبات.

5/ مدارس خاصة بالتعليم.

ثانياً/ مراحل التعليم:

1/ مرحلة التعليم الابتدائي.

2/ مرحلة التعليم العالي.

ثالثاً: مواد التعليم ومناهجه:

1/ المنهج الابتدائي.

2/ منهج التعليم العالي.

المبحث الثاني: الرحلة في طلب العلم، وبواكير علماء القرن الثـــاني الهجـــري/ الثامن الميلادي الذين رحلوا إلى المشرق الإسلامي

أولاً/ الرحلة الأندلسية إلى المشرق الإسلامي لطلب العلم.

ثانيا/ بواكير علماء القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي الذين رحلوا إلى المشرق الإسلامي .

تمهـيد

ـ مكانة العلم والعلماء في الإسلام :

شرَّف الله تعالى العلم والعلماء بأن رفع مكانتهم وقدرهم بين باقي البشر، فجاءت آيات القرآن الكريم وأحاديث السنة النبوية المشرقة بدعوتها في كثير مـن المناسبات إلى التعلم، وحثّ المسلم على طلب العلم أينما وُجِدَ، فمنـذ أول آيـات نزلت على الرسول e، كانت دعوة صريحة إلى العلم والتعلم، قال تعالى:[اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ(3) الَّذِي عَلَّـمَ بِالْقَلَمِ(4) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)] [1]، كما كرّم القرآن الكريم أيضاً العلمـاء، حيث قال الله تعالى[يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّـهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ] [2]، وقال في موضع آخر: [وَمِنَ النَّاسِ وَالـدَّوَابِّ وَالْأَنْعَـامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيـزٌ غَفُـورٌ][3]، وقال أيضاً:[قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَـا يَتَـذَكَّرُ أُوْلُـوا الْأَلْبَابِ][4]، كما جاء في السيرة النبوية عن الرسول e ذكرٌ لمكانة العلم وأهلـه، وموقعهم بين غيرهم ممن لم يتعلموا العلم، ولم يقوموا عليه، فكانت أحاديثـه e موضِّحَةً فضل العلم وأثره بعد وفاة صاحبه، حيث قالe: ((مـن سـلك طريقـاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له طريقاً إلى الجنة، وإنّ الملائكة لتضع أجنحتها رضـاً لطالب العلم...إلخ)) [5] كما قال e أيضاً: ((خير ما يُخلِّفُ الرجل بعده ثلاثة: ولد صالح يدعو له، وصدقة تجري يَبْلُغُهُ أجرها، وعلم يُنتفع به من بعده)) [6] وقـال أيضاً: ((إنّ مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته، علماً علّمه، ونشـره،

---

(1) سورة العلق، الأيات 1ـ5.

(2) سورة المجادلة، الآية 11.

(3) سورة فاطر، الآية 28.

(4) سورة الزمر، جزء من الآية 10.

(5) محمد بن عيسى بن سورة: الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، (تح) إبراهيم عطوة عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت)، ج5، ص 48 ـ49. كذلك أبي داود: سنن أبي داود، دار الحديث، القاهرة، (د. ت)، رقم 1455، ص316. وابن ماجه: سنن ابن ماجه: (تح) محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، (د. ت)، المقدمة، ج1، ص 81ـ 82.

(6) ابن ماجه: المصدر السابق، المقدمة، ج1، ص 88.

وولداً صالحاً تركه، ومصحفاً ورثَّه، أو بيتاً لابن السبيل بناه...إلــخ)) [1] وقــال e أيضاً في مدح وإطراء المعرفة ((لأن تغدوا فتتعلم باباً من العلم عُمل بــه أو لــم يُعمل خير من أن تصلي ألف ركعة)) [2] وفي حديث آخر: ((إنّ الله وملائكته وأهل سماواته وأرضه، وحتى النملة في حجرها، وحتى الحوت في البحر، ليصلون على معلم الناس الخير)) [3] و((يستغفر للعالم ما في السموات وما فــي والأرض)) [4]، و((العلماء ورثة الأنبياء...إلخ)) [5].

لذلك جاءت استجابة المسلمين لدعوة ربهم، وأحاديث رسولهم e بشــكلها الكبير والواضح، فأقبلوا على العلم بعزم وإيمان، وتعلموا القراءة والكتابة لقــراءة القرآن الكريم ولتدوينه، ولنشر الدين الإسلامي، فبرز منهم من أخذ علــى عاتقــه تعليم العلم للمسلمين، وأصبح الطالب والمعلم هما المنوطان بمهمة الرفع من الحياة العلمية، فكانا ينطلقان إلى العمل بهمّة عالية ونشاط كبير وشغفٍ بالعلم لا ينتهي، يتحملان في ذلك كل المصاعب، ولا يدعان فرصة إلاّ ويزدادا فيها علماً، وإن دلّ ذلك على شيء فإنما يدُل على قوة الدافع وعمقه وحقيقة وسمو الهدف وإشراقه.

وبذلك يمكن القول بأن العلوم والآداب في الأندلس كغيرهــا مــن الــبلاد الإسلامية، أصبحت تشهد تطوراً واضحاً، وساعد على ذلك التطور إقبال المسلمين على التعلم، ومما لا شك فيه أنّ كتاب الله (القرآن الكريم) وسنة النبي e كانــا يشكلان المؤثر الكبير في تفتق أذهان الأندلسيين، وصقل مواهبهم، وتوجيهها إلى طلب العلم والأخذ بأسبابه.

ـ مساهمات الأمراء والخلفاء والتجار في الحياة العلمية:

منذ أن وطأت أقدام العرب المسلمين الأندلس، بدأت هــذه الــبلاد تــنعم بفترات رخاء واستقرار سياسي واقتصادي، الأمر الذي ساهم في نشــوء النشــاط

---

(1) ابن ماجه: المصدر السابق، المقدمة، ج1 ص 88 ــ 89، رقم 242.

(2) المصدر نفسه: المقدمة، ج1، ص 79.

(3) الترمذي: المصدر السابق، ج5، ص 50.

(4) ابن ماجه: المصدر السابق، المقدمة، ص 81. كذلك أبو داود: المصدر السابق، ج3، ص 316.

(5) البخاري: صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م، مج1، ص26. كذلك ابن ماجه: المصدر السابق، المقدمة، ص 81. كذلك أبو داود: المصدر السابق، ج3، ص 316.

الثقافي والعلمي، فلم يكد ينتهي القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي حتى كان العلم والتعليم بقرطبة وغرناطة وطليطلة وغيرها من المدن الأندلسية الأخرى قد بلغا شهرة عالمية -لم يبلغاها في أيٍّ من مدن أوربا المسيحية- نافست بها هذه المدن أكبر مدن الشرق العربي الإسلامي كبغداد ودمشق والقاهرة وغيرها[1]، وقد ساعد على ذلك أيضاً حسن رعاية أمراء وخلفاء ووزراء البلاد لأمور العلم والتعليم.

لقد أولى أمراء وخلفاء بني أمية منذ نشأة دولتهم اهتماماً كبيراً بشؤون العلم والتعليم في الأندلس، وكانت لهم في ذلك إسهامات بارزة بشتى الوسائل للرقي بالحياة العلمية، من جلبٍ للمصنفات والمؤلفات الغريبة، القديمة والحديثة، النقلية والعقلية، وإرسال البعثات العلمية إلى جميع المراكز الثقافية بالمشرق لنسخ أو شراء أمهات الكتب في مختلف العلوم والآداب والفنون، بحيث غدت قرطبة من أعظم مدن العالم الإسلامي رعاية للعلم وأهله ومؤسساته، فقد ذُكِرَ أنَّ بقرطبة وحدها ما يقارب عن 600 مسجد، و80 مدرسة، عامة وخاصة، و17 معهداً تربوياً، بخلاف مكتباتها التي انتشرت في كل حي، لتكون في متناول كل دارس وطالب، وضمت مكتبة القصر بقرطبة وحدها نحو 400,000 مجلد[2] والتي جذبت إليها الطلاب من كل حدب وصوب وملَّة، فكان القصر مقصد العلماء المسلمين والمسيحيين واليهود الذين تهافتوا على مكتبته للإطلاع والمناقشة والدراسة، الأمر الذي كان له أكبر الأثر في تلك النهضة العلمية التي كانت مصدر إشعاع فكري[3]،

وقد امتاز الأمراء والخلفاء الأمويون بالأندلس بحبهم للعلم وإكرامهم لأهله الأمر الذي دفع بالعديد منهم إلى إرسال البعثات لشراء الكتب كما فعل الأمير عبدالرحمن بن الحكم(الأوسط) عندما قام بإرسال شاعره عباس بن ناصح الثقفي الجزيري إلى العراق لالتماس الكتب القديمة، فأتاه بكتاب السند هند، وهو كتاب

---

(1) مفتاح محمد دياب: "الحياة العلمية والثقافية في الأندلس في العصور الوسطى"، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد8 1991م، ص 244.

(2) المقري: المصدر السابق، مج1، ص 378.

(3) محمد الحسيني عبد العزيز: الحياة العلمية في الدولة الإسلامية، دار العلم للملايين، بيروت، (د. ت)، ص141- 142.

هندي ترجم قديماً إلى العربية، وكان يتعلم منه العرب الحساب والأعداد الهندية المعروفة[1]، كما حذا حذوه الخليفة عبدالرحمن بن محمد (الناصر لدين الله) الذي كان هو الآخر من محبي العلم وأهله، ومن المكرمين لهم، فقام بتقريب العلماء والأدباء إليه من بينهم أبو عمر أحمد بن عبد ربه(246ـــ328هـ/860ـــ939م) صاحب كتاب العقد الفريد [2]، ومن أبرز مظاهر عصره الأدبية أيضاً انتشار اللغة العربية وآدابها بين طائفة المستعربين أو النصارى المعاهدين ، ونبوغ كثير منهم فيها، وبلوغهم مرتبة عالية في كتابتها، ومن أبرز كُتّابهم الأسقف جومث بن أنتنيان، قومس[*] أهل الذمة، الذي كان من كُتّاب الأمير عبدالرحمن الثالث[3]، كما استدعى من المشرق العالم العراقي أبوعلي القالي(ت356هـ/966م)، الذي دخل الأندلس سنة 330هـ/941م، وأوكل الخليفة أمر استقباله إلى ابنه الحكم المستنصر الذي أحسن استقباله، وباسمه طرّز أبو علي القالي كتاب الأمالي[4].

كما سار الخليفة الحكم بن عبدالرحمن على نهج والده في رعاية شؤون العلم، لما عُرف عنه من حبه للعلم وإكرامه لأهله، وأنه كان جماعاً للمصنفات في مختلف العلوم ومن مختلف البلدان المشرقية، حريصاً على الحصول عليها مهما كلفه ذلك، فكان يبعث في شراء الكتب إلى الأقطار رجالاً من التجار، ويرسل إليهم الأموال لشرائها، حتى جلب منها إلى الأندلس ما لم يعهده أهلها من قبل، فقد بعث في كتاب الأغاني إلى مؤلفه أبي فرج الأصفهاني حوالي ألف دينار ذهباً، فبعث إليه نسخة منه قبل أن يخرجه إلى العراق، كما فعل مع القاضي أبي بكر الأبهري المالكي في شرحه لمختصر ابن عبدالحكم مثل ذلك [5]، وهذا ممّا يدل على عظيم اهتمامه بالعلم .

---

(1) ابن سعيد: المصدر السابق، ج1، ص 45.

(2) محمد عبدالله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، المرجع السابق، ق2، ص 700.

(*) القومس: هو سيد أهل الذمة من المسيحيين، وهو القُمّس، وجمعها قَمامِس، وقَمامِسة. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت 1994م، مج6، 183. مادة قَمّس.

(3) محمد عبدالله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، المرجع نفسه، ق2، ص 695.

(4) ابن سعيد: المصدر السابق ج1، ص 168. كذلك ياقوت الحموي: معجم الأدباء، المصدر السابق، مج2، ص303.

(5) المقري: المصدر السابق، مج1، ص 369.

ومن ظمن ما اتخذه الخليفة من إجراءات بهذا الصدد، أنه خصص جانباً من قصره يجلس فيه الحذاق في صناعة النسخ والتأليف والمهرة في الضبط والإجادة في التجليد ومقارنة النسخ الوافدة، كما أقام للعلم والعلماء سوقاً رائجة لبيع الكتب التي جُلِبَتْ إليها من كل قطر[1]، وقام بتهيئة التعليم المجاني لأولاد الفقراء في قرطبة وضواحيها، كما قام بتقديم الأُعطيات للعلماء ليمنح لهم فرصة التفرغ للتعليم بهذه المدارس[2].

كما كان المنصور بن أبي عامر ـ الذي ملك الأمر أيام هشام المؤيد ـ شغوفاً بالأدب ومحباً للعلماء، مقدراً للأدباء، فأسس مجلساً للمناظرة، وكان يُعقَدُ كل أسبوع، يجتمع فيه العلماء للمناظرة في حضرته، كما كان يكرّم العلماء ويشجع العلم، ولهذا نشطت الحركة العلمية، وظهر العديد من العلماء والمؤلفين، واستقبل كلّ عالم مشهور وعمل على إكرامه[3]، ومن أشهر هؤلاء العلماء أبو العلاء صاعد بن الحسن الربعي(ت 417 أو 419هـ/1026 أو 1028م) الذي وفد على الأندلس عام 380هـ/990م، ولقي من المنصور بن أبي عامر كل حفاوة وتشجيع ورعاية وحسن استقبال، وأغدق عليه المنح والعطايا لما عَرَفَ من علمه وأدبه ونبوغه في اللغة والشعر والأدب والسير[4]، وقد أعطاه المنصور ثمن نسخة من كتابه الفصوص خمسة آلاف دينار[5] .

كما عرفت الحياة الأدبية في عصره نوعاً من التنظيم، حيث جعل للشعراء ديواناً خاصاً بهم، وجعل له رئيساً مسؤولاً عنه وهو عبدالله بن محمد بن مسلمة، من نقاد الشعر، وفي هذا الديوان يتولى تسجيل كبار الشعراء، وتُصرَفُ فيه رواتبهم، وذلك حسب مكانتهم الأدبية[6].

---

(1) الحميدي: المصدر السابق، ص 51. كذلك المقري: المصدر السابق، مج1، ص 369.

(2) ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص 240.

(3) الحميدي: المصدر السابق، ص 78. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص 116.

(4) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، المصدر السابق، ص 415ـ418. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 240. والضبي: المصدر السابق، ص 319.

(5) المقري: المصدر السابق، مج4، ص 79.

(6) الحميدي: المصدر السابق، ص 257. كذلك الضبي: المصدر السابق ، ص 336ـ 337.

ولعل هذه النماذج توضح بلا شك أن هؤلاء الحُكّام قد أضافوا أو شـجعوا الحركة العلمية بمساهماتهم الشخصية، مما أكسب تلك الحركة في الأندلس أبعـاداً جديدة.

المبحث الأول/ نظام التعليم :

شهدت البلاد الأندلسية منذ أن وطأت أقدام المسلمين بها، دخول المدنيـة العربية الإسلامية، وخاصة في فترات الاستقرار السياسي والاقتصادي، الذي تبعه استقرار اجتماعي وثقافي، نمت في ظله الحياة العلمية، وازدهرت حتـى بلغـت مسامع أهل المشرق العربي الإسلامي، وكان كل ذلك بفضل جهود أهلها وتربيـة الإسلام الصحيحة لهم من خلال التحريض المستمر لآيات القرآن الكريم و أحاديث السنة النبوية الشريفة على العلم والتعلم، و تتبع العلوم أينما كانت، والاستفادة منها، وبالتالي شهد التعليم في الأندلس منذ القرن الثالث الهجـري/ التاسـع المـيلادي اهتماماً كبيراً من قبل القائمين عليه، على الرغم من نشأته قبل هذا التاريخ، غيـر أن هذا القرن عُدَّ من أزهى عصور الإسلام فكراً وثقافة، ففيه حدث اللقـاء بـين الفكر الإسلامي العربي الأصيل، والفكر الأجنبي الـدخيل فـي أوسـع صـوره، وتطبعت الحياة العلمية بطابع خاص، ذلك الطابع الذي يمتاز بأخذ الثقافات الأجنبية وإضافتها إلى عناصر الفكر الإسلامي، وفيه راجت سوق العلم والأدب، ونبغ كثير من العلماء والأدباء، وانتشرت المنتديات العلمية، وازدهرت الحياة الفكرية، وتيسر الإطلاع والقراءة والتعليم وحضور الدرس، وانتشر جمع الكتب وإيداعها أمـاكن خاصة، كما انتشرت دُور العلم الخاصة والعامة، وكثر بذلك عدد الطـلاب بهـذه الدُور، وأصبح التعليم صناعة وفناً.

ولدراسة نظام التعليم بالأندلس في فترة الدراسة، سوف أسير على المنهج المتتبع لحركة التطور التي شهدها هذا النظام التعليمي، متجولاً في أمكنته، متنقلاً بين مراحله متعرفاً على مناهجه التي درسها أولئك الصبيان والطلاب .

أولاً: أمكنة التعليم:

عَرَفَتْ الأندلس المؤسسة التعليمية كغيرها من دول الإسلام الأخرى، وقد تنوعت تلك المؤسسات بها مع مرور الـزمن، فعرفـت الكتاتيـب، والمسـاجد،

ومجالس المناظرة والمدارس بأنواعها العامة والخاصة، بالإضافة إلى المكتبات الخاصة والعامة [1]، ولمزيد من الإيضاح سوف يتناول الباحث بالدراسة هذه المؤسسات التعليمية، موضحاً أيّ المراحل التعليمية التي تتم فيها، وأيّ العلوم التي كانت تدرس بها، محاولاً بذلك توضيح دورها الهام الذي قامت به من أجل النهوض بالحياة العلمية والرقي بها، وهي كالتالي:

1/ الكُتّاب:

اشتُق لفظ كُتّاب من التَكْتيب، أي تعليم القراءة والكتابة، وفي الاصطلاح يُعَدُ الكُتّاب أو المكتَب: الموضع الذي تتم فيه عملية تعليم القراءة والكتابة، وهذه المهمة اضطلع بها أولاً ولا شيء سواها، والجمع الكَتَاتيبُ، والمكَاتِبُ[2].

تعتبر الكَتَاتيب أولى المؤسسات التعليمية التي يتم فيها تعليم الصبيان في المرحلة الأولى من التعليم بالأندلس، إذ كان التعليم فيها تطوعياً، فلما انتشر الإسلام وكثرت أعداد المتعلمين، تعذر أن يقوم التعليم على التطوع، فظهرت مهنة التعليم، وتناول المعلمون على عملهم الأجر، وأفتى الفقهاء بجواز ذلك[3].

كان ظهور الكتاتيب في الأندلس مصاحباً لجيوش الفتح على غرار السيف، ولم يكد ينتهي القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي حتى كانت الكتاتيب قد انتشرت في كل مكان من الأندلس، وكثر عددها، حتى لم يخلُ منها حيٌّ أو درب أو ربض من أرباض الأندلس، وربما تعددت في الحيّ الواحد من المدينة، ولم تخص بها المدن فقط، بل كانت القرى تحوي كتاتيباً أيضاً لتعليم الصبيان القرآن الكريم والقراءة والكتابة، وغيرها [4]، حتى قيل أنها بلغت في عهد الحكم الثاني حوالي 27 مُكَتَّباً منها ثلاثة كانت ملحقة بالمسجد الجامع بقرطبة، وأما البقية فكانت موزعة بين الأرباض [5]، وكانت هذه الكتاتيب ملحقة بالمساجد أو منفصلة

---

(1) حسن عبدالعال: التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري، دار الفكر العربي،القاهرة، (د. ت)، ص 181.

(2) الطاهر أحمد الزاوي: مختار القاموس، المرجع السابق، ص 522.

(3) أحمد فؤاد الأهواني: التربية في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، ط6، (د. ت)، ص 85.

(4) أحمد ضيف: بلاغة العرب في الأندلس، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 1924م، ص 9.

(5) محمد عبدالحميد عيسى: تاريخ التعليم في الأندلس، دار المعارف، القاهرة، 1982م، ص 217.

عنها؛ أي أنها لم تكن بها[1]، ذلك لأنهم كرهوا تعليم الصبيان في المساجد لِمَا يلحقها من الأذى بالتنجس، لعدم طهارة الصبيان من نجاستهم[2]، وكانت أبنيتها بسيطة، وأثاثها بسيطاً أيضاً، يتكون من الحُصُرِ يجلس عليها الطلاب من الصبيان المتربعين أمام معلمهم، وكانت أدوات الدراسة لا تتعدى المصحف الشريف، والألواح الخشبية ليكتب عليها الولدان، وعدد من الدوي والأقلام[3].

كان أول مايتعلمه الصبي في الكُتّاب من العلوم القرآن الكريم، والقراءة، والكتابة، والنحو، والعربية، والحساب، وأخبار العرب، والخط، على أن أهم ما يدرس فيها هو القرآن الكريم على الطريقة الفردية، أو الجماعية، وأوقات الدراسة بها كانت تُحَدُّ بعلامات طبيعية، فكانت بداية اليوم الدراسي مع شروق الشمس، أما نهايته فكانت مع أذان صلاة العصر، وكان الأسبوع وحدة التعليم، حيث تبدأ الدراسة مع شروق يوم السبت، وتنتهي مع عصر يوم الخميس، أما يوم الجمعة فكان يوم الراحة الأسبوعية، كما عرفت أيضاً الراحة في المواسم والأعياد[4]، وتبدأ مرحلة تعليم الصبيان في الكتاب منذ سن السابعة؛ غير أن هناك من كان يدفع بابنه إلى الكُتّاب منذ سن الخامسة أو السادسة، أما السن التي ينتهي عندها تعليم الصبي فيه، فكانت سن الثانية عشر أو دون ذلك[5]، وكانت الكَتَاتيبُ نوعان، نوع حكومي، وأطلق عليه الكتاتيب الرسمية، ونوع خاص .

أ / الكَتَاتيبُ الرسمية:

هذا النوع من الكتاتيب كانت الدولة تتولى إنشاءه والإنفاق عليه ورعايته، وكان هدف الدولة من ذلك تهيئة التعليم المجاني لاسيما لأبناء الفقراء الذين لا

---

(1) أحمد فؤاد الأهواني: المرجع السابق، ص 85.

(2) المرجع نفسه، ص 85.

(3) خوليان ريبيرا: التربية الإسلامية في الأندلس، ترجمة الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، 1994م، ص 110. كذلك مصطفى الشريف، تاريخ النهضة العلمية بقرطبة، (بحث) قسم إجازة التدريس، 1937م، رقم 8073، ص 29ـ 32.

(4) أحمد فؤاد الأهواني: المرجع السابق، ص 179ـ 180.

(5) المرجع نفسه، ص 60.

يستطيع آباؤهم تحمل نفقات تدريسهم، ولعل أبرز الأمثلة على هـذا النـوع مـن الكَتَاتيب هي تلك التي قام بإنشائها الخليفة الحكم الثاني في قرطبة.

وفي ذلك يقول الشاعر محمد بن شخيص [1]:

وساحة المسجد الأعلى مكـللة   مكاتباً لليتامى من نواحيـها

لو مكنت سور القرآن من كلم   نادتك يا خير تاليها وواعيها

ب/ الكتاتيب الخاصة:

وهذه الكتاتيب كانت تدار من قبل الأفراد، ولم تكن تبعيتها للدولـة، وهـي أكثر انتشاراً من الكتاتيب الحكومية. [2]

وفيما يخص أماكن وجود هذه الكتاتيب، فإنه يمكن القول بأنها لـم تكـن محصورة في مكان معين بذاته؛ بل أحياناً كانت توجد في المنازل، أو في غرفـة من المنزل، أو في دكان، ففي قرطبة مثلاً: كان إبراهيم بن حزم المعلم(ت 282هـ/ 895م) يستخدم داره لتعليم الصبيان، وكان يساعده في ذلك ابنه وابنته التي كانت تقوم على تعليم البنات في حجرة منفصلة عن الذكور [3]، كما كـان محمـد بـن وضاح (ت 286هـ/899م) يتخذ غرفة كانت منفصلة عن منزله لتعليم الصبيان[4]، كما اتخذ محمد بن أحمد بن يحيى الزهري(ت325هـ/936م) داره كُتّاباً يعلم فيهـا الصبيان[5]، وكان أيضاً خلف بن محمد الخولاني المكتِب (374هـ/984م) معلمـاً يعلم الصبية في داره[6]، وكان إبراهيم بـن مبشـر بـن شـريف البكـري(ت 395هـ/1004م) يتخذ دكان وراقته مكاناً يقرئ ويعلم فيه المبتدئين، وكان دكانـه هذا يقع قريباً من جامع قرطبة[7].

---

(1) ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص 240 ،241.

(2) كريم عجيل حسين: الحياة العلمية في مدينة بلنسية الإسلامية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بغداد، 1976م، ص 230.

(3) ابن الأبار: المصدر السابق، ج1، ص 358.

(4) القاضي عياض: المصدر السابق، مج4، ص 440.

(5) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 328.

(6) المصدر نفسه، ص 118.

(7) ابن بشكوال: المصدر السابق، ق1، ص 88.

أمّا فيما يخص مسألة إقامة الكتاتيب داخل المسجد، فقد نهى العديـد مـن العلماء المسلمين عن ذلك وسبب ذلك لأمرين، أولهما: مـا يسـببه الأولاد مـن القذارة، كما سبق الإشارة، وامتثالا لحديث رسول اللهe القائل:((جنبوا صـبيانكم المساجد)) [1]، وقد أجمع على ذلك رجال الحسبة، كـابن عبـدون الإشـبيلي(ت 520هـ/1126م) الذي قال: ((المساجد هي بيوت الله ومواضع الذِّكْرِ و مواضـع العبادة، مشهورة بالطهارة، ويجب ألاّ يؤدب فيها الصبيان، فإنهم لا يتحفظون من النجاسات بأرجلهم ولا من ثيابهم، فإن كان ولابد ففي السقائف)) [2]، وثانيهما: ما يُحدثه الصبيان من الأصوات التي كانت تحدث شيئاً من الضجيج في المسجد تمنع المصلين من أداء الصلاة على الوجه المطلوب .

2/ المسجد:

يُعد المسجد من أقدم المراكز الثقافية والمؤسسات التربوية والتعليمية فـي الإسلام، فهو مشرق نور العلم في كل قطر من أقطار المسلمين، إضافة إلى كونه أهم مؤسسة تعليمية على الإطلاق، فمع كونه مكاناً للعبادة صار مكانـاً للتعلـيم، وأقيمت به حلقات الدرس منذ نشأ، واستمر ذلك على مرّ السنين والقرون، وفـي مختلف الأمصار الإسلامية دون انقطاع، ولعل السبب في جعل المسـجد مركـزاً ثقافياً، هو أن الدراسات في سنين الإسلام الأولى كانت دراسات دينيـة، تشـرح تعاليم الدين الجديد، وتوضح أسسه وأحكامه وأهدافه، وهذه تتصل بالمسجد أوثـق اتصال، ثم توسع المسلمون في عصورهم الأولى في فهم مهمة المسجد، فاتخـذوه مكاناً للعبادة، ومعهداً للتعليم، وداراً للقضاء، وساحة تتجمع فيها الجيوش المتجهـة للفتح، ومكاناً لاستقبال السفراء [3].

---

(1) ابن ماجه: المصدر السابق، ص 5.

(2) ابن عبدون: رسالة في القضاء والحسبة، (تح) أ. ليفي بروفنسال، القاهرة، 1955م، ص 314.

(3) أحمد شلبي: تاريخ التربية الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، 1977م، ص 102. كذلك أمين مدني، الثقافة الإسلامية وحواضرها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1980م، ص 107. وأحمد أمين: ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة العاشرة(د. ت)، ج ، ص52ـ 53. وفتحية النبراوي: تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، 1981م، ص 206 .

على كل حال فإن المساجد قد كثرت في العالم الإسلامي، وزاد انتشارها في البلاد الإسلامية شرقاً وغرباً تبعاً لانتشار الإسلام، لأن المُتَّبع عند المسلمين هو بناء مسجدٍ أو أكثر في كل مكان يفتحه المسلمون أو في كل قرية أو مدينة يؤسسونها، وظل المسجد منذ ظهوره في فجر الدعوة الإسلامية يقوم بالدور الأساسي في التربية الإسلامية، وفي التثقيف العلمي للمسلمين، ودفع الحضارة الإنسانية إلى الرقي والتقدم العلمي، وإقتداءً بالرسول r جلس شيوخ الصحابة ومن تبعهم في المساجد يُعلِّمُون الناس، فكانوا أول من قام بالتعليم في المساجد بعد الرسول r [1] .

وكانت الدراسة في المساجد أول الأمر دينية، ثم تعدتها إلى سواها من العلوم والمعارف، ولا نزاع في أن الدراسات الدينية كانت أهم ما يجذب الطلاب؛ ولكن مع هذا اتسع دور المسجد، فشمل مع العلوم الدينية العلوم الأخرى[2]، وكان التعليم في المساجد حراً حرية مطلقة، ليس هناك قواعد لحضور الطلاب ولا لانصرافهم، كما كان الطالب غير مقيد بالاستماع إلى أستاذ معين أو دراسة علم معين، وليس الشيخ مقيداً بمنهج ثابت، فالطلاب كانوا يحضرون حلقة الشيخ الذي يروقهم، فإذا أحب الطالب دروس شيخ لازمه، وأخذ عنه حتى يتخرج على يديه، ويجيزه للتدريس فيما بعد [3] .

هذا ولا حاجة إلى الإسهاب في هذا الموضوع، والكُلُّ يعلم ما قامت به المساجد من خدمات جليلة في مجال التربية والتعليم، وإنه كان حلقة الاتصال في سلسلة التطور العلمي.

غير أن الذي يجب أن يُوضح هنا هو دور المسجد في التعليم بالأندلس خلال فترة الدراسة، حيث إنّ المسجد في الأندلس حظي بنفس المكانة التي كانت له في المشرق العربي الإسلامي، فقد كان أكبر معهد للدراسة والتعليم؛ بسبب شغف أهل الأندلس بالعلم، وحبهم للتعليم، وحرصهم على التزود منه، والتي عبَّر

---

(1) حسن عبدالعال: المرجع السابق، ص 15 .

(2) أحمد شلبي: المرجع السابق، ص 111.

(3) أحمد فؤاد الأهواني: المرجع السابق، ص 16 .

عنها المقري بقوله: ((والعالم عندهم مُعَظَّمٌ في الخاصة والعامة على السواء، يشار إليه ويحال إليه، وينبه قدره وذكره عند الناس، ومع ذلك فليس لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم، بل يقرأون جميع العلوم في المساجد بأجرة)) (1) .

ومع انتشار حركة الفتح الإسلامي في الأندلس وتطور الحياة الثقافية بها ازدادت المساجد انتشاراً، فعلى سبيل المثال وصل عدد المساجد بقرطبة حتى عهد المنصور بن أبي عامر حوالي ألفاً وستمائة مسجدٍ، وكانت تعقد داخل هذه المساجد الحلقات العلمية عالية المستوى، يترأسها فقهاء ورجال العلم آنذاك، ويتصدرون لإقراء مواد علمية مختلفة، فكان المسجد في ذلك الوقت أشبه بجامعة علمية أساتذتها علماء عصرهم، ويختلف المسجد عن بقية الأمكنة في شيء بسيط وهو أن كل إنسان يمكن أن يتخذ المكان الذي يستريح إليه، مع مراعاة ألاّ يزعج الجالسين في درس آخر عندما يبدأ درس جديد إذا توافقا في الساعة والمكان(2)، بذلك أصبحت المساجد في الأندلس مراكز للدراسة والتعليم، وصارت تمثل مرحلة التعليم العالي بشبه الجزيرة الأيبيرية حيث كان يقوم بتلك الدراسة أساتذة مستقلون، يُلقون محاضراتهم في المساجد، كما أنَّ المناهج التي يدرسونها هي التي كونت جامعة قرطبة فيما بعد (3) .

أما بالنسبة لأوقات الدراسة بالمسجد؛ فلم يكن هناك وقت محدد لحضور الدروس، فقد ارتبط موعد بداية الدرس بوقت العالم نفسه، وقد كان لنظام التعليم بالمساجد أسلوب خاص وهو استخدام نظام الحلقة، حيث إنَّ العالم أو الشيخ كان يجلس إلى جوار عمود من أعمدة المسجد، أوفي صدر المكان الذي يكون مرتفعاً قليلاً، وكان الطلاب يتدفقون على دروسهم عبر أبواب المسجد بعد انتهاء صلاة

---

(1) المقري: المصدر السابق، مج1، ص 208.

(2) خوليان ريبيرا: المرجع السابق، ص 109ــ 110. كذلك علي محمد الشاذلي الخولي: دور المساجد التاريخي في التثقيف العلمي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مطابع شركة الإعلانات الشرقية السنة الأولى،1961م، العدد العاشر، ص 30.

(3) أحمد فكري: قرطبة في العصر الإسلامي(تاريخ وحضارة)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1983م، ص 187. كذلك محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1968م، ج1، ص 260 ــ261. وول ديورانت: قصة الحضارة(عصر الإيمان)، (تر) محمد بدران، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، القاهرة، 1974، ج 2، مج 4 ، ص 306 .

الفجر، ويكوّنوا حلقات حول الأساتذة، يدرسوا مختلف العلوم، وقد كان من العادة أن يكون في الحلقة معيد أو قارئ، يقوم بشرح ما غمض من كلام العالم أو الشيخ، أو أن يتولى قراءة النص الذي سيتولى العالم شرحه وتفسيره[1]، وخلال ذلك كله تنفض حلقة، وتتكون حلقة أخرى حول أستاذ جديد، وبين الزحام والضجيج وطوائف الذاهبين وقد أنهوا دروسهم، والقادمين وقد بدءوها، لا نرى أيّ فرد من رجال الشرطة؛ إنما حراس المسجد فحسب، يتجولون في صمت بين الدارسين، وعندما ينادي المؤذن للصلاة يتوقف كل شيء، وكان هذا النشاط التعليمي يسير على نفس الوتيرة في جميع مساجد المدن الأندلسية كإشبيلية والمرية وطليطلة وغرناطة وغيرها [2]، بل في كل مساجد المشرق الإسلامي ومغربه.

وهكذا يمكن القول إنّ مساجد الأندلس أصبحت المراكز الثقافية والقلوب النابضة بالحياة، فكان لها دور باهر الإشعاع في التربية والتعليم ونشر الثقافة، فهي معاهد علم ومجالس شرف، ولن يضير الأندلس إن أمست معالمها أثراً بعد عين، فإنها رفعت نفسها قبل ذكرها، والذكر عمر ثانٍ، والدنيا دول ولا سبيل إلى الخلود.

3/ مجالس العلم والمناظرة:

كان من أهم المراكز العلمية في الإسلام أيضاً مجالس العلم والمناظرة في الدور والقصور وغيرها، وهي تعد من المراكز الثقافية، حتى وإن لم يكن لها أماكن خاصة وثابتة، فقد كانت هذه المجالس تعقد بين العلماء وفي حضرة الأمراء والخلفاء في الفقه والنحو والصرف واللغة والمسائل الدينية، وقد ازدهرت هذه المناظرات تبعاً لازدهار الحياة العلمية، وطمعاً في مِنَح الأمير ونيل الحظوة عنده، ورغبة في الوصول إلى الحق، وإذا كان الأمراء يساهمون في الحركة العلمية، ويشتركون في الرأي؛ فقد استعد العلماء للمناظرة، وتسلحوا لها رغبة في الشهرة

---

(1) محمد عبدالحميد عيسى: المرجع السابق، ص 217.

(2) خوليان ريبيرا: المرجع السابق، ص117. كذلك مصطفى الشريف: المرجع السابق، ص 31. والسيد عبدالعزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، المرجع السابق، ص 377ـــ 378.

والحظوة، وبين مدينة وأخرى كان هذا وقوداً صالحاً لإشعال نار المناظرة وحدّتها وحياتها حياة عنيفة [1].

عرفت الأندلس هذه المراكز العلمية أيضاً؛ إذ أُغْـرِمَ الأندلسـيون بعقـد مجالس العلم والمناظرة، يحضرها العلماء على اختلاف ألوان علومهم، يتدارسون العلوم المختلفة، ويقرعون الحجة بالحجة، والدليل بالـدليل، إيضـاحاً للغـامض، وكشفاً للمبهم، وكثيراً ما كان الأمراء والخلفاء يعقدونها في قصورهم، ويحرصون على حضورها، وما كان مجلس لهم يخلو من عالم أو علماء، وقد فعل ذلك الأمير عبدالرحمن الأوسط والأمير محمد مع بقي بن مخلد والخُشَـني[2]، كمـا عقـدت مجالس الأدب التي كانت من أكبر مسارح الأفكـار، وأفخـم مظـاهر الجمـال، ومظهراً من مظاهر الحياة العقلية والاجتماعية، يحضـرها الأمـراء والـوزراء والكتاب والعلماء وغيرهم؛ لأنهم جميعاً من أهل الأدب، وكان الشعراء فرسان هذه المجالس التي أفاضت كتب الأدب الحديث عنها، ولا يخفى ما لها من أثـر فـي تربية الملكة ودقة الملاحظة والقدرة على الابتداء والارتجال، وتعدى ذلك الرجالَ إلى النساء، وكثيراً ما طُلب من شاعر أن يجيز بيتاً من الشعر، فيجيزه بقصـيدة طويلة رصينة، أو يصف منظراً أو يمدح أميراً، فيفعل على البديهة، كما لا يُنكـر لما لمجالس العلم والمناظرة من صنيع نافع وبلاء محمود في صقل العقول، وتفتق الأذهان، وتنمية المعارف[3]، كذلك فتح بعض العلماء في الأندلس أبواب بيـوتهم للطلاب، وأباحوها لكل راغب في الدرس ومقبـل علـى الفهـم، حتـى كثـرت استفادتهم، وعظمت معلوماتهم، وظهر نبوغهم لتوافر أسبابه، وهل ينشد المربـون الآن للمتعلم سوى غرس الرغبة والميل في نفسه، وإيجاد بيئة صالحة يتمتع فيهـا بالحرية الفكرية ؟ حتى تثمر وتؤتي أُكلها، وقد انتفع بهذا النوع من التعليم العالي عدد كبير من مشاهير العلماء والحكماء[4]؛ على أنّ الدراسة في البيـوت أخـذت

---

(1) أحمد أمين: ضحى الإسلام، المرجع السابق، ج 2، ص54ـ 55. كذلك محمد عطية الأبراشي: التربية الإسلامية وفلاسفتها، دار الفكر العربي، القاهرة، 1970م، ص75 ــ 89 .

(2) ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص 109ـــ110. كذلك ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 170.

(3) مصطفى الشريف: المرجع السابق، ص 29 ــ 30 .

(4) المرجع نفسه، ص 30 .

ألواناً مختلفة، وجرى التعليم فيها على نحو ما يجري في المساجد [1]؛ غير أنها تتوقف إلى حد كبير على قدرة الأستاذ وذوقه، ابتداءً من فراغ متواضع تعلو الحصيرة أرضه، ويكفي بالكاد لجلوس الأستاذ وطلابه، وانتهاءً بالقاعات الفخمة المفروشة بالسجاد والبسط، وتمتد حول جدرانها الأرائك المريحة، وتقوم المدفئة في جانب منها خلال أشهر الشتاء القارصة، كما في دار ابن كوثر الطليطلي [2].

4/المكتبات:

كانت المكتبات من أهم معاهد العلم في الإسلام، وهي ليست وليدة الإسلام فحسب، بل وجدت أيضاً لدى الفرس والسريان والبطالمة بالإسكندرية، وغيرهم، وكانت طريقتهم في نشر العلم[3]، وكان لعناية المسلمين بإنشاء دور الكتب والمكتبات أثر كبير في تيسير وسائل الثقافة والتعليم، وتشجيع الطلاب على الاستمرار في الدراسة والبحث العلمي.

هذا، وقد انتشرت المكتبات في الإسلام انتشاراً عظيماً يدعو إلى الفخر والإعجاب، فكان في معظم المساجد والجوامع وغيرها مكتبات كبيرة مزودة بالكتب المختلفة ميسرة للعلماء والقراء والنساخ، ومن حق أي قارئ الاستفادة منها والاطلاع عليها في أي وقت شاء[4]، وكانت هذه المكتبات تقوم بمهمة المعاهد العلمية في الوقت الحاضر بالإضافة إلى ما تؤديه دور الكتب الآن من خدمات علمية وثقافية[5].

والدارس لتاريخ للأندلس، يجد بها نشاطاً يثير العجب في تكوين المكتبات وحبها وتقديرها، سواء على مستوى الأفراد أو الحكام، فلم تكد الحركة الثقافية تأخذ طريقها بين مسلمي الأندلس، حتى أصبح الكِتابُ موضع التقدير والإعجاب، ويكفي أي عائد من رحلته التي قام بها إلى المشرق أن يحمل معه كتاباً جديداً نادراً إلى بلده حتى يصبح مناط الإعجاب والحفاوة من مواطنيه، ومع الكتاب يأخذ

---

(1) خوليان ريبيرا: المرجع السابق، ص 117.

(2) المرجع نفسه، ص 110.

(3) أحمد أمين: ضحى الإسلام، المرجع السابق، ج2، ص 59 ـ60.

(4) أحمد شلبي: المرجع السابق، ص 139.

(5) المرجع نفسه، ص 139.

اسم جالبه أو مؤلفه طريقه إلى مدونات الأدب والتاريخ، سواء كان هذا الجالب طالباً أو تاجراً، وكان أهل الأندلس يتنافسون في أن تكون لهم مكتبات خاصة وغنية بأمهات الكتب[1]، وكان أهل قرطبة في مقدمة الأندلسيين في اقتناء الكتب والاعتناء بخزائنها، وأصبح وجود المكتبة بالبيت متمماً لأثاثه وزينته، حتى ولو لم يكن صاحب البيت مطّلعاً وعالماً، وقد أشار المقري إلى ذلك بقوله: "قرطبة أكثر بلاد الأندلس كتباً، وأشد الناس اعتناءً بخزائن الكتب، صار ذلك عندهم من آلات التعيين والرياسة، حتى أن الرئيس منهم الذي لا تكون عنده معرفة يحتفل في أن تكون ببيته خزانة كتب، وينتخب فيها أمهات الكتب ليس لشيء إلاّ لأن يقال: فُلان عنده خزانة كتب، والكتاب الفُلاني ليس عند أحدٍ غيره، والكتاب الذي هو بخط فلان قد حصله وظفر به"[2].

وقال المقري: والكلام للحضرمي: ((أقمت مرة بقرطبة ولازمت سوق كتبها مدة أترقب فيه وقوع كتاب كان لي بطلبه اعتناء، إلى أن وقع وهو بخط فصيح، وتفسير مليح، ففرحت به أشد الفرح، فجعلت أزيد في ثمنه، فيرجع إليّ المنادي بالزيادة عليَّ، إلى أن بلغ فوق حقه، فقلت له يا هذا، أرني من يزيد في هذا الكتاب حتى بلغه إلى ما لا يساوي، قال: فأراني شخصاً عليه لباس ورياسة، فدنوت منه، وقلت له: أعز الله سيدنا الفقيه! إن كان لك غرض في هذا الكتاب تركته لك، فقد بلغت به الزيادة بيننا فوق حدّه؛ قال: فقال لي: لست بفقيه، ولا أدري ما فيه، ولكنّي أقمت خزانة كتب، واحتفلت فيها لأتجمل بها بين أعيان البلد، وبقي فيها موضع يسع هذا الكتاب، فلما رأيته حسن الخط جيد التجليد استحسنته، ولم أُبالِ بما أزيد فيه، والحمد لله على ما أنعم به من الرزق الكثير، قال الحضرمي: فأخرجني ، وحملني على أن قلت له: نعم لا يكون الرزق كثيراً إلاّ عند مثلك، يعطى الجوز من لا أسنان له ، وأنا الذي أعلم ما في هذا الكتاب، وأطلب الانتفاع به يكون الرزق عندي قليلاً، وتحول قلة ما بيدي بيني وبينه)) [3].

---

(1) خوليان ريبيرا: المرجع السابق، ص 155.

(2) نفح الطيب، المصدر السابق، مج2، ص 11ـ 12.

(3) المصدر نفسه، مج2، ص 12.

أما اهتمام أمراء بني أمية بالكتاب؛ فإنهم لم يبقوا في آخر الصف بالنسبة لهذه الحركة العلمية، فقد أخذوا منذ البداية في جمع الكتب، وإقامة المكتبات الزاخرة بأمهات الكتب، وذلك يرجع إلى حبهم في الأندلس واهتمامهم بالعلوم والآداب التي ازدانت بها العاصمة قرطبة، وكانت بداية هذه النزعة الأموية في تشجيع العلوم والآداب وجمع الكتب منذ عصر عبدالرحمن الداخل، وقد بلغت هذه الحركة العلمية أوج عظمتها في عهد عبدالرحمن الأوسط، ذلك الأمير الذي شغف بالعلوم والآداب والفنون، ومن الأمور التي أولى الأمير عبدالرحمن اهتماماً كبيراً بها جمع الكتب القيّمة ونسخها، كما قام باقتناء عدد لا بأس به من الكتب في كافة العلوم والمعارف في عصره، وكانت جهوده في هذا السبيل نواة لإنشاء مكتبة قرطبة العظيمة، وفي سبيل ذلك كان يبعث بالرسل إلى كافة الأنحاء، ليأتونه بكل جديد في هذا المضمار، وعلى رأس هؤلاء الرسل شاعره المعروف عباس بن ناصح، الذي ظل يذهب بين حين وآخر إلى المشرق لهذا الغرض، فجمع له منها طائفة كبيرة[1]، ولا شك أن تربية عبدالرحمن وتنشئته وتثقيفه الأوّليّ قد أثّرا في تكوين شخصيته، فكان رجلاً على مستوى عالٍ من الثقافة والعلم، فكان عالماً متبحراً في علوم الشريعة والفلسفة، وأديباً ذا همة عالية وفناناً يقدّرُ الفن ويرفع منزلة أصحابه، كما احتضن العلماء ورجال الفن والأدباء، ممن ضاق الشرق بمواهبهم، فكان يرحب بهم في بلاطه، ويحسن إليهم[2].

أمّا في عهد الأمير الحكم بن عبدالرحمن فقد كانت المكتبة الأموية بالقصر أعظم مكتبات قرطبة؛ كما كان أبوه الخليفة عبدالرحمن الناصر شغوفاً بجمع الكتب من سائر الآفاق، حيث بلغت حركة جمع الكتب ذروتها في عهده، فلم يُسْمَعُ في الإسلام بخليفة بلغ مبلغه في اقتناء الكتب والدواوين[3]، وغيرها، حتى وصلت مكتبة قرطبة في عهده أقصى غايتها من العظمة والضخامة، فقد احتوت على

---

(1) ابن سعيد: المصدر السابق، ج1، ص 45.

(2) محمد عبدالله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، المرجع السابق، ق1، ص 281 ــ282. كذلك أحمد إبراهيم الشعراوي: الأمويين أمراء الأندلس الأول، دار النهضة العربية، بيروت، 1969م، ص 280.

(3) محمد عبدالله عنان : دولة الإسلام في الأندلس، المرجع السابق، ق2، ص 280.

أربعمائة ألف مجلد، وقيل ستمائة ألف، هذا عدا زهاء سبعين مكتبة أخرى[1]، بالإضافة إلى العديد من المكتبات التي كانت موقوفة على الطلاب للقراءة والنسخ والمعارضة، يتردد عليها الطلاب، ويستفيدون مما بها، وقد أقيمت تلك المكتبات في المساجد غالباً [2] وبجانب ذلك كله، كانت هناك مكتبات منزلية في بيوت الخاصة خصصت لدراسة علم الفلسفة والطب وغيرهما [3].

كما ساعد على انتشار الكتب في الأندلس، الاهتمام الشديد بالترجمة والنقل إلى العربية، حيث كان أهل الأندلس يبذلون جهوداً مضنية في سبيل ذلك، لأنهم يعلمون فضل الكتب في نشر العلم، وتقدمه، فقد كان عبدالرحمن الناصر يهتم باقتناء الكتب وجمعها حتى ضاقت مكتبته بمحتوياتها، كما كان يغدق الأموال الطائلة على العلماء حتى أغناهم عن طلب الرزق، وصرفهم إلى التفرغ لعلمهم، فازداد بذلك إنتاجهم، وارتفع شأنهم، فعظمت مكانة العلم والأدب في عهده، وفي هذا المُناخ العلمي نشأ العديد من العلماء أمثال الزهراوي[*]، فوجدوا ما يشفي غليلهم من المؤلفات ومن الفطاحل والأعلام ما يكفل توجيههم وتنمية قدراتهم العقلية[4].

رغم أن حركة الترجمة بالأندلس كانت أضعف مما كانت عليه بالمشرق وخاصة بغداد؛ إلاّ أنه يلاحظ اهتمام الخلفاء بهذه الحركة وخاصة الخليفة عبدالرحمن الناصر وابنه الحكم الثاني المستنصر بالله، فقد ترجموا بعض الكتب

---

(1) محمد عبدالله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، المرجع السابق، ق2، ص 509.

(2) خوليان ريبيرا: المرجع السابق، ص 127ـ 128.

(3) المرجع نفسه، ص 126.

(*) هو أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي، نشأ بمدينة الزهراء، ونسب إليها، ولد بعد سنة 325هـ/ 936م، وقد خدم بالطب الخليفة عبدالرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر ومحمد بن أبي عامر، وتوفي حوالي سنة 404ه/ 1013م، ألف كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف وهو من أعظم المؤلفات العربية في الطب. الحميدي: المصدر السابق، ص 208، 209. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص 286. وابن بشكوال: المصدر السابق، ص165ـ 166. وابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الثقافة، بيروت، 1987م، ج2، ص85. وفريد سامي حداد: "الزهراوي جراح العرب الأعظم"، مجلة العلوم، العدد الثاني،1967م، ص 29.

(4) علي حسين الشطشاط: تاريخ الجراحة في الطب العربي(من القرن 3ـ7ه/ 9ـ13م) منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، مج1، ص 176 .

اليونانية واللاتينية إلى العربية، مثل: كتاب ذياسقوريذوس (*) الحكيم اليوناني في النباتات والحشائش، وكتاب المؤرخ الإسباني هروسيس أو هروشيش(**) في القصص والتاريخ الروماني، وقد دخل هذان الكتابان الأندلس ضمن هدية أهداها ملك القسطنطينية أرمانوس إلى الخليفة عبدالرحمن الناصر سنة 337هـ/948م، غير أن ترجمتهما لم تكن قريبة، فبقي الكتابان في خزانة الخليفة إلى أن بعث الإمبراطور أرمانوس للخليفة براهب له عالمٌ باللسان الإغريقي يُدعى نيقولا (Nicola) الذي وصل إلى قرطبة سنة 340هـ/951م، وقام بترجمة كتاب ذياسقوريذوس، واشترك معه في ذلك بعض أطباء بلاط الناصر، ومنهم: حسداي ابن شبروط الإسرائيلي الذي كان عند نقولا أحظى الناس وأخصهم به، فترجما الكتاب للعربية، كما قام حسداي بزيادة صُنعه الترياق، وقد حظي الراهب نيقولا عند عبدالرحمن الناصر بمكانة كبيرة، فتتلمذ على يديه كثير من الأطباء، كما حظي الكِتَابُ المترجم باعتناء جميع من ألّف في المفردات الطبية عناية كبيرة، ما بين شرح وتفسير واستدراك وتصحيح منهم ابن جلجل وغيره من علماء الأندلس اللاحقين له، ممن كانت لهم عناية بعلوم الطب (1) .

وأراد المنصور بن أبي عامر أن يقلّد الحكم الثاني في الاهتمام بالثقافة واقتناء الكتب، فصنع معه كبار الأدباء ما صنعوه مع الحكم من قبل، بأن أهدوه كتبهم التي ألفوها، وجاء إلى قرطبة في زمنه صاعد البغدادي الشهير، وأراد أن ينافس أبا علي القالي، الذي أنار عهدي الخليفة الناصر وابنه الحكم الثاني من

(*) دياسقوريدس: قال حنين ابن اسحاق: كان اسمه عند قومه ازدش نياديش، ومعناها بلغتهم الخارج عنا، أما جالينوس فقد قال: إن أسمه يعني شجّار الله، أي أن اسم دياسقور(شجّار)، ودبوس(الله)، فكان معناها شجّار الله، أي ملهم الله على القول في الأشجار والحشيش، وهو من أهل عين زربة، شامي يوناني حشائشي، كان بعد بقراط، وهو أعلم من تكلم في علاج الطب وهو العلم بالعقاقير الطبية المفردة، وألف كتاب الخمس مقالات، وله في السمائم مقالتان. للمزيد من التفصيل يُنظر ابن جلجل: طبقات الأطباء، تحقيق فؤاد السيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، 1955م، ص 21ـــ23. كذلك ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق ،ج1، ص 57.

(**) هو مؤرخ أسباني عاش خلال القرن الرابع والخامس الميلاديين، وكتابه حوى أخبار الدهور وقصص الملوك الأول، وقد دخل الأندلس وترجم في عهد الحكم المستنصر بالله، ومن الواضح أن ابن جلجل قد استفاد منه، وانتفع به كما انتفع به ابن خلدون في تاريخه، ونقل عنه نقولاً كثيرة ويسميه(وصف الدول والحروب). ابن جلجل: المصدر السابق، ص 2.

(1) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ج3، ص 82.

بعده، وألّف له كتاب (الفصوص) على نحو كتاب (النوادر) لأبي علي، وكافأه المنصور بخمسة آلاف دينار، وكان صاعد عالماً باللغة والأدب والأخبار، سريع الجواب، حسن الشعر، طيب المعاشرة، فكه المجالسة ممتعاً[1].

وكان المنصور يخص عدداً من الكتب بعنايته، يحب أن يقرأ فيها كل ليلة، من بينها كتاب(الجواس) لصاعد البغدادي أيضاً، حيث كان المنصور كثير الشغف بهذا الكتاب حتى أنه أمر بأن يُخْرَج أمامه كل ليلة[2]، كما أمر أن يُزَيِّنَ مخطوط المصحف الشريف المنسوب لعثمان بن عفان t بالجواهر[3] ، ولكنه مع كل ذلك الاهتمام بالكتب يُعاب عليه إحراقه لبعض الكتب الفلسفية التي كانت في مكتبة الخليفة الأموي الحكم الثاني [4] .

5/ مدارس خاصة بالتدريس:

إتماماً للدراسة يرى الباحث أنه لزاماً عليه أن يعرض لكُنْهِ هذه المدارس ونوعها، أكانت مدارس خاصة بالتدريس أم من أي نوع كانت؟

إنَّ المدارس بهيئتها الحالية لم يعرفها الأندلسيون، ولم ينقل عن مؤرخ من مؤرخي المسلمين أنَّه تعرض للكلام عن نوع هذه المدارس؛ إلا قول المقري الذي يقول عنها: ((فليس لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم، بل يقرأون جميع العلوم في المساجد بأجرة، فهم يقرءون لأن يتعلموا لا لأن يأخذوا جارياً))[5]، وقول المقري هذا لا يدع مجالاً للشك في عدم بناء مدارس في تلك الآونة من تاريخ الأندلس بالقرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، ولم تظهر المدارس في الأندلس إلا في عصر متأخر، يجعل البعض بدايتها في عهد الأمير الحكم الثاني أي في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي [6]، والبعض الآخر يُرجعها إلى

---

(1) ابن بشكوال: المصدر السابق، ص 237، 238. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص 319 ــ 323، والمقري: المصدر السابق، مج4، ص 79.

(2) عبدالواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 33.

(3) نفح الطيب: المصدر السابق، مج2، ص 87ــ 137.

(4) ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص 292ــ 293.

(5) نفح الطيب، المصدر السابق، مج1، ص220ــ 221.

(6) ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص 256 .

دولة بني الأحمر[1]، وكيفما كان الأمر، فإن المدارس في الأندلس تأخر ظهورها، وأن السبب في تأخر ظهورها عن المشرق، يرجع إلى ثقافة خُصَّ بها المشـــرق، وحُرِمَ منها الأندلس، مثل: الاختلاط بالفرس، والأتـــراك، وأهـــل الحضـــارات السابقة، ودراسة المذاهب، وكل هذه الأمور لا نجدها في أيام الأمويين لأنهم عرب لم يختلطوا بغيرهم من الأجناس الأخرى، وسكان الأندلس ليس لهم من الأمر شيء حتى يحدثوا أثراً، أو يغيروا من نظم التعليم مما تورط فيه المشارقة، ولـــذلك لـــم تنشأ عند الأندلسيين مبكرة، بل بقيت المساجد تؤدي الرسالة، وتحمـــل الأمانـــة، وتناصر الدين والثقافة قبل ذهاب الأمر من يد العرب، ولم أرَ مؤرخاً من المحدثين ممن كتبوا في التعليم يخالف قول المقري السابق الذكر[2]؛ ولكن اقتضت الضرورة وجود مدارس خاصة لتدريس الطب والموسيقى، فقد زاول أهل الأندلس الطب في المارستان، لا في المساجد شأن المشارقة، حيث يلتقي الأطباء بالطلاب يُدرّسُونَهم الطب وما يتصل به[3]؛ غير أن الأندلسيين يمتازون بالإكثـــار مـــن المستشـــفيات وإدارتها وتجهيزها تجهيزاً وافياً على نسق لم تعرفه أوربا في ذلك العهد، فضـــلاً على أن هذه المستشفيات كانت مراكز لعلاج الأمراض، فقد كانت أيضـــاً معاهـــد للتعليم" الإكلينكي" وأكاديميات للمعارف الطبية، وكانت مجهزة بمكاتب طبية نفيسة قريبة الشبه من المستشفيات الحديثة، وقد أكسبت هذه المـــدارس الطبيـــة رجـــال الأندلس مهارة ونبوغاً في الطب والصيدلة، ظهر أثرها في كثرة المتفـــوقين مـــن رجال هذه الصناعة، وقد انتفع المشرق بنبوغهم الطبي فيما بعد[4].

أما بالنسبة للموسيقى فقد نهضت على يد زرياب، الذي أســـس مدرســـة للموسيقى بالأندلس في قرطبة؛ إذ لا يتسنى لباحث أن يحكم بأنهم درســـوها فـــي المسجد، وهم المتدينون المحافظون على دينهم، والذين اتهموا بالزندقة كـــل مـــن شُهر بالفلسفة، وثار عليه الفقهاء و العامة، فأحرقوه، و قتلوه، فلا أخـــالهم ـ وإن عملوا على نشر الموسيقى والعطاء للموسيقى ـ أن يأذنوا بدراستها في المسجد، بل

---

(1) محمد كرد علي: المرجع السابق، ج1، ص 204 .

(2) مصطفى الشريف: المرجع السابق، ص 35.

(3) خوليان ريبيرا: المرجع السابق، ص 145.

(4) مصطفى الشريف: المرجع السابق، ص 29 ــ 30 .

لابد أن تكون مدرستها بقرطبة غير المسجد، وقول المقري لا يناقض ذلك، لأنه نفى وجود المدارس التي يدرس فيها العلم، والموسيقى والفن لا يجلس له المعلم، تحيط به الطلبة، ويُملي عليهم، بل يحتاج إلى عمل من المعلم ومواهب خاصة من الطلبة، وتمرين على النغم، وهو ما لا يجيزه مسلم في داخل بيوت أذن الله أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه[1]، وإنما كان يُدَرَّسُ هذا الفن بالأندلس في دور المبرزين فيه، ومن أمثلة ذلك (دار المدنيات) التي خصها الأمير عبدالرحمن الأوسط بقصر الإمارة للجواري المشرقيات المشهورات بالغناء والموسيقى، كذلك اتخذ زرياب من داره مدرسة لتدريس الموسيقى والغناء أيضاً.

ثانياً/ مراحل التعليم:

لقد قسَّم الأندلسيون مراحل التعليم في بلادهم إلى مرحلتين: مرحلة التعليم الابتدائي، ومرحلة التعليم العالي، وهاتان المرحلتان تمر خلالهما عملية التعليم على النحو التالي:

1/ مرحلة التعليم الابتدائي:

تأتي هذه المرحلة بعد بلوغ الطفل ست سنوات، وتنتهي مع بلوغه سن البلوغ، وقد تستمر أكثر من ذلك حسب استيعاب الصبي لمنهج هذه المرحلة، وكان التعليم الابتدائي في جميع الأمصار الإسلامية يتم في الكُتّاب، حيث يتم تعليم القرآن الكريم قراءةً وكتابةً؛ كي يصلوا إلى تحقيق عدة أهداف أوضحها ابن خلدون بقوله: ((تعليم الولدان القرآن شعار الدين، أخذ به أهل الملة، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم، لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن، وبعض متون الحديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعد من ملكات، وسبب ذلك أنّ التعليم في الصغر أشد رسوخاً، وهو أصل لما بعده؛ لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للمكان، على حسب الأساس وأساليبه يكون حال ما ينبني عليه))[2].

---

(1) نفح الطيب، المصدر السابق، مج3، ص 122 وما بعدها، كذلك مصطفى الشريف: المرجع السابق، ص 28، 29. و خوليان ريبيرا: المرجع السابق، ص 92ـ 98.

(2) ابن خلدون: المصدر السابق، مج1، ص623.

وبهذا يتعلم الصبي نطق العربية الصحيحة؛ لأن القراءات القرآنية أفضل ما ينطق به، ولأنه أيضاً يمد الذاكرة بجمل عربية جيدة الفصاحة، ويتهيأ بها التلميذ لتعلم النحو، فيتخذ من آيات القرآن الشاهد والمثال [1].

ولم يكن المعلمون في الأندلس يقتصرون على تعليم الصبي في هذه المرحلة القرآن الكريم فحسب؛ بل كانوا يخلطون في تعليمه رواية الشعر والعربية وتجويد الخط والكتاب، حتى يكون الصبي الذي ينهي تعليمه قد تعلق بأذيال العلم على الجملة، وبهذا يمكن القول بأنّ التعليم بالأندلس كان أكثر تنظيماً من بقية العالم الإسلامي، أي أن الأندلسيين كانوا يهدفون من تعليمهم في هذه المرحلة إعداد التلاميذ للدراسات اللاحقة [2].

2/ مرحلة التعليم العالي:

تبدأ هذه المرحلة من التعليم بالأندلس بعد انتهاء الصبي من الدراسة الابتدائية، حيث ينتقل بعدها إلى الدراسة الثانية التي يسميها البعض الدراسة العالية، والبعض يقسم المراحل ثلاثاً، ابتدائي وثانوي وعالي، وأوافق رأي أحد الباحثين المحدثين في أن أهل الأندلس لم يعرفوا إلا دراستين ابتدائية وأخرى نسميها كما نشاء ثانوية أو عالية، يدرس فيها الطالب دراسة وافية ومستفيضة[3]، تليها مرحلة الدراسات العليا إذا رحل الطالب إلى المشرق لطلب العلم .

لهذا كان من الصعب على الباحث أن يحدد السن التي يبدأ عندها الطالب في تلقي العلم في المسجد بعد إتمام المرحلة الأولى في الكتّاب بالأندلس؛ لأن ذلك يختلف باختلاف المتعلمين أنفسهم، وعلى ذلك فأيّ تحديدٍ لمدة الدراسة في تلك المرحلة لا يعدو الحدس والتخمين، ولكنها في الغالب تبدأ بعد سن البلوغ أي في الخامسة عشر من عمر الفتيان، ومثل هذا ينطبق على المدة التي كان يقضيها الطالب في تحصيل العلم في هذه المرحلة، كذلك لم تكن هناك مجموعة معينة من المواد ولا وقتٌ محددٌ لبدء العام الدراسي أو انتهائه بها، فهو يبدأ حين يفتتح

---

(1) أرثين باشا: التعليم في مصر، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، (د ، ت)، ص 50.

(2) خوليان ريبيرا: المرجع السابق، ص 34ـ 36.

(3) مصطفى الشريف: المرجع السابق، ص 40. كذلك خوليان ريبيرا: المرجع السابق، ص 44 وما بعدها.

الأستاذ درسه، ويأخذ في تعليم طلابه، ويستمر حتى يستوعب هؤلاء مادته، وعدد السنوات التي تحتاجها الدراسة في هذه المرحلة متروك لاختيار الطالب والوسائل المتاحة له وقدراته الذهنية وإقباله على الدرس[1]، ولم تكن هناك قواعد موضوعة للانتظام في الدراسة، وإنما يرجع ذلك إلى رغبة الطالب نفسه واستعداده الخاص وظروفه، كذلك كانت له الحرية في اختيار دروسه، وفي الحضور إلى الدراسة بالمسجد أو الانقطاع عنها متى شاء، وإذا أنهى الطالب دراسته بهذه المرحلة وأراد الاستزادة من العلم، فعليه أن يقوم بالرحلة إلى المشرق لطلب العلم، وتُعد هذه المرحلة أعلى من السابقة.

ثالثاً/ مواد التعليم ومناهجه :

لقد اختلفت مناهج التعليم في بلاد المسلمين بالمشرق والمغرب، وانفرد أهل كل بلد بطريقته، واعتقدوا صلاحها، وآمنوا بنفعها، وإن كانت كل الطرق تكاد تتفق على جعل القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ منبع التعليم وأُسّه، ولكن طريقة الأندلسيين في قرطبة وغيرها من المدن الأندلسية يبدو أنها أفضل من الطرق المستعملة في المغرب وإفريقية وغيرهما، ذلك أنها جعلت الطفل ينتقل بين العلوم المختلفة، يأخذ من كل علم بطرف تنشيطاً لهمته وقريحته، وتوسيعاً لنطاق فكره وذكائه، ولم تجعل الصبي يقطع كل وقته في حفظ القرآن الكريم وقصر الوقت عليه دون غيره كطريقة أهل المغرب، وهذه المناهج تقسم حسب مراحل التعليم إلى قسمين: منهج ابتدائي وآخر عالي.

1/ المنهج الابتدائي :

تُعَدُّ التربية الخُلُقية المحور الذي تدور حوله برامج التعليم في هذه المرحلة، وقد عكس منهج هذه المرحلة المتمثل في اهتمامه بعلوم الدين من قرآن وعبادات، وحرصه على تقديم الشعر الحامل للقيم الخلقية، وتقديمه سير الصالحين للإقتداء بهم مدى العناية بالجانب الخلقي الذي جاء به الإسلام، ويشمل هذا المنهج الأولي بالأندلس تعليم القرآن الكريم، ورواية الشعر والترسل فيه، وقواعد اللغة

---

(1) خوليان ريبيرا: المرجع السابق، ص 132 ــ 133 .

العربية، ورواية الأخبار، والكتابة، وتجويد الخط، وكذلك الحساب، وتقويم البلدان، وكانت العناية بهذه المواد متكافئة، والرغبة في تحصيلها متماثلة [1] .

وهكذا يُلاحظ أن تعليم القرآن الكريم قراءةً وكتابةً، يجيء في المقدمة، لاعتباره الأول في الأهمية نظراً لما يحققه من أهداف أشار إليها ابن خلدون[2].

وبهذا يتعلم الصبي نطق العربية في دقة؛ لأنّ القراءات القرآنية ـ وإن اختلفت صورها ـ هي أفضل ما يُنطق ويُقرأ في كل العالم الإسلامي، كما يَمُدُّ الذاكرة بجمل عربية جيدة الفصاحة، تهيئ التلميذ لدراسة النحو التي ستجيء فيما بعد، فيتخذ من آيات القرآن الكريم الشاهد والمثال [3]، وبذلك لم يكن معلمو الأندلس يقتصرون على تدريس القرآن الكريم فحسب؛ بل خلطوا في تدريسهم علوماً أخرى، وعند إمعان النظر في منهج التعليم الابتدائي بالأندلس، نجد أنه كان أكثر تنظيماً من بقية العالم الإسلامي، وقد امتدح ابن خلدون هذا المنهج الأولي بالأندلس أثناء حديثه عن اختلاف مذاهب الأمصار الإسلامية في طرق تعليم الولدان القرآن الكريم، وذلك باعتبار ما ينشأ عن ذلك التعليم من الملكات مفضلاً هذا المنهج الابتدائي على غيره من مناهج الأمصار الإسلامية، مبتدئاً بعرض مناهج تلك الأمصار الإسلامية ومنتهياً بتفصيل طريقة المنهج الابتدائي بالأندلس فقال في مقدمته: ((فأما أهل المغرب، فمذهبهم في الولدان الاقتصار على القرآن فقط ، وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله، واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب إلى أن يحدق فيه، أو ينقطع دونه، فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعاً عن العلم بالجملة ......إلى أن يجاوز حد البلوغ إلى الشبيبة، وكذا في الكبير إذا رجع مدارسة القرآن بعد طائفة من عمره، فهم لذلك أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم)) [4].

---

(1) مصطفى الشريف: المرجع السابق، ص 39 .

(2) العبر وديوان المبتدا والخبر: المصدر السابق، مج1، ص 623 .

(3) خوليان ريبيرا: المرجع السابق، ص 35.

(4) ابن خلدون: المصدر السابق، مج 1، ص 623 .

وأما أهل الأندلس، فمذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث هو، وهذا هو الذي يراعونه في التعليم؛ إلاّ أنه لما كان القرآن أصل ذلك وأسّه ومنبع الدين والعلوم، جعلوه أصلاً في التعليم، فلم يقتصروا لذلك عليه فقط؛ بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والترسل وأخذهم بقوانين العربية وحفظها، وتجويد الخط والكتاب، ولا تختص عنايتهم بالتعليم بالقرآن دون هذه؛ بل عنايتهم فيه بالخط أكثر من جميعها، حتى يخرج الولد من البلوغ إلى الشبيبة، وقد أخذ بعض الشيء في العربية والشعر والتبصر فيهما، وبرز في الخط والكتابة، وتعلق بأذيال العلم على الجملة لو كان فيها سنداً لتعليم العلوم، لكنهم ينقطعون عن ذلك لانقطاع سند التعليم في آفاقهم، ولا يحصل بأيديهم إلا ما حصل من ذلك التعليم الأول، وفيه كفاية لمن أرشده الله تعالى واستعداداً إذا وجد المعلم [1].

هذا وقد أشار ابن خلدون أيضاً إلى ما يترتب على هذه الطريقة من حصول الملكة قائلاً: « فأما أهل إفريقية والمغرب، فأفادهم الاقتصار على القرآن القصور عن ملكة اللسان جملة، وذلك أن القرآن لا ينشأ في الغالب عنه ملكة؛ ولما أن البشر مصروفون عن الإتيان بمثله، فهم مصروفون لذلك عن الاستعمال على أساليبه والاحتذاء بها، وليس لهم ملكة في غير أساليبه، فلا يحصل لصاحبه ملكة في اللسان العربي، وحظ الجمود في العبارات، وقلة التعرف في الكلام، وربما كان أهل إفريقية في ذلك أخف من أهل المغرب، لما يخلطون في تعليمهم القرآن بعبارات العلوم في قوانينها كما قلناه، فيقتدرون على شيء من التصرف ومحاذاة المثل بالمثل؛ إلاّ أن ملكتهم في ذلك قاصرة على البلاغة » [2].

« أما أهل الأندلس، فأفادهم التفنن في التعليم وكثرة رواية الشعر والترسل ومدارسة العربية من أول العمر حصول ملكة صاروا بها أعرف في اللسان العربي، وقصروا في سائر العلوم لبعدهم عن مدارسة القرآن والحديث الذي هو

---

(1) ابن خلدون : المصدر السابق، مج1، 624 .

(2) المصدر نفسه، مج1، ص624.

أصل العلوم وأساسها، فكانوا لذلك أهل خط وأدب بارع أو مقصر على حسب ما يكون التعليم الثاني من بعد تعليم الصبا)) (1).

وهكذا يبدو أن المعلمين في الأندلس كانوا يعنون بإعداد التلاميذ للدراسات التالية، وكانت لديهم الجرأة لكي يُدْخلوا شيئاً من التجويد، وحتى انتقدوا في مواراة عادة البدء بتدريس الفقه، ولقد ذهب القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب رحلته إلى طريقة غريبة في وجه التعليم، وأعاد في ذلك وأبدأ، وقدّم تعليم العربية والشعر على سائر العلوم كما هو مذهب أهل الأندلس فقال: ((لأن الشعر ديوان العرب، وتدعوا إلى تقديمه وتقديم العربية في التعليم ضرورة فساد اللُّغة؛ ثم ينتقل منه إلى الحساب فيتمرّنُ فيه حتّى يرى القوانين؛ ثم ينتقل إلى درس القرآن، فإنه يتيسر عليه بهذه المقدمة))، ثم قال: ((ويا غفلة أهل بلادنا في أن يؤخذ الصبي بكتاب الله في أول عمره، يقرأ ما لا يفهم... ثم ينظر في أصول الدين ثم أصول الفقه ثم الجدل ثم الحديث وعلومه))، ونهى مع ذلك أن يُخلط في التعليم عِلْمَان؛ إلاّ أن يكون المتعلم قابلاً لذلك بجودة الفهم والنشاط (2)، وقد نقل ابن خلدون هذه الفقرة وعلّق عليها بقوله: ((وهو لعمري مذهب حسن؛ إلا أن العوائد لا تساعد عليه وهي أملك بالأحوال ووجه ما اختصت به العوائد، من تقدم دراسة القرآن، إيثاراً للتبرك والثواب، وخشية ما يعرض للولد في جنون الصبا من الآفات والقواطع عن العلم؛ فيفوته القرآن، لأنه ما دام في الحجر منقاد للحكم، فإذا تجاوز البلوغ، وانحل من ربقة القهر، فربما عصفت به رياح الشبيبة، فألقته بساحل البطالة، فيغتنمون في زمان الحجر وربقة الحكم تحصيل القرآن؛ لئلا يذهب خلواً منه، ولو حصل التيقن باستمراره في طلب العلم، وقبوله التعليم، لكان هذا المذهب الذي ذكره القاضي أولى مما أخذ به أهل المغرب والمشرق)) (3).

أمّا فيما يتصل بمنهج تدريس الخط في الأندلس، فقد ظلت الأندلس متأخرة قليلاً عن بلاد المشرق الإسلامي، الذي كان يُدَرَّسُ الخط فيه على أنه مادة مستقلة

---

(1) ابن خلدون: المصدر السابق، مج1، ص 624ـ 625 .

(2) المصدر نفسه، مج1، ص 625 .

(3) المصدر نفسه، مج1، ص 625 .

بمعزل عن تعليم الأبجدية في البدء، وكان له معلمون مختصـــون بـــه، يُعلِّمُـــون الصبيان تجويده، وبينهم من يذهب إلى المدرسة ليتعلم الخط بخاصـــة، فيتعلمـــون مبادئه وقواعد رسم كل حرف مستقلٍ، ويتدربون على ذلك بكتابة النصوص، مـــن نماذج أمامهم، ومع تقسيم العمل على هذا النحو أمكن تكوين خطاطين بـــارعين، لأن المدرسين والطلاب في هذه المدارس لم يكن لديهم ما يشغلهم عن الخط [1].

أما المدارس الابتدائية في الأندلس، فكانت تعلم الولدان منذ البـــدء كيـــف يكتبون ويقرأون في الوقت نفسه، فلم يكونوا يتعلمون رسم الحروف مفردة طبقـــاً لقواعد الرسم المعروفة؛ وإنما يسيرون على الطريقة الجميلة، بتدريب الصـــبيان على نسخ الكلمات كاملة بأن يُوضع أمامهم أُنْمُوذَجاً، وهي طريقة تبـــدو بغيضـــة للوهلة الأولى، وأنها أدت إلى نتائج غير طيبة في طريقة الخط في جملتهم، وإلى ذلك أشار ابن خلدون بقوله: « وليس الشأن في تعليم الخط بالأندلس والمغـــرب، كذلك في تعليم كل حرف بانفراده على قوانين يلقيها المعلم للمتعلم؛ وإنمـــا يـــتعلم بمحاكاة الخط من كتابة الكلمات جملة، ويكون ذلك من المتعلم ومطالعة المعلم لـــه إلى أن يحصل له الإجادة في بنائه الملكة فيسمى مُجِيداً » [2]،على حـــين نجـــد أن الذين يفكرون في أن يخصوها بدرس مستقل فيما بعد يهملون كثيراً، ويبقون دون أن يتعلموا، وإذا كانت الأندلس لم تُخَرِّجْ خطاطين ممتازين، فعامة طلابها يكتبون خطاً جيداً، وربما كان هذا سبباً في أن الخط الأندلسي احتفظ بطابعه القديم حتـــى أنهم يقلدونه في شمال إفريقية [3]، كما أن الولدان يستخدمون ألواحـــاً قويـــة مـــن الخشب المصقول يكتبون فوقها بأقلامهم بعد أن يَملوها في الحبـــر، فـــإذا انتهـــى التدريب بلوها بالماء ومحوها، ثم عادوا يكتبون عليها ثانية من جديـــد، وكانـــت النصوص التي تستخدم في الكتابة في الأندلس من القرآن الكريم، ويحفظ الصبيان عادة النصوص الفقهية والرسائل الأدبية وقواعد النحو، وهذه كلها تكـــون مـــادة الدراسة ومنهجها في التعليم الابتدائي في الأندلس [4].

---

(1) ابن خلدون: المصدر السابق، مج1 ، ص 444 ـــ 445 .

(2) المصدر نفسه، مج1، ص 445 .

(3) المصدر نفسه، مج1، ص 448 .

(4) خوليان ريبيرا: المرجع السابق، ص 47 ، 48 .

وهكذا يُلاحظ أن مرحلة التعليم الأولى في الأندلس كانت مرحلـــة عامـــة يتعلم فيها الولدان أساسيات الثقافة الإسلامية من قرآن كريم وقراءة وكتابة وخـــط وشعر، ولا يتلقى الصبي فيها لوناً من التعليم المتخصص، فذلك يأتي في مرحلـــة أخرى تظهر فيها الميول والاتجاهات، كما يُلاحظ أيضاً في هذه المرحلة أن جـــلّ الاهتمام موجه لحفظ الصبيان لكتاب الله؛ لأنّ حفظه كله أو بعضه ضرورة دينيـــة للزومه في الصلاة والعبادات، كذلك لم يُهمل معلمو كتاتيب الأندلس الفنون كما هو شائع، وإنّما ظهر اهتمامهم بالناحية الفنية في هذه المرحلة بتدريس الشـــعر ومـــا يُحَدِثُه ذلك من أثر وجداني وذوقي بأوزانه وقوافيه، وموسيقاه وبتـــدريس الخـــط، وهو فن من الفنون التي تساعد على التربية الجمالية، كمـــا لـــم يشـــمل المـــنهج الابتدائي هذا في الأندلس مواداً فنية أخـــرى كالرســـم والأشـــغال اليدويـــة؛ لأن المسلمين حَرَّمُوا تصوير ذي الروح لما فيه من تشبُّه بالوثنية، ولم تُدَرَّس التربيـــة الرياضية أيضاً في كتاتيب الأندلس، وربما كان ذلك بسبب طبيعة معلم الكتّـــاب، فهو مقرئ ينحصر عمله في تحفيظ القرآن الكريم للولدان, وأيضاً لطبيعة الكتّـــاب التي لم تكن تسمح بممارسة أي لون من ألـــوان الرياضـــة، كـــذلك لـــم تُعـــرف الامتحانات في كتاتيب الأندلس بهذه المرحلة بشكلها المعروف لدينا الآن، وإنمـــا كان المعلمون في الكتاتيب أحراراً في تقرير الطريقة التي يتأكدون بها من تعلـــم الصبي.

هذا، ويمتاز هذا المنهج باتجاهه الديني وعنايته بالتربية الخلقية المتمثلة في حفظ القرآن الكريم، والحديث، وغيره، والنفعية والجمالية المتمثلة في اللغة والشعر والخط، وهذا المنهج يُعَدُّ عامّاً في جميع الأقطار الإسلامية من حيث الاتفاق على دراسة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ولكنه يختلف بحسب ما يضـــاف إليه من مواد تختلف باختلاف البيئات الإسلامية كما مرّ عرضه، وذلـــك بصـــفة عامة .

2/ منهج التعليم العالي:

في مستهل الحديث عن منهج التعليم العالي في الأندلس أودُّ أن أشير إلى أنّه لم تكن هناك خطط رسمية تُحَدِّدُ المناهج والوسائل؛ بل كان الطالـــب يحضـــر

المواد التي تعجبه وعلى الأستاذ الذي يطمئن إليه، ويقرأ في الكتَّاب الذي يراه مفيداً، ويتعمق في درسه بقدر ما يسمح له ذكاؤه، ويستقصي أطرافه بقدر ما تُعينه إمكاناته ووسائله المتاحة له، ومن السهل إذاً أن يدرك الباحث الصعوبة التي تعرض له عندما يحاول أنْ يحدد على نحو دقيق متى يبدأ التعليم العالي؟ وأين ينتهي؟ ومعها يمكن القول: أنّ استخدام هذا المصطلح بدأ دون حاجة إلى ذلك فيما بعد، ولذا يمكن أن نقول: إنّ التعليم العالي بالأندلس هو كل ما تجاوز المواد المقرر دراستها في التعليم الابتدائي، وهي مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم وإنشاد الشعر وحفظه دون فهم في أغلب الأحوال ومبادئ النحو، وليس من الممكن كذلك تحديد أيّ المواد التي كان يبدأ طلاب التعليم العالي دراستها؛ لأن المواد ليست منفردة، وقد يجمع الطالب أحياناً في الوقت نفسه بين دراسات متنوعة في أكثر من مادة؛ كأن يدرس القرآن والحساب مثلاً، أو المنطق والطب وغيره من العلوم الطبيعية، ولكن الدراسات الدينية كان لها السبق، ولعل كثيرين من الطلاب كانوا يتوقفون عندها أوقبلها، ومعها تجيء دراسة النحو، أعني التعمق فيه؛ لكي يستطيع الطالب أن يفهم الكتب التي حُرِّرَتْ باللغة العربية في المواد الأخرى[1] .

وقد أوضح المقري العلوم والدراسات التي اهتم بها المسلمون في الأندلس فقال: ((وقراءة القرآن بالسبع، ورواية الحديث عندهم رفيعة، وللغة رونق ووجاهة، وعلم الأصول عندهم متوسط الحال والنحو عندهم في نهاية من علوم الطبقة، وهم كثيرو البحث فيه وحفظ مذاهبه كمذاهب الفقه، وعلم الأدب أنبل علم عندهم، والشعر عندهم له حظ عظيم))[2]، ومن هذا النص يتضح أن المسلمين في الأندلس كانوا يعنون كل العناية بالثقافة العالية، ويشجعون الطلبة على التعمق في البحث وقراءة القرآن بالسبع روايات، ورواية الحديث، ودراسة الفقه، والنحو واللغة، والأصول، والأدب، والشعر، وهي كلها دراسات دينية أدبية ترفع صاحبها، وتجعل له منزلة سامية بين أهل الأندلس.

---

(1) خوليان ريبيرا: المرجع السابق، ص 41 .

(2) المقري: المصدر السابق، مج1، ص 220 ـ222.

وعلى كل حال، فإن الطالب كان يدرس في مرحلة التعليم العالي دراسة واسعة للعلوم المختلفة التي تمثل منهج التعليم العالي، وهذه العلوم تشمل العلوم الشرعية من تفسير وفقه وحديث وقراءات وغيرها، وقد عنى الأندلسيون بهذه العلوم الشرعية، وبذلوا في دراستها مجهوداً كبيراً حتى وصلوا فيها إلى درجة عالية؛ لأنّ منبعها الصافي وموردها العذب ومنهلها السلسبيل القرآن الكريم، وهم لا يعدلون بالقرآن شيئاً احتراماً وتقديراً له، فقد بهرهم أسلوبه وملكهم بيانه، وحكَمَهُمْ تشريعه، وذلك يرجع إلى ما يتمتع به علماء الشريعة بالأندلس من تعظيم الحكام لهم حتى أصبحت لهم في الأندلس الكلمة العليا والرأي النافذ والحرية المطلقة، كما شمل منهج التعليم العالي أيضاً العلوم اللسانية من نحو ومعاجم وأدب بنوعيه وبلاغة وغيرها، وقد أعطت التربية الإسلامية بالأندلس لهذه العلوم اللغوية والأدبية قسطاً لا بأس به من العناية والتقدير؛ لأنها في جملتها تتصل بالدين؛ إذ تُمهد الطرق لفهم القرآن الكريم وتبيان ما به من عظمة وعبرة، كما تمهد السبيل لمعرفة أسرار الحديث وما فيه من إرشاد وهدى إلى جانب رغبة الأندلسيين في أن يتفوقوا على العباسيين في بغداد، وبها بحور العلم زاخرة، ومناهل المعرفة متدفقة، كذلك شمل هذا المنهج أيضاً العلوم الدخيلة من علوم طبيعية وفلسفة وموسيقى وتاريخ وجغرافية[1] .

وعندما يمعن الباحث النظر في منهج التعليم العالي بالأندلس، يجد أن الغرض من دراسة هذا المنهج عندهم إعداد رجال أكفاء نابهين في مختلف العلوم، يستطيعون القيام بالواجب الملقى على عاتقهم نحو دينهم، الذي قامت عليه دولتهم ووطنهم الناهض الذي يتطلب منهم تظافر القوى، وحزم الأمر، ومواصلة السعي، والإقبال على العلم بحثاً، وفهماً، وتمحيصاً، واستيعاباً، حتى يتمكنوا من أداء ما يوكل إليهم من عمل، فيتكون عندهم المعلم الماهر، الذي يقوى على القيام بأعباء التعليم، وأن يؤهل الموظف الأمين الذي يتولى مناصب الدولة، وينهض بعمله على

---

(1) مصطفى الشريف: المرجع السابق، ص 44ــ 45. كذلك خوليان ريبيرا: المرجع السابق، ص 42 وما بعدها. وأحمد أمين: ظهر الإسلام، المرجع السابق، ج3، ص48 وما بعدها. ومحمد عطية الأبرشي: المرجع السابق، ص 165ــ 166.

أكمل وجه من حجابة، ووزارة، وكتابة، وقضــاء، وقيــادة، وطــب، وهندســة، وغيرها، مما كان لا يتولاها إلا كل حاذق نابهٍ، حادّ الذهن، قوي البصيرة، ماضي العزيمة عالي الثقافة[1].

وبمناسبة الحديث عن المنهج العالي أود أن أشير إلى عدة ملاحظات حول هذا المنهج وفي مقدمتها: وجود مناهج مشتركة بين جميع المناهج التــي ســبقت جميع أنواع الدراسات المتخصّصة، وهي علوم الدين واللغة، وكان علــى جميــع الطلاب دراستها، كذلك لم تعرف مناهج التعليم العالي التخصّص الضيق للعلــوم؛ بل كان المنهج يمتاز بالتوسع في معرفة كثير من العلوم والمواد الإنسانية، كمــا كان الطلبة الذين يدرسون المنهج الديني الأدبي أكثر من أولئك الــذين يدرســون المنهج العلمي الطبيعي، مما يدل على سيطرة العلوم النقلية إلى حد مــا آنــذاك ، وربما كان ذلك بسبب أن الفقه كان يؤهل صاحبه لتولي منصب يتكسب به، وأيضاً لكراهية علماء المسلمين من الفقهاء للفلسفة، بدعوى أنها تثير الشكوك في النفس، كما كانت هناك ظاهرة يجدر الإشارة إليها وهي استقلالية الأســتاذ وقيمتــه فــي التعليم وشهرته التي كانت تفوق شهرة المسجد أو المكان الذي يدرس فيه، فقد كان المعلم في الأندلس هو عماد الحركة العلمية، فأينما وجد المعلم وجد التعليم، وقــد كان حراً، يُدَرِّسُ ما يشاء من علوم دون أن يتقيد بمنهج خاص تفرضــه الســلطة الحاكمة، كما لم تكن هناك درجات علمية تمنحها جهة مسؤولة لمن أتمّ تعليمه في هذه المرحلة، وإنما كانت هناك إجازات شفهية وكتابية يحصل عليها الطالب مــن شيوخه الذين درس عليهم، وتلقى عنهم، بعد أن يقتنع الشيخ بصــلاح المســتجيز لرواية الحديث أو الإفتاء أو تدريس كتاب معين مثلاً، كذلك لم يكن هناك مــنهج محدد في هذه المرحلة على الطالب أن يدرسه، بل تمتع الطالب بحرية في اختيار المواد التي يرغب في تعلمها والشيوخ الذين يدرس عليهم، فنمــت تبعــاً لــذلك مسؤولية الفرد نحو نفسه؛ إذ كان عليه أن ينمي نفسه بنفسه بالاغتراف من مناهل العلم بقدر ماتطيقه إمكانياته، ويتوفر له من علوم، وعندما نستعرض هذا المــنهج نلاحظ أنه عُني بالدراسات الدينية، ثم الميل إلى دراسة الأدب والعلوم اللسانية، ثم

---

(1) مصطفى الشريف: المرجع السابق، ص 41، 42 .

الميل إلى الدراسات العلمية، فكان الغرض من التربية الإسلامية بالأندلس وجدانياً قبل أن يكون عقلياً.

المبحث الثاني: الرحلة الأندلسية في طلب العلم، وبواكير علماء القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي الذين رحلوا إلى المشرق العربي الإسلامي:

أولاً: الرحلة الأندلسية إلى المشرق العربي الإسلامي لطلب العلم:

من وسائل التعليم المعروفة في الإسلام الرحلة في طلب العلم من أساتذته المشهورين، وخاصة في مرحلة التعليم العالي التي امتازت بها التربية الإسلامية، والمقصود بالرحلة هنا: أن ينتقل الطالب من بلد لآخر لتلقي العلم مباشــرة مــن أساتذته الكبار.

وقد تستغرق الرحلة أحياناً عدة سنوات، يتنقل فيها الطالب بــين المــدن الإسلامية المختلفة ليأخذ العلم من منابعه الأولى[1]، الأمر الذي أدى إلى ســرعة انتقال العلوم والمؤلفات في أرجاء العالم الإسلامي من مكان إلى آخر، وسبب ذلك يرجع إلى أن الإسلام حضّ على طلب العلم ولو كان في أقصى الــدنيا[2]، لهــذا استجاب الطلاب المسلمون لهذه الدعوة، وهبُّوا راحلين في طلبه، في عهــد كــان السفر فيه شاقاً والرحلات مجهدة، إذ لم تكن هناك طرق معبدة، ولا قوافل منظمة؛ ولكن الطلاب لم يأبهوا بعناء السفر، ولم يخشوا مخاطره؛ بــل خرجــوا فــرادى وجماعات، يسعون في عزم قوي ومثابرة فائقة، حيث تغلغل في نفوسهم اعتقاد أن طلب العلم جهاد، فمن مات في سبيله مات شهيداً، كما أصبح العلم عندهم مقصوداً لذاته، يُرغب فيه لذاته سواء أنتج غنىً أو فقراً، وحياةً أو موتاً، لا وسيلة لتحقيــق مأرب من مآرب الدنيا [3].

وقد أشار ابن خلدون إلى أهمية الرحلة في طلــب العلــم، إذ قــال: ((والرحلة لابد منها في طلب العلم، لاكتشاف الفوائد والكمــال بلقــاء المشــايخ، ومباشرة الرجال)) [4]، وزاد وأفاض في فائدة الرحلات العلمية بقوله: ((والســبب

---

(1) محمد عطية الأبراشي: المرجع السابق، ص 199 .

(2) خوليان ريبيرا: المرجع السابق، ص 102 .

(3) أحمد أمين: ضحى الإسلام، المرجع السابق، ج2، ص 72.

(4) ابن خلدون: المصدر السابق، مج1، ص 627.

في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما يتحلـــون بـــه مـــن المـــذاهب والفضائل تارة علماً وتعليماً وإلقاءً، وتارة محاكاة وتلقيناً بالمباشرة؛ إلاّ أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاماً وأقوى رسوخاً، فعلـــى قـــدر كثـــرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها والاصطلاحات أيضا في تعلـــيم العلـــوم مختلطة على المتعلم، حتى لقد يظن كثير منهم أنها جزء من العلم، ولا يدفع عنـــه ذلك إلا مباشرته لاختلاف الطرق فيها من المعلمين، فلقاء أهـــل العلـــوم وتعـــدد المشائخ يفيده تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها)) [1].

والمتتبع لتاريخ الرحلات العلمية يُدرك أنها ابتدأت منذ الجيل الإســـلامي الأول، وقد دعت الضرورة إلى أن يبتدئ هكذا مبكراً، فقد تفرق الصـــحابة فـــي الأقطار المفتوحة عقب فتحها؛ ليعلموا الناس فيها أحكام دينهم، وعليه أقاموا بهـــا مراكز علمية، ولمّا جاء الجيل الثاني خلال القـــرن الثـــاني الهجـــري/ الثـــامن الميلادي، استمرت الرحلة في طلب العلم مع اختلافٍ في الاتجاهات والميول [2]، ويطول الشرح لو حاولنا أن نَعْرُض هنا للرحلة من أجل طلب العلم فـــي العـــالم الإسلامي كله، ولكن الذي يعنيني هنا هو الرحلة الأندلسية إلى المشرق الإسلامي.

استمرت رحلة طلبة الأندلس إلى المشرق من أجل العلم حتى صارت من دعائم التربية الإسلامية بالأندلس، وأصبحت قيمة الطالب في نظر النـــاس بشـــبه الجزيرة تتناسب مع ما قام به من رحلات لطلب العلم، ومع العلماء الـــذين تلقـــى منهم، وكل هذه الظروف شجعت الطالب أو دفعته ليتلقـــى العلـــم مـــن أي بقـــاع الأرض شاء، ولم تكن هذه الحماسة مقصورة على طلاب العلوم الدينية فقط، بـــل شملت أيضاً طلاب الدراسات اللغوية والفلسفية والطبيعية، وقد استفاد الطلبة مـــن السفر وزيارة البلاد المختلفة والاتصال بالأئمة والعلماء والأدباء والفضلاء كثيـــراً من التجارب العلمية المتعددة وطلعوا على الآراء العلمية القيمة.

---

(1) ابن خلدون: المصدر السابق، مج1، ص 493. كذلك حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار العلوم الحديثة، بيروت،(د. ت)، ج1، ص42ـــ 43.

(2) أحمد أمين : ضحى الإسلام، المرجع السابق، ج2، ص 69 .

هذا، وقد روت بعض المصادر العربية أن أعداداً كثيرة من طلاب الأندلس ارتحلوا وطافوا في أرجاء الدولة العربية الإسلامية؛ ليأخذوا العلم عن رجاله وشيوخه، فلا يزال يُقرأ في تراجم علماء الأندلس في القرن الثاني والثالث والرابع وغيره بالأندلس أمثال هذه العبارات "طوف البلاد" و"كان رحالا" و"رحل في طلب العلم" و"طاف الدنيا شرقاً وغرباً" و" رحل إلى المشرق حاجاً وطالباً"[(1)].

وكانت الرحلة إلى المشرق تأتي بعد إتمام الطالب دراسته في مرحلة التعليم العالي بالأندلس، وذلك لحضور دروس الأساتذة المشهورين بالمشرق الإسلامي الذين يتحدث عنهم الجميع، وتبلغ شهرتهم الخافقين، ويظل الطلاب الأندلسيون بالمشرق يدرسون هناك عامين أو ثلاثة أو عشرة أعوام أو أكثر، وقد تتكرر الرحلة أكثر من مرة أيضاً، وذلك رغبة في أن يتعمق الطلاب في دراستهم، ويصححوا معارفهم[(2)]، وينشروا ما تعلموا بين أهليهم بعد عودتهم من تلك الرحلات العلمية التي لم تكن قاصرة على المشرق فقط؛ بل رحل طلاب العلم بالأندلس أيضاً إلى المغرب وغيرها من المراكز الثقافية الأخرى بالعالم الإسلامي.

وتروي بعض المصادر العربية روايات عدة تدل على كثرة الراحلين في طلب العلم من الأندلس إلى المشرق بصورة فاقت فيها الأندلس غيرها من الأقطار الإسلامية الأخرى، والتي سأتحدث عنها في هذا الفصل استهلالاً بعلماء القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، وسأُكْمِلُ الحديث عنهم في الفصلين اللاحقين أي الثالث والرابع من الدراسة.

لقد كانت الرحلة الأب الشرعي للجغرافيا، كما قدمت إسهامات هامة في نشأة وتطور علوم إنسانية واجتماعية أخرى، غير أن أهم مساهمات الرحلة جاءت من خلال طرح معرفة الإنسان بالإنسان، وذلك أن الرحلة تكشف عن حال يتعرف فيها الإنسان بالآخر، ويصبح أكثر استعداداً للاعتراف بالآخر والتعاون معه[(3)].

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق. كذلك الحميري: المصدر السابق. والضبي: المصدر السابق، وابن بشكوال: الصلة وابن الأبار: المعجم . في عدد كثير من الصفحات.

(2) خوليان ريبيرا: المرجع السابق، ص 131 ــ 133.

(3) قاسم عبدة قاسم: "رحلتان أندلسيتان إلى القاهرة"، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، 1993، 1994م، مج 26، ص 105.

وهناك أسباب أخرى للرحلة عند المسلمين، بعضها شخصي وبعضها كانت سفارات بتكليف من أولي الأمر، لسبب أو لآخر، على أن ما يلفت النظر في تاريخ الرحلة الإسلامية، هو أن طابع المبادرة الشخصية كان العامل الحاسم في غالبية هذه الرحلات، ولم تقم الدولة بتمويل هذه الرحلات سوى في أضيق نطاق عندما يكون من يقوم بها من المكلفين بسفارة أو مهمة رسمية لحساب الدولة[1].

كان التجوال في سبيل الدراسة والعلم أمر اً شائعاً بين طلاب العلم في الأندلس، مثلما كان شائعاً بين طلاب المشرق والمغرب في العصور الوسطى، فقد كان الحرص على لقاء الشيوخ والأساتذة المشهورين هو الغرض الأول من الرحلة في طلب العلم، وتحتل فكرة ضرورة الأخذ عن الشيخ مباشرة والجلوس إليه أهمية كبرى في التعليم في تلك الفترة، فلم يكن يكفي الطالب قراءة مصنفات الأستاذ وحده، وإنما كان لابد أن يقرأها عليه، أو يسمعها منه حتى يعتبر ثقة في مادته، وحجة في علمه، وبدون ذلك لا تصح روايته ولا يُوثَقْ بقوله[2].

كما كان الاهتمام بالرحلة في طلب العلم ضرباً من ضروب التحقيق العلمي، فلم يظهر كتاب لإمام في فنه إلاّ سارع إليه طلاب العلم ليقرئونه عليه بغية الانتماء، وتحقيق إسناده إليه، ونسبته له، وليتمكن طلاب العلم أيضاً من الاستفادة بتمييز الاصطلاحات بعد لقاء العديد من شيوخ العلم لما يراه من اختلاف طرقهم في البلاد المختلفة التي يرحل إليها [3].

ثانياً/ بواكير علماء القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي الذين رحلوا إلى المشرق الإسلامي:

1/ إبراهيم بن لبيب:

هو أبو إسحاق القرطبي، المعروف بابن الحائك، أخذ العلم أول أمره بالأندلس على يد فقهاء المالكية منهم: يحيى بن يحيى، وسعيد بن حسان، وعبدالملك ابن حبيب، وروى عنهم، ثم رحل إلى المشرق لاستكمال تعليمه،

---

(1) قاسم عبدة قاسم: المرجع السابق، ص 105 ــ 108 .

(2) محمد عبدالرحيم غنيمة: تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى، دار المعارف، القاهرة، 1989م، ص 215. كذلك محمد عادل عبد العزيز: التربية الإسلامية في المغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،1987م، ص 30.

(3) ابن خلدون: المصدر السابق، مج1، ص 627. بتصرف.

وهناك لقي القعنبي عبدالله بن مسلمة[*]، وغيره، وعندما عاد ظل يروي ما تعلمه فصار له

تلاميذ منهم: عبدالله بن يونس، ومحمد بن قاسم، توفي سنة 178هـ/794م [1].

2/ جودي بن عثمان:

هو عالم العربية والنحو الطليطلي جودي بن عثمان العبسـي المـوروي، ارتحل من طليطلة إلى قرطبة، وسكنها، ودرس بها العربية والنحو، ثم رحل إلى العراق ودخل بغداد وهناك أكمل تعليمه علـى يـد الرياشـي[**] والفـرّاء[***] و الكسائي[****]، حيث أدخل كتابه في النحو إلى الأندلس.

تصدر بالأندلس لتعليم النحو واللغة العربية، وأدب بها أولاد الأمراء، كما تولى القضاء بمدينة إلبيرة.

وفي السنة التي توفي فيها ألّف كتاباً في النحو سنة 198هـ/813م سـماه" منبه الحجارة"، توفي سنة 198هـ/ 813م[2] .

3/ حسان بن عبدالسلام السلمي:

من أهل سرقسطة، كان أسن من أخيه حفـص، وكـان رجـلاً فاضـلاً، وصاحب علم وتدين، رحل مع أخيه حفص إلى المشرق العربي الإسلامي، وفـي

(*) هو قعنب العدوي البصري المقرئ، كان إماماً في العربية، وله قراءة شاذة، مات في حدود 160هـ/776م. يُنظر السيوطي: بغية الوعاة، المصدر السابق، ج2، ص 265.

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 18.

(**) هو العباس بن الفرج، أبو الفضل، سمي بالرياشي لأن أباه كان عند رجل يقال له الرياش، فبقي عليه نسبه، من كبار النحاة وأهل اللغة، راوية للشعر، مات مقتولاً في واقعة الزنج بالبصرة سنة 257هـ/870م. للمزيد ينظر ياقوت الحموي: معجم الأدباء، المصدر السابق، ج 3، ص 442ـ 443.

(***) هو يحيى بن زياد بن عبدالله بن مروان الديلمي،إمام العربية، قيل له الفراء لأنه كان يفري الكلام، كان أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائي، مات بطريق مكة، سنة 207هـ/822م عن سبع وستين سنة. للمزيد ينظر السيوطي: بغية الوعاة، المصدر السابق، ج2، ص 333.

(****) هو علي بن حمزة بن عبدالله بن عثمان الكسائي، أحد الأئمة والقراء وعالم النحو واللغة، تعلم النحو على كبر، استوطن بغداد، وكان مؤدباً لأولاد الرشيد، توفي بالري وقيل بزنبويه سنة 187هـ أو 189هـ . للمزيد ينظر ياقوت الحموي: معجم الأدباء، المصدر السابق، ج4، ص87ـ 105. كذلك الذهبي: معرفة القراء الكبار، المصدر السابق، ص 72ـ 76.

(2) السيوطي: بغية الوعاة، المصدر السابق، ج1، ص 490. كذلك القفطي: أنباه الرواة على أنباه النحاة، (تح) محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1968م، ج1، ص 306ـ 307.

مكة لقي مالك بن أنس، وسمع منه وروى عنه الموطأ [1]، لهذا يعتبر من الرعيل الأول الذين كان لهم الفضل الكبير في نشر مذهب مالك بالأندلس.

4/ حفص بن عبدالسلام السلمي:

هو أبو عمر السرقسطي، أحد علماء المذهب المالكي ، الذين أخذوا علمهم على يد مالك بمكة.

كانت رحلته إلى المشرق العربي الإسلامي هذه مع أخيه حسان، وهي الرحلة التي لقيا فيها بمكة معاً الإمام مالك بن أنس، وأخذا فيها عنه علمه، وقد بقي فيها حفص ملازماً لمالك مدة سبع سنوات يقرأ على الإمام، حتى أن صار مالك يدني منزلته.

وعندما عاد حفص إلى الأندلس في عهد الأمير الحكم بن هشام، ولاه الأمير الصلاة في شهر رمضان.

كانت وفاة حفص حوالي سنة 200هـ/815م[2]

5/ سعيد بن عبدوس:

الفقيه المالكي، الطليطلي الأصل، عُرف بالجُدَيّ، تصغير الجدي، أخذ العلم في صباه على يد والده الذي يقال إنّه كان من موالي الأمير هشام بن عبدالرحمن عتاقة.

رحل سعيد إلى المشرق الإسلامي، فلقي بالمدينة المنورة مالك بن أنس، وسمع منه، وروى عنه، وعندما رجع إلى الأندلس صار من فقهاء المالكية، وتقلد بفضل علمه منصب الإفتاء بطليطلة، توفي سعيد سنة 180هـ/796م[3].

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 101. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص195. والضبي: المصدر السابق، ص 270.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 103. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص197. والضبي: المصدر السابق، ص 272.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 137. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص232. والضبي، المصدر السابق، ص 311

6/سعيد بن أبي هند:

يكنى أبا عثمان، أصله من طليطلة، ثم سكن قرطبة بعد رحلته إلى المشرق العربي الإسلامي التي أخذ فيها عن مالك بن أنس الفقه، والتي لقبه فيها مالك بالحكيم[1]، وقد اختلف المؤرخون في اسمه فقيل: هو عبدالوهاب [2]، وأن اسم ابن أبي هند هو سعيد[3]، وقيل أيضاً في اسمه: إنه عبدالرحمن بن أبي هند الأصبحي، يُكنى أبا هند [4] .

وكان ابن أبي هند يُجِلُّ مالكاً، ويهابه، ويعظم قدره، كما كان مالك كثير السؤال عنه عند أهل الأندلس القادمين إلى المدينة، فكان يقول لهم: ما فعل حكيمكم ابن أبي هند؟

سمع من ابن أبي هند الفقيه يحي بن يحي، والفقيه المصري عبدالله بن وهب بعض علمه عن مالك بن أنس [5] .

اختلف المؤرخون في تاريخ وفاته، فقيل: في صدر أيام الأمير عبدالرحمن الداخل قبل وفاة مالك بن أنس بثلاثين عاماً [6]، وقيل أيضاً: في عهد الأمير هشام بن عبدالرحمن بن معاوية [7]، أو في سنة 200هـ/815م [8] .

7/أبو عبدالله صعصعة بن سلام:

أصله من دمشق بالشام [9]، دخل الأندلس في أيام عبدالرحمن الداخل سنة 150هـ/767م [10] ، وكان يروي عن عبدالرحمن الأوزاعي وعن الفقيه سعيد بن عبدالعزيز ونظرائهما من الشام [1] .

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص211. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 235. والضبي: المصدر السابق، ص 314.

(2) الضبي: المصدر السابق، ص314.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 136.

(4) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 211. كذلك القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 203.

(5) القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 203.

(6) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 211. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص 314.

(7) القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 203.

(8) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 211. كذلك القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 203.

(9) الحميدي: المصدر السابق، ص 244. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص 324.

(10) حسان حلاق: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، المرجع السابق، ص281.

يعتبر صعصعة أول من أدخل مذهب الأوزاعي والحديث للأندلس[2]، حيث روى عنه من أهل الأندلس عبدالملك بن حبيب، وعثمان بن أيوب، وغيرهما[3].

وأصبح بفضل علمه مفتي البلاد في عهد عبدالرحمن الداخل، وصدراً من أيام ابنه هشام، كما تولى الصلاة بقرطبة قبل مصعب بن عمران، كما كان مصعب يشاوره في أمور القضاء [4].

توفي صعصعة بن سلام سنة 180هـ/ 796م، أو سنة 192هـ/807م [5].

8/طالوت بن عبد الجبار المعافري:

هو العالم القرطبي طالوت بن عبدالجبار بن محمد بن أيوب بن سليمان بن صالح بن السمح المعافري، تعلم بقرطبة، ثم رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج، وهناك بالمدينة التقى بالإمام مالك بن أنس، فتفقه على يديه وعلى نظرائه المدنيين، ثم عاد إلى الأندلس، وأخذ يروى بها عن مالك، وإليه ينسب المسجد والحفرة اللتين بقرطبة، وحيث كان مسكنه بقرب المقبرة المنسوبة إليه، والتي بها مسجده [6].

كان طالوت ممن خرج على الحكم بن هشام مع أصحابه في شقندة يريد خلعه، وإقامة أخيه المنذر، حيث زحفوا إلى قصر الأمير الحكم بقرطبة، فحاربهم الحكم، وقتل منهم عدداً كبيراً، فهرب طالوت، واستتر مدة عند يهودي، ثم ترامى له على صديقه ابن بسام الكاتب وزير الأمير الحكم، ليأخذ له الأمان من الأمير، غير أن ابن بسام الوزير، وشى به إلى الحكم، وأحضره إليه، فعنفه ووبخه، لكن الأمير عفا عنه آخر الأمر، وانقلب السحر على الساحر، وصارت النقمة على

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 168.

(2) الحميدي: المصدر السابق، ص 244. كذلك ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 169. والضبي: المصدر السابق، ص 324.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 168.

(4) النُباهي: المصدر السابق، ص 47.

(5) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص168. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص244. والضبي: المصدر السابق، ص324. واليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، (تح) خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ج1، ص331.

(6) ابن الأبّار: المصدر السابق، ج1، ص 276.

الوزير ابن بسام، الذي عُزل عن منصبه، وكتب له الأمير عهداً أن لا يخدمه أبداً، فعاش ابن بسام بعدها في فاقة وذل، أما طالوت فلم يزل مُقرّباً من الأمير حتى توفي بعد مدة، وحضر الأمير الحكم جنازته، وأثنى عليه في صدقه [1] .

11/ عبدالرحمن بن دينار:

هو عبدالرحمن بن دينار بن واقد ورجا بن عامر بن مالك الغافقي، يكنى أبا زيد، وأبا أمية، ولد سنة 160هـ/776م بطليطلة، ثم رحل منها واستوطن قرطبة، وبنو دينار معروفون بالعلم.

بدأ دراسته بقرطبة على يدي محمد بن يحيى السبائي أحد رواة الإمام مالك بن أنس[2]، ثم رحل إلى المشرق العربي الإسلامي رحلات عدة لاستكمال تعليمه، وهناك أخذ علمه على يدي بعض شيوخ المالكية منهم محمد بن إبراهيم بن دينار الجُهيني المدني بالمدينة[*]، وفي مصر على يدي عبدالرحمن بن القاسم، الذي عرض عليه مدونة سحنون، وضمنها عنده أشياءَ من رأيه.

وعاد إلى الأندلس بعد أن صار من العلماء الكبار في فقه المالكية، فأدخل معه الكتب المعروفة بالمدينة، فسمعها منه أخوه عيسى، الذي خرج بها فيما بعد وعرضها على ابن القاسم، وزاد هو أيضاً فضمنها أشياءَ من رأيه.

توفي عبدالرحمن بن دينار يوم الجمعة 7 المحرم سنة 201هـ/816م[3].

13/عبدالرحمن بن موسى الهواري:

يكنى أبا موسى، وهو من أهل أستجة، رحل إلى المشرق العربي الإسلامي زمن عبدالرحمن بن معاوية، فالتقى مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، ونظرائهما من الأئمة، والأصمعي، وأبا زيد وغيرهما من رواة الغريب، ودلخل

---

(1) ابن القوطية: المصدر السابق، ص 103 ــ 105. كذلك القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 293ــ 294. وابن الأبّار: المصدر السابق، ج1، ص 276. والمقري: المصدر السابق، مج3، ص 394.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 294.

(*) أصله من المدينة، كان هو والمغيرة أفقه أهل المدينة زمان مالك بن أنس، اشتهر بالحديث، أخرج عنه البخاري في مسنده، توفي سنة 182هـ/798م. القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 163ــ 164.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 211. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 272. والقاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص372. والضبي: المصدر السابق، ص 363. وابن فرحون: المصدر السابق، ص 243.

العرب وتردد في محالِّهم، فنبغ في علم النحو والعربية والفقه، والتفسير والقراءات[1].

وعندما رجع إلى الأندلس غرق مركبه في بحر تُدمير فذهبت كتبه فيه، وسكن بعد عودته من رحلته في قرية مَوْرُور[*]، ثم انتقل إلى أستجة فسكنها وتولى القضاء بها في عهد الأمير عبدالرحمن بن الحكم [2] .

كان عبدالرحمن كثير التردد على قرطبة، وقد قيل عنه أنه إذا حل بقرطبة لم يعد يُفتي بها أحد من أئمة المالكية لا عيسى بن دينار، ولا يحيى بن يحيى، ولا سعيد بن حسان حتى يرحل عنها ، توقيراً له [3] .

ألَّف في تفسير القرآن كتاباً رواه عنه محمد بن أحمد العتبي، ومُسيب بن سليمان الأستجي، كما روى عنه أيضاً من أهل الأندلس أصبغ بن خليل [4] .

لم أجد لهذا العالم تاريخ وفاة؛ بل إشارة من قبل الحميدي والضبي بأنه توفي قديماً [5] .

14/ الغازي بن قيس [6]:

من أهل قرطبة، يكنى أبا محمد، كان إمام القُرّاء بقرطبة، وعالماً بالعربية والمسائل، أديباً ديِّناً ثقة مأموناً، يروي حديثاً كثيراً، كثير الصلاة بالليل، وقد اشتغل مؤدباً في قرطبة قبل رحلته إلى المشرق [7].

---

(1) ابن فرحون: المصدر السابق، ص 243. كذلك ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 212.

(*) كورة مورور متصلة بقرمون، تقع شرقي غرب قرطبة، كانت جبايتها في عهد الحكم بن هشام 21000 دينار. الحميري: المصدر السابق، ص 188.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 212.

(3) ابن القوطية: المصدر السابق، ص 93.

(4) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 212.

(5) الحميدي: المصدر السابق، ص 278. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص 370.

(6) الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م، ص 276ـ 278. كذلك ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 272. كذلك والقاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 199ـ 200. و ابن فرحون: المصدر السابق، ص 314. والسيوطي: معجم الأدباء، المصدر السابق، ج2، ص 240 . أما الحميدي: المصدر السابق، ص324. والضبي المصدر السابق، ص 439. فقد جاء اسمه فيهما على هذه الهيئة : الغاز بن قيس.

(7) القاضي عياض: المصدر السابق، ص199ـ 200. كذلك ابن فرحون: المصدر السابق، ص 314.

رحل في صدر أيام الإمام عبدالرحمن بن معاوية، ودخل المدينة المنورة فسمع من مالك بن أنس الموطأ، كما سمع محمد بن عبدالرحمن بن أبي ذئب، وعبدالملك بن جريج، والأوزاعي، وثور بن يزيد، ومحمد بن وردان، وغيرهم، وقرأ القرآن على نافع بن أبي نعيم قارئ أهل المدينة، كما كانت له رحلة إلى البصرة لقي فيها الأصمعي، وأخذ عنه علمه، ثم رجع إلى الأندلس فدخل قرطبة، وأخذ في نشر علومه بين تلاميذ الأندلس .

قيل: إنّه أول من أدخل الموطأ وقراءة نافع إلى الأندلس، حيث شهد بالمدينة المنورة مالكاً وهو يؤلف الموطأ، فحفظه عن ظهر قلب.

روى عنه ابنه، وعبدالملك بن حبيب، وأصبغ بن خليل، وعثمان بن أيوب، وقيل: إنّه عُرض عليه القضاء فأبى؛ إلاّ أنه بقي ضمن مجلس الشورى للقاضي مصعب بن عمران، توفي الغازي في أيام الحكم بن هشام سنة 199هـ/814م [1] .

16/محمد بن بشير المعافري [2]:

هو القاضي محمد بن بشير بن شراحيل المعافري، وقيل غير ذلك [3]، من جند مصر الذين سكنوا باجة، طلب العلم وهو حدث، فنبغ فيه، واستكتبه القاضي مصعب بن عمران، كما استكتبه أحد أولاد عبدالملك بن مروان المرواني، ثم تولى القضاء بقرطبة بأمر من الأمير الحكم بن هشام بعدما استشار في ذلك العباس بن عبدالملك، فأشار إليه بأنه رغم غضبه على ابن عمران؛ إلاّ أنه لا

---

(1) الزبيدي: المصدر السابق، ص 276ــ 278. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 324. والضبي: المصدر السابق، ص 439. وابن الفرضي: المصدر السابق، ص 272. وابن فرحون المصدر السابق، ص 314. والقاضي عياض: المصدر السابق، مج 1، ص 200.

(2) الخُشني: قضاة قرطبة، الدار المصرية للتأليف، القاهرة، 1966م، ص28 ــ38. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 62 ــ 64. والقاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 286ــ 293. والنّباهي: المصدر السابق، ص47ــ 53. والمقري: المصدر السابق، مج2، ص 347 ــ 352.

(3) قيل هو محمد بن سعيد بن بشير بن شراحيل، وقيل إسراقيل المعافري. يُنظر القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 286. كذلك المقري: المصدر السابق، مج2، ص 347.

يخرج عن اختيار ابن عمران لمحمد بن بشير قاضياً من بعده[1]، كما ولاّه الصلاة بالمسجد الجامع بقرطبة.

كان ابن بشير ممن أخذ العلم بقرطبة على يد شيوخها حتى أخذ منه بحظ وافر، ثم قرر الحج، فرحل إلى المشرق وهناك لقي بالمدينة الإمام مالك بن أنس وجالسه، وسمع منه، وأخذ عنه، كما أخذ عن علماء مصر، ثم انصرف عائداً إلى الأندلس، فلزم ضيعته بباجة، وعندما توفي قاضي قرطبة المصعب بن عمران، ولاه الحكم بن هشام القضاء والصلاة بقرطبة كما أشرنا، فكان من عيون القضاة بالأندلس ومن وجوه أهل القضاء بها، وبعد مدة عزله الخليفة عن القضاء، وولّى مكانه الفرج بن كنانة، ثم ولاه القضاء مرة أخرى، فبقي قاضياً بها إلى أن توفي.

سار ابن بشير في القضاء سيرة حسنة، فكان لا يحابي أحداً على آخر، ولا يداهن، ولا يهادي، ولا يحكم إلاّ بالحق، وكانت شدته في أحكامه من العوامل التي جعلت الأمير الحكم يأمر بعزله عن القضاء، ويولي مكانه ابن كنانة.

كان ابن بشير يجلس للقضاء في سقيفة مغلقة بقبلي مسجد أبي عثمان بأول الربض الغربي، وكان يقعد للخصوم من الصباح حتى صلاة الظهر، ثم يذهب لأداء الصلاة، ثم يعود بعد صلاة الظهر فيقعد إلى العصر لسماع البينات فقط، وتقييد الشهادات [2] .

وتنظيماً منه لأمور القضاء، فقد طبع ابن بشير عشر طوابع يرفع بها الناس إليه شكواهم، وكان إذا اختلف الفقهاء عليه في حكم أي مسألة، كتب إلى مصر لا بن القاسم، وعبدالله بن وهب، وربما قبل الشاهد على التوسم[3] .

هذه السيرة الحسنة وهذه الصفات الحميدة التي اتصف بها ابن بشير جعلته محل إجلال وتقدير واحترام بعض الفقهاء في قرطبة كيحيى بن يحيى الذي كان من أشد المعجبين به، والمعظمين له في حياته وبعد مماته، وعبدالملك بن حبيب الذي اعتبره من خيار المسلمين لعدله [4].

---

(1) الخشني: قضاة قرطبة، المصدر السابق، ص 28. كذلك المقري: المصدر السابق، مج2، ص 352.

(2) الخشني: قضاة قرطبة، المصدر السابق، ص 30.

(3) النباهي: المصدر السابق، ص 48.

(4) الخشني: قضاة قرطبة، المصدر السابق، ص 29 ، 36.

وهكذا سار هذا القاضي بالقضاء سيرة حسنة مكنته من أن ينال الحظـوة الكبيرة عند أمير البلاد، وقد كان الوشاة يشون به عند الأمير الحكم لينـالوا منـه محاولين أن يصلوا إلى زرع الشبهة فيه في نفس الأمير حتى يعزله عن منصبه؛ لكن الأمير كان لا يرضى فيه سوء، حتى إنه أصيب بغمة حين علم بأن ابن بشير يعاني سكرات الموت، فقام من نومه يبتهل لعل الله يهديه ويوفقه إلى مـن يوليـه بعده، وكانت وفاة ابن بشير سنة 198هـ/813م [1] .

17/ المصعب بن عمران :

هو أبو أحمد المصعب بن عمران بن شفي بن كعب بن كعبر بن الـدجن بن زيد بن عمرو بن امرئ القيس بن زيد الهمذاني الشامي، من جند حمص، دخل الأندلس قبل دخول الأمير عبدالرحمن بن معاوية إليها وعاصره، ونـزل بكـورة جيَّان [2] .

رفض المصعب تولي القضاء في عهد عبدالرحمن بن معاوية؛ غيـر أنـه تولاه في عهد ابنه الأمير هشام الذي اتخذه وزيره وسميره، كما كان يقوم بإمامـة الصلاة بجامع قرطبة عند غياب الأمير هشام في أي أمر من أمور البلاد، وسكن عندما تولى القضاء بقرطبة برحبة عبدالرحمن الداخل، وكان كاتبه محمد بن بشير المعافري، وعندما توفي الأمير هشام، أقره ابنه الأمير الحكم على القضاء حتـى مات، فاستقضى كاتبه محمد بن بشير المعافري [3] .

كان مصعب من أهل العدل والسيرة المحمودة بين الناس، منفذاً للحق على الخاصة والعامة، يشاور في شأنه صعصعة بن سلام، وعبدالرحمن بـن موسـى، وعبدالملك بن الحسن، والغازي بن قيس وأمثالهم، وكان راوية عـن الأوزاعـي، وغيره من الشاميين، كما روى عن المدنيين، وكان لا يقلد مذهباً، ويقضي بما يراه صواباً وكان خيِّراً فاضلاً [4] .

---

(1) المقري: المصدر السابق، مج2، ص 352.

(2) الخشني: قضاة قرطبة، المصدر السابق، ص 24. كذلك ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 397 .

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 397. كذلك النُباهي: المصدر السابق، ص 45.

(4) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص397. كذلك النُباهي: المصدر السابق، ص 47.

وكان الحكم يجله، ويحترمه، ويؤيده في كل ما يفعله، ولا يسمع فيه مقالة طاعن، ويجيز أفعاله، وينفذ أحكامه [1] ، كما كان مالك يمتدحه ويثني عليه بقوله: تكاد تكون أحاديث ابن عمران سيَراً [2] .

18/ معاوية بن صالح الحضرمي:

هو الفقيه الراوي الثقة، والمفسر للقرآن، اليمني الأصل الشـــامي النشـــأة، معاوية بن صالح بن (حُدير) بن عثمان بن سعيد بن سعد بـــن فهـــر الحضـــرمي الحمصي، أبو عبدالرحمن، وأبو عمرو [3] .

نشأ معاوية وترعرع في مدينة حمص بالشام، وتعلم بها علم الحديث على يد عمه أبي الجماهر معدان بن صالح بن عثمان [4]، وقيل: إنّه أول من أدخل علم الحديث إلى الأندلس [5].

خرج من حمص قديماً، فقدم مصر، ثم سار إلى الأندلس فوصـــلها ســـنة 123هـ/740م [6] أو 125هـ/742م، ونزل بمدينة إشبيلية[7]، وقيل: مالقة وبها بنى مسجده المعروف باسمه، ثم انتقل إلى إشبيلية فسكنها[8]، وكان هذا قبـــل دخـــول عبدالرحمن بن معاوية إلى الأندلس، وعندما أصبح عبدالرحمن بن معاوية أمير الأندلس حظي عنده بمكانة عالية أهلته بأن يكون رسوله إلى أهله بالشام(دمشق) عند استتباب أمر دولته بالأندلس، ليحضر له أخته أم الأصبغ من هناك لتعيش معه في الأندلس؛ غير أنَّ أم الأصبغ قابلت طلب أخيها بعدم القبول، متحججـــة بكبـــر سنها وعدم قدرتها على تحمل مشاق السفر، فرجع معاوية إلى الأندلس بدونها، وقد

---

(1) النُباهي: المصدر السابق، ص 46.

(2) الخُشني: قضاة قرطبة، المصدر السابق، ص 27.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 400. وأما ماجاء بين معقوفين[...]من كتاب الحميدي، المصدر السابق، ص 341.

(4) الحميدي: المصدر السابق، ص 341.

(5) المصدر نفسه، ص 16.

(6) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 400. كذلك النُباهي: المصدر السابق، ص 43.

(7) الحميدي: المصدر السابق، ص399. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص458. والخُشني: قضاة قرطبة، المصدر السابق، ص 16.

(8) النُباهي: المصدر السابق، ص 43.

قلده الأمير بعد عودته من رحلته هذه منصب قاضي الجماعة بقرطبة، بعد وفاة قاضيها يحيى بن يزيد اليحصبي [1].

في سنة 154هـ/770م [2] رحل معاوية بن صالح إلى المشرق العربي الإسلامي لأداء فريضة الحج، وفي أثناء رحلته التقى في المدينة ومصر بالعديد من الفقهاء والرواة أمثال الليث بن سعد، وسفيان الثوري، وعبدالرحمن بن مهدي، وعبدالله ابن وهب، ومحمد بن عمر الواقدي، وحماد بن خالد الخياط، ومعن بن عيسى القزاز، وأسد بن موسى، ومالك بن أنس الذي روى عنه حديثاً واحداً، وعندما دخل البيت الحرام بمكة أيام موسم الحج، قصد حلقات الحديث، وعندما تعرف عليه طلبة الحديث، انفضوا عن حلقاتهم، وتحلقوا حوله لسماع الحديث منه، حتى قيل: إنّ مالكاً أراد أن يسمع منه الحديث، فلم يستطع ذلك لازدحام الناس حوله، فتركه دون أن يسمع منه [3].

وفي مصر اشتغل معاوية خطيباً في إحدى مساجدها، حيث يذكر الكندي أنه كان من ضمن خطباء المساجد بمصر الذين خطبوا بأمر مقتل إبراهيم بن عبدالله بن حسن، القائم بالثورة العلوية، والتي كان القائم بأمرها خالد بن سعيد بن ربيعة بن حبيش الصدفي سنة 144هـ/761م [4].

وعندما عاد للأندلس رحل إليه بعض أهل العراق منهم أحد علماء الكوفة وهو زيد بن الحباب العُكلي، فسمع منه حديثاً كثيراً [5].

توفي معاوية بقرطبة في عهد الأمير هشام بن عبدالرحمن سنة 168هـ/784م [6]

---

(1) الخُشني: قضاة قرطبة، المصدر السابق، ص 16ــ 17.

(2) الحميدي: المصدر السابق، ص 340. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص 459.

(3) الخُشني : قضاة قرطبة، المصدر السابق، ص 17.

(4) الكندي: المصدر السابق، ص 111ــ 114.

(5) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 400. كذلك النُباهي: المصدر السابق، ص 43

(6) النُباهي: المصدر السابق، ص 43.

20/ يحيى بن مضر القيسي [1] :

شامي الأصل، دخل الأندلس، وسكن قرطبة، وكان يُكنى أبا زكريا، ويقال أبا بكر، تعلم على يديه يحيى بن يحيى الليثي قبل رحلته، وكـان مـن العلمـاء والمفتين وأصحاب الرأي[2].

رحل إلى المشرق العربي الإسلامي، ودخل المدينة، فسمع منـه سـفيان الثوري، ومالك بن انس، وروى عنه مالك بن أنس حكاية عن سفيان الثـوري أنّ الطلح الممدود هو الموز [3] .

كان يحيى من بين من ثاروا في قرطبة على الأمير الحكم بن هشام، فقتله لذلك الأمير حيث قيل: إنّه صُلب وأصحابه يوم الهيج سنة 189هـ/804م، لأنهـم أرادوا خلع الأمير الحكم، وتولية ابن عم له يُدعى ابن الشمّاس من ولد منذر بـن عبدالرحمن بن معاوية [4]، حيث قبض عليهم الأمير الحكم، وأمر بصلبهم علـى جذوع الأشجار، وقد بلغ عدد من صلب ذلك اليوم من الفقهاء والصالحين حـوالي 72 رجلاً، وقيل 140 رجلاً, وأن الجذوع كانت منضودة من رأس القنطرة إلـى آخر الرصيف، وعددها 140 جذعاً [5] .

وكان لهذه الحادثة أثر كبير في نفوس الفقهاء من أهل الأنـدلس، فظلـوا يتربصون حتى سنة 202هـ/ 817م التي قاموا فيها بثـورتهم المشـهورة بثـورة الربض [6] .

وهكذا يبدوا بأن الحياة العلمية بالأندلس بدأت تشهد تقدماً كبيراً ، ولم يكـن ليتأتّى لها ذلك؛ إلاّ بفضل جهود أبنائها، الذين عملوا بكل جهد على تأسيس نظـام للتعليم ببلادهم، من تأسيس للمؤسسات ووضع المناهج لكل مرحلة مـن مراحـل

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 429. كذلك القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 204. وجاء في كتاب ابن القوطية: المصدر السابق، ص101. أن ممن قُبض عليه في هيج قرطبة أيام الأمير الحكم من أهل شقندة يحيى بن نصر اليحصبي.

(2) القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 204.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 429.

(4) ابن القوطية: المصدر السابق، ص 112.

(5) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 429. كذلك القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 204.

(6) القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 204.

التعليم بها، كما قام أمراؤها وخلفاؤها وتجارها أيضاً بمساهمات كبيرة كـــان لهـــا أكبر الأثر في دفع عجلة التعليم في البلاد إلى الأمام، الأمر الذي ساعد في تكوين جيل متعلم عارف لقدر العلم، حمل على عاتقه مهمة الرقي بالتعليم .

وهنا يمكن القول بأن بواكير علماء الأندلس الذين رحلوا إلـــى المشـــرق العربي الإسلامي خلال القرن الثاني الهجري/ الثـــامن المـــيلادي اســـتطاعوا أن يُدخلوا إلى بلادهم علوم المشرق في مختلف فروع المعرفة، والتي صارت قاعدة صلبة بنى عليها الأندلسيون ذلك الصرح العلمي الكبير الذي جعل من الأندلس قبلة طلاب العلم، كما ساعد على انتشار العلم والتعليم في جميع أرجاء البلاد، وســـاهم في حب المغامرة لدى العديد من طلابهم كما سيأتي ذلك خلال الفصل التالي.

الفصل الثاني

أشهر علماء الأندلس الذين رحلوا إلى المشرق الإسلامي في القرن

((الثالث الهجري/ التاسع الميلادي))

شهد التعليم في الأندلس منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي اهتماماً كبيراً من قبل القائمين عليه، على الرغم من نشأته قبل هذا التاريخ؛ غير أن القرن الثالث عُدّ من أزهى عصور الإسلام فكراً وثقافة، ففيه حدث اللقاء بين الفكر العربي الإسلامي الأصيل والفكر الأجنبي الدخيل في أوسع صورة له، وتطبعت الحياة العلمية بطابع خاص، ذلك الطابع الذي يمتاز بأخذ الثقافات الأجنبية وإضافتها إلى عناصر الفكر العربي الإسلامي، وفيه راجت سوق العلم والأدب، ونبغ كثير من العلماء والأدباء، وانتشرت المنتديات العلمية، وازدهرت الحياة الفكرية، وتيسر الإطلاع والقراءة والتعليم وحضور الدرس، وانتشر جمع الكتب وإيداعها أماكن خاصة، كما انتشرت دُور العلم الخاصة والعامة، وكثر بهذه الدور والمراكز عدد الطلاب، وأصبح التعليم صناعة وفناً.

ولم يكن ليتأتى كل ذلك إلاّ بفضل جهود الأندلسيين، واتصالهم بمراكز العلم بالمشرق العربي الإسلامي التي كان يعج بها آنذاك، ونهلهم من علومهم ومعارفهم التي أخذت تتطور بفضل تلك الرعاية التي كانت حظيت بها من قبل أهلها، وهكذا بدأت الرحلة العلمية تشق طريقها إلى منابع العلم الأصلية متجاوزة كل الصعاب، فانطلق العديد من العلماء راحلين إلى المشرق الإسلامي، ومن أشهر هؤلاء العلماء ما يلي مرتبين هجائياً:

1/ إبراهيم بن حسين بن خالد بن مرتنيل :

هو أبو إسحاق بن مرتنيل القرطبي، الفقيه المالكي، الحامل لكتاب الله، والمحدّث، والمفسر الكبير للقرآن الكريم بتفسيره الذي كان يروى عنه [1].

رحل هذا العالم القرطبي إلى المشرق العربي الإسلامي بعد أن حفظ القرآن وتعلم شيئاً من الفقه والحديث بقرطبة، وهناك لقي عدداً من العلماء فتعلم

---

(1) القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص444. كذلك الداوودي: طبقات المفسرين، (تح) مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت)، ج1، ص 8ـ 9.

منهم، مثل: علي بن معبد(*)، ومُطَرِّف بن عبدالله(**)، وعبدالملك بن هشام صاحب المشاهد، كما التقى سحنون بن سعيد و روى عنه [1].

وبعد أن أخذ من علوم المشرق ما تيسر له، رجع إلى الأندلس فولّاه الأمير محمد بن عبدالرحمن بن هشام أحكام الشرطة والسوق، فسار في النـــاس ســـيرة حسنة بعدله وصلابته في حكمه[2].

كان أبو إسحاق دائم الجلوس في مجالس المناظرة التي تعقد بين الفقهـــاء، وكان يناظر العلماء فيها فيظهر عليهم، أمثال: سحنون بن سعيد، ويحيى بن يحيى، ويحيى بن مزين، حيث ناظر سحنون في الشاة التي بَقَرَ السبع بطنها أنها تُـــذكى وتُؤكل، كما ناظر يحيى بن يحيى في النكاح بالأجرة، وفي أكـــل الذبيحـــة التـــي رميت عقدة حلقها إلى أسفل، والتي أشار فيها يحيى بأن أكلها حرام، كما حَكَى عن مُطَرِّف بن عبدالله في أنه ليس في الكر سنة زكاة لأنها علف، كما ناظر يحيى بن مزين، وكان يذهب في حكمه إلى النظر والحجة وترك التقليـــد، وهـــو مـــذهب إسماعيل القاضي(***) [3].

توفي في شهر رمضان سنة 249هـ/863م [4] .

(*) علي بن معبد بن شداد الرقي، نزيل مصر، ثقة فقيه، توفي سنة 218هـ/833م. ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، ج1، ص 36.

(**) مطرف بن عبدالله بن مطرف اليساري، أبو مصعب المدني، ابن أخت الإمام مالك بن أنس، توفي سنة 220هـ/835م. ابن حجر العسقلاني: المرجع السابق، ج2، ص196.

(1) القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 444. كذلك ابن فرحون: المصدر السابق، ص 140. أما ابن الفرضي فيشير إلى أن من لقي بالمشرق علي بن سعيد بدل معبد. المصدر السابق، ص 16.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 16. كذلك القاضي عياض: المصدر الساق، مج1، ص 144.

(***) هو الإمام وشيخ الإسلام أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن محدث البصرة حمّاد بن زيد الأزدي البصري ثم البغدادي المالكي، شيخ المالكية بالعراق، له مصنفات منها: المسند، وحديث مالك، وحديث أيوب، وموطأ، وكتاباً في الرد على محمد بن الحسن نحو 200جزء، وأحكام القرآن، ومعاني القرآن، والقراءات، وغير ذلك، تولى قضاء بغداد، ولد سنة199هـ/814م، وتوفي سنة 282هـ/895م. السيوطي: طبقات الحفاظ، المصدر السابق، ص297ـــ 298.

(3) القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 444. كذلك ابن فرحون: المصدر السابق، ص 140.

(4) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص16. كذلك القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 445.

2/ إبراهيم بن حسين الثقفي :

هو أبو إسحاق القرطبي إبراهيم بن حسين بن عاصم بن مسلم بن كعب الثقفي[1]، ويقال: ابن عاصم بن مسلم بن كعب بن محمد بن علقمة بن حباب بن مسلم بن محمد بن مرة بن عوف الثقفي[2]، وفي مكان آخر يقال: إبراهيم بن عيسى بن عاصم بن مسلم[3]، جدُّه عاصم المعروف بالعريان، صاحب عبدالرحمن الداخل، لُقِّبَ بذلك لأنه عبر نهر قرطبة وهو عريان [4] .

أخذ العلم منذ صغره في الأندلس على يد أبيه وغيره، ثم رحل في طلبه إلى المشرق العربي الإسلامي، وسمع به من جماعة، ولمَّا رجع إلى الأندلس، ولاَّه الأمير محمد بن عبدالرحمن أحكام الشرطة ثم السوق، لِمَا رأى منه شدة في الحق وصلابة في الحكم على الفاسقين الذين كان يُطلق أحكامه عليهم بالصلب والقتل دون الرجوع إلى حاكم أو فقيه، وفيه قال موسى بن سعيد[5]:

لا يعذر الناس منه لين جانبه فلا يبالي بحكم الله في قتلا

توفي يوم الثلاثاء في شهر المحرم سنة 256هـ/869م [6].

3/ إبراهيم بن عَجَنَّس بن أسباط الزيادي الكلاعي :

من أهل وشقة، كان حافظاً للفقه، أخذ علمه في شبابه على يد أبيه، ثم رحل إلى المشرق العربي الإسلامي طلباً للعلم؛ فلقي الفقيه يونس بن عبدالأعلى[*]، وسمع منه، ثم عاد للأندلس، وظل يروي علمه عن ابن عبدالأعلى

---

(1) الحميدي: المصدر السابق، ص 153.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 16.

(3) الضبي: المصدر السابق، ص 215.

(4) ابن سعيد: المصدر السابق، ج1، ص 101. كذلك القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 380.

(5) القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 450 ــ 451.

(6) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 16. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 154. والضبي: المصدر السابق، ص16. والقاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 450ــ 451. وابن سعيد: المصدر السابق، ج1، ص101.

(*) يونس بن عبدالأعلى بن ميسرة الصدفي، أبو موسى المصري، ثقة، مات سنة 264هــ/877م. ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، ج2، ص 295.

وعن غيره، واشتهر بذلك حتى عُدَّ من مشاهير الفقهاء وأهل العلم والفهم، وكان له مؤلف حسن في الفقه اختصر فيه المدونة في عشرة أجزاء، وسهلها [1].

توفي في أيام الأمير محمد بن عبدالرحمن سنة 273هـ/886م[2]، أو كما قيل: في أيام الأمير المنذر بن محمد[3] سنة 274هـ/887م، وقيل: سنة 276هـ/889م أي في أيام الأمير عبدالله بن محمد [4].

4/ إبراهيم بن محمد بن باز :

هو الفقيه القرطبي المالكي المذهب، أبو إسحاق المعروف بابن القزاز، تعلّم العلم في قرطبة على يدي يحيى بن يحيى، وسعيد بن حسان، وأبي زيد عبدالرحمن بن إبراهيم، وعون بن يوسف[5]، ثم رحل إلى المشرق العربي الإسلامي، فازداد علمه بسماعه من يحيى بن بُكير، وأبي الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح، وأبي زيد بن أبي الغمر، وسحنون بن سعيد، وغيرهم [6]، حتى أصبح من أحفظ الناس في عصره للمدونة والمسائل، وأضبطهم لها مع البصر بالحديث وقراءة القرآن، حيث كان يشغل رئيس القراء في طليطلة، كما كان كثير الملازمة للرباط والثغر [7] .

روى عنه من أهل الأندلس أحمد بن خالد، وحبيب بن أحمد، وابن أيمن، وأبو صالح، وغيرهم، ثم توفي في مدينة طليطلة في 18 ربيع الآخر سنة 244هـ/ 858م [8]، أو سنة 273هـ/886م [9]، أو في سنة 274هـ/887م [10] .

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 17 ـ18. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 156.

(2) الحميدي: المصدر السابق، ص 156. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص 222.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 18 .

(4) قاسم علي سعد: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، دار البحوث والدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، 2002م، ج1، ص 166ــ 167.

(5) الحميدي: المصدر السابق، ص150.

(6) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 18.

(7) ابن سعيد: المصدر السابق، ج1، ص 164.

(8) قاسم علي سعد: المرجع السابق، ج1، ص 173ــ 174.

(9) الحميدي: المصدر السابق، ص 150. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص 211.

(10) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 18.

5/ إبراهيم بن قاسم بن هلال بن يزيد بن عمران القيسي:

من أهل قرطبة، يكنى أبا إسحاق، ولد قبل الهيج بقرطبة، ونشأ وترعـرع بها، وأخذ العلم على يد أبيه قاسم، ويحيى بن يحيى، وعيسى بن دينار، وغيرهما من علماء الأندلس [1] .

رحل إلى المشرق العربي الإسلامي حاجاً، فسمع من سحنون بن سـعيد، وزهير بن عبّاد [2]، وكان له من سحنون منزلة لصحبته إياه عند ابن القاسم، وكان علمه المسائل، ولم يكن له علم بالحديث، وكان يعيش حيـاة المتعبـدين كثيـري الصلاة والصيام، والزهاد الورعين، منقبضاً عن مجالس الحُكّام، حـدّث، وروى عنه بن أخته يحيى بن زكريا بن الشّامة [3]، توفي بالأندلس في شهر محرم سـنة 282هـ/895م [4].

6/ إبراهيم بن نصر الجهنيُّ:

يكنى أبا إسحاق ، أصله من قرطبة، خرج والده منها عند هيج الـربض، وسكن سرقسطة، لهذا عُرف في كتب التاريخ الأندلسي بعدة أسماء منها ما كـان يحمل أصله، ومنها ما كان يحمل موطن سكنه، ومنها ما كان يحمل اسم قبيلتـه، فعرف بالقرطبي، والسرقسطي، والجُهني؛ غير أن هذه المصادر اتفقت في اسـمه واسم والده وتاريخ وفاته .

رحل إلى المشرق العربي الإسلامي، فلقي جماعة من الأئمـة المحـدثين منهم: محمد بن عبد الله بن يزيد المقرىء المكي، ومحمد بن إسـماعيل الصـائغ الكبير، ويونس بن عبد الأعلى، وسليمان بن داود، والحارث بن مسكين، والمزنيُّ، والربيع بن سليمان؛ صاحب الشافعي، ومحمد بن عبدالله بن عبـد الحكـم، وأبـا

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص18.

(2) الحميدي: المصدر السابق، ص 156. كذلك الضبي : المصدر السابق، ص 224.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 19ـــ 20. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 157. والضبي: المصدر السابق، ص 225ـــ 226. وقاسم علي سعد: المرجع السابق، ج1، ص 178ـــ 179.

(4) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 18. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 156.

الطاهر أحمد بن عمر بن السَّرح، ويحيى بن عمرو، وجماعة سواهم كثير، كما دخل العراق، فسمع به من بُنْدَار، وغيره، وكان عالماً بالحديث، بصيراً بعلله.

حدَّث عنه عثمان بن عبد الرحمن بن عبدالحميد المعروف بابن أبي زيد، وثابت بن حزم السرقسطي، وغيرهما، وكان ثقة، وقيل: كان له أخٌ اسمه محمد شاركه في رحلته .

ذكره ابن أبي دُلَيْم في الفقهاء، وقال: غلبت عليه الرواية، وكان عالماً بالحديث، بصيراً بعلله، ثقة، توفي بسرقسطة في ذي القعدة سنة 287هـ/900م [1]

7/ إبراهيم بن موسى بن جميل:

أصله من تُدمير [2]، يكنى أبا إسحاق، وهو من موالي بني أمية [3]، رحل إلى المشرق العربي الإسلامي رحلتان، دخل في الأولى منهما الحجاز ومصر والعراق، ولقي العديد من العلماء، فأخذ عنهم، منهم في مكة: علي بن عبد العزيز، وفي مصر محمد بن عبدالله بن عبد الحكم، وفي بغداد أحمد بن زهير بن حرب، وعبد الله بن أحمد بن حنبل، وعبد الله بن مسلم ابن قتيبة، وأبا بكر بن أبي الدُّنيا الذي أخذ منه كتبه، وأدخلها إلى الأندلس منها: كتاب "القناعة" وكتاب" حلم معاوية" وكتاب " مواعظ الخلفاء"، وظل يرويها على مسامع تلاميذه بالأندلس منهم: محمد ابن معاوية القرشي، الذي ظل يُحدث عنه بها [4]، وقاسم بن أصبغ، ومحمد بن قاسم، وسعيد بن جابر، كما حَدَّثَتْ عنه ابنته عائشة [5]، وأبو الحسن علي بن سليمان النحوي الذي أخذ عنه كتاب القوافي لأبي عمر الجرمي، رواية أبي المسهر أحمد بن مروان[6].

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 19ـــ 20. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 157. والضبي: المصدر السابق، ص 225 ــ 226. وقاسم علي سعد: المرجع السابق، ج1، ص 178ـــ 179.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 20.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 20. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 156. والضبي: المصدر السابق، ص 224.

(4) الضبي: المصدر السابق، ص224.

(5) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 21.

(6) الحميدي: المصدر السابق، ص 157. والضبي: المصدر السابق، ص 224.

وبعد مدة من عودته لبلاده عاد، فرحل رحلته الثانية وهي التي دخل فيها مصر، وبقي بها لنشر علومه بين أهلها، فأخذ عنه من أهل مصر أحمد بن شعيب النسائي، وأبو سعيد بن يونس وغيرهما، وبقي إلى أن توفي بها في جمادى الأولى سنة 300هـ/912 [1]، وهكذا كان لهذا العالم نصيب كبير في إدخال علوم المشرق العربي الإسلامي إلى الأندلس، وتعليم أهل المشرق العربي فيما بعد علوم بلاده.

8/ أبَان بن عيسى بن دينار:

هو أبو القاسم أبَان بن عيسى بن دينار بن واقد بن رجاء بن عامر بن مالك الغافقي، أصله من طليطلة، وسكن قرطبة [2] ، وتعلم بها في صباه من والده، ومن يحيى بن واقد الغافقي، ثم رحل إلى المشرق، وبالمدينة لقي سحنون ابن سعيد، وعلي بن معبد، وابن الماجشون، وابن كنانة، ومطرّف بن عبدالله، وأخذ عنهم [3].

كان أبَان من الفقهاء الصالحين الأفاضل، ومن أصحاب الهيبة والعلم الغزير، فتعلم على يديه محمد بن وضّاح، ومحمد بن عمر بن لبابة، وقاسم بن محمد [4]، واشتغل بالقضاء في طليطلة وجيَّان، وغيرهما، كما كان من أهل الشورى مع عبدالملك بن حبيب، وأصبغ بن خليل، وعبدالأعلى بن وهب، إضافة إلى توليه أمر الصلاة بقرطبة [5]، وفي يوم الجمعة للنصف ربيع الأول سنة 262هـ/875م، توفي هذا العالم بعد أن خلّف ولدان فقيهان هما محمد وعبدالله اللذين قاما باختصار كتاب المبسوط ليحيى بن إسحاق بن يحيى[6].

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص20 ــ 21 . كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 157. والضبي: المصدر السابق، ص 225.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 27.

(3) القاضي عياض: المصدر السابق، ج1، ص 453.

(4) الحميدي: المصدر السابق، ص171

(5) القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 453. كذلك قاسم علي سعد: المرجع السابق، ج1، ص 145.

(6) محمد مخلوف: المصدر السابق، ج1، ص 112.

9/ أحمد بن يوسف بن عابس المعافري:

هو الفقيه المالكي أبو بكر السرقسطي، وفي أيام شبابه انتقل بسكنه من سرقسطة إلى وشقة، فسكنها وتعلم بها، ثم رحل إلى المشرق العربي الإسلامي، وفي إفريقية سمع من يحيى بن عمر، وأحمد بن أبي سليمان، وعلي بن عبدالعزيز، وغيرهم.

كان هذا العالم متصرفاً في علم اللغة والنحو والشعر وشاعراً مطبوعاً، بصيراً بالمذهب المالكي وعلم الفرائض والحساب والمساحة، وحدّث بسرقسطة، وبقي بها إلى أن توفي في ذي القعدة 297هـ/909م وقيل:سنة 290هـ/ 902م، أوسنة 298هـ/910م، وقيل:سنة 299هـ/911م، وقيل: سنة 300هـ/912م وهي السنة التي مات بها ابنه [1].

10/ أصبغ بن خليل :

من أهل قرطبة، يُكنى أبا القاسم، عَمَّر طويلاً، وكان من الفقهاء الحفاظ للرأي على مذهب الإمام مالك بن أنس، ومن أشد المتعصبين للمالكية وخاصة للفقيه عبد الرحمن بن القاسم، ولم يكن له علم بالحديث، بل كان يباعده، ويطعن على أصحابه، لذلك كان يكره السماع لبقي بن مخلد، ويحرّضُ على عدم السماع له، لكرهه الشديد لمسند أبي بكر بن أبي شيبة، فكان يقول: ((لأن يكون في تابوتي رأس خنزير أحب إليّ من أن يكون فيه مسند ابن أبي شيبة)) [2] .

تعلّم أصبغ في صباه بقرطبة على يدي الغازي بن قيس، ويحيى بن مضر، ومحمد بن عيسى، والأعشى، ويحيى بن يحيى، ثم رحل إلى المشرق العربي الإسلامي وهناك التقى أصبغ بن الفرج، وسحنون بن سعيد، فأخذ عنهما الفقه، ثم رجع إلى الأندلس، فأصبح من فقهاء قرطبة الأجلاّء، ومن أهل العلم والورع والرياسة والبصر بالوثائق، حتى أن الفُتيا دارت عليه بالأندلس خمسين سنة، كما

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 31ــ 32. كذلك قاسم علي سعد: المرجع السابق، ج1، ص 301ــ 302.
(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 72ــ 73.

تتلمذ على يديه أحمد بن خالد، ومحمد بن عبدالله بن أيمن، ومحمد بن قاسم، وقاسم بن أصبغ وغيرهم [1] .

توفي أصبغ سنة 273هـ/885م عن عمر يناهز الثمانين سنة، وترك ولـــداً اسمه يحيى سمع من أبيه وغيره [2] .

11/ بقي بن مَخْلَد :

من أهل قرطبة، يُكنّى أبا عبدالرحمن، وكان شيخاً غزير المعرفـــة بعلـــم الحديث وأهله، صحيحه وسقيمه، إذ كان يطوف الأمصار على أهل الحديث للأخذ منهم، ولذلك عدّه المؤرخون من مؤسسي علم الحديث بالأندلس، كما كـــان كثيـــر الصيام والصلاة وقراءة القرآن الكريم، قليل المِثْل، مجتهداً لا يُقلّد أحـــداً، ويُفتـــي بالأثر [3] .

ولد بقي بن مخلد في شهر رمضان سنة 201هـ/816م، وعاش عيشـــة بسيطة، حتى أنّ الأيام كانت تمضي عليه في وقت طلبه العلم، وليس لـــه شـــيء يعيش منه إلاّ ورق الكُرُنْب الذي يُرمى، وبالرغم من ذلك كله فقد كان حريصـــاً على طلب العلم، حتى أن أصحابه أطلقوا عليه اسم المكنسة [4] .

تعلم بقرطبة على يدي محمد بن عيسى الأعشى، ويحيى بن يحيى الليثي، ثم رحل إلى المشرق الإسلامي، وهناك التقى العديد من العلماء، فســـمع مـــنهم، وروى عنهم، فسمع بالحجاز من إبراهيم بن محمد الشافعي، صاحب ابن عيينـــة، ومن أبي مصعب الزهري، وإبراهيم بن المنذر الحزامي، وبمصر من يحيى بـــن عبدالله بن بُكير، صاحب مالك بن أنس، وزهير بن عباد وطائفتـــه، وأحمـــد بـــن السرح أبي طاهر، والحارث بن مسكين، وسلمة بن شبيب، وبدمشق من هشام بن

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 72ـ 73. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 173. والقاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 448ـ 449. والضبي: المصدر السابق، ص 240. وقاسم علي سعد: المرجع السابق، ج1، ص 336ـ337.

(2) القاضي عياض: المصدر السابق، ج1، ص 449. كذلك ابن فرحون: المصدر السابق، ص 159ـ 160.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 82 ـ 83.

(4) المصدر نفسه، ص 84.

عمار وجماعته، وإبراهيم بن هشام الغساني، وصفوان بن صالح، وبكار بن عبدالله، ومحمد بن مصطفى الحمصي، وبالبصرة من محمد بن عبيد بن حسان صاحب حمَّاد بن يزيد، ومحمد بن المُثنى أبي موسى الزمن، ومحمد بن بشار بندار، وبالكوفة من أبي بكر عبدالله بن أبي شيبة، ومحمد بن عبدالله بن نُمير، ويحيى بن عبدالحميد الحماني، وببغداد من أحمد بن إبراهيم الدورقي، وهارون بن عبدالله الحمال، وزهير بن حرب أبي خيثمة، وأبي ثور صاحب الشافعي، ومحمد ابن عمر العدني صاحب ابن عُيينة، وروى عن الأئمة وأعلام السنة منهم الإمام أبي عبدالله أحمد بن حنبل، وسمع بإفريقية من سحنون بن سعيد، وعون بن يوسف، حتى قيل: إنّ عدد من سمع منهم حوالي 284 رجلاً، كما تتلمذ على يديه أسلم بن عبدالعزيز بن هاشم القاضي، ومحمد بن عمر ابن لبابة، ومحمد بن وزير، ومحمد بن قاسم بن محمد، وأحمد بن خالد، وكان آخر أصحابه المحدثين عنه عبدالله بن يونس، والحسن بن سعد بن إدريس بن رزين الكُتامي المغربي[1] .

أدخل بقي إلى الأندلس علماً كثيراً، منه مصنف أبي بكر بن أبي شيبة كاملاً، وكتاب الفقه لمحمد بن إدريس الشافعي، وكتابي التاريخ والطبقات لخليفة ابن خياط، وكتاب سير عمر بن عبدالعزيز للدورقي [2] .

ألّف بقي بن مخلد تفسيراً للقرآن عُرف باسمه، ومسنداً في حديث النبي e رتبه على أسماء الصحابة، حيث روى فيه عن 1300 صحابي ونيّف، ورتب حديث كل صاحب على أسماء الفقه، وأبواب الأحكام، فهو مصنف ومسند معاً، كما ألف مصنفاً في فتاوى الصحابة والتابعين ومن دونهم، أربى فيه على مصنف

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 82 ــ 84. كذلك الحميدي : المصدر السابق، ص 177. والضبي: المصدر السابق، ص 245ــ 247. والمقري: المصدر السابق، مج2، ص 257، مج3، ص 271ــ 273، مج4، ص 165 ــ 166. وياقوت الحموي: معجم الأدباء، المصدر السابق، ج2، ص329ــ 335. والذهبي: العبر في خبر من غبر نسخة محققة على أصول مخطوطة بإشراف مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، 1997م، ج1، ص 248. والداوودي: المصدر السابق، ج1، ص 118ــ 119.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 83.

أبي بكر بن أبي شيبة، ومصنف عبدالرزاق بن هُمام، ومصنف سعيد بن منصور، وغيرهم، فصارت مؤلفاته قواعد للإسلام لا نظير لها [1] .

توفي هذا الإمام العلامة في شهر جمادى الآخرة سنة 276هـ/889م، ولـه خمس وسبعون سنة [2].

12/ حاتم بن سليمان بن يوسف بن أبي مسلم الزهري:

وقيل حاتم بن سُليم بن يوسف بن أبي مسلم الزُهري [3]، من أهل قرطبة، وكان يسكن منية الخياطين [4] .

رحل إلى المشرق العربي الإسلامي مع محمد بن عيسى الأعشى، وحارث بن أبي سعد، فسمع من عثمان بن عيسى الكناني المديني صاحب مالك بن أنـس، وغيره من المدنيين والمصريين، وجُلُ روايته عن ابن كنانة، وكان ابـن كنانـة يصفه بالفقه ويُثني عليه، وكان فقيهاً في المسائل والـرأي، وموصـوفاً بالفضـل والزهد، وإليه ينسب المسجد الذي على مقبرة بلاط مغيث فـوق دور الحديـدين بقرطبة، توفي في أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم[5] قبل سنة 240هـ/854م [6].

13/ حسين بن عاصم بن كعب بن محمد بن علقمة بن خباب بن مسلم بن عُدي ابن مُرة بن عوف الثقفي:

هو أبو الوليد القرطبي[7]، وقد خالف بعض المؤرخين ابن الفرضي فـي ذكر اسمه فقالوا: هو الحسين بن عاصم بن مسلم بن كعب بن خباب بن علقمة بن هلال بن كعب بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن عروة بن مسعود الثقفي [8]،

---

(1) الحميدي: المصدر السابق، ص 177ـ 178. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص 245ـ 246.

(2) الذهبي: العبر في خبر من غبر، المصدر السابق، ج1، ص 248 .

(3) الحميدي: المصدر السابق، ص 200. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص275.

(4) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 95.

(5) القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 377

(6) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 95. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 200. والقاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص377. والضبي: المصدر السابق، ص 275.

(7) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 99.

(8) الحميدي: المصدر السابق، ص 193. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص 267. والقاضي عياض: المصدر =

أبوه عاصم، يُعرف بالعريان، لأنه أول من شق نهر قرطبة وهو عريان بين يدي الأمير عبدالرحمن بن معاوية الداخل، عند قصره بقرطبة [1] .

رحل إلى المشرق العربي الإسلامي، فسمع بمصر من عبـدالرحمن بـن القاسم، وأشهب بن عبدالعزيز، وعبدالله بن وهب، ومُطرّف بن عبدالله، وعبـدالله ابن نافع، ونظرائهم، وأدخل العُتبي سماعه في المستخرجة أيضاً، وأسقطه منهـا قوم آخرون، كما كان عبدالملك بن حبيب يعتمد عليه في الأسمعة.

تولى أحكام السوق بقرطبة في أيام الأمير محمد بن عبـدالرحمن، وكـان شديداً على أهلها في أحكامه، حيث ضرب الباعة ضرباً أُنكر عليه، لهـذا عُـزل عنها.

اختلف المؤرخون في سنة وفاته فقيل: إنّه توفي سـنة 208هـ/822م [2] ، أو سنة 263هـ/876 [3] .

14/ داود بن عبد الله القيسي :

من أهل إشبيلية، كان مرشحاً لقضاء الجماعة بقرطبة، وكان مـن أهـل العلم، له رحلة إلى المشرق العربي الإسلامي لقي فيها بمصر يحيى بن عبدالله بن بُكَيْر، وسمع منه الموطأ، وكثيراً من علم مالك بن أنس، والليث بن سعد، توفي في آخر أيام الأمير محمد بن عبدالرحمن [4] سنة 270هـ/885م [5] .

= السابق ، مج1، ص 380.

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 99. كذلك القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 380.

(2) القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 381.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 99.

(4) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 123. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص214. والضبي: المصدر السابق، ص 292.

(5) قاسم على سعد: المرجع السابق، ج1، ص 462.

15/ زياد بن عبدالرحمن اللخمي :

هو فقيه الأندلس القرطبي أبوعبدالله الملقب بشبطون، من بني زياد بقرطبة، وهو من أوائل علماء المذهب المالكي بالأندلس الذين يرجع لهم الفضل في أولية إدخاله ونشره بين أهله [1] .

أخذ العلم في صباه بالأندلس على يد بعض علمائها منهم معاوية بن صالح ثم تزوج ابنته، ثم رحل في أيام الأمير عبدالرحمن بن معاوية إلى المشرق العربي الإسلامي، وتتلمذ هناك على يدي الإمام مالك بن أنس وأصحابه، وسمع الموطأ وحفظه، وله في الفتاوى كتاب سماع يُعْرف بـ"سماع زياد" كما تتلمذ أيضاً على يدي عبدالرحمن بن القاسم، والليث بن سعد، وسفيان بن عُيينة وغيرهم [2].

وفي عهد الأمير هشام بن عبدالرحمن عاد زياد إلى الأندلس، ودخل قرطبة، حيث حمل معه فقه المالكية المتمثل في موطأ مالك، وسماعه من ابن القاسم وغيره من أصحاب مالك بن أنس، فكان له الفضل في تعليم أهل الأندلس علم السنن، ومسائل الحلال والحرام، ووجوه الفقه والأحكام ، كما يعتبر أول من عرّف أهل الأندلس تحويل الأردية في صلاة الاستسقاء [3].

عَرض عليه أمير الأندلس هشام بن عبدالرحمن القضاء، فرفض قبوله، وهرب بنفسه خشية غضب الأمير، وكان الأمير هشام يقول: ليت الناس كزياد، حتى أكفي حب أهل الرغبة، ثم أمّنه فرجع إلى بيته [4]، وقد ارتفع قدره بين العامة والخاصة حتى أن الأمير نفسه كان يخلو به في بعض الأحيان ليسأله عما يصعب عليه في أمور دينه، ويأخذ برأيه، و يبالغ في بره، ويدفع له المال ليتصرف به، وكانت فتيا قضاة الأمير تدور عليه [5].

---

(1) الحميدي: المصدر السابق، ص 218. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص 294.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص131ــ 132. كذلك القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص200.

(3) القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص200ــ 201.

(4) الخُشني: قضاة قرطبة، المصدر السابق، ص 3.

(5) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 132. كذلك القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 201. والمقري: المصدر السابق، مج2، ص 255ــ 256. و قاسم علي سعد: المرجع السابق، ج1، ص 490ــ 491.

قعد زياد للتعليم في مسجد قرطبة، فكان من بين تلاميذه يحيى بن يحيى الذي روى عنه الموطأ وسماعه عن مالك، ويقول أحد المقري: إنّ زياداً هو من دفع يحيى للرحلة إلى الإمام مالك بن أنس، لمّا أحسّ منه النجابة والقدرة الكبيرة على الحفظ والفهم، حيث أدرك يحيى الإمام مالك في رحلته هذه، وروى عنه؛ إلاّ أبواباً من كتاب الاعتكاف شك في سماعها عنه، فأبقى روايته فيها عن زياد عن الإمام مالك [1].

توفي زياد بن عبدالرحمن سنة 203هـ/818م، أو204 هـ/819م، قبل موت الحكم بن هشام بعامين، وقد خلّف أولاداً نجباء كانوا أهل علم وخير [2] .

16/ سعيد بن حسان الصائغ :

هو أبو عثمان سعيد بن حسان الصائغ القرطبي، من موالي الأمير الحكم ابن هشام ، وقد ولد بقرطبة، وتعلم بها على يد بعض الفقهاء المالكيين، ثم رحل سنة 177هـ/793م، أوسنة 179هـ/795م لاستكمال تعليمه بالمشرق العربي الإسلامي، فدخل المدينة المنورة ومصر، وتعلم الفقه والحديث وعلم المسائل بهما على يد العديد من فقهاء المالكية، منهم: عبدالله بن نافع الزُهري، وعبدالله بن عبدالحكم، وأشهب بن عبدالعزيز الذي سمع منه سماعه من مالك، وكتب رأيه، وكان زاهداً فاضلاً فقيهاً في المسائل حافظاً[3].

وعندما انصرف عائداً إلى الأندلس سنة 204هـ/819م بعد أن بقي 27 سنة في المشرق العربي الإسلامي[4]، شغل منصباً في مجلس الشورى حيث كان يتشاور مع يحيى بن يحيى، وقاسم بن هلال، وعبدالملك ابن حبيب، وكان مُؤاخياً ليحيى بن يحيى آخذاً بهديه مُعَظّماً له، وكان الأغلب عليه حفظ رأي أشهب عن مالك، كما أنّه انفرد برواية فقه أشهب.

---

(1) نفح الطيب :المصدر السابق، مج2، ص 256 ـــ 257.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 132. كذلك المقري: المصدر السابق، مج2، ص 256.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 137. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 229. والقاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 376.

(4) القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 376ـــ 377. كذلك قاسم علي سعد: المرجع السابق، ج1، ص519.

درس علي يديه العديد من طلاب العلم بقرطبة، مثل: إبراهيم بن محمد بن باز، وعبدالملك بن الحسن زونان، وغيرهما، وأخذوا يحدثون عنه، وبه انتشر فقه أشهب عن مالك بن أنس [1].

توفي هذا الفقيه في أيام الأمير عبدالرحمن في شهر جمادى الأخرة سنة 236هـ/850م بعد يحيى بن يحيى بعامين [2].

17/ سعيد بن النمر سليمان بن الحسين الغافقي :

وقيل سعيد بن نمر بن سليمان بن الحسن الغافقي، من أهل إلبيرة، من شرق الأندلس، يكنى أبا عثمان[3].

سمع في الأندلس من يحيى بن يحيى، وسعيد بن حسان، وعبدالملك بن حبيب، وكان أجلَّ رواته، وعبدالملك بن الحسن، ثم رحل، فسمع من سحنون بن سعيد، وهو أحد السبعة الذين كانوا بإلبيرة من رواة سحنون [4]، وكان من علية أصحاب سحنون في الفضل والعلم، وكانت الرحلة إليه للسماع منه [5] .

حدّث عنه أحمد بن يحيى بن زكريا القرطبي، المعروف بابن الشامة، وسعيد بن فحلون البجاني، وحفص بن عمرو بن نجيح الإلبيري[6]، وروى عنه حيٌّ بن مطهر، وغيرهم[7]، و كانت له مسائل جُمعت عنه، أدخل منها القاضي أبو الوليد طرفاً في كتابه (البيان) [8] .

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 137.

(2) المصدر نفسه، ص 431.

(3) الحميدي: المصدر السابق، ص 229. كذلك ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 138

(4) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 138. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص234. والضبي: المصدر السابق، ص 313.

(5) قاسم علي سعد: المرجع السابق، ج 1، ص 545ـــ 546.

(6) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 138. الحميدي: المصدر السابق، ص234. والضبي: المصدر السابق، ص 313.

(7) الحميدي: المصدر السابق، ص234. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص 313.

(8) قاسم علي سعد: المرجع السابق، ج1، ص 546 .

توفي بالأندلس سنة 269هـ/882م، أوسنة 299هـ/911م[1]، وقيل: سنة 273هـ/886م [2].

18/ سعيد بن يحيى بن إبراهيم بن مزين:

مولى رملة ابنة عثمان بن عفان t، أصله من طليطلة، رحل منها، فاستوطن قرطبة، فأصبح يقال له الطليطلي القرطبي[3] .

سمع من أبيه ومن غيره، ثم رحل إلى المشرق العربي حاجاً، فالتقى العديد من العلماء، فتعلم على يديهم الفقه، فبلغ بعلمه ذلك مبلغ السؤدد، الأمر الذي دفع الأمير محمد بأن يُشركه في الوثائق مع قاسم بن محمد، الذي انفرد بها قاسم بعد وفاة سعيد [4] .

توفي يوم الجمعة في شهر ذي القعدة سنة 273هـ/886م[5]، أو سنة 267هـ/880م [6].

19/ عبد الله بن محمد بن خالد بن مرتنيل :

هو العالم والفقيه أبو محمد بن مرتنيل القرطبي[7]، تعلم الفقه والحديث أول أمره بقرطبة على يدي أبيه، وعيسى بن دينار، ويحيى بن يحيى، ثم رحل إلى المشرق العربي الإسلامي، ودرس في مدرسة المالكية بالقيروان ومصر والحجاز، حيث سمع بالقيروان من سحنون بن سعيد الأسدية[*] قبل أن يدونها، كما سمع

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 138 .

(2) الحميدي: المصدر السابق، ص234. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص 313.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 139. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 235. والضبي: المصدر السابق، ص 314. وقاسم علي سعد: المرجع السابق، ج1، ص 547ـ 548.

(4) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص139.

(5) الحميدي: المصدر السابق، ص 235. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص314.

(6) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص139.

(7) الضبي: المصدر السابق، ص 329. كذلك ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 175.

(*) الأسدية هي مؤلف في علم المسائل في الفقه المالكي، نسبة إلى مؤلفه الفقيه أبو عبدالله المغربي أسد بن الفرات صاحب مالك ابن أنس، كتبها عن ا بن القاسم بمصر، توفي سنة 213هـ. الذهبي: العبر في خبر من غبر، المصدر السابق، ج1، ص 181.

بمصر من أصبغ بن الفرج، وعبدالملك بن هشام (المشاهد) [1].

كان رئيس المالكية بالأندلس، والقائم برعاية المذهب، والذاب عنه، مهيباً مكيناً من السلطان، معظماً للعلم، لا يرى التقية، ولا يبالي ما دار عليه، وكان العامة والحكام يعظمونه، ويحترمونه، وكان الناس في مجلسه على رؤوسهم الطير، من الإجلال.

تولى الصلاة بمسجد قرطبة، وكان له حلقة يُعلّم فيها، حيث أخذ على يديه علم الفقه أبو صالح بن أيوب بن سليم، وابن حميد، وسعيد بن خمير، وسعيد بن عثمان، ويحيى بن عبد العزيز، ومحمد بن عمر بن لبابة، وابن الخراز، وابن أيمن ونظراؤهم بقرطبة، وكان من أشد الناس على بقي بن مَخْلَد[2].

توفي يوم السبت للنصف من رجب سنة 256هـ/869م [3]، وقيل: سنة 261هـ/874م [4].

20/ عبد الله بن مسرة بن نجيح:

هو أبو محمد عبدالله بن مسرة بن نجيح بن مرزوق الأستجي، رحل به أخوه إبراهيم بن مسرة التاجر إلى المشرق العربي وهو صغير، حيث صحب في رحلته هذه محمد بن عبدالسلام الخُشني.

وصل البصرة وسمع بها من بندار محمد بن بشار، وعمرو بن علي القلاّس، ومحمد بن المثنى الزمن، ونصر بن الجهضمي، وأحمد بن محمد غلام خليل، والمفضل بن عبدالرحمن الغلاّبي، وبشر بن أحمد ، وجماعة سواهم من البصريين وغيرهم، وشارك الخُشني في أكثر رجاله بالبصرة، وتردد فيها فأكثر.

---

(1) القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 442ـ 444.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 175. كذلك القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 443.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 176.

(4) الحميدي: المصدر السابق، ص 249. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص 330. والقاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 445.

ثم انصرف عائداً إلى الأندلس، فحدث بها، وروى عنه أبو عمرو عثمان، ومحمد بن قاسم، وقاسم بن أصبغ، وثابت بن حزم السرقسطي، وآخرين من نظرائهم.

ورحل في آخر عمره رحلة ثانية بعد أن كبر ابنه محمد، وترك كتبه بيده، ويقال إنّ رحلته وخروجه إنما كان لدَيْن ركبه، فوصل إلى مكة، وكان له بها جاه عريض، حيث توفي بها في شهر ذي الحجة سنة 286هـ/899م في عهد الأمير عبد الله بن محمد [1].

21/ عبد الله بن محمد بن قاسم بن هلال بن يزيد بن عمران القيسي:

هو الفقيه القرطبي أبو محمد الظاهري، العالم المشهور بالرحلة وطلب العلم، رحل إلى المشرق العربي الإسلامي، ودخل العراق، فلقي أبا سليمان داود بن سليمان القياسي، وتعلم على يديه الفقه الظاهري، وكتب عنه كتبه كلها، وأدخلها الأندلس، فأحلت به عند أهل وقته مكاناً مرموقاً، كما نظر في علم مالك نظراً حسناً؛ غير أنه كان يميل إلى علم داود والحجة، والقول بالظاهر، كما لقي المُزني، وحدّث عنه.

حدّث عنه محمد بن عبدالملك بن أيمن، وقاسم بن أصبغ، ومحمد بن قاسم، وغيرهم، وذكر فضله أبو محمد علي بن أحمد، فقال: إذا نعتنا عبدالله بن قاسم بن هلال، ومنذر بن سعيد لم نجار بهما؛ إلاّ أبا الحسن بن المُغلّس، والخلاّل، والدّيباجي، ورُوَيم بن أحمد، وقد شاركهم عبدالله في الأخذ عن أبي سليمان داود ابن علي وصحبته[2].

توفي أبو محمد سنة 272هـ/885م [3]، أو سنة 292هـ/904م [4] .

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 179ــ 180.

(2) الحميدي: المصدر السابق، ص 264ــ 265. كذلك ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 180ــ 181. والضبي: المصدر السابق، ص 350.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 180

(4) الحميدي: المصدر السابق، ص 264ــ 265. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص 350.

22/ عبيد الله بن يحيى بن يحيى بن كثير الليثي :

هو فقيه قرطبة، ومسند الأندلس أبو مروان ابن فقيه الأندلس يحيى بن يحيى الليثي، أخذ علمه في صباه عن أبيه عن الإمام مالك بن أنس، ثم رحل حاجاً وتاجراً إلى المشرق العربي الإسلامي، فدخل بغداد، وسمع بها من مجالس أبي هاشم الرفاعي محمد بن يزيد، كما شهد بمصر مجلس محمد بن عبدالرحيم البرقي الذي سمع المشاهد[1]، وعندما عاد إلى بلده قرطبة، انفرد برئاسة الشورى في الأحكام في بلده، كما سمع منه الناس علمه[2].

روى عنه أحمد بن خالد، وابن أيمن، أحمد بن مُطرّف، وأحمد بن سعيد ابن حزم الصدفي، وأبو عيسى يحيى بن عبدالله بن أبي عيسى، وأحمد بن محمد الرعيني، وأحمد بن ثابت الثعلبي، وخليل بن إبراهيم، وعبدالله بن محمد بن حنين المعروف بابن أبي ربيع، وأبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالبر صاحب التاريخين في الفقه والقضاء، وغيرهما من الشيوخ، وكان آخر من حدث عنه ابنه الشيخ يحيى [3] .

توفي بالأندلس سنة 297هـ/909م[4]، وقيل: يوم الإثنين 10 رمضان سنة 298هـ/910م [5]،أو في سنة 299هـ/911م [6].

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 206. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 268ـ 269. والضبي: المصدر السابق، ص255.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 207.

(3) الضبي: المصدر السابق، ص255. كذلك ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 207. والحميدي: المصدر السابق، ص 269.

(4) الحميدي: المصدر السابق، ص 269. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص255.

(5) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 207.

(6) الذهبي: العبر في خبر من غبر، المصدر السابق، ج1، ص 271.

23/ عبد الرحمن بن الفضل بن عميرة بن راشد الكناني العتقي :

هو عبدالرحمن بن الفضل بن عميرة بن راشد بن عبدالله بن سعيد بن شريك بن عبدالله بن مسلم بن نوفل بن ربيعة بن مالك بن مسلم الكناني العتقي، من أهل بلدة تُدمير، يكنى أبا المطرف، أخذ العلم أول أمره عن أبيه ويحيى بن مضر، وقد اشتهر بحرصه على طلب العلم.

رحل عبدالرحمن وأبوه إلى المشرق العربي الإسلامي فحجا، وسمعا بمصر من أصحاب الإمام مالك بن أنس منهم: عبدالله بن وهب، وعبدالرحمن بن القاسم، وابن الماجشون، وغيرهم، وتفقها على المذهب المالكي، وعند عودتهما إلى الأندلس تولى عبدالرحمن قضاء تُدمير للأمير الحكم بن هشام بعد أبيه الفضل بن عميرة، وتوفي سنة 227هـ/841م (1).

24/ عبد الرحمن بن إبراهيم بن عيسى بن يحيى بن يزيد بن بُرَيْر:

هو أبو زيد القرطبي، جد بني أبي زيد، ويُعرف بلسان أهل الأندلس القديم بابن تارك الفرس، تعلم في بداية أمره في قرطبة على يدي يحيى بن يحيى الليثي، وفي عهد الأمير عبدالرحمن بن الحكم، رحل إلى المشرق العربي الإسلامي، فأدرك ابن كنانة، وابن الماجشون، ومطرّف بن عبدالله، ونظرائهم من المدنيين، فروى عنهم، وعن أبي عبدالرحمن المقرئ صاحب ابن عُيينة بمكة، وعبيدالله بن موسى، وبمصر أخذ عن أصبغ بن الفرج، ومعاذ بن الحكم السلمي، ونحوهم (2).

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 212. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 277. والقاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 393. والضبي: المصدر السابق، ص 368ــ 369.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص213 . كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 271. وابن فرحون: المصدر السابق، ص241.

ألَّف في سؤاله المدنيين ثمانية كتب تعرف: بثمانية أبي زيد، وكان عنده حديث كثير، والأغلب عليه الفقه، وكان متقدماً في الشورى في حياة يحيى بن يحيى وهو فتى، صدراً فيمن يُستفتى[1] .

وعندما عاد إلى قرطبة، سمع منه وروى عنه محمد بن عمر بن لبابة، وابن حُمَيد، وسعيد بن خمير، وسعيد ابن عثمان الأغناقي، وأبو صالح أيوب ابن سليمان بن صالح ، ومحمد بن سعيد ابن الملون، وقاسم بن أصبغ، ومحمد بن فُطَيْس الإلبيري، وغيرهم كثير [2] .

توفي سنة 256هـ/869م [3]، وقيل: سنة 258هـ/871م، وقيل في جمادى الأولى سنة 259هـ/872م [4] .

25/ عبد الرحمن بن سعيد التميمي :

هو أبو زيد التميمي عالم التفسير القرطبي، المالكي المذهب، كان يتردد في قرطبة على الفقيه يحيى بن يحيى الليثي، حيث تعلم منه الفقه على مذهب الإمام مالك بن أنس .

رحل عبدالرحمن إلى المشرق الإسلامي بعد وفاة الإمام مالك بن أنس، فدخل مصر، وأخذ عن أصحابه بها، منهم: أصبغ بن الفرج، وأبي الفرج زيد بن أبي الغمر، وغيرهما، كما تعلم علم التفسير على يد أبي صالح، وعند عودته للأندلس، أدخل معه كتاب التفسير المنسوب إلى ابن عباس على رواية الكلبي، عن أبي صالح، وكان يوصف بالكرم والعلم، توفي في شوال سنة 265هـ/878م [5].

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص213. كذلك و الحميدي: المصدر السابق، ص271. والقاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 452. وابن فرحون: المصدر السابق، ص 241.

(2) ابن فرحون: المصدر السابق، ص 241.

(3) الحميدي: المصدر السابق، ص 271.

(4) الحميدي: المصدر السابق، ص271. كذلك القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 452. وابن فرحون: المصدر السابق، ص 241.

(5) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 213. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 273. والضبي: المصدر السابق، ص 364.

26/ عبد الملك زونان :

هو الفقيه القرطبي أبو مروان عبدالملك بن الحسن بن محمد بن رزيق بن عبيد الله بن رافع بن أبي رافع مولى رسول الله r [1].

أخذ العلم في صباه على يد صعصعة بن سلام الدمشقي، وظل يروي عنه، ثم رحل إلى المشرق العربي الإسلامي، فسمع بمصر من فقهاء المالكية، أمثــال: أشهب بن عبدالعزيز، وعبدالرحمن بن القاسم، وعبدالله بن وهب، وغيــرهم مــن المدنيين أيضاً، وبذلك اعتقد بمذهب الإمام مالك بن أنس بعد أن كــان يُفتــي أولاً بمذهب أبي عمرو الأوزاعي، وكان علمه الغالب عليه الفقه، ولم يكن مــن أهــل الحديث، وقد أدخل العُتبي سماعه في المستخرجة[2].

صار بعد عودته إلى بلاده في أيام الأمير هشام بن عبدالرحمن مفتياً مــع يحيى بن يحيى الليثي الذي كان معجباً بكلامه، وفي أيام عبدالرحمن بن الحكــم، دارت الفُتيا عليه وعلى يحيى بن سعيد بن حسان، كما تولى قضاء طليطلة، بعد أن خبر القضاء أيام اشتغاله كاتباً لقاضي قرطبة إبراهيم بن العباس بن أبي يحيى بن يحيى.

توفي في آخر أيام الأمير عبدالرحمن بن الحكم سنة 232هـ/846م [3].

27/ عبد الملك بن حبيب السُلَمي :

هو عبدالملك بن حبيب بن ربيع بن سليمان الســلمي الإلبيــري[4]، فقيــه الأندلس، وعالمها الذي نبغ في العديد من العلوم المعروفة آنــذاك، وألــف فيهــا مؤلفات عظيمة وصلت الخافقين.

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص220. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص282. والضبي: المصدر السابق، ص 376. وابن فرحون: المصدر السابق، ص 257ـــ 258.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 220. كذلك ابن فرحون: المصدر السابق، ص257ـــ 258.

(3) الحميدي: المصدر السابق، ص 282. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص376.

(4) ابن فرحون: المصدر السابق، ص 252.

ولد ابن حبيب سنة181 هـ/797م في قرطبة [1]، وكانت أسرته ذات أصول طليطلية؛ إلاّ أن جده انتقل بسكنه منها إلى قرطبة، وفي ثورة الهيج، ثم رحل به أبوه إلى إلبيرة, وكان أبوه حبيب يُعرف بالعصّار؛ لأنه كان يعصر الأذهان ويستخرجها [2].

تتلمذ في بدء أمره على أيدي شيوخ قرطبة المشاهير، منهم: صعصعة بن سلام الدمشقي، والغازي بن قيس، وزياد بن عبدالرحمن شبطون، وكان الاثنان الأخيران منهم تلميذين للإمام مالك بن أنس، أما الأول؛ فكان أوزاعي المذهب [3].

وفي سنة 207هـ/822م أو السنة التي بعدها، رحل عبدالملك إلى المشرق العربي الإسلامي، فحج، وتعلم في المدينة و مصر على أيدي علماء أجلّاء، أمثال:عالم المدينة عبدالملك بن الماجشون، ومطرّف بن عبدالله، و الشيخ المؤرخ إبراهيم بن المنذر الجذامي؛ تلميذ الواقدي، وفي مصر تعلم علي يد أصبغ بن الفرج، وأسد بن موسى، وإسماعيل بن أبي أويس، وعبيدالله بن موسى الكوفي، وعلي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، وعبدالله بن نافع الزبيري الزبدي، وعبدالله بن عبدالحكم، وعبدالله بن المبارك [4] .

في سنة 216هـ/831م [5]عاد عبدالملك إلى الأندلس، فنزل مدينته إلبيرة، وكان قد جمع علماً عظيماً، حيث كان ينسخ كتب ومقالات شيوخه، فنبغ في علم الفقه والحديث، وعلم اللغة والإعراب، كما تصرف في فنون الأدب من شعر وتاريخ وغيرهما [6] .

---

(1) ك. بويكا: المصادر التاريخية العربية في الأندلس من القرن السابع حتى الثلث الأول من القرن الحادي عشر، (تح) نايف أبو الكرم، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 1999م، ص 46

(2) القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 381.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 221. كذلك ابن فرحون: المصدر السابق، ص 253.

(4) الحميدي: المصدر السابق، ص282 ــ 283. كذلك ابن فرحون: المصدر السابق، ص 253.

(5) ك. بويكا: المرجع السابق، ص40. وقد ذُكر أيضاً أنه رجع إلى الأندلس سنة 210هـ/825م. يُنظر القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 382.

(6) المقري: المصدر السابق، مج2، ص 218 ــ 219. كذلك ابن فرحون: المصدر السابق، ص 254.

ذاعت شهرته بين أهل الأندلس، فنقله الأمير عبدالرحمن بن الحكم إلى قرطبة، وعرض عليه قضاء القضاء، فامتنع، فجعله في طبقة المفتيين فيها، فأقام مع يحيى بن يحيى وسعيد بن حسان في المشاورة والمناظرة حتى مات يحيى ابن يحيى؛ فأنفرد بعده بالرياسة [1] .

امتهن ابن حبيب التعليم بمسجد قرطبة، فتعلم منه ابناه محمد وعبدالله، وسعيد بن نمير، وأحمد بن راشد، وإبراهيم بن خالد، وإبراهيم بن شعيب، ومحمد ابن فطيس، وروى عنه من عظماء القرطبيين، مُطرّف بن قيس، وبقي بن مخلد، ومحمد بن وضاح، وسعيد بن المسيب، و يوسف بن يحيى المغامي، وعبيد بن يحيى الإفريقي، وغيرهم، وكان المغامي آخرهم موتاً [2] .

احتل عبدالملك مرتبة عالية بين علماء الأندلس، بعلمه ومؤلفاته العديدة في الفقه والتاريخ والأدب، والتي بلغت على حد قوله 1050 كتاباً منها: الكتب المسماة (الواضحة) في السنن والفقه لم يُر مثلها، وكتاب(إعراب القرآن)، وكتاب(الحسبة في الأمراض)، وكتاب(الفرائض)، وكتاب(السخاء واصطناع المعروف)، وكتاب (كراهية الغناء)، وكتاب(النسب)، وكتاب(النجوم)، وكتاب(الجامع) وهو كتاب فيه مناسك النبيe، وكتاب(الرغائب)، وكتاب(الورع في المال، وغيره) ستة أجزاء، وكتاب (العمل بالجوارح)، و كتاب(فضائل النبيe والصحابة)، وكتاب(فضائل عمر بن عبدالعزيز)، وكتاب (فضائل مالك بن أنس)، وكتاب(أخبار قريش وأنسابها)، وكتاب(غريب الحديث)، وكتاب (تفسير الموطأ)، وكتاب(حروب الإسلام)، وكتاب(المسجدين)، وكتاب(السلطان وسيرة الإمام في الملحدين)، وكتاب(طبقات الفقهاء والتابعين)، وكتاب (مصابيح الهدى)[3].

غير إنّ ابن الفرضي قسّم هذه الكتب وهذه الأسماء التي جمعها عبدالملك في كتاب واحد، حيث قال: إنّ ابن حبيب إنما ألّف كتابه في عشرة أجزاء، الأول

---

(1) ابن سعيد: المصدر السابق، ج2، ص 96.

(2) ابن فرحون: المصدر السابق، ص 252.

(3) القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 384 ــ 385. كذلك ابن فرحون: المصدر السابق، ص 254 ــ 246.

(تفسير الموطأ) حاشى الجامع, والثاني(شــرح الجــامع)، والثالــث والرابــع والخامس في (حديث النبي e والصحابة والتابعين)، وكتاب(مصــابيح الهــدى) جزء منها، ذكر فيه من الصحابة والتابعين، والعاشر (طبقات الفقهاء) وليس فيها أكثر من الأول، وتحامل في هذا الشرح على أبى عبيد والأصمعي، وانتحل كثيراً من كلام أبي عبيد، وكثيراً ما يقول فيه: أخطأ شارح العراقيين، وأخذ عليــه فيــه تصحيف قبيح هو أضعف كتبه [1] .

وكانت وفاته بالأندلس في الرابع من رمضان، أو في ذي الحجة على حد قول بعض العلماء سنة 238هـ/852م، وعمره أربع وستون سنة، ودفن بقرطبة في مقبرة أم مسلمة قبلي مسجد الضيافة، وصلى عليه القاضي أحمد بن زياد، وقيــل: صلى عليه ابنه [2].

28/ عباس بن ناصح الجزيري الثقفي الشاعر :

من أهل الجزيرة ، يكنى أبا العلاء[3]، أو أبا المعلّى، وهو عبــاس بــن ناصح بن تليد المصمودي، كان من أهل العلم باللغة العربية والشعراء المجودين، وله حظ من الفقه والرواية، فحل شعراء الأندلس[4]، وكان والــده ناصــحاً عبــداً لمزاحمة بنت مزاحم الثقفي الجزيري [5] .

رحل به أبوه صغيراً فنشأ بمصر، وتردد بالحجاز على حلقــات الــدرس طالباً للغة العربية، ثم رحل به إلى العراق، فلقي الأصمعي، ثــم انصــرف إلــى الأندلس، وفي رحلته الأخرى لقي بالعراق أبا نواس، الذي أذعن له بالفضل على نفسه.

وانصرف إلى الأندلس فكان شاعر الأمير الحكم بن هشام، وعندما تــولى أمر الأندلس الأمير عبدالرحمن الثاني أرسله إلى العراق فــي إلتمــاس الكتــب

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 221.

(2) الذهبي: العبر في خبر من غبر، المصدر السابق، ج1، ص 211 ــ212.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، 238.

(4) السيوطي: بغية الوعاة، المصدر السابق، مج1، ص28.

(5) ابن سعيد: المصدر السابق، ج1، ص 324ــ 325.

القديمة، فأتاه بكتاب السند هند وهو كتاب قديم في علم الحساب والأعداد الهندسية، وكان له الفضل في أولية إدخاله للأندلس، وتعليم أهلها علوم الحساب والهندسة الهندية [1]، ولما رجع استقضاه الأمير عبدالرحمن على شذونة والجزيرة، وولي القضاء بعده ابنه عبدالوهاب الذي كان شاعراً أيضاً، ثم حفيده محمد بن عبدالوهاب، وكان شاعراً أيضاً، فهم ثلاثة قضاة في نسق، وثلاثة شعراء في نسق، وكان عباس يسلك في أشعاره مسالك العرب القديمة، وقد توفي بعد سنة 230هـ/844م [2].

29/ عثمان بن أيوب بن أبي الصلت :

هو الفقيه المالكي أبو سعيد القرطبي، يزعم ولده أنه من الفرس، نشأ، وترعرع، وتعلم في قرطبة في بداية حياته العلمية علي يد الغازي بن قيس، ثم رحل إلى المشرق العربي الإسلامي، وتعلم في مدرسة الفقه المالكي بالقيروان ومصر، حيث سمع بالقيروان من سحنون بن سعيد، وأخذ عنه المدونة[*]، وتعلم في مصر على يد أصبغ بن الفرج[3]، وعندما عاد إلى الأندلس أدخل معه مدونة سحنون بن سعيد، وقد عدّه المؤرخون أول من أدخل مدونة سحنون إلى الأندلس، وأريد على القضاء فأبى قبوله والعمل فيه [4].

كان ممن روى عنه من أهل بلاده محمد بن عمر بن لبابة الذي أثنى عليه ووصفه بالعلم والورع، وكان يحيى بن يحيى صديقاً له، كما أثنى عليه أحمد بن خالد وغيره، ووصفوه بالزهد والفضل [5] .

---

(1) المصدر نفسه، ج1، ص 45.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، 238.

(*) المدونة هي كتاب في فقه الإمام مالك بن أنس، وتأتي مرتبتها عند المالكية بعد الموطأ، وقد ألفها سحنون بن سعيد في مصر، ثم انتقلت إلى إفريقية، وظل أهلها يعتمدنها، ويعتبرونها أصل المذهب، وقد انتشرت في الأندلس. محمد إبراهيم أحمد علي: اصطلاح المذهب عند المالكية، دار البحوث والدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي 2000م، ص148ـ 150.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 242.

(4) القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 445.

(5) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 242.

توفي سنة 240هـ/854م، أو سنة 246هـ/860م، أو سنة 267هـ/880م [1].

30/ عثمان بن المثنى :

هو أبو عبدالملك القرطبي، العالم بالنحو والغريب والأدب والشعر، رحل إلى المشرق العربي الإسلامي، فتعلم العربية والغريب والشعر على يد رواة الغريب، وأصحاب النحو والمعاني، منهم: محمد بن زياد الأعرابي، و غيره، وقرأ على أبي تمام حبيب بن أوس ديوان شعره، وأدخله الأندلس رواية عنه، وأدّب أولاد الأمير عبدالرحمن بن الحكم، وأولاد محمد وعمر ابني عبدالرحمن بن الحكم، وروى عنه محمد بن فطيس شرح الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام، توفي سنة 273هـ/886م بعد وفاة الأمير محمد بن عبدالرحمن، عن عمر يناهز التاسعة والتسعين[2].

31/ عيسى بن دينار:

هو أبو عبدالله [3]، أو أبو محمد عيسى بن دينار بن واقد الغافقي، فقيه الأندلس المالكي، أصله من طليطلة، وسكن قرطبة[4].

تفقه في أول أمره على يد عبدالرحمن بن القاسم العُتَبي[5]، وكان يحدث في الأندلس بكتاب البُيُوع وهو كتاب في فقه المعاملات، بذلك يكون أول من علّم أهل الأندلس علم المسائل [6].

رحل إلى المشرق العربي الإسلامي بعد وفاة الإمام مالك بن أنس بعشر سنين، فأدرك بمصر أصحابه من الفقهاء المالكية، منهم: عبدالرحمن بن القاسم، وابن وهب، وأشهب؛ غير أنّه اعتمد في سماعه على ابن القاسم، حيث صحبه

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 242. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 303. والقاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 445. والضبي: المصدر السابق، ص 410.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 242. كذلك السيوطي: بغية الوعاة، المصدر السابق، مج2، ص 136

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 262.

(4) والقاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 373. كذلك ابن فرحون: المصدر السابق، ص 279 .

(5) الحميدي: المصدر السابق، ص 298. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص 402.

(6) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 262 .

وعوّل عليه في علمه، ويعتبر عيسى أول من أدخل الفقه متفقاً برأي ابن القاسم إلى الأندلس[1].

ذاعت شهرة عيسى بعلم الفقه حتى أصبح رئيس المُفتين بقرطبة، لا يتقدمه في وقته أحد، رغم وجود يحيى بن يحيى بها، فكان أفقه من يحيى بن يحيى على جلالة قدر يحيى وعِظَمِه، حيث كان يقال: فقيه الأندلس عيسى بن دينار، وعالمها عبدالملك بن حبيب، وعاقلها يحيى بن يحيى، وقد اتهم عيسى يوم الهيج بقرطبة، فهرب، واستخفى، ثم أمّنه الحكم بن هشام، فرجع، واستقر بقرطبة مرة أخرى[2].

كان من الفقهاء المالكيين الذين يحبون ترك الرأي والأخذ بالحديث، وقيل إنّه كان قد أجمع في آخر أيامه أن يدع الفُتيا بالرأي، ويُحيل الناس على ما رواه من الحديث، فعاجلته منيته، وحالت بينه وبين ما أجمع عليه[3]، روى عنه ابنه أبَان، وولي قضاء طليطلة للأمير الحكم بن هشام والشورى بقرطبة.

ألّف في الفقه كتاباً يُسمى (الهدية) في عشرة أجزاء، وكتاب "الجدار"، وكانت وفاته بطليطلة، أو كما قيل عند سفره منها سنة 212هـ/827م في أيام الأمير عبدالرحمن الثاني، وخلّف أولاداً فقهاء منهم أبان وغيره [4].

32/ فرج بن سلام :

عاش خلال النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي في قرطبة، وكان يكنى أبا بكر.

درس فرج بن سلام التاريخ والطب، غير أن اهتمامه كان منصباً على الأخبار والشعر والآداب، إلى جانب الطب[5].

---

(1) ابن فرحون: المصدر السابق، ص 279.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 263. كذلك القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 373.

(3) ابن سعيد: المصدر السابق، ج2، ص 24.

(4) الذهبي: العبر في خبر من غبر، المصدر السابق، ج1، ص 181م.

(5) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 276.

ساهم في نشر المؤلفات العربية التي ألفها علماء العراق في الأندلس، بعد عودته من رحلته التي دخل فيها العراق، مثل: كتاب البيان والتبيين الذي أخذه عن مؤلفه عمرو بن بحر الجاحظ، وأخذ يدرسها لتلاميذه الذين كان من بينهم العالم الأموي أحمد بن عبدالله القرشي الجيلى الذي كان من المهتمين بالتاريخ والأدب.

يعتبر فرج بن سلام خبيراً بتراجم الكُتّاب الأندلسيين، حيث يظهر ذلك بوضوح من خلال مؤلفه (أخبار كُتّاب الأندلس) الذي استفاد منه معاصره الأصفر القرطبي سكن بن إبراهيم [1]، وكانت وفاته في بلش من عمل رية وبها دفن [2].

33/ قاسم بن هلال :

هو الفقيه المالكي، أبو محمد قاسم بن هلال بن يزيد بن عمران بن مالك العُتبي القيسي، نشأ بقرطبة وتعلّم بها على يدي العالم الفقيه زياد بن عبدالرحمن شبطون، ثم رحل إلى المشرق العربي الإسلامي، فسمع بمصر من عبدالله بن وهب، وعبدالرحمن بن القاسم، وغيرهم من المدنيين من أصحاب مالك، فكان عالماً بالمسائل، ولم يكن له علم بالحديث، وكان سحنون يؤثر ابنه محمد لاجتماعه معه عند ابن القاسم، حدّث عنه بنوه وغيرهم، وبيته بيت فقه ورياسة في قرطبة، وكانت وفاته كما قيل: سنة231هـ/845م، أوسنة237هـ/851م[3] .

34/ قاسم بن محمد بن سيّار :

هو الفقيه القرطبي أبو محمد قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن سيار البيّاني، كان شافعي المذهب يميل إلى الحجة والنظر وترك التقليد[4]، وشُهِرَ بصاحب الوثائق؛ لاشتغاله بالوثائق للأمير محمد طول حياته[5] .

---

(1) ك. بويكا: المرجع السابق، ص 61.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 276.

(3) الحميدي: المصدر السابق، ص 332ــ 333. كذلك ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 279. والقاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 379ــ 380. والضبي: المصدر السابق، ص 451.

(4) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 279ــ 280. كذلك المقري: المصدر السابق، مج2، ص 260ــ 261.

(5) الحميدي: المصدر السابق، ص 329. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص 446.

رحل قاسم إلى المشرق العربي الإسلامي ، وكانت له رحلتان إلى مصـــر سمع فيهما من محمد بن محمد بن عبدالله بن عبدالحكم، وأبي إبراهيم المزني، ومحمد بـــن عبدالرحيم البرقي، وإبراهيم بن محمد الشافعي، والحارث بـــن مســـكين، وأبـــي الطاهر أحمد بن عمر بن السرح، ويونس بن عبدالأعلى، وإبراهيم بـــن المنـــذر الجذامي، وغيرهم، ولزم ابن عبدالحكم للتفقه، وتحقق بالمزني [1].

وعندما رجع إلى الأندلس، بدأ بنشر المذهب الشافعي بها، وكان من بـــين تلاميذه بالأندلس ابنه محمد، ومحمد بن عمر بن لبابة، وسعيد بن عثمان الأعناقي، وأحمد بن خالد، ومحمد بن عبدالملك بن أيمن، وابن الزراد، وأسلم بن عبدالعزيز، كما ألَّف في الفقه الشافعي العديد من الكتب، مثل: كتابه في الرَدّ على يحيى بـــن مزين، وعبدالله بن خالد، والعُتبي، يسمى بكتاب" الإيضاح في الرد على المقلدين" وكتاب آخر في خبر الواحد[2]، توفي قاسم بن محمد في سنة 276هـ/889م[3].

35/ قرعوس بن العباس :

هو الفقيه المالكي القرطبي أبو الفضل قرعوس بن العباس بن قرعوس بن عبيد [4]، أو حميد بن منصور بن محمد بن يوسف الثقفي، ويقال: أبو محمـــد[5]، كان والده العباس صاحب السوق بقرطبة في أيام الأمير عبدالرحمن بن معاويـــة، وكان شديداً لا يهاب أحداً في تطبيق الأحكام على كـــل مخـــالف، حيـــث يشـــتد بالضرب على أهل الريب.

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 279ـــ 280. كذلك المقري: المصدر السابق، مج2، ص 260ـــ 261.
والنووي: مختصر طبقات الفقهاء، (تح) عادل عبد الموجود وعلي معوّض، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت،1995م ص 550ـــ 551.

(2) المقري: المصدر السابق، مج2، ص261

(3) الذهبي: العبر في خبر من غبر، المصدر السابق، ج1، ص 248.

(4) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص291 . كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص333. والضبي: المصدر السابق، ص 451.

(5) القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 285.

رحل قرعوس إلى المشرق الإسلامي للحج، وهناك بالمدينة لقي الإمام مالك ابن أنس، وسفيان بن سعيد الثوري، وعبدالملك بن جريج، وعبدالعزيز بن أبي حازم، والليث بن سعد، وغيرهم، فأخذ عنهم علمهم في الفقه.

وعندما عاد إلى قرطبة في عهد الأمير هشام بن عبدالرحمن، أدخل معه كتاب الموطأ، وأخذ يعلمه للناس، كما علم أهل بلاده علم المسائل، لهذا يعتبره بعض المؤرخون من الفقهاء الأوائل الذين كان لهم الفضل في نشر المذهب المالكي بالأندلس، وهو ثقة صدوق فيما يرويه، وثّقه يحيى بن يحيى الليثي.

اتهم قرعوس ممن اتهم في أمر الهيج بقرطبة أيام الأمير الحكم بن هشام، فسجن؛ غير أن الأمير الحكم عفى عنه، وأطلق سراحه.

كان قرعوس من أهل العلم؛ غير أنه لم يكن عالماً بالحديث، وقد تعلم على يديه الفقه أصبغ بن خليل، وعبدالملك بن حبيب، وعثمان بن أيوب.

وفي أيام الأمير عبدالرحمن بن الحكم توفي هذا الفقيه المالكي سنة 220هـ/835م [1].

36/ محمد بن عيسى بن عبد الواحد بن نجيح المعافري:

هو عالم المسائل القرطبي أبو عبدالله محمد بن عيسى الأعشى، رحل هذا العالم الأندلسي في العام الذي توفي فيه الإمام مالك بن انس سنة 179هـ/795م، فكان علمه بالمشرق على يد أصحاب الإمام مالك من أهل المدينة ومصر والعراق، مثل: سفيان بن عيينة الكوفي، ووكيع بن الجراح الرؤاسي الكوفي، ويحيى بن سعيد القطان، وعثمان بن عيسى بن كنانة، وعبدالله بن وهب، وابن القاسم، وأشهب بن عبدالعزيز، والمهزومي وغيرهم، و كان جُلّ علمه في مدرسة المالكية بمصر والعراق حيث ذُكر أنه حين دخل مصر، روى بها أربعين ألف

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 291ــ 292. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 333. والقاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص285ــ 286. والضبي: المصدر السابق، ص451. وابن فرحون: المصدر السابق، ص 325.

مسألة[1]، وكان علمه الغالب عليه الحديث ورواية الآثار، وكان يذهب في الأشربة مذهب أهل العراق [2].

روى عنه من أهل بلده الفقيه بقي بن مَخْلَد، ومحمد بن وضّاح ، وأصبغ ابن خليل، ومحمد بن عبدالواحد، وجماعة سواهم [3] .

توفي سنة 221هـ/835م[4]، وقيل: سنة 222هـ/836م عام السيل الكبير[5].

37/ محمد بن أحمد بن عبد العزيز العُتبي:

هو الفقيه القرطبي المالكي المشهور بمؤلفه في علم الفقه وهو كتاب "المستخرجة"، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عبدالعزيز بن أبي عتبة بن جميل بن أبي عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، غير أن أحد تلاميذه وهو ابن لبابة أشار إلى نسبه فقال: العتبي ليس يتصل نسبه بعتبة، وإنما كان له جد يسمى عتبة، نُسِبَ إليه [6].

درس في شبابه بالأندلس علي يد الفقيه يحيى بن يحيى، وسعيد بن حسان، وغيرهما، ثم أراد استكمال تعليمه، فرحل إلى المشرق العربي، وسمع من سحنون بن سعيد، وأصبغ بن الفرج وغيرهما، فحفظ المسائل وجمعها، كما كان عالماً بالنوازل [7] .

وعندما رجع إلى بلاده الأندلس، أخذ في تدوين سماعه في فقه مالك حتى أخرجه في كتاب سُمي(المستخرجة) أو (العُتبية) نسبة إليه، وقد أكثر في هذا

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص296ـ 297. كذلك القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص377ـ 378. والمقري: المصدر السابق، مج2، ص271.

(2) القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص377ـ 378. كذلك المقري: المصدر السابق، مج2، ص 272.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 297.

(4) الحميدي: المصدر السابق، ص 74. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص 109. والمقري: المصدر السابق، مج2، ص271.

(5) القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 378.

(6) ابن فرحون: المصدر السابق، ص 336.

(7) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 297. كذلك ابن فرحون: المصدر السابق، ص 336. ومحمد مخلوف: المصدر السابق، مج1، ص 112.

الكتاب من الروايات المطروحة، والمسائل الغريبة والشاذة، فكان يُؤتَى بالمسألة الغريبة الشاذة، فإذا سمعها قال: أدخلوها في المستخرجة، وهذا الكتاب وقع عليه اعتماد علماء الأندلس كابن لبابة، وغيره، وظلت شهرته فترة طويلة، حيث يُذكر إن ابن رشد كان يرويها في أيامه، كما أشار ابن حزم الظاهري إلى أن المستخرجة كان لها بإفريقية القدر العالي، وعلى الرغم من ذلك فإن بعض أهل الأندلس كان يحط من قدرها كمحمد بن وضاح الذي ذكر بأن في المستخرجة خطأً كبيراً [1] .

لم يكن أحد في الأندلس من أهل عصره يتكلم معه في الفقه، ولا كان أحد بعده يفهم فهمه؛ إلاَّ من تعلم عنده، كأبي صالح، وسعيد بن معاذ، ومحمد بن عمر ابن لبابة، والأعناقي، ومحمد بن وضّاح، وطبقتهم [2].

توفي العُتبي في نصف شهر ربيع الأول من سنة 255هـ/868م [3]، وقيل: سنة 254هـ/ 868م [4] .

38/ محمد بن الحارث بن أبي سعيد :

هو أبو عبد الله المالكي المذهب، نشأ وترعرع في قرطبة، وتعلم الفقه فيها على يد والده الذي كان فقيهاً، كما تعلم على يد الفقيه يحيى بن يحيى، وعبدالملك بن حبيب، وعلى الرغم من ذلك، فإنه كان قليل العلم بالفقه.

رحل إلى المشرق الإسلامي، فحج، وسمع بمكة ومصر من غير واحد، ثم عاد إلى الأندلس في عهد الأمير عبدالرحمن بن الحكم الذي ولاَّه أحكام الشرطة الصغرى بعد أبيه، وعندما توفي الأمير عبدالرحمن بن الحكم، أقره الأمير محمد

---

(1) القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 449 ــ 450. كذلك ابن فرحون: المصدر السابق، ص 337. ومحمد مخلوف: المصدر السابق، ج1، ص 112.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص297. كذلك ابن فرحون: المصدر السابق، ص 336.

(3) الحميدي: المصدر السابق، ص 39. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص48. والمقري: المصدر السابق، مج2، ص 419. ومحمد مخلوف: المصدر السابق، ج1، ص 112.

(4) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 289. كذلك القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 450. وابن فرحون: المصدر السابق، ص 337.

ابن الحكم على عمله السابق، وأضاف إليه السوق، فلم يزل على ذلـــك إلـــى أن مات سنة 260هـ/873م [1].

39/ محمد بن يوسف بن مطروح الربعي :

هو أبوعبدالله الأعرج محمد بن يوسف بن مطروح بن عبدالملك بن أبـــي الميراء عبدالعزيز أبو عبدالله بن مهران بن علي بن وائلة بن زيد بن ربيعة بـــن سعيد بن تميم بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل [2].

نشأ وترعرع في قرطبة، وتعلم فيها على يدي الغازي بن قيس، وعيســـى ابن دينار، ويحيى بن يحيى، وغيرهم، ثم رحل في أيام الأمير عبـــدالرحمن بـــن الحكم إلى المشرق العربي الإسلامي، فسمع في القيروان من سحنون بن ســـعيد، وفي مصر من أصبغ بن فرج، وفي المدينة سمع الموطأ من مُطرّف بن عبـــدالله، وكانت رحلته هذه مع ابن مزين وابن وهب [3] .

رجع إلى الأندلس في أيام الأمير محمد بن عبدالرحمن بن الحكم، فأكرمه الأمير لسنه ومكانته العلمية بين أقرانه، فولاه الصلاة والفُتيا التي اشترك فيها مع أصبغ بن خليل، وعبد الأعلى بن وهب، وكان يحيى بن يحيى، وابن حسان، وابن حبيب يشاورونه، وكان من المعلمين الكبار في قرطبة، حيث كـــان يتحلـــق فـــي مسجدها الجامع ليُفتي فيها، ويعلم العلم، فكان أحمد بن خالد، ومحمد بن عمر بن لبابة، ومحمد بن أبي بكر، وابن الزراد، وأحمد بن بيطير تلاميذه النجباء [4].

توفي يوم عاشوراء سنة 271هـ/884م حسب أغلب الروايات [5].

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 299. كذلك القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 454ـ 455.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 300.

(3) القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 447.

(4) ابن فرحون: المصدر السابق، ص 359.

(5) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 300. كذلك القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 97. وابن فرحون: المصدر السابق، ص 360. أما الحميدي: المصدر السابق، ص 97، فيه أنه توفي سنة 261هـ/ 874م.

40/ محمد بن عبد السلام الخُشني :

هو الفقيه والمحدث الكبير القرطبي أبوعبدالله محمد بن عبدالسلام بن ثعلبة ابن زيد بن الحسن بن كليب أو(كلب) بن أبي ثعلبة الخُشني، من ذرية أبي ثعلبة الخُشني صاحب رسول الله r.

رحل إلى المشرق العربي الإسلامي قبل سنة 240هـ/854م، فحج، وسمع بمكة من محمد بن يحيى العدني، صاحب ابن عتية، وأخذ منه مصنف ابن عيينة، ثم رحل إلى العراق، ودخل البصرة، فأخذ فيها الحديث عن محمد بن بشار بُندار، وأبي موسى الزَّمن، ونصر بن علي الجهضمي، وغيرهم من أصحاب الحديث، كما لقي بها من علماء اللغة العربية أبا حاتم سهل بن محمد السجستاني، والعباس ابن الفرج الريَّاشي، وأبا إسحاق الزيادي، فأخذ عنهم كثيراً من كتب اللغة رواية عن الأصمعي وغيره، ثم دخل بغداد، فسمع بها من أبي عبيد القاسم بن سلام، وكتب بها كتبه، كما سمع من محمد بن وهب المسعري، وأبي عمران موسى بن خاقان، وفي مصر سمع من سلمة بن شبيب، وأبي الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح، ومحمد بن عبدالرحيم البرقي، ومحمد بن المثنى الذي روى عنه المشاهد، وأبي إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني صاحب الشافعي، وجماعة كثيرة من البصريين والمصريين وغيرهم، ثم رجع إلى بلاده، بعد أن قضى في رحلته خمساً وعشرين سنة متجولاً في طلب الحديث بين الأقطار، فأدخل معه إلى الأندلس كثيراً من حديث الأئمة وكثيراً من كتب اللغة وشيئاً من الشعر الجاهلي، رواية عن الأصمعي، وكان دخوله زمن الأمير محمد، فأراد الأمير أن يوليه القضاء، فأبى، فأعفاه الأمير [1] .

ساهم أبو عبدالله في نشر علم الحديث والعربية بين طلاب الأندلس الذين تعلموا على يديه منهم: أسلم بن عبدالعزيز بن هاشم القاضي، وأحمد بن خالد، ومحمد بن قاسم بن محمد، و قاسم بن أصبغ البياني، وكان من المكثرين عنه،

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص304ـ 305. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 68ـ 70. والضبي: المصدر السابق، ص 103ـ 105. والسيوطي: بغية الوعاة، المصدر السابق، مج1، ص 160. والمقري: المصدر السابق، مج 3، ص 5

وابنه محمد بن محمد بن عبدالسلام، كما ساهم في ذلك بمؤلفاته في شرح الحديث التي كانت تحوي الكثير من غريبه [1] .

توفي في يوم السبت لأربعٍ بقين من رمضان سنة 286هـ/899م عن عمر يناهز الثماني وستين سنة [2].

41/ محمد بن وضاح بن بزيغ :

هو الحافظ والإمام وراوية الحديث أبو عبدالله محمد بن بزيغ القرطبـــي، ولد في قرطبة سنة 199هـ/814م، أو سنة 200هـ/815م[3]، ونشأ وترعرع فيهـا وتعلم أول بدايته في التعلم على يدي الرواة والأئمة المشهورين في قرطبة مـــنهم: محمد بن عيسى الأعشى، ومحمد بن خالد الأشج، ويحيى بن يحيى، وســعيد بـــن حسان، عبدالملك بن الحسن زُونان، وعبدالملك بن حبيب، وعبدالأعلى بن وهب، وظل يروي عنهم في أيامه الأولى حتى رحل إلى المشرق الإسلامي [4].

وقد قام هذا الإمام برحلتين إلى المشرق العربي الإسلامي، كانـــت أولهـــا سنة 218هـ/833م، ولقي فيها الزهاد والعُبَّاد،مثل: سعيد بن منصـــور، وآدم بـــن إياس العسقلاني، ويحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، وزهير بن حرب، وإبـــراهيم بن حسان الإطرابلسي، وغيرهم، ولم يكن هدفه في رحلته هذه طلب الحديث، ثــم رحل مرة ثانية وطاف البلاد المشرقية طولاً وعرضاً، وسمع فيها من أبي بكر بن أبي شيبة، ومحمد بن عبدالله بن نُمير، ومحمد بن رُمْح، وحامد بن يحيى البلخي، ومحمد بن مسعود صاحب يحيى بن سعيد القطان، وهشام بن عمار، وعبدالرحمن ابن إبراهيم قاضي دمشق المعروف بدُحيم، وموسى بـــن معاويـــة الصُّـمَادحي، وهارون بن عبدالله الحَمَّال، وعبدالملك بن حبيب المُصيصي، وإبراهيم بن طيفور، ومحمد بن عمرو العزي، وأبي الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح، ومحمـــد بـــن

---

(1) الحميدي: المصدر السابق، ص 69. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص 105.

(2) المقري: المصدر السابق، مج3، ص 5 .

(3) ابن فرحون: المصدر السابق، ص 339.

(4) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص305ـ 306. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 93ـ 94. والضبي: المصدر السابق، ص 133ـ 134.

عيسى صاحب وكيع، ومحمد بن سعيد بن أبي مريم، كما سمع بإفريقية من سحنون بن سعيد التنوخي، وسمع بالمدينة من أبي مصعب، وغيرهم الكثير من البغداديين والحجازيين والشاميين والمصريين والقرويين، وكان على ذلك عدد الذين سمع منهم 165 رجلاً، لهذا يُعد هو وبقي بن مخلد من أوائل ناشري علم الحديث بالأندلس [1] .

وبعد أن رجع إلى الأندلس راح ينشر علم الحديث بين طلابه، فتعلمه على يديه، ورواه عنه من أهلها جماعة رُفعاء مشهورون، مثل: وهب بن مسرة، وابن أبي دُليم، وقاسم بن أصبغ، وأحمد بن خالد بن يزيد، ومحمد بن المسور، وعلي بن عبد القادر بن أبي شيبة، وأحمد بن زياد بن محمد بن زياد شبطون، ومحمد بن لبابة، ومحمد بن غالب، وخالد بن وهب الأعناقي، وغيرهم كثير.

كما يُعد محمد بن وضاح من العلماء الذين ساهموا في إدخال ونشر قراءة ورش، التي أخذها بالمشرق عن عبد الصمد بن عبدالرحمن بن القاسم الذي كان يرويها عن ورش، ومنذ ذلك الوقت اعتمد أهل الأندلس في قراءة القرآن الكريم على رواية ورش، وكانوا قبل ذلك يعتمدون قراءة الغازي بن قيس عن نافع، كما أسهم في نمو وتطور العلوم بالأندلس بمؤلفاته العديدة في الفقه منها: كتاب (العُبَّاد والعوابد)، و(رسالة السنة)، وكتاب(الصلاة في النعلين)، وكتاب(النظر إلى الله تعالى) [2] .

توفي في شهر المحرم سنة 286هـ/899م، أو سنة287هـ/900م وهو في عشرة التسعين من العمر [3].

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 305 ــ306. كذلك ابن فرحون: المصدر السابق، ص 338.

(2) محمد مخلوف: المصدر السابق، ج1، ص 113.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 306. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 94. والضبي: المصدر السابق، ص 134. والذهبي: العبر في خبر من غبر، المصدر السابق، ج1، ص 257.

42/ محمد بن غالب :

هو العالم والفقيه والحافظ القرطبي أبوعبدالله بن الصفار، الذي نشأ وتربى وتعلم بقرطبة على يدي محمد بن أحمد العُتبي، ومحمد بن وضاح وغيرهما، وروي بها عنهم.

وقد رحل هذا الفقيه إلى المشرق الإسلامي، وكان صاحبه في هذه الرحلة عبد الله بن أبو الوليد الأعرج، وسمع بمصر من: محمد بن سحنون، وأحمد بن صالح الكوفي، ومحمد بن تميم العنبري، ومحمد بن عبدالله بن عبدالحكم، ويونس ابن عبدالأعلى، وابن أخى ابن وهب، وأحمد بن عبدالرحيم البرقي، وغيرهم، ثم انصرف عائداً إلى الأندلس بعد أن نبغ في الفقه، صار من أهل الفُتيا في بلده، حيث كانت الفُتيا دائرة عليه مع عبدالله بن يحيى، ومحمد بن عمر بن لبابة، وأصحابهم إلى أن توفي في 3 شوال سنة 295هـ/907م [1] .

43/ محمد بن عبد الله بن الغازي بن قيس :

هو أبو عبدالله محمد بن الغزي بن قيس القرطبي، العالم بالحديث واللغة والأخبار والشعر، ترعرع في قرطبة وبدأ تعليمه بها على يد أبيه، ثم رحل إلى العراق، فدخل البصرة، والتقى فيها بأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني، وأبي الفضل العباس بن الفرج الرياشي، وأبي إسحاق إبراهيم بن خداش، وأبي موسى عيسى بن إسماعيل العتكي، وأبي سعيد عبدالله بن شعيب، وجماعة سواهم من أهل الحديث، ورواة الأخبار والأشعار، وأصحاب اللغة والمعاني، فأخذ عنهم علومهم وأدخلها الأندلس، حيث أخذ أهل الأندلس عنه الأشعار المشروحة كلها رواية.

وفي آخر عمره خرج من الأندلس لأداء فريضة الحج، فحج، وعندما عاد، توفاه الأجل بمدينة طنجة بالمغرب الأقصى، سنة 296هـ/908م، أو نحوها، فبقيت كتبه عند أقوام بطنجة [2].

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص309. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص81. والضبي: المصدر السابق، ص 119.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص310. كذلك السيوطي: بغية الوعاة، المصدر السابق، مج1، ص 139ــ 140.

44/ مسلم بن أحمد بن أبي عبيدة الليثي:

هو أبو عبيدة القرطبي المعروف بصاحب القبلة، لأنه كان مولعاً بالتشريق في قبلته(*)، نشأ وترعرع في قرطبة وتعلم بها، فكان من أهل العلم بالحساب، والنجوم، والفقه، والحديث.

رحل إلى المشرق العربي الإسلامي سنة 259هـ/872م[1]، فلقي أهل الحديث والفقه بمكة ومصر، وأخذ عنهم، وكان سماعه بمكة من الفقيه محمد بن إدريس وراق الحميدي، ومن علي بن عبدالعزيز، وأبي يحيى بن أبي مسرة، وإسحاق بن إبراهيم البياضي، و بمصر من الشيخ المزيني، والربيع بن سليمان المؤذن، ومحمد بن عبدالله بن عبدالحكم، وغيرهم.

ورجع إلى الأندلس، فأدخل معه العديد من كتب علم الحساب، والفلك، وكان كثيرٌ من العلماء ينعتونه بالشذوذ والزندقة والميل إلى عبادة الديانات القديمة، مثل:عبادة الكواكب والنجوم والديانات الفارسة كالبوذية والزرادشتية وغيرها، وعلى الرغم من ذلك، فقد كان محمد بن عمر بن لبابة، وأسلم بن عبدالعزيز يثنيان عليه، وينعتانه بالصدق والثقة.

روى عنه عثمان بن عبدالرحمن، وقاسم بن أصبغ، وعبدالله بن يونس، وجماعة سواهم؛ غير أنه أصيب بالعمى آخر عمره قبل أن يتوفى، حيث كانت وفاته سنة 295هـ/907م [2] .

(*) التشريق في القبلة هو الأخذ بناحية الشرق في الصلاة. الطاهر أحمد الزاوي: ترتيب القاموس المحيط، المرجع السابق، ج2، ص 703، مادة شَرَقَ.

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص392. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص350. والضبي: المصدر السابق، ص 470.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 392 ــ 393. وقيل توفي سنة 304هـ . يُنظر الحميدي: المصدر السابق، ص 350. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص 470.

45/ مُطرّف بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن قيس[1]:

هو أبو سعيد مُطرّف القرطبي، مولى عبدالرحمن بن معاوية، كان من أهل العلم بالفقه والنحو واللغة والشعر، شاعراً، بصيراً بالوثائق [2]، ولد بقرطبة، ونشأ وترعرع بها، وتعلم فيها أول بدايته على يد يحي بن يحي وسعيد بن حسان وعبدالملك بن حبيب، وعبدالملك بن حسن زونان، وحاتم بن سليمان، وداود بن جعفر، فكان من فقهاء المالكية النجباء.

رحل هذا الفقيه إلى المشرق العربي الإسلامي لاستكمال تعليمه، وفي مكة التقى عبد العزيز بن يحيى، ويعقوب بن كاسب، وبالمدينة التقى أبا مصعب الزهري، صاحب مالك، وإبراهيم بن المنذر الجذامي، و بمصر أيضاً التقى يحيى بن عبدالله ابن بكير، وعمرو بن خالد، وبكر بن إسماعيل، ويوسف بن عَدي، وأحمد بن عبدالرحمن البرقي، وبإفريقية التقى سحنون بن سعيد، وعون بن يوسف، ويحيى ابن سليمان، وغيرهم، وأخذ عنهم علومهم[3]، ثم عاد إلى الأندلس بعد أن أتقن كل تلك العلوم، فأسهم بدور كبير في تعليم أهله علومه، كما صار من المشاورين في الأحكام بقرطبة [4]، وفي 4 ذي القعدة سنة 282هـ/895م توفي هذا الفقيه [5].

46/ موسى بن أصبغ المرادي:

هو عالم قرطبة وأديبها أبو عمران المرادي، كان من الأدباء والعلماء باللغة العربية والشعر، زاهداً، منقطعاً إلى الله في بعض زوايا صقلية.

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 398. كذلك ابن فرحون: المصدر السابق، ص 424. وأما الحميدي: المصدر السابق، ص 347. والضبي: المصدر السابق، ص 464. والسيوطي: بغية الوعاة، المصدر السابق، مج2، ص 288. فقد جاء فيها اسمه على هذه الهيئة: مُطرِّف بن عبدالرحيم بن إبراهيم بن محمد بن قيس.

(2) ابن فرحون: المصدر السابق، ص424.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص398. كذلك ابن فرحون: المصدر السابق، ص 424.

(4) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 398.

(5) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 398. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 374. والضبي: المصدر السابق، ص 464. وابن فرحون: المصدر السابق، ص 424.

رحل إلى المشرق الإسلامي، ودخل العراق، ولقي فيها محمد بن الحسين ابن دُرَيْد، وغيره، فأخذ علوم اللغة عنه وعن غيره، ثم عاد لبلاده، وبعد مدة رحل إلى صقلية، فاستوطنها ومات بها.

نظم المبتدأ في ثمانية آلاف بيت، وظلت هذه القصيدة مثالاً حياً على النبوغ الذي بلغه أهل الأندلس في علم اللغة والنحو[1]، إلى أن ألّف على غرارها ابن مالك[*] قصيدته المشهورة بالألفية، كما كانت له قصائد في الزهد منها قصيدته على حروف المعجم في عشرين بيتاً.

47/ وهب بن نافع الأسدي :

هو الفقيه وراوية الحديث القرطبي، الذي عاش في أيام الأمير محمد بن عبدالرحمن، حيث رحل إلى المشرق العربي الإسلامي، والتقى نخبة من العلماء، فسمع منهم علم الحديث، أمثال: سحنون بن سعيد، وأبي الطاهر أحمد بن عمرو ابن السرح، وإبراهيم ابن المنذر الجذامي، ودخل بغداد، فسمع بها من الحسن بن عرفة، ونصر بن علي الجهضمي.

وعند رجوعه أدخل معه إلى الأندلس كتب أبي عبيد، وهي كتب في شرح الحديث، كان أخذها عن علي بن ثابت، وأبي جعفر محمد بن وهب المسعري واعتبره المؤرخون أول من أدخلها الأندلس، ومن بعده أدخلها الخُشني، وصار يرويها بين تلاميذه الذين كان من بينهم محمد بن فطيس، ومحمد بن مسور، وسعيد ابن عثمان الأغناقي، وغيرهم .

اختلف في تاريخ وفاته، فقيل: إنّه توفي يوم الأربعاء مستهل جمادى الآخرة سنة 270هـ/883م، أو سنة 273هـ/886م[2]، وقيل: سنة 290هـ/902م [1].

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 408. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 337. والضبي: المصدر السابق، ص 455. والسيوطي: بغية الوعاة، المصدر السابق، ج2، ص 306.

(*) هو أبو عبدالله جمال الدين محمد بن عبدالله بن مالك الطائي الجياني، العلامة الشافعي، النحوي الكبير، له الكثير من المؤلفات في النحو نظماً ونثراً من أشهرها الكافية، والألفية، والتسهيل وشرحه، توفي سنة 672هـ. السيوطي: بغية الوعاة، المصدر السابق، مج1، ص 130.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 419.

48/ يحيى بن يحيى الليثي :

هو أبو محمد يحيى بن يحيى بن كُثير بن وسلاس بن شملل بـــن صـــيغا الليثي، أصله من طنجة بالمغرب الأقصى من قبيلة مصمودة، من مضارة، كـــان والده يحيى المُكنى بأبي عيسى، قد دخل الأندلس مع ابن أخيه نصر بن عيسى في جيش طارق بن زياد، ثم دخل جده كُثير المعروف بأبي عيســـى إلـــى الأنـــدلس بعدهما، فولى ابنه يحيى الجزيرة وشذونة، وقد أسلم جده وسلاس بن شملل علـــى يد يزيد بن عامر الليثي؛ وهذا سبب انتمائهم إلى ليث كنانـــة [2]، حيـــث كـــانوا يعرفون ببني عيسى [3].

ولد سنة 151هـ/768م في قرطبة، ونشأ، وتعلم بها على يد يحيـــى بـــن مضر، وزياد بن عبدالرحمن شبطون، الذي يرجع له الفضل في تعلم يحيى مؤطأ الإمام مالك، ثم في رحلة يحيى إلى مالك وملازمته والتفقه عليـــه وتمكنـــه مـــن المذهب المالكي [4]، حيث كان يمر بزياد وهو يحدث أصحابه بمسجد قرطبة فيقعد عنده، فأعجب به، وأدناه منه يوماً وقال له: يا بُني إذا كنت عازماً على التعلم فخذ من شعرك، وأصلح زيك، ففعل يحيى ذلك فسُرَّ به الفقيه زيـــاد، وعمـــل علـــى الاجتهاد في تعليمه، وعندما أحس منه النجابة والحرص على التعلم بتفوقه علـــى أقرانه أشار عليه بالرحيل في طلب العلم، وذكر له أن مـــن أخـــذ عـــنهم بـــدءوا يدفنون، وأنه من العجز به أن يروي عمن دونهم، الأمر الذي دفع بيحيى أن يعقد العزم على الرحلة إليهم [5] .

رحل يحيى بن يحيى إلى المشرق العربي الإسلامي رحلتان، كانت الأولى بعد أن استلف له شيخه زياد مالاً، لأن يحيى كان قد رغب عن مال أبيه، وكـــان

---

(1) الحميدي: المصدر السابق، ص 360. والضبي: المصدر السابق، ص 479.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 431. كذلك القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 310.

(3) ابن فرحون: المصدر السابق، ص 431.

(4) المقري :المصدر السابق، مج2، ص 221.

(5) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 431. كذلك القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 310. وابن فرحون : المصدر السابق، ص 431. ومحمد مخلوف: المصدر السابق، ج1، ص 95.

عمره آنذاك حوالي 28 سنة، فحج، والتقى بفقيه المدينة الإمام مالك بن أنس، والليث بن سعد، وسفيان بن عيينة، وعبدالرحمن بن القاسم، وعبدالله بن وهب، ونافع بن أبي نعيم القارئ، والقاسم بن عبدالله العمري، وحسين بن خمير، وعبدالله ابن نافع، فأخذ عنهم العلم، حيث أخذ عن مالك موطأه غير أبواب في الاعتكاف شك في سماعها فبقي يحدث بها عن زياد شبطون، وقد كان الأمام مالك يُجِلُّ يحيى ويحترمه، وكان يسميه عاقل الأندلس [1] .

أما الرحلة الثانية ليحيى، فلم يتمكن فيها من الأخذ عن الإمام مالك؛ لأنه كان مريضاً فلازمه يحيى إلى أن مات سنة 179هـ/795م ، لهذا اقتصر أخذه في هذه الرحلة عن عبدالرحمن بن القاسم [2] .

وبعد أن استقر يحيى في الأندلس، بدأ في نشر ما تعلمه في المشرق من علوم كموطأ مالك الذي سمعه منه إلاَّ أبواباً ظل يرويها من سماعه عن زياد شبطون، ومسائل ابن القاسم وهي في عشرة كتب، وموطأ وجامع عبدالله بن وهب، لهذا كان دوره كبيراً في نشر المذهب المالكي بالأندلس، فقد عُد المؤسس الحقيقي للمذهب المالكي بالأندلس، وذلك عندما عمل على اقتصار وظائف الدولة على المالكية، لأنه كان يتمتع بحظوة عالية عند الأمير عبدالرحمن بن الحكم الذي كان لا يقَطع أمراً إلاَّ بمشورته، وبذلك انتشر المذهب به على الأصعدة الرسمية والشعبية [3] .

عرض على الفقيه القضاء فأبى، فأوكلت إليه مهمة اختيار القضاة، فكان لا يولي أحداً القضاء إلاَّ لأصحابه من المالكية، وكان يحيى يكتب فتواه للقضاة على رأي ابن القاسم، ويُلزم القضاة بها، وإذا لم يلتزم أحد بذلك عزله عن منصبه،

---

(1) القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 310.

(2) ابن فرحون: المصدر السابق، ص 431.

(3) ابن الفرضي :المصدر السابق، ص 431. كذلك القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 311. وابن فرحون: المصدر السابق، ص 431.

وولى مكانه كما فعل مع يحيى بن معمر الذي كان يقيم فتواه علـــى رأي أســـتاذه أشهب، لهذا كان الخلاف على أشده بينه، وبين بقية الفقهاء بقرطبة بسبب ذلك [1].

تتلمذ على يد يحيى عدد مـــن الفقهـــاء،منهم: ابنـــاه عبـــدالله وإســـحاق، وعبدالأعلى بن وهب، وأصبغ بن خليل، ومحمد بن وضاح، ويحيى بن حجـــاج، وإبراهيم بن قاسم بن هلال، ومحمد بن أحمد العُتبي، وإبراهيم بن محمد بن بـــاز، ومطرّف بن عبدالرحمن بن إبراهيم، وعجنّس بن أسباط الزيادي، وعمـــرو بـــن موسى الكناني، وعبد المجيد بن عفان البلوي، وعبدالرحمن بن أبـــي مـــريم بـــن السعدي، وسليمان بن نصر بن منصور المري، وإبراهيم بن شعيب، وغيرهم[2].

وعلى الرغم من تمتع هذا الفقيه بالحظوة الكبيرة في عهد عبدالرحمن بن الحكم؛ إلاّ أنه اتهم في زمن الأمير الحكم بن هشام في هيج قرطبة مع من اتهـــم من الفقهاء المالكية، ففر إلى طليطلة، غير أن الحكم استأمنه ورده إلـــى قرطبـــة، وذكر بعض المؤرخين أنه استطاع أن يعقد مع الحكم عقداً شفوياً ضمن به علـــو مكانة وقدر الفقهاء المالكيين بأن جعل لهم الكلمة العليا مع السلطان فـــي تســـيير بعض الأمور في الدولة، لهذا نلاحظ ارتفاع المكانة الكبيرة للفقهاء المالكية منـــذ عهد الحكم إلى آخر أمراء وخلفاء بني أمية [3] .

توفي أبو محمد سنة 233هـ/ 847م، عن عمر يناهز 82 سنة[4]، وقيـــل فـــي شهر رجب أو في ذي الحجة سنة 234هـ/848م [5].

49/ يحيى بن إبراهيم بن مزين :

هو الفقيه المالكي الطليطلي الأصل القرطبي الإقامة والسكن أبو عبـــدالله يحيى بن إبراهيم بن مزين[1]، مولى رملة بنت عثمان بن عفان t، وقد ولد ونشأ

---

(1) القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 312.

(2) الحميدي: المصدر السابق، ص 383. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص 511.

(3) ابن الفرضي :المصدر السابق، ص 432.

(4) الضبي، المصدر السابق، ص 512. كذلك ابن فرحون المصدر السابق، ص 431 ــ432.

(5) الحميدي: المصدر السابق، ص383. كذلك ابن الفرضي: المصدر السابق، ص432. والمقري: المصدر السابق، مج2، ص221.

في طليطلة، وتولى بها القضاء، غير أنه عندما خرج عليه أهلها ونالوا منه رحل بأهله إلى قرطبة التي لقي بها عند وصوله إليهـا حظـوة كبيـرة عنـد الأميـر عبدالرحمن بن الحكم فأقطعه قطعة أرض بنى له عليها داراً، كما وصله بصـلة جزلة [2].

تعلم في صباه العلم بالأندلس بقرطبة على يد عيسى بن دينار، ومحمد بن عيسى الأعشى، ويحيى بن يحيى الليثي، والغازي بن قيس، ونظرائهم من الفقهاء المالكية، ثم رحل إلى المشرق العربي الإسلامي أيام الأمير عبدالرحمن بن الحكم، فلقي بالمدينة مُطرّف بن عبدالله، صاحب مالك بن أنس، روى عنه الموطأ، ورواه أيضاً عن حبيب كاتب مالك، ثم دخل العراق، فسمع من القعنبي عبدالله بن مسلمة، ومن أحمد بن عبدالله بن يونس، وسمع بمصر من أصبغ بن الفرج، وغيره، فنبـغ في فقه أهل المدينة، وحفظ الموطأ، وتفقه فيه، كما كان له حظ من العربية [3].

وعندما عاد إلى الأندلس لقي حظوة كبيرة عند الأمير عبدالرحمن فأصبح مشاوراً مع العُتبي وأحمد بن خالد ونظرائهما[4] .

ألّف ابن مزين كتباً حساناً، منها: كتاب (تفسير الموطأ) [5] وكتاب (تسمية الرجال المذكورين فيه)، وكتاب استقصى فيه علل الموطأ سـماه (المستقصـية)، وكتاب في (فضائل العلم)، وكتاب في (فضائل القرآن)، وكتاب (شرح الموطـأ)، لذلك اعتبره بعض أهل الأندلس كابن لبابة أفقه عالم في فقه مالك وأصحابه [6] .

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 432ــ 433. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص373. والضبي: المصدر السابق، ص 497. أما عند ابن فرحون: المصدر السابق، ص 436. ومحمد مخلوف: المصدر السابق، ج1، ص 112، فقد جاء أسمه على هذه الهيئة: أبو عبدالله يحيى بن زكريا بن إبراهيم بن مزين .

(2) القاضي عياض :المصدر السابق: مج1، ص 441 ــ 442.

(3) ابن فرحون: المصدر السابق، ص 436.

(4) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 432. كذلك ابن فرحون: المصدر السابق، ص 436.

(5) الداوودي: المصدر السابق، ج2، ص368ــ 369.

(6) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 432ــ 433. كذلك القاضي عياض :المصدر السابق: مج1، ص 441 ــ 442.

توفي ابن مزين في جمادى الأولى سنة 259هـ/872م، أو في سنة 260هـ/873م [(1)].

50/ يحيى بن عبد العزيز :

فقيه قرطبة الشافعي المعروف أبو زكريا يحي بن الخرّاز، الذي نشأ في قرطبة، وتعلم بها على يد العُتبي، وعبدالله بن خالد، ونظرائهما من رجال الأندلس، ثم شغف بالعلم، فرحل في طلبه إلى المشرق العربي الإسلامي، فدخل مصر والحجاز، ولقي الشيوخ والعلماء، فأخذ عنهم، ففي مصر أخذ العلم عن المُزني، والربيع بن سليمان المؤذن، ومحمد بن عبدالله بن عبدالحكم، ويونس بن عبدالأعلى ومحمد ابن عبدالله بن ميمون، وعبدالغني بن أبي عقيل، وغيرهم كثير، كما تفقه بمكة على يدي علي بن عبدالعزيز.

كانت رحلته هذه مع سعد بن معاذ، وسعيد بن عثمان الأعناقي، وسعيد بن حميد، وأبي تمام.

وعندما رجع إلى الأندلس، سمع منه الناس مختصر المُزني، ورسالة الشافعي، وغير ذلك من علم محمد بن عبدالله بن عبدالحكم، وكان يميل في فقهه إلى المذهب الشافعي، وكان مشاوراً مع عبيدالله بن يحيى ونظرائه، في أيام الأمير عبدالله بن محمد.

كان لهذا الفقيه دور كبير في نشر علوم الفقه المالكي في المغرب العربي، حيث روى بالقيروان مستخرجة العُتبي وشيء من حديثه، كما تتلمذ على يديه من أهلها: أحمد بن نصر، وحبيب بن الربيع، وأبو العرب محمد بن أحمد التميمي.

توفي ابن الخرّاز في شهر ربيع الأول سنة 295هـ/907م [(2)] .

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص433. كذلك القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص442. وابن فرحون: المصدر السابق، ص 436.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص436. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 377. والضبي: المصدر السابق، ص 504. والمقري: المصدر السابق، مج3، ص 381.

51/ يوسف بن يحيى المغامي :

هو أبو عمر يوسف بن يحيى بن يوسف الأزدي من ذرية أبي هريرة t من أهل قرطبة [1]، عُرف بالمغامي نسبة إلى قرية مَغَامُ [*] التي كانت تقع بالقرب من طليطلة [2]، فهو إذن طليطلي الأصل قرطبي النشأة والإقامة.

درس العلم بداية تعليمه في الأندلس على يد يحيى بن يحيى، وسعيد بن حسان، كما روى عن الفقيه عبدالملك بن حبيب مصنفاته، ثم رحل إلى المشرق العربي الإسلامي، فسمع بمصر يوسف بن يزيد القراطيسي، وبمكة من علي بن عبدالعزيز، كما رحل إلى اليمن، فدخل صنعاء، وسمع بها من أبي يعقوب الدَّبري، صاحب عبدالرزاق، وغيره[3]، كما كانت له بصنعاء حلقة علمية كانت أعظم من حلقة الدَّبري[4] .

انصرف عائداً إلى الأندلس بعد أن تفقه وتبصر بالعربية، فأقام بقرطبة أعواماً، ثم رحل مرة ثانية إلى المشرق العربي الإسلامي، بعد ثلاثة أو أربعة أعوام من حكم الأمير عبدالله بن محمد، فسكن مصر وروى بها كتاب الواضحة، وغيرها من كتب عبد الملك ابن حبيب، فعظم بذلك قدره [5] .

أثنى عليه العلماء واعتبروه إماماً ثقة عالماً وقوراً جامعاً للعلوم والآداب، فقيها في مذاهب أهل الحجاز، عاقلاً وقوراً قل مثيله في الخلق والعقل آنذاك.

---

(1) المقري: المصدر السابق، مج3، ص 273.

(*) مَغَامَ ويقال مَغامة، بلدة بالأندلس. ياقوت الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ج5، ص 187.

(2) الحميري: المصدر السابق، ص 133.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 448. كذلك المقري: المصدر السابق، مج2، ص 273. وابن فرحون: المصدر السابق، ص439.

(4) ابن فرحون: المصدر السابق، ص 439.

(5) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 448ـ 449. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص373. والضبي: المصدر السابق، ص 496ـ 497. والمقري: المصدر السابق، مج2، ص 273ـ 274. والذهبي: العبر في خبر من غبر، المصدر السابق، ج1، ص 258ـ 259.

تتلمذ على يده عدد كبير من علماء مصر وصنعاء ومكة مثل علي بن عبدالعزيز، كما تتلمذ على يده بالأندلس محمد بن فطيس، وسعيد بن فحلون، الذي اخذوا عنه رواية الواضحة، ولعله آخر من حدث بها عن عبدالملك بن حبيب [1] .

من أعماله العلمية تصنيفه كتابٌ في الردّ على الشافعية في عشرة أجزاء، كما ألّف كتاب آخر في فضائل مالك؛ إذ كان كثير التعصب لمذهب الإمام مالك بن أنس وكثير التعرض للعلماء الآخرين، وكتاب في فضل عمر بن عبدالعزيز.

توفي بالقيروان سنة 288هـ/900م [2].

وهكذا أستطيع القول إنّ هؤلاء العلماء الذين رحلوا خلال هذا القرن للدراسة وطلب العلم بالمشرق، كانوا من أهم المشاعل التي أنارت الحياة العلمية بالأندلس ، فقد دخلت بفضلهم مذاهب أهل المدينة، والمشرق بكامله، مثل المذهب المالكي، والمذهب الشافعي، والحنبلي، وغيرها، كما ساهموا في نشر تلك المذاهب وتغلغلها في بلاد الأندلس بكاملها ، كما أدخلوا المؤلفات المشرقية بمختلف أنواعها سواء الدينية منها أو اللغوية أو العلمية ونشرها في أصقاع البلاد، كما كان لهم الدور الأكبر في زيادة إقبال الطلبة أو الفقهاء والعلماء وغيرهم على الرحلة إلى المشرق العربي الإسلامي للاستزادة من علومه، مما زاد في إثراء البلاد بالعلوم ورقيها ووضعها في مصاف الدول المتحضرة آنذاك مما دفع بالعديد من الأوربيين إلى التوجه نحو الأندلس للتعلم ونيل بعضٍ من الحياة الكريمة، ودراسة بعض العلوم الإسلامية بها.

(1) المقري: المصدر السابق، مج3، ص 274. كذلك ابن فرحون: المصدر السابق، ص 439.
(2) الذهبي: العبر في خبر من غبر، المصدر السابق، ج1، ص 258.

الفصل الثالث

أشهر علماء الأندلس الذين رحلوا إلى المشرق العربي الإسلامي في

((القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي))

على الرغم من أن بلاد الأندلس صارت مسرحاً للفتن والثورات في العقد الأخير من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، إبان فترة حكم الأمير عبدالله ابن محمد؛ إلاّ أن الحياة سرعان ما عادت إلى الاستقرار بعد وفاته وتولي زمام الأمور في الدولة من قبل الأمير الأموي عبدالرحمن بن محمد الناصر، والذي قام بكبح جماح المخالفين والقضاء على محاولاتهم زعزعة الأمن والاستقرار داخل الدولة، فكان عصره وعصر من خلفه في حكم الأندلس عصر ازدهار وتطور وعودة البلاد إلى الاستقرار الذي كادت أن تفقده بسبب تلك الثورات والفتن، وبعودة هذا الاستقرار استعادت الحياة العلمية نشاطها من جديد، وأخذت الرحلة العلمية الأندلسية إلى المشرق العربي الإسلامي تنشط، وتشق طريقها حتى وصلت إلى أقاصي الدولة الإسلامية في المشرق، هذه الرحلة التي كان لها خلال القرن الثاني والثالث الهجريين/ الثامن والتاسع الميلاديين أثر بالغ في ازدهار الحياة الفكرية بالأندلس من خلال إسهاماتها الكبيرة في الحياة الثقافية للمجتمع الأندلسي، بإدخالها تلك العلوم المشرقية للأندلس، والتي جاءت على هيأة كتب ومصنفات في جميع العلوم، فازداد بفضل ذلك الزخم العلمي بالأندلس، وكان من بين أولئك العلماء الذين رحلوا لطلب العلم في المشرق العربي الإسلامي ما يلي:

1/ إبراهيم بن بكر بن عمران بن عبد العزيز اللخمي :

هو الفقيه المالكي أبو إسحاق الإلبيري، الذي طلب العلم منذ نعومة أظافره في مدينة إلبيرة، ثم رحل إلى إشبيلية، فأكمل بها تعليمه حتى صار من كبار المحدثين ومن مؤسسي الثقافة المشرقية بالأندلس وخاصة الفقه المالكي الذي كان سائداً في الأندلس آنذاك.

كانت لهذا الشيخ رحلة إلى المشرق العربي الإسلامي، وصل بها إلى العراق، ففي بغداد لقي شيخ المالكية هناك أبا بكر الأبهري(*)، وتفقه على يديه،

(*) القاضي أبو بكر محمد بن عبدالله بن محمد التميمي الأبهري، فقيه سكن بغداد، وكان شيخ المالكية في العراق في وقته، ولد سنة 290هـ/902م، وتوفي ببغداد في شوال سنة 375هـ/985م وهو ابن 85 سنة.القاضي عياض:

كما لقي بالموصل الحافظ العلامة أبا الفتح محمد بن الحسين بن أحمـــد الأزدي(*) الذي تعلم على يديه علم الحديث.

وعاد هذا الفقيه إلى بلده حاملاً معه علوم المشرق؛ غير أن سكناه بالأندلس اضطرب بين مدينتي بجانة وإلبيرة في بداية عودته إليها، ثم استقر به المطـــاف آخر الأمر في إشبيلية التي أخذ يُعلّم فيها النـــاس كتـــاب الأبهـــري فـــي شـــرح المختصر(**) الذي أدخله للأندلس من المشرق، كما حدث بغيره من الكتب التـــي درسها، وبقي بإشبيلية حتى وافاه الأجل في شهر ذي القعدة سنة 385هـ/995م[1].

2/ أحمد بن إسحاق بن مروان بن جابر الغافقي :

القرطبي،المحدث، المُكنى بأبي عمر، الذي تلقى تعليمه في صباه بقرطبة على يد أحمد بن خالد، وعبدالله ابن يونس، ومحمد بن عبدالملك بن أيمن، وقاســـم ابن أصبغ، وغيرهم، ثم قام برحلة إلى المشرق العربي الإسلامي حج فيها، وطلب العلم من بعض أساتذة المشرق العربي الإسلامي، أمثال: ابن أبي الحديد، وغيره، كما كتب كتاب محمد بن إسماعيل البخاري في السنن(***)، وكتاب "الإشراف" لأبي بكر بن المنذر النيسابوري(****)، وغير ذلك من العلوم، وأدخلها معه عند عودتـــه

= المصدر السابق، مج2، ص 124ــ 129. كذلك ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، (تح) مصطفى عبدالقادر عطا، دار القلم، بيروت، (د. ت)، ج3، ص 204. وابن فرحون: المصدر السابق، ص 351 ــ353 . وإسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ج6، ص50، وفيه أنه ولد سنة 287هـ/900م، وله من الكتب شرح كتاب عبدالحكم الصغير، وشرح كتاب عبدالحكم الكبير، كتاب الأصول في الفقه، كتاب الرد على المزني في ثلاثين مسألة، كتاب فضل المدينة على مكة.

(*) هو أبو الفتح الأزدي الحافظ العلامة محمد بن الحسين بن أحمد بن عبدالله بن بريدة الموصلي، نزيل بغداد، كان حافظاً صنف في علوم الحديث وفي الضعفاء منها: كتاب الجرح والتعديل في الضعفاء من رجال الحديث، وشرح الشهاب للقضاعي، فوائد في الحديث، مات في سنة 374هـ/ 984م. السيوطي: طبقات الحفاظ، المصدر السابق،

(**) وهو كتاب شرحي المختصرين ألفه الأبهري بعد أن قرأ مختصر ابن عبدالحكم ومختصر البرني. القاضي عياض : المصدر السابق، مج2، ص 126ــ 127. كذلك ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج2، ص 352.

([1]) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 26. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص 215.

(***) هو البخاري أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجُعفي، الحافظ العلم صاحب الصحيح، تتلمذ منذ نعومة أظافره في الحديث فكان فيه الإمام الجليل، ألف من المصنفات كتاب الجامع الصحيح، وكتاب التاريخ الكبير، وغيرها، ولد يوم الجمعة 13 شوال سنة194هـ، وتوفي سنة 256هـ. السيوطي: طبقات الحفاظ، المصدر السابق، ص 271ــ 272.

(****) ابن المنذر الحافظ العلامة الثقة الأوحد أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، شيخ الحرم، وصاحب

للأندلس، وأخذ يحدّث بها في بُبَشْتَرْ(*)، وقد ساعدته شهرته العلمية على تقلد بعض المناصب الإدارية مثل الكتابة للقاضي محمد بن إسحاق بن السليم، ثم أحكام القضاء بطليطلة بعد أن خرج إليها، وفي يوم الثلاثاء التاسع من شهر شوال سنة 372هـ/982م توفي هذا الفقيه[1].

3/ أحمد بن بيطر :

هو أبو القاسم[2] أحمد بن بيطر القرطبي، وقيل أحمد بن عبدالله بن بيطر، مولى من موالي محمد بن يوسف بن مطروح، معتق، وقيل: إنّ أباه بيطر هو المعتق[3]، وهو أحد العلماء المالكيين.

طلب أبو القاسم العلم في صباه، فساد فيه، حتى صار من نجباء أبناء الموالي، وتلقى تعليمه في الأندلس على يدي محمد بن وضاح، وابن القزاز، وبني هلال، وابن مطروح، ثم رحل إلى المشرق الإسلامي حاجاً وطالباً للعلم، وبعد أن أدى فريضة الحج، التقى بعلي بن عبدالعزيز(**)، وأخذ عنه علمه.

وعندما رجع إلى الأندلس، أدخل معه مسند البغوي(***) رواية، وصار يرويه لطلابه، وبفضل شهرته وحفظه للفقه والمسائل، وورعه، وصلابته في الحق، أصبح عاقداً للشروط، مشاوراً في الأحكام، مقدماً للفتوى، وبقي على ذلك

= الكتب التي لم يُصنف مثلها " الإشراف" و"المبسوط في الفقه"، وغيرها، توفي بمكة سنة 318هـ. السيوطي: طبقات الحفاظ، المصدر السابق،ص 347. كذلك إسماعيل باشا: هدية العارفين، المرجع السابق، ج6، ص31.

(*) بُبَشْتَرْ حصن بينه وبين قرطبة 80 ميلاً، كان قاعدة العجم، به الكثير من الأديرة والكنائس والدواميس، تحصن فيه الثائر عمر بن حفصون عند قيامه بثورته على بني أمية. الحميري: المصدر السابق، ص37.

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 52.

(2) المصدر نفسه، ص 33.

(3) ابن فرحون: المصدر السابق، ص 90.

(**) هو أبو الحسن علي بن عبدالعزيز بن المرزبان بن سابور البغوي، الحافظ، وشيخ الحرم، ومصنف المسند، توفي سنة 286هـ. السيوطي: طبقات الحفاظ، المصدر السابق، ص 296ـ 297. كذلك ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج2، ص362ـ 363.

(***) هو المسند المنتخب، لعلي بن عبدالعزيز بن المرزبان بن سابور البغوي، الحافظ، و شيخ الحرم المتوفى سنة 287هـ. حاجي خليفة: المرجع السابق، ج2، ص 1685.كذلك السيوطي: طبقات الحفاظ، المصدر السابق، ص 296ـ 297. وفيه إنه توفي سنة 286هـ عن بضع وتسعين سنة.

إلى أن توفي في طاعون سنة 303هـ/915م، أيام حكم الخليفة عبدالرحمن بن محمد (الناصر لدين الله) [1].

4/ أحمد بن خالد:

هو الحافظ العلامة وشيخ الأندلس في عصره الفقيه أبو عمر أحمد بن خالد بن يزيد بن محمد بن سالم بن سليمان الجياني المعروف بابن الجبَّاب، لأن أبيه كان يبيع الجِبَاب[2]، رحلت أسرته إلى قرطبة، وسكنتها، فولد بها هذا الفقيه سنة 246هـ/ 860م [3]، ونشأ وترعرع بها، وأخذ تعليمه على يد شيوخها الأفاضل منهم: محمد بن وضاح، وقاسم بن محمد بن قاسم، ومحمد بن عبدالسلام الخُشني، وإبراهيم بن قاسم، وإبراهيم بن محمد بن باز، وابن زياد، وبقي بن مخلد، ويحيى ابن عمر بن يوسف، وقد نجحت هذه الفئة العالمة في تنمية ملكة حب العلم عند أبي عمر، لذلك أراد أبو عمر أن يكمل تعليمه الذي بدأه بالأندلس بالرحلة إلى شيوخه بالمشرق العربي الإسلامي، فرحل، ودخل مكة، وأقام بها فترة من الزمن، ثم واصل رحلته حتى وصل بلاد اليمن، وإقريطش، وإفريقية، وفي أثناء ترحاله بين هنا وهناك كان أبو عمر ينزل عند حلقات الدرس ليلتقط العلم من أفواه معلميه، حيث أخذ العلم بمكة على يدي علي بن عبدالعزيز البغوي، صاحب أبي عبيد القاسم بن سلام، ومحمد بن علي الصائغ، وأبي بكر أحمد بن عمرو المكي المالكي، وأبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم الدبري[*] بصنعاء، راوية عبدالرزاق بن هُمام[**]، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي بمكة، وبذلك استطاع أن يتعلم

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 33. كذلك ابن فرحون: المصدر السابق، ص 90.

(2) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق،ج2، ص 495. كذلك ابن فرحون: المصدر السابق، ص 92. وفيه أنه هو من كان يبيع الجباب وهي الأثواب التي كان يرتديها الرجال.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص36. كذلك ابن فرحون: المصدر السابق، ص 92.

(*) هو إسحاق بن إبراهيم الدبري، المحدث، راوية عبدالرزاق بصنعاء، اعتنى به أبوه وأسمعه الكتب من عبدالرزاق في سنة 210هـ، وكان صدوقاً، توفي سنة 285هـ. ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج2، ص360.

(**) هو عبدالرزاق بن هُمام بن نافع الحميري، مولاهم أبو بكر الصنعاني، أحد الأعلام، روى عن الإمام مالك، والأوزاعي وغيرهما، مات سنة 211هـ/826م. السيوطي: طبقات الحفاظ، المصدر السابق،ص 173ـ 174.

الفقه على يد شيوخ أكابر كانوا مشاعل الفقه في بلاد المشرق العربي الإسلامي، واليمن السعيد [1] .

وبعد رحلته الطويلة رجع إلى الأندلس، فكان له إسهامات جليلة في ازدهار الحياة الثقافية بالأندلس بما جمع من العلوم وبمؤلفاته التي ألفها في الحديث والفقه والتاريخ، ككتابه(مسند حديث مالك بن أنس) و كتاب (فضائل الوضوء والصلاة) ، وكتاب (حمد الله وخوفه)، وكتاب (الإيمان) ، وكتاب (بعض قصص الأنبياء) [2].

وفي شهر جمادى الآخرة سنة 322هـ/933م كانت وفاة هذا الفقيه والمحدث الكبير، بعد أن غرس علمه في نفوس تلاميذه الذين أخذوا يروون عنه، منهم: ابنه محمد، وعبدالله بن محمد بن علي الباجي، ومحمد بن محمد بن أبي دليم، وخالد بن سعد، وعبدالله بن محمد بن عثمان، وغيرهم[3].

5/ أحمد بن خالد بن عبدالله بن قبيل بن يبقى بن الجذامي التاجر:

من أهل قرطبة، يكنى أبا عمر، ولد قبل سنة 300هـ/912م وتوفي يوم السبت لثلاث بقين من شهر ذي القعدة سنة 378هـ/988م، ودفن في مقبرة بلاط مغيث، وكان أحمد في حياته يمتهن التجارة، مشغوفاً بتجارة الكتب، فدعاه ذلك إلى توسيع تجارته والوصول بها إلى بلاد العلم والكتب، فرحل إلى المشرق العربي الإسلامي وهناك بقي يرتاد أماكن العلم، ويستمع إلى محاضرات العلماء بها فتكوَّن له كم كبير من العلوم، جعل يدون بعضها ويحفظ بعضها الآخر.

دخل العراق تاجراً، وسمع بها من أبي عمرو عثمان بن أحمد بن عبدالله الدقّاق المعروف بابن السَّمَّاك[*]، ومن أبي علي الحُسين بن صفوان بن إسحاق

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 35ـــ 36.

(2) الحميدي: المصدر السابق، ص 121 122. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص 175ـــ 176. وابن فرحون: المصدر السابق، ص 92. وإسماعيل باشا: المصدر السابق، ج5، ص 59.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 36. كذلك اليافعي: المصدر السابق، ج2، ص 214. والسيوطي: طبقات الحفاظ، المصدر السابق، ص 357ـــ 358.

(*) هو أبو عمرو بن السماك، عثمان بن أحمد البغدادي الدقاق، مسند بغداد، توفي في ربيع الأول سنة 344هـ، كان

البرذعي[*]، وأبي علي إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الصفّار[**]، وأبي جعفر محمد بن عمرو بن البختري الرزّاز[***]، كما دخل مكة، فسمع بها من ابن الأعرابي، وبمصر سمع من أبي قتيبة سلم بن الفضل بن سهل البغدادي، وغيره من المصريين.

وعندما عاد للأندلس أدخل معه كتباً غريبة تفرّد برواياتها، فسمعها الناس منه، كابن الفرضي الذي حصل منه على إجازة رواية جميع روايته وكتبه[1].

6/ أحمد بن دحيم بن خليل بن عبدالجبار بن حرب :

هو القاضي أبو عمر أحمد القرطبي، الحافظ والراوية، المالكي المذهب، الذي ولد في شهر شوال سنة 278هـ/891م [2]،وكان ممن اعتنى بجمع الآثار والسنن، ولي الشورى ثم القضاء بطليطلة ثم بإلبيرة في عهد الخليفة الناصر لدين الله، وبقي قاضياً إلى أن توفي بمرض الطاعون عام 338هـ/949م، يوم السبت 5 شعبان[3].

تعلم في صباه في الأندلس على يد عبيد الله بن يحيى، وسعيد بن عثمان الأعناقي، وسعيد بن خمير، وطاهر بن عبدالعزيز، وأبي صالح،[4] ومحمد بن لبابة، والمعيطي، ومحمد بن إسحاق بن السليم القاضي، وغيرهم[5]، ثم رحل لاستكمال تعليمه في البلاد المشرقية، فرحل إلى المشرق العربي الإسلامي سنة

= صاحب حديث، كتب المصنفات الكبار بخطه. ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج3، ص 74.

(*) هو أبو علي الحسين بن صفوان البردعي، نسبة إلى بردعة، بلد بأذربيجان، صاحب أبي بكر بن أبي الدنيا، توفي ببغداد في شهر شعبان سنة 340هـ. ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج3، ص 63.

(**) هو إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن صالح بن عبدالرحمن أبو علي الصفار، صاحب المبرد، كان متعصباً للسنة ثقة في روايته، وكان شاعراً، ولد في 2 رمضان سنة 244هـ وقيل سنة 248هـ، وتوفي في 13 محرم سنة 341هـ. الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج6، ص 299ـ 301.

(***) هو محمد بن عمرو بن البختري بن مدرك بن أبي سليمان أبوجعفر الرزاز، كان ثقة ثبتاً، كتب وروى الناس عنه، ولد سنة251هـومات ليلة الثلاثاء 24 ذي الحجة سنة 339هـ. الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج3، ص 348ـ349. كذلك ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج3، ص 56.

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 56.

(2) ابن فرحون: المصدر السابق، ص 98.

(3) وقيل سنة 337. الحميدي: المصدر السابق، ص 122. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص 178.

(4) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 39ـ 40.

(5) ابن فرحون: المصدر السابق، ص 98.

315هـ/ 927م، وقد واصل ابن دحيم رحلته هذه في طلب العلم إلــى أن وصــل العراق فتتلمذ ببغداد على يد عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي بن المرزبان، و يحيى ابن محمد بن صاعد(*)، ومحمد بن مخلد العطار(**).

أدخل ابن دحيم كتاب (أحكام القرآن)، للقاضي إسماعيل بن إســحاق(***)، رواية عن إبراهيم بن حماد البصري، ابن أخ القاضي إسماعيل، وظــل يرويــه بالأندلس، فسمعه منه عبيد الله بن الوليد المعيطي، ومحمد بن إسحاق بن الســليم، وغيرهما، ثم قرأه ابن الفرضي على عبيد الله بن الوليد المعيطي، ثم قرأه بعد ذلك على عبد الله بن محمد بن يحيى، نيابة عن أبي علي إسماعيل الصفار، عن مؤلفه إسماعيل بن إسحاق، وأدخل أيضاً كتاب "السنن"لأبي عبدالله الزبيري(****)، وأخذ يرويه لتلاميذه، فكان منهم أبو عثمان سعيد بن نصر، وأبو عثمان سعيد بن عثمان النحوي، اللذان حدثا به عنه[1].

7/ أحمد بن سعيد بن حزم بن يونس الصدفي المنتجيلي:

من ولد جعفر بن الحارث، وكان يكنى أبا عمر، ولد هذا العالم يوم الجمعة 5 ربيع الآخر سنة 284هـ/897م، وتوفي ليلة الخميس في 23 جمادى الآخرة سنة 350هـ/961م[2].

(*) هو يحي بن محمد بن صاعد بن كاتب، مولى أبي جعفر المنصور، ولد سنة 228هـ وكان أستاذ أبي القاسم البغوي، ولم يكن بالعراق في أقرانه أحد في فهمه، له تصانيف في السنن والأحكام، توفي في ذي القعدة سنة 318هـ. السيوطي: طبقات الحفاظ، المصدر السابق، ص 344ـ345.

(**) هو محمد بن مخلد بن حفص أبو عبدالله الدوري العطار الخضيب، مات في جمادى الآخرة سنة 331هـ وعمره 98 سنة. صنف وخرّج وعني بالحفظ. السيوطي: طبقات الحفاظ، المصدر السابق، ص 362.

(***) هو القاضي أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حمدا بن زيد الأزدي البصري ثم البغدادي المالكي، صاحب التصانيف وشيخ المالكية بالعراق وعالمها، له كتاب" المسند" و"حديث مالك" و"حديث أيوب" و"موطأ" وكتاباً في الرد على محمد بن الحسن، وكتاب" أحكام القرآن" و" معاني القرآن" و"القراءات" وغير ذلك، ولد سنة 199هـ، وتوفي سنة 282هـ. السيوطي: طبقات الحفاظ، المصدر السابق، ص 297ـ 298.

(****) هو الزبير بن بكار بن عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير بن العوام، الزبيري أبو عبدالله بن أبي بكر المدني، قاضي مكة، مؤلف كتاب السنن، وكتاب أخبار المدينة، توفي يوم الأحد 21 ذي القعدة سنة 256هـ.

(1) الحميدي: المصدر السابق، ص 122. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص 178. وابن الفرضي: المصدر السابق، ص 39ـ 40. وابن فرحون: المصدر السابق، ص 98.

(2) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، المصدر السابق، ج1، ص366ـ367. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص =

عاش أحمد بن سعيد في قرطبة، ودرس بها في صباه على يد عبيدالله بن يحيى، وطاهر بن عبدالعزيز الرعيني، ومحمد بن أحمد بن الزرّاد، وأبي عثمان سعيد بن عثمان بن سعيد الأعناقي، وسعيد بن حمير، وأصبغ بن مالك، وسعد بن معاذ، وأبي عبيدة صاحب القبلة، ومحمد بن حيون، وعبدالله بن محمد بن حنين، وأبي محمد بكر بن العين، وأبي عمر أحمد بن بشر بن الأغبس، وابن ثوابة، ومحمد بن قاسم، ومحمد بن عمر بن لبابة، وأسلم بن عبدالعزيز، وأحمد بن خالد، وعبدالله بن أبي الوليد الأعرج، وغيرهم كثير[1].

توجه أبو عمر في سنة 311هـ/923م إلى المشرق العربي الإسلامي في رحلة طلباً للعلم، وكانت رحلته مع أحمد بن عبادة الرعيني، فدرس في مكة ومصر والقيروان علم الحديث والآثار والسنن والتاريخ، على يد أبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن النعمان الذي تعلم على يديه كتاب التاريخ لأبي بكر محمد ابن علي بن مروان البغدادي، كما درس بمكة على يد أبي جعفر محمد بن عمرو ابن موسى العقيلي[*]، وأبي بكر بن المنذر صاحب كتاب "الإشراف"، وأبي سعيد ابن الأعرابي[**]،وغيرهم، كما تعلم بمصر على يد علماء أذكر منهم: أبا عبدالله محمد ابن الربيع بن سليمان، وأبا بكر أحمد بن عيسى بن موسى الحضرمي المصري المعروف بابن أبي عجينة، صاحب عبدالله بن أحمد بن حنبل، وأبا بكر محمد بن زبان بن حبيب بن عبدالله بن داود الحضرمي[***]، ومحمد بن محمد بن

= 126. والضبي: المصدر السابق، ص182. وابن الفرضي : المصدر السابق، ص 46.

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 46. كذلك ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص 366. والحميدي: المصدر السابق، ص 125. والضبي: المصدر السابق، ص 181.

(*) هو أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد بن صاعد العقيلي، الحافظ الإمام العالم بالحديث، والمصنف الكبير، صاحب كتاب" الضعفاء"، توفي سنة 322هـ. السيوطي: طبقات الحفاظ، المصدر السابق، ص 364.

(**) هو أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم البصري الصوفي المحدث، المعروف بابن الأعرابي، نزيل مكة صاحب التصانيف الكبيرة منها: " طبقات النساك" و" تاريخ البصرة" وصنف في شرف الفقر ، وفي التصوف، ولد سنة 246هـ، وتوفي في شهر ذي القعدة سنة 340هـ. السيوطي: طبقات الحفاظ، المصدر السابق، ص 369. كذلك ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج3، ص 61ــ63. واليافعي: المصدر السابق، ج2، ص 248ــ 249.

(***) هو محمد بن زبان بن حبيب أبو بكر المصري: توفي في جمادى الأولى سنة 317هـ، وعاش 92 سنة. ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج2، ص 474.

البقاح، وأبا بكر محمد بن موسى بن عيسى بن موسى الحضرمي، و إسماعيل بن داود بن وردان، وغيرهم، وبالقيروان على يد أبي جعفر أحمد بن نصر [*]، ومحمد ابن محمد بن بدر بن اللباد، وغيرهم [1].

وعندما عاد أحمد بن سعيد إلى الأندلس صار من كبار العلماء والمعلمين بقرطبة، فبدأ في تعليم ما كان قد تعلمه بالمشرق، فتتلمذ على يديــه العديــد مــن الطلبة الذين أصبحوا علماء أجلاَّء منهم: أحمد بن ثوابة، وأسلم بــن عبــدالعزيز، ومحمد بن الحسن الزبيدي، ومحمد بن الحارث، وابن أبي جعفر خلف بن أحمــد، وأحمد بن محمد بن الخراز، وعبدالرحمن بن يحيى العطار [2].

ألَّف ابن سعيد كتاب التاريخ أو تاريخ المحدثين [3]، ترجم فيه لرواة كافــة مناطق المشرق العربي الإسلامي، ومصر وشمالي أفريقيا وأسبانيا، وكــان هــذا الكتاب حسب ما ذكرته بعض المصادر التاريخية كتاباً ضخماً يتكون من خمســة وثمانين جزءاً يحتوي على معلومات مفصلة حــول الــرواة الموثــوقين وغيــر الموثوقين(أهل العدالة والتجريح) [4].

وقد قيم ابن حزم مؤلَّفَ أحمد بن سعيد تقييماً عالياً مشيراً إلى أنه لم يستطع أي كاتب أن يؤلف عن رواة الحديث كتاباً يضاهي كتاب التاريخ الذي ألفه محمــد ابن موسى العقيلي البغدادي، ولم يعرف ابن حزم عن كتاب التــاريخ ســوى مــا وصل إليه من بعض الأخبار المتواترة، وأعطى الأولوية في هذا المجال لأحمد بن

(*) أحمد بن نصر الداودي الأسدي أبو جعفر، من أئمة المالكية بالمغرب العربي، كان بطرابلس وبها أصل كتابه في الفقه" النامي في شرح الموطأ"، ثم رحل إلى تلمسان، وأخذ يدرس الفقه بها ، وألف كتب أخرى منها: "الواعي في الفقه"، و"النصيحة في شرح البخاري"، و"الإيضاح في الرد على القدرية"، وغيرها. توفي بتلمسان سنة 402هـ . ابن فرحون: المصدر السابق، ص 94.

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 46. كذلك ياقوت الحموي: معجم الأدباء، المصدر السابق، ج1، ص 367. والحميدي: المصدر السابق، ص 126. والضبي: المصدر السابق، ص 181.

(2) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، المصدر السابق، ج1، ص 366. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 126. والضبي: المصدر السابق، ص 182.

(3) إسماعيل باشا البغدادي: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ج3، ص 217.

(4) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 46، كذلك ك. بويكا: المرجع السابق، ص 167.

سعيد كمؤلف للكتب من هذا النوع، وقد داع صيت كتاب التاريخ لأحمد بن حزم من خلال رواية تلميذه خلف بن أحمد بن أبي جعفر، لكن هذا الكتاب مفقود، وألف أحمد بن سعيد كتاباً آخر خصصه لسيرة حياة مالك بن أنس وهو مفقود أيضاً [1].

9/ أحمد بن عُبادة بن علكدة بن نوح بن اليسع الرُعينيُّ :

هو المحدث القرطبي أبوعمر الرُعينيُّ، نشأ في قرطبة، وأخذ العلم في بداية تعليمه بها على يد محمد بن عبدالسلام الخُشني ، ومحمد بن وضاح ، وأبي صالح، ثم رحل إلى المشرق العربي الإسلامي، فأخذ بعض العلم على يد أبي بكر بن المنذر الذي سمع منه كتابه في الاختلاف وهو كتاب (الإشراف)، كما سمع من أبي جعفر العقيلي[*]، وأبي سعيد بن الأعرابي، وغيرهما.

كُلِّفَ أبو عمر بإمامة الصلاة بالمسجد الجامع بقرطبة، فبقي على ذلك العمل إلى أن توفي ليلة الجمعة 24 رجب سنة 322هـ/933م [2] .

10/ أحمد بن عبدالله بن عبدالرحيم بن كنانة اللخمي:

هو أبو عمر بن العنان القرطبي، ولد في النصف من شهر شوال سنة 299هـ/911م بقرطبة، وتربى فيها، وتعلم على يدي أحمد بن خالد، ومحمد بن عبدالملك بن أيمن، وقاسم بن أصبغ، وكان ثقة، ضابطا لما كتب، جيد التقييد لما روى.

رحل إلى المشرق العربي الإسلامي سنة 302هـ/914م، فدخل مكة ومصر، حيث تعلم على يد أبي سعيد بن الأعرابي بمكة، وبمصر على يد أبي محمد بن الورد، و أبي بكر أحمد بن مسعود الزبيدي، وعندما عاد إلى الأندلس،

---

(1) لف. بويكا: المرجع السابق، ص 167.

(*) هو الحافظ الكبير الإمام أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد بن صاعد، صاحب كتاب الضعفاء، كان عالم بالحديث، كثير التصانيف، مقدماً في الحفظ، توفي سنة 322هـ. السيوطي: طبقات الحفاظ، المصدر السابق، ص 364.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص38. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 140. والضبي: المصدر السابق، ص 198.

أخذ يحدث الناس بما تعلمه، فسمع منه الناس كثيراً، فحدّث عنه محمد بن إسحاق ابن السليم القاضي، وهو حي، ونظر في الأوقاف أيامه .

قال ابن الفرضي: كان من أوثق من كتبنا عنه، وسمعت منه، علماً كثيـراً ، وتوفي ليلة الأحد 6 صفر سنة 383هـ/ 993م[1] .

11/ أحمد بن عمرو بن منصور:

هو المحدث أبو جعفر أحمد بن عمريل[2]، إمام الصـلاة بمدينـة إلبيـرة وخطيبها، وهو من موالي بني أمية[3]، توفي بمدينة إلبيرة سنة 312 هـ/924م[4].

تعلم العلم في صباه بالأندلس بمدينة إلبيرة، فأحب العلم، لذلك قرر الرحيل إلى المشرق العربي الإسلامي لاستكمال تعليمه به، وفي رحلته هذه التقـى فـي مصر بالعالم محمد بن عبدالله بن سنجر الجرجاني(ت 258هـ/871م) [5]، الـذي روى عنه مسنده، كما سمع أيضاً من العالم المصـري يـونس بـن عبـدالأعلى الصدفي، ومحمد ابن سحنون[*] ، والربيع بن سليمان الجيزي[**]، وعبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم[***] ، وغيرهم كثير[6].

وبفضل هذه الرحلة التي لقي بها أكابر علماء الحديث بالمشرق العربـي الإسلامي أصبح أبو جعفر من كبار الحفاظ، وعلماء الحديث ورجاله في الأندلس،

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص56ـ 57.

(2) المصدر نفسه، ص 32.

(3) الحميدي: المصدر السابق، ص 139. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص 197.

(4) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج2، ص456.

(5) الحميدي: المصدر السابق، ص 139. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص 197 وفيه أنه: ابن منجد الجرجاني.

(*) الفقيه القيرواني المالكي، المؤلف الكبير، له العديد من المؤلفات في الفقه والحديث، والتاريخ، وغيرها من العلوم المتعددة، ولد سنة 202هـ، وتوفي سنة 256هـ، ودفن بالقيروان. ابن فرحون: المصدر السابق، ص333ـ 335. كذلك ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج2، ص307. وفيه توفي سنة 265هـ.

(**) هو أبو محمد الربيع بن سليمان الجيزي، صاحب الشافعي، هو ناقل الرواية عن الشافعي، توفي بالجيزة سنة 270هـ. ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج2، ص 319. كذلك اليافعي: المصدر السابق، ج2، ص 137.

(***) هو المؤرخ المصري، مؤلف كتاب فتوح مصر والمغرب والأندلس، توفي سنة 257هـ/ 870م، وقد حقق هذا الكتاب الدكتور عبدالله أنيس الطباع، سنة 1964م.

(6) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 32. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 140. والضبي: المصدر السابق، ص197ـ 198. والسيوطي، بغية الوعاة، المصدر السابق، ص 356.

بصيراً بعلله، وإليه كانت الرحلة بالأندلس في عصره، حيث كان الطلاب يرحلون إليه لسماع الحديث منه، فكان خالد بن سعد من بين تلاميذه فـــي علـــم الحـــديث وغيره[1].

12/ أحمد بن محمد بن يوسف المعافري :

من أهل قرطبة، يكنى أبا القاسم، ولد في شهر ذي الحجة سنة 310هـ/922م، وتوفي في شهر صفر سنة 368هـ/978م، وكان سبب وفاته سقوطه في الحمّام.

أخذ تعليمه بقرطبة على يد الشيخ عبدالله بن يونس، وقاســـم بـــن أصـــبغ وغيرهما، ثم رحل إلى المشرق العربي الإسلامي ســـنة 342هـ/953م لاســـتكمال تعليمه، وهنالك التقى أحمد بن سلمة الضحاك الهلالي المكتب، وتعلم على يديـــه، كما تعلم على يد أبي محمد عبدالله بن جعفر بن الورد البغدادي[*]، وغيرهما كثير.

وانصرف في شعبان سنة 345هـ/956م عائداً إلى الأندلس، وعندما وصل إلى قرطبة جعل له حلقة بمسجدها الجامع يُعلم فيها، وبفضل شهرته استأذبه أمير المؤمنين المستنصر بالله لولي عهده المؤيد بالله أمير المؤمنين هشام، فأدبـــه كمـــا ولّاه أحكام الشرطة [2].

13/ أحمد بن وليد بن عبدالحميد بن عوسجة الأنصاري:

من أهل بجّانة، يكنى أبا عمر، وعرف بابن أخت عبدون، وكـــان يعتقـــد مذهب محمد بن مسرة ، وهو أحد النفر الذين استتابهم محمد بن يبقى القاضـــي، توفي سنة 376هـ/ 986م.

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 33. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 139.والضبي: المصدر السابق، ص 197. ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج2، ص 312.

(*) هو أبومحمد عبدالله بن جعفر بن محمد بن الورد البغدادي، راوي السيرة عن أبي البرقي، توفي في رمضان سنة 351هـ. ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج3، ص 102.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 51.

رحل إلى المشرق العربي الإسلامي، فوصل مصر، وتتلمذ فيها على يدي أبي الفضل جعفر بن أحمد بن عبد السلام البزاز، وعبدالرحمن بن أحمد بن رشدين .

وعندما عاد للأندلس، أخذ يحدث بتاريخ ابن البرقي[*]، والذي كان قد أخذه عن أبي الحسن الصغير[1] .

14/ أحمد وعمر ابنا يونس بن أحمد الحرّاني:

تعلما العلم بالطب على يد والدهما يونس بن أحمد الجذامي الحرّاني الذي رحل من المشرق العربي الإسلامي إلى الأندلس في عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن، واشتغل بالطب، واشتهر به[2].

وكان هذان العالمان قد اشتغلا أيضاً بالطب الذي تعلماه على يد والدهما، وعندما نبغا فيه، وأرادا استكمال تعليمهما قررا الرحيل إلى المشرق العربي الإسلامي للتعلم على يد أطبائه، وفي أيام خلافة الناصر لدين الله سنة 330هـ/941م رحلا إلى العراق، وأقاما بها عشرة أعوام[3].

دخل هذان الطبيبان إلى بغداد، وتتلمذا على يدي ثابت بن سنان بن ثابت ابن قرة الصابئ[**]، وأخذا على يديه كتب جالينوس عرضاً[4]، كما درسا أيضاً

(*) ابن البرقي هو أبو بكر أحمد بن عبدالله بن عبدالرحيم، كان حافظاً متقناً، صنف في معرفة الصحابة، توفى سنة 270هـ. السيوطي: طبقات الحفاظ، المصدر السابق، ص 276.

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 54.

(2) ابن جلجل: المصدر السابق، ص 94ــ95. كذلك القفطي: أخبار العلماء بأخبار الحكماء، دار الآثار، ليزك، 1923م، ص 258ــ 259.

(3) ابن جلجل: المصدر السابق، ص 112. كذلك ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ج3، ص 67.

(**) هو أبو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة، الطبيب الفاضل، كان في بغداد أيام معز الدولة بن بويه، يقرأ عليه كتب ابقراط وجالينوس، سلك مسلك جده في الطب والهندسة وجميع الصناعات الرياضية للقدماء، وما تشتمل عليه الفلسفة، وبرع في شرح الكتب له كتاب في التاريخ، ذكر فيه الحوادث والوقائع التي حدثت منذ سنة 295هـ، إلى حين وفاته، وفي سنة 313هـ تقلد بيمارستان ابن الرفات ببغداد، توفي سنة 365هـ/975م.أما ابن أبي أصيبعة، وابن العماد الحنبلي فقد ذكرا أن ثابت بن سنان توفي سنة 363هـ/973م ، غير أنني أرجح قول ابن النديم ذلك؛ لأنه أقدم عهداً منهما. ابن النديم : الفهرست، بيروت 1978م، ص421 . كذلك ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ج2، ص209ــ211. وابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج3، ص 151. واليافعي: المصدر السابق، ج2، ص 161.

(4) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج3، ص 151.

على يد العالم الطبيب ابن وصيف الكَحَّال الذي كان يشتهر بطب العين في بغداد، ويعمل في عمل خلل العين[1]، ثم انصرفا إلى الأندلس في أيام حكم المستنصر بالله سنة 351هـ/962م، وشاركاه غزوته لشنت أشتبين[*] سنة 352هـ/963م[2]، ثم انصرفا للعمل في مهنتهما، فألحقهما في خدمته بالطب، وأسكنهما مدينة الزهراء، واستخلصهما لنفسه دون غيرهما من الأطباء؛ غير أن عمر عاجلته منيته فتوفي بعلة المعدة، وبقي أحمد طبيب القصر بمدينة الزهراء، وكان لطيف المحل عند المستنصر بالله، أميناً مؤتمناً يطلعه على العيال الكرائم، وكان رجلاً حليماً، صحيح العقل عالماً بما شاهد علاجه، ورآه عياناً بالمشرق، وكثيراً ماعالج المستنصر بالله مما كان يصيبه من التخمة لكثرة تناوله للأكل، وذلك بصنع الجوارشنات الحادة العجيبة له، وكان وافقه في ذلك موافقة أفاد منها مالاً عظيماً، كما كان بصيراً بصناعة الأدوية المفردة والأشربة والمعجونات، ومعالجاً لأمراض العين، وأقام بالقصر خزانة للطب، لم ير مثلها قط، وجعل عليها اثني عشر صبياً صقالبة طبّاخين للأشربة، صنّاعين للمعجونات بين يديه، وقد استأذن أمير المؤمنين المستنصر أن يعطي منها المحتاجين من المساكين والمرضى، فأباح له ذلك، وكان يداوي العين مداواة نفسية، وكان يعالج بعلمه صديقه وجاره والمساكين والضعفاء، وعندما توفي المستنصر بالله، ولاه هشام المؤيد بالله خطة الشرطة وخطة السوق، وقد ترك عند وفاته تركة تزيد عن المائة ألف دينار[3] .

15/ أسلم بن عبدالعزيز بن هاشم :

هو أبو الجعد أسلم بن عبدالعزيز بن هاشم بن خالد بن عبدالله بن الحسن ابن جعد بن أسلم بن أبان بن عمرو القرطبي، مولى عثمان بن عفان، تعلم في أول أمره العلم بقرطبة على يد بقي بن مخلد، الذي صحبه طويلاً، ثم رحل إلى

---

(1) القفطي: المصدر السابق، ص 258ـ 259. كذلك ابن جلجل: المصدر السابق، ص 81.

(*) شنت أشتبين هو حصن بالأندلس يقع تحت جبل ممتنع، بنى عليه بعض الملوك حصوناً كثيرة. الحميري: المصدر السابق، ص 22.

(2) ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص 234.

(3) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ج3، ص 67ـ 68. كذلك ابن جلجل: المصدر السابق، ص 113. والقفطي: أخبار العلماء بأخبار الحكماء، المصدر السابق، ص284.

المشرق العربي الإسلامي سنة 260هـ/ 873م لاستكمال تعليمه، فلقي العديد من الشيوخ بالمشرق، وأخذ عنهم، مثل: أبي يحيى البرقي، والربيع بن سليمان صاحب الشافعي، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم، ويونس بن عبدالأعلى، وعلي بن عبدالعزيز البغوي، وغيرهم .

وعندما عاد إلى قرطبة أخذ يتحلق بمسجدها الجامع، فتتلمذ على يديه فيها عثمان بن عبدالرحيم، وعبدالله بن يونس بن عبدالأعلى، ومحمد بن قاسم، وغيرهم إضافة إلى أنه تولى منصب قضاء الجماعة بقرطبة مرتين.

توفي يوم الأربعاء 23 رجب سنة 319هـ/931م وهو عام الأشراف، لكثرة موت الأشراف فيه كالحاجب موسى بن حُدير، ومحمد بن مسرة، وجماعة من مشاهير الناس[1].

16/ إسماعيل بن محمد بن سعيد بن خلف:

هو أبو القاسم السرقسطي المعروف بابن الجنازة، أحد موالي بني أمية، كان دائم الرحلة بين مدن الأندلس طلباً للعلم، فرحل إلى تطيلة ووشقة وبجانة وقرطبة، وتعلم فيها، ففي تطيلة طلب العلم من سعيد بن محمد بن عفان، ومحمد ابن شبل، كما دخل وشقة، وأخذ بها عن ابن السندي، وببجانة عن سعيد بن فلحون، وفي قرطبة أخذ العلم عن محمد بن عبد الملك بن أيمن ، وأحمد بن عبيدة الرعيني، وقاسم بن أصبغ، ومحمد بن أبي يحيى بن لبابة .

رحل أبو القاسم إلى المشرق العربي الإسلامي حاجاً، وعند عودته لبلاده عرَّج على مصر فسمع بها من أحمد بن مسعود الزبيدي، ومن أبي الأصبغ الحرَّاني، إمام المسجد الجامع بالفسطاط، وأبي الظاهر العلاف، وعبد الله بن جعفر ابن الورد، وغيرهم، كما سمع بالقيروان من محمد بن محمد بن اللباد[*].

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 81.

(*) محمد أبو بكر بن اللباد بن محمد بن وشاح، لقب بابن الوشاح؛ لأنه كان وشاحاً حائكاً، من فقهاء المالكية المبرَّزين له من الكتب: كتاب" الطهارة"، و"عصمة النبيين"، و" فضائل مالك بن أنس"، و" الآثار والفوائد"، توفي في منتصف صفر سنة 333هـ. ابن فرحون: المصدر السابق، ص 346ـ 347.

وبعد أن جمع من العلم الكثير، عاد إلى الأندلس، وأخذ يعقد حلقة علمية في المسجد الجامع بقرطبة، يحدث فيها، فكتب الناس عنه، وكان ابن الفرضي أحد تلاميذه، وتوفي سنة 385هـ/995م، وهو ابن 89 سنة[1].

17/ أصبغ بن عبدالله بن مسرة :

ولد أبو القاسم الحنّاط القرطبي سنة 310هـ/922م بقرطبة، ونشأ بها، ثم رحل إلى المشرق رحلته العلمية المشهورة التي تعلم فيها بمكة ومصر، حيث سمع بمصر من عبدالله بن جعفر بن الورد، وأبي العباس أحمد بن الحسن الرازي، ومحمد بن القاسم بن شعبان، وحمزة الكناني، وسالم بن الفضل البغدادي، والحسن ابن رشيق، وابن ألون، وسمع من أبي علي سعيد بن السكن[*] مصنفه في الصحيح من السنن، وكانت عنده مؤرخة ابن وهب، وسمع بمكة من أبي الحسن الخزاعي، وقرأ القرآن وجوده، وكان أحد الشهود في أيام محمد بن يحيى، وقد ساهم أبو القاسم الحنّاط مساهمة كبيرة في الحياة الثقافية بالأندلس من خلال ما أدخله للأندلس من علوم المشرق كمصنف أبي علي سعيد بن السكن في (الصحيح من السنن)، وكتاب (التاريخ) لابن وهب، الذي كتبه عنه جماعة من أهل الأندلس، وسمع منه ابن الفرضي أشياء من علمه.

توفي أبو لقاسم يوم السبت 2 رمضان سنة 388هـ/ 998م، ودفن في مقبرة قريش بقرطبة [2].

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 66.

(*) هو الحافظ أبو علي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن البصري البغدادي، نزيل مصر، ولد سنة 294هـ، وتوفي سنة 353هـ، وسمع بالعراق والشام والجزيرة وخراسان، وما وراء النهر، وصنف الكتب؛ فمن تصانيفه: السنن في الحديث، والصحاح المأثورة عن النبي e، والصحيح المنتقى في الحديث. السيوطي: طبقات الحفاظ، المصدر السابق، ص 396. كذلك ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج3، ص109. وإسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، المصدر السابق، ج5، ص 389.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 76.

18/ أيوب بن الحسين بن محمد بن أحمد:

هو أبو سليمان أيوب بن الحسين بن محمد بن أحمد بن عوف بن حُميد بـن تميم بن الطويل، قاضي مدينة الفرج، رحل إلى المشرق العربي الإسلامي سـنة 340هـ/951م، وحج سنة 341هـ/ 952م، وسمع بمصر من أبي المـوت، وعبـد الكريم بن أحمد بن شعيب الشيباني، وعبد الواحد بن أحمد بن عبدالله بن مسلمة بن قتيبة، وأبي هريرة بن أبي العصام، وأبي بكر محمـد بـن الأبـيض، والأسـود القرشي، وجماعة سواهم،

وعندما عاد إلى بلاده، استقضاه الحكم الثاني ببلده، وكان حليما أديبا، وقدم إلى قرطبة، فسمع منه جماعة من الناس فيها كابن الفرضي، وياقوت الحموي.

توفي سنة 382هـ/992م أو التي بعدها بوادي الحجارة(*)(1) .

19/ تمام بن عبدالله المعافري:

هو أبو غالب تمام بن عبدالله بن تمام المعافري الطليطلي، ولد سنة 305هـ/ 917م، وقد بدأ تعليمه بالأندلس على يد وهب بن عيسى الطليطلي، ووهـب بـن مسرة الحجاري، ثم رحل حاجاً، وفي مكة لقي ابـن الأعرابـي، و أبـا محمـد عبدالرحمن بن يحيى الزهري، و أبا فراس، وأبا رجاء المقـرئ، فأخـذ عـنهم، واستمر في رحلته إلى أن وصل الشام الذي سمع به كثيراً، ففـي مدينـة غـزة بفلسطين لقي أبا الحسن بن أبي عياش وسمع منه تفسير القرآن، عن الظهرانـي، عن عبدالرزاق بن هُمام، وأثناء عودته إلى بلاده عرج على القيروان، فسمع بهـا من عبد الله محمد بن ممرور العسَّال وغيره.

تتلمذ على يديه بقرطبة ابن الفرضي وجماعة من أصحابه، وكتبوا عنـه علمه، وقد توفي بطليطلة يوم الأربعاء 21 جمادى الآخرة سنة 377هـ/987م (2).

(*) وادي الحجارة هي مدينة الفرج، كانت من المدن المصدرة للزعفران، حيث يُحمل منها إلى سائر بلاد الأندلس. الحميري: المصدر السابق، ص 193.

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 80. كذلك ياقوت الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ج4، ص280.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 87 ــ 88.

20 / ثابت بن حزم العوفي :

هو أبو القاسم ثابت بن حزم بن عبدالرحمن بن مطرف بن سليمان بن يحيى العوفي السرقسطي، ولد بسرقسطة سنة 217هـ/832م، وقد بدأ حياته العلمية بالأندلس؛ فتعلم علم الحديث، والفقه، والنحو، والشعر، والغريب على يدي محمد ابن وضاح، ومحمد بن عبدالسلام الخُشني، و عبدالله بن مسرة، وإبراهيم بن نصر السرقسطي، ومحمد بن عبدالله بن الغاز، وكان بذلك من أهل العلم بالعربية، والحفظ واللغة والتفنن في ضروب العلم، من علوم الدين، وغيرها.

رحل ثابت إلى المشرق العربي الإسلامي مع ابنه قاسم، فلقي رجال الحديث ورجال اللغة، وجمع هنالك علماً، ففي علم اللغة يُعد ثابت وابنه قاسم أول من أدخلا الأندلس كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي[*]، وقد سمع بمكة من عبدالله بن علي بن الجارود، ومحمد بن علي الجوهري، وأحمد بن حمزة، وسمع بمصر من أحمد بن عمرو البزار، وأحمد بن شعيب النسائي، وكان أبو القاسم عالماً مفتياً، بصيراً بالحديث، والفقه، والنحو، والغريب، والشعر، وقد ألّف كتاب الدلائل، الذي ظل يُدرّس بالأندلس، كما تولي منصب القضاء ببلده سرقسطة[1].

21/ حسداي بن إسحاق:

من أحبار اليهود وعلماء الطب في قرطبة حسداي بن إسحاق الذي نشأ في الأندلس، واتصل بخليفتها الحكم الثاني، وكان طبيبه، فنال بذلك حظوة كبيرة، وصار من رسله إلى المشرق العربي الإسلامي لاستجلاب بعض مؤلفات اليهود بالمشرق، لمعرفة ما كان غائباً عنهم من علم حساب السنين؛ لأنّ أهل الأندلس كانوا قبل هذا العمل الكبير يعتمدون على يهود بغداد لمعرفة سنين تاريخهم

(*) هو أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد البصري الفرهودي، أوالفراهيذي من الفراهيد باليمن، وهو أول من استخرج علم العروض، وضبط اللغة، ألف أول كتاب العين، ولم يكمله فأكمله صاحبه الليث بن نصر بن يسار الخرساني، وسمي نفسه الخليل، توفي سنة 175هـ وقيل سنة 170هـ، وقيل 160هـ. السيوطي: بغية الوعاة، المصدر السابق، ج1 ص 557ـ 560، ج2، ص 270. كذلك ابن الأنباري: المصدر السابق، ص 49ـ 51.

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 89. كذلك السيوطي: طبقات الحفاظ، المصدر السابق، ص 372ـ 373. والقفطي: أنباه الرواة، المصدر السابق، ج1، ص 297.

ومواقيت أعيادهم، وقد استفاد أهل الأندلس من هذا العمل باستغنائهم عما كانوا يتجشمون فيه العناء والكلفة، كما يُعد هذا العالم أول من فتح لأهل الأندلس باب علمهم بالتاريخ [1].

22/ الحسن بن سعد بن إدريس بن رزين بن كسيلة الكُتامي:

الحافظ الكبير الإمام القرطبي أبو علي الكُتامي، ولد سنة 248هـ/ 862م، تعلم بقرطبة على يدي بقي بن مخلد، ثم رحل إلى المشرق العربي الإسلامي رحلتان طاف فيهما بلاد المشرق إلى أن وصل اليمن، وتعلم فيها بمكة على يد علي بن عبدالعزيز البغوي، وفي مصر على يد القراطيسي، ثم دخل صنعاء، فتعلم بها على يد علي بن محمد الكشوري، وإسحاق بن إبراهيم الدبري، والحسن بن أحمد، وأبي جعفر بن الأعجم، وببغداد سمع من أبي مسلم الكشي أو الكجّي[*].

كان أبو علي علامة مجتهداً، لا يقلد أحداً، وكان يذهب إلى النظر وترك التقليد، ويميل في فقهه إلى مذهب محمد بن إدريس الشافعي[**]، وكان يحضر مجلس الشورى، ولما رأى الفتيا دائرة على مذهب المالكيين، ترك شهودها، ولزم بيته، إلى أن توفي في يوم الجمعة (يوم عرفة) سنة 331هـ/942م، أو سنة 332هـ/943م[2].

---

(1) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ج3، ص 82.

(*) هو أبو مسلم الكجّي، إبراهيم بن عبدالله البصري، الحافظ، صاحب "السنن" ومسند الوقت، وكان محدثاً حافظاً، ثقة، قدم بغداد وصار له بها مجلس يزدحم بالطلبة وبه أربعين مستملياً كان الواحد منهم يبلغ الثاني بما يمليه الشيخ. ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج2، ص 384.

(**) هو أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبدالمطلب بن عبد مناف القرشي المطلبي المكي، نزل مصر، ولد بغزة سنة 150هـ، وقيل ولد بعسقلان، وقيل باليمن سنة 154هـ، وحُمل إلى مكة وهو ابن سنتين، روى عنه من الأئمة مالك بن أنس، والإمام أحمد بن حنبل وغيرهم كثير، وكان يفتي منذ بلوغه سن الخامسة عشر، مات سنة 204هـ، وله من المؤلفات الرسالة وهو كتاب جمع فيه قول الأخبار ومعاني القرآن، وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة. السيوطي: طبقات الحفاظ، المصدر السابق، ص 171ـ 173.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص96ـ 97. كذلك السيوطي: طبقات الحفاظ، المصدر السابق، ص 373.

23/ حسن بن عبدالله الزبيدي:

هو أبو القاسم حسن بن عبدالله بن مذحج بن محمد بن محمد بن عبدالله بن بشير بن أبي ضمرة بن ربيعة بن مذحج الزبيدي الإشبيلي، ولد ونشأ وتعلم في إشبيلية في صباه، ثم رحل إلى قرطبة، واكمل تعليمه بها، وكان تعليمه بإشبيلية على يد محمد بن جنادة، وبقرطبة على يد طاهر بن عبد العزيز، وعبيد الله بن يحيى.

رحل إلى المشرق العربي الإسلامي لاستكمال تعليمه؛ فدخل مكة، ولقـــي بها عبدالله ابن علي بن الجارود، وسمع منه كثيراً، ومن أبي القمري، وإبراهيم بن سعيد الحذاء، ومحمد بن حميد الجرجاني، كاتب علي بن عبدالعزيز، وأبي ســـعيد عبدالرحمن بن سعيد، يُعرف بالمعلم، وغيرهم.

كان أبو القاسم شيخاً طاهراً؛ غير أنه لم يكن له بصر بالحديث، ولا معرفة بطرقه، مع أنه كان كثير الرواية لكتب الرجال في الجرح والتعديل، حدّث عنه الباجي، وغيره، وقد توفي في شهر رمضان سنة 318هـ/930م قبل أن يسمع منه ابنه محمد لصغر سنه آنذاك [1].

24/ حسين بن محمد بن قابل[2]:

هو أبو بكر حسين بن محمد القرطبي، المولود في ســـنة 296هـ/ 908م، والمتوفي يوم السبت 3 ذي الحجة سنة 372هـ/982م .

كان أبو بكر شيخاً صالحاً، حافظاً للرأي، وعاقداً للشروط، متصرفاً فـــي العربية، والغريب، شاعراً مجيداً، وقد تعلم تلك العلوم منذ صباه بالأندلس، على يد أسلم بن عبد العزيز، ومحمد بن عمر بن لبابة، وأحمد بن خالد، وابن أيمن، وقاسم ابن أصبغ، وغيرهم.

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 96.

(2) في اسمه اختلاف: فقد ذكر ابن الفرضي أنه حسين بن محمد بن قابل. بينما يذكر الحميدي والضبي أنه: حسين بن نابل. أما السيوطي فيقول بأنه: حسين بن محمد بن نائل.

وفي سنة 333هـ/944م رحل إلى المشرق العربي الإسلامي، فحج و لقي العلماء وأخذ عنهم العلم، فدخل مكة، ولقي بها ابن الأعرابي، وبالإسكندرية لقي علي بن أبي مطر(*)، وأحمد بن مسعود الزبيدي وأخذ عنهما، كما لقي محمد بن أيوب الرقي، وأبي هريرة بن أبي طاهر المدني، وعلي بن الورد، وأخذ عنهم وعن غيرهم.

ساهم هذا العالم مساهمة كبيرة في علم الفقه بالأندلس بإدخاله رواية ابن أبي مطر الإسكندري لكتاب محمد بن إبراهيم بن زياد بن الموّاز(**) في الفقه على مذهب مالك بن أنس، وقد رواه عنه ابنه عمر بن حسين بن قابل، وأبو عمر ابن عبدالبر بإجازة من ابنه عمر عن أبيه [1] .

25/ الحسين بن وليد بن نصر:

هو أبو القاسم الحسين بن العريف النحوي القرطبي، أخو الحسن بن الوليد، نشأ وتربى في قرطبة وتعلم فيها علم النحو والعربية على يد مؤرخ الأندلس ابن القوطية، وغيره، كما كان شاعراً مجيداً، وله دراية بعلم الكلام[2].

رحل ابن العريف إلى المشرق العربي الإسلامي، فدخل مصر وأقام بها أعواماً، تردد خلالها في مجالس العلم وحلقات الدرس، فسمع بها من أبي طاهر

(*) هو أبو الحسن علي بن عبدالله بن أبي مطر المعافري، قاضي الإسكندرية، الفقيه المالكي، توفي سنة 330هـ. ابن فرحون: المصدر السابق، ص307. كذلك ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج3، ص55. وفيه إنه توفي في سنة 339هـ.

(**) هو محمد بن إبراهيم الإسكندراني بن زياد بن المواز، الفقيه المالكي، لك كتابه المشهور الكبير، وهو أجل كتاب ألفه المالكيون وأصحه مسائل، قصد ابن المواز من تأليفه له بناء فروع أصحاب المذهب على أصولهم، وقد تكلم فيه على الشافعي، وعلى أهل العراق بمسائل، رواه ابن ميسر وابن أبي مطر عنه، وله كتاب " الوقوف" رواه عنه أهل مكة، وهو مفقود الآن، توفي بدمشق في10 ذي القعدة سنة 269هـ، وقيل سنة 281هـ، ومولده في شهر رجب سنة 180هـ. ابن فرحون: المصدر السابق، ص 331ـ 332.

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 100. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 193ـ 194. والضبي: المصدر السابق، ص 267. والسيوطي: بغية الوعاة، المصدر السابق، ج1، ص539.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 100.

الذهلي، والحسن بن رشيق(*)، كما قرأ بها كتـاب الكـافي فـي العربيـة لابـن النَّحَّاس(**).

وعندما عاد من رحلته إلى الأندلس في أيام الأمير المنصـور بـن أبـي عامر، استقبله هذا الأمير، وقرّبه منه، وجعله مؤدباً لأولاده، يعلمهم علـم النحـو والعربية، وعلم الأدب، وعلم الكلام، وقد ألف في بعض هذه العلوم مؤلفات جيـدة منها مؤلفات في الأدب، وفي النحو كتاب اعترض فيه على أبي جعفر أحمد بـن محمد النحاس في مسائل ذكرها في كتابه الكافي، كما كان له (شرح كتاب الجمل في النحو) لأبي إسحاق الزجاج.

كان ابن العريف من العلماء الذين يحضرون مجالس المناظرة العلمية التي تعقد في حضرة أمير الأندلس المنصور بن أبي عامر بحضور العديد من علمـاء الأندلس، أمثال: الزبيدي صاحب كتاب طبقات النحويين(***)، وأبي العلاء صاعد بن الحسن اللغوي البغدادي المشهور(****)، وكان بينه وبين أبي العلاء منـاظرات

(*) الحسن بن رشيق القيرواني، الشاعر والنحوي واللغوي والأديب، والعروضي، له كتاب في الرد على ابن شرف الأديب هو ساجُور الكلب، ولد بالمحمدية سنة 390هـ، ومات بالقيروان سنة 456هـ السيوطي: بغية الوعاة، المصدر السابق، ج1، ص 504. كذلك ياقوت الحموي: معجم الأدباء، المصدر السابق، ج2، ص487ـ 488.

(**) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي المعروف بابن النحاس، كان حافظاً عالماً بالنحو والعربية، أديباً وشاعراً، وله من المؤلفات كتاب" تفسير القرآن"و " إعراب القرآن. و" معاني القرآن" و"الكافي في العربي" و" المقنع في اختلاف البصريين والكوفيين" و" الناسخ والمنسوخ"و" شرح أبيات سيبويه"و" شرح المعلقات" و" شرح المفضليات" وشرح أبيات الكتب" والاشتقاق:" وأدب الكاتب"، توفي سنة 338هـ . السيوطي: بغية الوعاة، المصدر السابق، ج1، ص 362. كذلك ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج3، ص 52،51. كذلك ابن الأنباري: المصدر السابق، ص 253.

(***) هو محمد بن الحسن أبو بكر الزبيدي الإشبيلي النحوي، كان عالم في النحو، والعربية، تولى قضاء قرطبة، وأدب أولاد المستنصر بالله في النحو، صنف "مختصر العين" و" أبنية سيبويه" و" الموضح أو الواضح" و"ما يلحن فيه عوام الناس"و" طبقات النحويين". "وكتاب في الرد على ابن مسرة، وأهل مقالته سماه "هتك الستور، توفي قريباً من 330هـ الضبي: المصدر السابق، ص 66ـ 67.

(****) هو أبو العلاء صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي، اللغوي، صاحب كتاب" الفصوص" و" الأمالي"، وأصله من الموصل دخل الأندلس، و كان عالماً باللغة والآداب والأخبار، يتميز بالبديهة وسرعة الجواب، وهو من ندماء المنصور بن أبي عامر، ومجاهد بن عبدالله العامري، مات بصقلية سنة 417هـ. السيوطي: بغية الوعاة، المصدر السابق، ج2، ص 7ـ 8.

في مجالس المنصور محمد بن أبي عامر، توفي بطليطلة في غزوة الصائفة التي وقعت في شهر رجب سنة 390هـ/ 999م ودفن بها[1] .

26/ خطاب بن مسلمة الإيادي:

هو أبو المغيرة خطاب بن مسلمة بن محمد بن سعيد بن بتري بن إسماعيل ابن سليمان بن منتقم بن إسماعيل بن عبدالله الأيادي القرموني القرطبي، ولد بقرطبة سنة 294هـ/906م، ونشأ وتعلم بها على يد كل من محمد بن عمر بن لبابة، وأسلم بن عبدالعزيز، وأحمد بن عبدالعزيز، وأحمد بن خالد، وعثمان بن عبدالرحمن، وعبدالله بن يونس، ومحمد بن يونس، وقاسم بن أصبغ.

في سنة 332هـ/943م رحل إلى المشرق العربي الإسلامي للحج، فحج وطلب العلم، وكان صاحبه في رحلته محمد بن إسحاق بن السليم، ولقي العديد من العلماء فأخذ عنهم، ولقي بمكة ابن الأعرابي، فأخذ عنه مارواه، كما لقي بمصر أحمد بن مسعود الزبيدي الخولاني، وأحمد بن بهزاد المصري، وأبي جعفر بن أحمد بن محمد بن النحاس، وعبد الله بن الورد البغدادي، والصموت، وغيرهم، وأخذ عنهم علمهم.

وعاد إلى الأندلس شيخاً فاضلاً مجاب الدعوة، حافظاً للرأي ، بصيراً بالنحو والغريب، نبيلاً، وأخذ يتحلق في المسجد الجامع بقرطبة، يحدث الناس بعلمه، فسمع منه الناس كثيراً كابن الفرضي، وغيره، وقد توفي في يوم الجمعة 29 شوال سنة 372هـ/ 982م، ودفن بمقبرة الربض بقرطبة[2].

27/ خلف بن سعيد بن عبدالله بن عثمان بن زرارة بن عجلان الكلبي:

هو أبو القاسم خلف بن سعيد القرطبي المعروف بابن المرابط، وبالمبرقع المحتسب، وهو من ذرية الأبرش الكلبي وزير عبدالملك بن مروان السّباك

---

(1) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، المصدر السابق، ج3، ص 209ــ 213. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 194ــ 195. والضبي: المصدر السابق، ص 267ــ 268. والسيوطي: بغية الوعاة، المصدر السابق، ج1، ص 542.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 115ــ 116.

المحتسب، ويعرف بابن المرابط، كما يعرف أيضاً بالمبرقع المحتسب، ولد بقرطبة في آخر يوم من جمادى الآخرة سنة 309هـ/921م، وتعلم بها، ثـم رحـل إلـى المشرق العربي الإسلامي رحلتـان، كانـت الأولـى وعمـره 23 عامـاً سـنة 332هـ/943م، أوسنة 333هـ/944م، وكانت الثانية سنة 339هـ/950م، وقد لقـي فيها بمكة أبا سعيد بن الأعرابي، فتعلم عنده، وحصل منه على إجازة الرواية عنه، كما حصل أيضاً من أبي القاسم محمد بن إسحاق على إجازة رواية جميع روايته، كما لقي ابن الورد، وأبا الحسن الخزاعي، وعبدالملك بن محمد المرواني قاضـي المدينة، وأبا محمد بن مسرور، وابن رشيق، وابن حيوية، وحمزة الكناني، وابـن السّكن، وأبا بكر الأجري، وبكير الحداد، وابن المفسر[*] وغيرهم، وذكـر أنهـم منحوه إجازة حق الرواية عنهم.

تتلمذ على يديه أبو حفص الزهراوي الذي روى وحدّث عنه، حيث قـال: إنّه كان يُعرف بابن الصائغ، وأبي إسحاق بن شنظير، وأبو جعفر الزهراوي [1].

29/ خلف بن قاسم بن الأسود الأزدي:

هو أبو القاسم خلف بن قاسم بن سهل بن محمد بن يونس بن الأسود الأزدي القرطبي المعروف بابن الدباغ ، ولد بقرطبة سنة 325هـ/936م، وتعلم في صغره بها على يد أحمد بن يحيى بن الشامة، ومحمد بن هاشم القروي، ومحمد بن معاوية، ونظرائهم.

رحل إلى المشرق العربي الإسلامي سنة 345هـ/956م لاستكمال تعليمه، وبقي فيه نحو 15 سنة، كان يتردد ويتنقل بين حلقات الدرس في الحجاز ومصـر والشام، حيث لقي بمصر حمزة بن محمد الكناني[**]، وأبا محمد بن الورد، وابن

(*) هو أحمد بن الناصح، عبدالله بن محمد بن عبدالله بن الناصح شجاع بن المفسر الدمشقي، الفقيه الشافعي، توفي في مصر في رجب عام 365هـ. ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج3، ص 160.

(1) ابن بشكوال: المصدر السابق، ج1، ص 162. كذلك المقري: المصدر السابق، مج2، ص 311. وفيه إنه ابن رزارة بدل زبارة.

(**) هو أبو القاسم حمزة بن محمد بن علي بن العباس الكناني المصري، الحافظ، أحد الأئمة الثقاة، كان جمّاعة ومصنفاً، بصيراً بالحديث، وعلله،وهو صاحب مجلس البطاقة، توفي في ذي الحجة سنة 357هـ. ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج3، ص 125.

السكن، وأبا العباس الرازي، وابن ألوان، وأبا بكر بن المسور، المعـروف بـابن طنّة، وأخذ عنهم، كما أخذ في الشام من ابن أبي الخطيب بالرملة، وأبي الميمـون القاضي بعسقلان، وأبي عبيد الله الهاشمي ببيت المقدس، وأخذ بدمشق مـن أبـي الميمون بن رشد، صاحب أبي زرعة(*)، وابن أبي العقب(**)، وغيرهمـا، وأخـذ بمكة من أبي الحسن الطوسي، وبكير المعروف بالحداد، وأبي الحسن الخزاعـي، وأبي بكر الآجري، ومن جماعة سواهم من المكيين، وغيرهم من الغرباء القادمين عليهم في الموسم، وكان عدد شيوخه الذين لقيهم وكتب عنهم 236 شيخاً.

عنى أبو القاسم بتعلم القرآن على يد جماعة من القراء، واستوسـع فـي اكتتاب الحديث، إذ كان حافظاً له؛ عالماً بطرقه وبرجاله ،وعندما رجع إلى بلاده ظل يعلم أهل بلده الحديث، وقراءة القرآن، كما ألف كتباً في الزهد والحديث، منها كتابه الذي خرج فيه من حديث الأئمة حديث الإمام مالك بن أنس، وشـعبة بـن الحجاج .

توفي أبو القاسم ليلة الأحد 27 من شهر ربيع الآخر سنة 393هـ/ 1002م، ودفن في مقبرة متعة[1] .

30/ رشيد بن فتح الدّجّاج:

هو أبو القاسم الدّجّاج القرطبي، الذي ولد بقرطبة ونشأ بها، وتعلم في أيام شبابه العلم بقرطبة على يدي أحمد بن خالد، وقاسم بن أصبغ، وأحمد بن زيـاد، وأحمد بن عبادة، ونظرائهم.

رحل إلى المشرق العربي الإسلامي حاجاً سنة 347هـ/958م وهو العـام الذي رحل فيه يحيى ابن مالك بن عائذ [1]، وفي مكة سمع من محمد بن الحسـين

(*) هو أبو زرعة الرازي الصغير أحمد بن الحسين بن الحكم الحافظ، رحل وطوف وجمع وصنف، وكان حافظاً ثقة، جمع الأبواب والتراجم، ولد سنة311هـ، وتوفي سنة 375هـ . السيوطي: طبقات الحفاظ، المصدر السابق، ص 413ـ 414. كذلك ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج3، ص202.و البافعي: المصدر السابق، ج2، ص304.

(**) هو أبو القاسم علي بن يعقوب بن أبي العقب الدمشقي، المحدث المقرئ، روى عن أبي زرعة الدمشقي وطائفته توفي في ذي الحجة سنة353هـ، وعمره 93 سنة. ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج3، ص 109.

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 118ـ 119. كذلك المقري: المصدر السابق، مج2، ص 311.

الآجُري كثيراً من مؤلفاته، ومن أبي الحسن الأصبهاني، وغيرهما، ثم دخل مصر، فسمع بها سماعاً كثيراً من ابن الورد، وأبي العباس أحمد بن الحسن الرازي، وسعيد بن السكن، وابن أبي الموت، وكان ابن الدجّاج في رحلته هذه مهتماً بجمع الحديث، والآثار، وقد دونها، وأدخلها معه إلى بلاده، ثم أخذ يعلمها؛ لكنه كان يأبى الإسماع إلا في اليسير ممن يستحبه، وقد كتب عنه بعض أهل الأندلس، كابن الفرضي الذي يذكر أنه كتب عنه حديثاً واحداً، وكان يُتَّهَمُ بمذهب محمد بن مسرة، وقد توفي يوم السبت 29 رجب سنة 376هـ/986م، ودفن بمقبرة قريش[2].

31/ زكريا بن خطاب :

هو القاضي أبو يحي زكريا بن خطاب بن إسماعيل بن عبدالرحمن بن إسماعيل بن حزم الكلبي التطيلي[3]، الذي تعلم بالأندلس، ثم رحل إلى المشرق العربي الإسلامي في سنة 293هـ/ 905م، فدخل مكة وحج، ودرس فيها على يد الجرجاني كتاب النسب للزبير بن بكار عن علي بن عبدالعزيز، والجمحي، والعائذي عن الزبير، كما روى موطأ مالك، رواية أبي المصعب أحمد بن عبدالملك الزهري، عن إبراهيم بن سعد الحداد، وسمع بها أيضاً من إبراهيم بن عيسى الشيباني، وعبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي[*]، مولى العباس، وأحمد بن زيد بن هارون القزاز، وغير واحد، ثم رجع إلى الأندلس، فاستقر في تطيلة، وصار الناس يرحلون إليه للسماع منه، وعندما علم به الحكم الثاني في أيام ولاية العهد استقدمه إلى قرطبة، فسمع منه أكثر رواياته التي كان يرويها، كما سمع منه

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 443.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 126ــ 127.

(3) يذكر الضبي في كتابه بغية الملتمس، ص292: أنه زكريا بن الخطاب بن إسماعيل بن عبدالرحمن بن حزم الكلبي.

(*) هو أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق النهاوندي الزجاجي النحوي، صاحب التصانيف، أخذ عن أبيه، وابن دريد، وعلي بن سليمان الأخفش، وانتفع بكتابه" الجمل" خلق كثير، الذي ألفه بمكة عندما جاور بها، ولكتابه هذا بالمغرب 120 شرحاً، واشتغل ببغداد ثم حلب، ثم دمشق، ومات بطبرية في رمضان سنة 340هـ. ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج3، ص 63ــ 64. كذلك اليافعي: المصدر السابق، ج2، ص 249.

بعض أهل قرطبة, وعرّفه بأبيه الناصر، فولاه الخليفة الناصر لدين الله سنة 337هـ/948م قضاء تطيلة بعد وفاة قاضيها عمر بن يوسف بن الإمام [1] .

32/ سعد بن جابر بن موسى الكلاعي:

هو الحافظ والفقيه والمُقرئ الإشبيلي أبو إسحاق الكلاعي، رحل مع أخيه سعيد إلى المشرق الإسلامي، فلقي النسائي والدولابي وغيرهما، وتفقه على أيديهم، و قرأ القرآن بمصر على يدي أحمد بن سعيد، وأحمد بن هلال، وأبي بكر القباب فأتقنه، ثم انصرف عائداً إلى الأندلس، فسكن إشبيلية، وهناك تعلم على يديه بعض أهلها قراءة القرآن منهم عباس بن أصبغ ، ولحسن قراءته كان يُستقدم كل عام إلى قرطبة في شهر رمضان لإمامة المسلمين في صلاة القيام [2].

33/ سعد بن مَعاذ بن أفنان الشعباني الجيّاني [3] :

هو أبو عمر سعد بن معاذ بن عثمان بن حسان بن يخامر بن عبيد بن محمد بن أفنان الشعباني الجياني الأصل، رحل من جيان إلى قرطبة فسكنها، وتعلم بها ثم رحل إلى المشرق العربي الإسلامي سنة 260هـ/873م[4]، فدخل مصر، ولقي بها محمد بن عبدالله بن عبد الحكم، وأخاه سعد، ويونس بن عبدالأعلى، وأحمد شيبان الرملي، وأحمد بن عبدالرحيم البرقي، وإبراهيم بن مرزوق، وبحر ابن نصر، ومحمد بن عزيز، وأخذ عنهم الفقه والمسائل، وصار فيما بعد من رواتهم، حيث كان يروي علمهم في حلقته التي كان يعقدها في جامع قرطبة، وقد تتلمذ على يديه العديد من طلاب قرطبة، منهم: عثمان بن عبدالرحمن بن أبي زيد،

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 127ــ 128. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 218. والضبي: المصدر السابق، ص 292. والمقري: المصدر السابق، ج3، ص 387.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 152ــ 153.

(3) وجاء على هذه الهيئة: سعد بن معاذ بن عثمان بن عثمان بن حسان بن مخامر الشعباني أبو عثمان. الحميدي: المصدر السابق، ص 227.

(4) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 256.

وعبدالله بن محمد بن حسين بن أخي ربيع، اللذين رويا عنه ، وقد توفى بقرطبة في جمادى الآخرة سنة 308هـ/920م[1].

34/ سعيد بن جابر بن موسى الكَلاَعِي:

هو أبو عثمان الكَلاَعِي الإشبيلي، أخو الفقيه سعد بن جابر، نشأ وترعرع في إشبيلية، وبدأ تعليمه بها، ثم انتقل إلى قرطبة وسكنها، وكان معلمه في إشبيلية محمد بن جنادة، وفي قرطبة عبيدالله بن يحيى، وطاهر بن عبدالعزيز، ثم رحل إلى المشرق العربي الإسلامي لاستكمال تعليمه، فلقي أحمد بن شعيب النسائي، وكتب عنه كثيراً من مصنفاته، كما كتب عن أبي بكر بن الإمام، وعلي بن سعيد الرازي، وأبي يعقوب المنجنيقي، وأبي البشر الدولابي، وإبراهيم بن موسى بن جميل، وعلي بن سليمان بن الأخفش النحوي، ويموت بن المُزرّع[*]، وغيرهم.

ثم عاد للأندلس، فسكن مدينته إشبيلية، وبدأ في تعليم طلابها حيث تعلم على يديه سعد بن خالد، وابن الفرضي و الخليفة المستنصر بالله في شبابه، ومحمد ابن إسحاق بن السليم القاضي، وعبدالرحمن ابن أحمد بن بقي، ومحمد بن عمر بن عمر بن عبدالعزيز، وتوفي سنة 326هـ/936م[2]، وقيل سنة 327هـ/938م[3] .

35/ سعيد بن خمير بن عبد الرحمن:

هو الفقيه والعالم القرطبي أبو عثمان سعيد بن خمير بن عبدالرحمن[4]، أو ابن مروان بن سالم[5]، المولود سنة 230هـ/844م، درس في شبابه العلم بقرطبة على يدي أبي زيد عبدالرحمن بن إبراهيم، وعبدالله بن خالد، ويحيى بن إبراهيم بن مزين، ثم رحل إلى المشرق العربي الإسلامي، وسمع من بعض علماء

---

(1) الحميدي: المصدر السابق، ص 227. كذلك ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 152.

(*) هو أبو بكر يموت بن المرزع بن يموت العبدي البصري، وهو ابن أخت الجاحظ، شيخ كبير قدم من البصرة إلى بغداد سنة 301هـ، كان أديباً إخبارياً، وروى بها ثم قدم دمشق، ثم سكن طبرية، توفي سنة 303هـ. ابن الأثير: المصدر السابق، ج6، ص 152. كذلك اليافعي: المصدر السابق، ج2، ص 181.

(2) الحميدي: المصدر السابق، ص 229.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 142 ــ 143.

(4) المصدر نفسه: ص 140

(5) الحميدي: المصدر السابق، ص 230.

المالكية في مصر ومكة وغيرها، منهم: يونس بن عبدالأعلى، وأحمد بن عبدالله ابن صالح، ومحمد بن عبدالحكم، وأبي عبدالله بن أخي ابن وهب، ونصر بن مرزوق، وإبراهيم بن مرزوق، وغيرهم جماعة، ثم رجع للأندلس، فسكن بلاط مغيث, وكان فقيهاً عالماً فاضلاً؛ لذا قام الأمير عبدالله بعد أن علم به وبعلمه بنقله إلى قرطبة، وأسكنه بالقرب من مسجدها الجامع، فكان يجلس ويتحلق فيه، ويفتي، ويعقد الوثائق، فتعلم على يديه العديد من الطلبة الذين صاروا فيما بعد علماء البلاد الأندلسية، مثل: عثمان بن عبدالرحمن وابن أيمن وأحمد بن عبادة، وغيرهم من الشيوخ، ومن دونهم في السن كثير، مات سنة 301هـ/913م[1].

36/ سعيد بن عثمان الأعناقي:

هو أبو عثمان سعيد بن عثمان بن سعيد بن سليمان بن محمد بن مالك بن عبدالله التجيبي، وهو من موالي قرطبة، ويقال له الأغناقي، أو العناقي[2]، نسبة إلى موضع يقال له عناق وأعناق[3]، ولد عام 233هـ/847م[4]، وتعلم في الأندلس على يد محمد بن وضاح وصحبه، ويحيى بن مزين، ومحمد بن عبدالسلام الخُشني، وابن باز، وغيرهم، ثم رحل إلى المشرق العربي الإسلامي طلباً للحديث، فأخذ علمه من يونس بن عبدالأعلى، وأحمد بن عبدالله بن صالح الكوفي، وأبي يعقوب إسحاق بن إسماعيل بن عبدالأعلى بن عبدالحميد الأيلي، صاحب سفيان بن عيينة، وأحمد بن ملول، صاحب سحنون بن سعيد، وكان شيخاً ورعاً زاهداً، عالماً بالحديث، بصيراً بعلله؛ غير أنه لم يكن له علم بالفقه [5].

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 140.

(2) المقري: المصدر السابق، مج3، ص 388.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 140. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 231. والضبي: المصدر السابق، ص 309.

(4) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 141. كذلك المقري: المصدر السابق، مج3، ص 388.

(5) الحميدي: المصدر السابق، ص 230. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص 308.

كما أخذ في رحلته هذه علم الحديث عن نصر بن مرزوق، الذي كتب عنه مسند أسد بن موسى(*)، وغير ذلك من كتب أسد، كما لقي محمد بن عبدالله ابن عبدالحكم، وحارث بن مسكين، وابن السكري الحافظ، وغيرهم.

وعندما عاد للأندلس أخذ على عاتقه تعليم العلوم، فتعلم على يديه كثير من طلاب الأندلس، منهم: أحمد بن خالد الذي كان يحدّث عنه، وابن أيمن، ومحمد بن قاسم، وابن أبي زيد، و أحمد بن سعيد بن حزم الصدفي، وخالد بن سعد، ووهب ابن مسرة، وأحمد بن مطرف بن عبدالرحمن، وغيرهم كثير، وتوفي بفريش(**) في صفر سنة305 هـ/917م، في إحدى سفراته إلى أقاربه الذين كان يرحل إليهم بين الحين والآخر، وقبره هناك [1] .

38/ سلمان بن قريش بن سلمان:

هو قاضي بطليوس أبوعبدالله سلمان بن قريش بن سلمان [2]، أصله من ماردة، وسكن قرطبة حيناً، وتعلم بها على يد محمد بن وضاح، وعلى يد غيره من رجال الفقه والعلم بقرطبة، وكان شيوخ قرطبة يثنون عليه، ويوثقونه، لتميزه بالفصاحة والبلاغة.

رحل إلى المشرق العربي الإسلامي، فلقي بعض علمائه وسمع منهم، ففي مكة سمع من علي بن عبدالعزيز، وكتب عن أبي عبيدة، وغيرهما، كما سمع أيضاً من أبي جعفر الخصيب؛ المعروف بسيف السنة، ثم رحل إلى اليمن؛ فسمع بصنعاء من عبيد بن محمد الكشوري، وغيره، وعندما عاد إلى الأندلس استقضاه

(*) هو أسد بن موسى بن إبراهيم بن الوليد بن عبدالملك بن مروان بن عبدالحكم القرشي الأموي المصري، يقال له أسد السنة، رحل في طلب الحديث، وصنف فيه مصنفات، منها كتاب" المسائل الأسدية" التي كتبها عن ابن القاسم، ولد بمصر سنة 132هـ، وتوفي بها في محرم 212هـ. السيوطي: طبقات الحفاظ، المصدر السابق، ص 188. كذلك ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج2، ص 113. واليافعي: المصدر السابق، ج2، ص 43.

(**) تقع فريش بين الجوف والغرب من قرطبة، وبها قرية تعرف بقسطنطينة، التي بنيت في أيام قسطنطين ملك الروم، وبينها وبين قرطبة أربعين ميلاً. الحميري: المصدر السابق، ص 143.

(1) الحميدي: المصدر السابق، ص 230ـــ 231. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص 308ـــ 309. وابن الفرضي: المصدر السابق، ص 140ـــ 141. والمقري: المصدر السابق، مج3، ص388.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 162. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص236. والضبي: المصدر السابق، ص316: وفيه أنه سلمان بن قريش بن سلمان.

ابن مروان ببطليوس، ثم رجع إلى قرطبة فسكنها، وسمع منه الناس كثيراً، حيث توفي بها في شهر المحرم سنة 329هـ/940م [1] .

39/ طاهر بن عبدالعزيز بن عبدالله الرعيني:

هو العالم القرطبي أبو الحسن طاهر الرعيني، المتوفى يوم الجمعة في جمادى الأولى سنة 305هـ/917م، وقيل في سنة 304هـ/918م [2] .

كان أبو الحسن عالماً اللغة وإخبارياً، ولم يكن له علم كبير بالحديث ولا الفقه، وقد أخذ تعليمه في الأندلس على يدي محمد بن عبدالسلام الخُشني، وبَقِيّ ابن مخلد كثيراً, وكان ضابطاً، عالماً عارفاً بعلوم اللغة فَهِماً.

رحل هذا العالم إلى المشرق العربي الإسلامي، وطاف به طلباً للعلم، فدخل مكة، واليمن، وكان سماعه بمكة من علي بن عبد العزيز البغوي، كاتب أبي عبيد القاسم ابن سلام، ومحمد بن إسماعيل الصائغ الكبير، ومحمد بن علي بن يزيد الصائغ الصغير، ثم رحل من مكة إلى صنعاء، فسمع بها من أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عباد الدَبريّ الزبيدي، وعبيدالله بن محمد الكشوري، وأبي جعفر بن الأعجم، وغيرهم من رجال صنعاء سماعاً كثيراً.

عاد أبو الحسن إلى الأندلس، وأخذ يحدث الناس بكتب أبي عبيد القاسم بن سلام، والخُشني، فكان أحمد بن بشر، ومحمد بن خالد، ووهب ابن أخي ربيع، وخالد بن سعد، وغيرهم كثير من تلاميذه الذين سمعوا منه ورووا عنه [3] .

---

(1) الضبي: المصدر السابق، ص 316. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 236. وابن الفرضي: المصدر السابق، ص 162 ـ 163.

(2) الحميدي: المصدر السابق، ص 247.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 190. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص247 . والضبي :المصدر السابق، ص326ـ327. والسيوطي: بغية الوعاة، المصدر السابق، ج2، ص 19.

40/ عبدالله بن إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن جعفر الأموي:

ذكره ابن الفرضي من الغرباء من أهل أصيلة[*]، وهو أبو محمد الأصيلي، من كبار أصحاب الحديث والفقه، دخل قرطبة سنة 342هـ/ 953م[1]، وتوفي بها سنة 392هـ/1001م [2] على إثر موت الأمير محمد بن أبي عامر، أو كما قيل قريباً من سنة 400هـ/1009م [3] .

سمع بقرطبة من أحمد بن مطرف، وأحمد بن سعيد، ومحمد بن معاوية القرشي، وأبي بكر اللؤلؤي، وأبي إبراهيم، ثم رحل إلى وادي الحجارة إلى وهب ابن مسرة فسمع منه، وأقام عنده أشهر [4] .

رحل إلى المشرق العربي الإسلامي في المحرم سنة 351هـ/962م [5] ، فدخل القيروان والحجاز ومصر والعراق، ابتداءً بالقيروان التي سمع بها ثم رحل منها مع ابن ميمونة دراس بن إسماعيل الفاسي الفقيه الزاهد، و أبي الحسن علي ابن محمد بن خلف القابسي إلى مصر ومكة التي دخلها سنة 153هـ/964م [6]، فسمع بمصر من أبي القاسم حمزة بن محمد بن علي بن محمد بن العباس الكناني، وأبي محمد الحسن بن رشيق، ومحمد بن عبدالله بن زكريا بن حيوية، وغيرهم، وبمكة سمع من أبي زيد محمد بن أحمد بن عبدالله بن محمد المروزي الفقيه[**]، صحيح أبي عبدالله البخاري عن محمد بن يوسف الفربري[***]، ثم أكمل رحلته

(*) بلد بالأندلس، وربما كانت من أعمال طليطلة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ج1، ص 251.

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 152. غير أنّ بعض المؤرخين يذكرون إنه أندلسي من كورة شذونة رحل به أبوه إبراهيم إلى أصيلة بالمغرب فنشأ بها، ثم رجع هو إلى قرطبة التي توفي بها، وقبره بمقبرة الرصافة. الضبي: المصدر السابق، ص 341. كذلك ابن فرحون: المصدر السابق، ص 224.

(2) ابن فرحون: المصدر السابق، ص 225.

(3) الحميدي: المصدر السابق، ص 158.

(4) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 205. كذلك ابن فرحون: المصدر السابق، ص 224.

(5) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 205.

(6) ابن فرحون: المصدر السابق، ص 224.

(**) كان أحد أئمة المسلمين، حافظاً على مذهب الإمام الشافعي، دخل بغداد، وحدث بها، وخرج إلى مكة وحدث بها بكتاب صحيح البخاري، عن محمد بن يوسف الفربري، وهو أجل من روى ذلك الكتاب، توفي بمرو يوم الخميس 13 رجب سنة 371هـ. الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج1، ص 330.

(***) هو أبو عبدالله محمد بن يوسف بن مطر الفربري، صاحب البخاري، سمي الفربري نسبة إلى بلدته فربر التي

إلى أن وصل إلى العراق فسمع بها من أبي بكر الشافعي محمد بن عبـــدالله بـــن إبراهيم ابن عبدالله البزاز[*]، وأبي علي الصواف [**] ، وأبي بكـــر الأبهـــري[1]، وحبيب ابن الحسن بن داود، وأحمد بن يوسف بن خلّاد، وجماعـــة كثيـــرة مـــن طبقتهم، وممن بعدهم ببغداد وبالكوفة والبصرة و واسط، وأكْثَرَ الجمع والروايـــة، وتفقه على مذهب الإمام مالك بن أنس [2] .

بلغت شهرته العلمية الأندلس، فبعث إليه الخليفة الحكم المستنصر بالله وهو بالمشرق يأمره بالرجوع إلى بلاده، غير أن دخوله الأندلس جاء بعد وفاة الخليفـــة الحكم [3]، ذلك إنه ما أن وصل المرية حتى بلغه خبر وفاة الحكم، فبقي حائراً، ثم نهض إلى قرطبة؛ فشرف فقهائها بمكانه، وبقي بها مدة إلى أن عرف الأمير محمد ابن أبي عامر قدره في العلم؛ فرغب فيه، وقدّمه إلى الشورى، ثـــم ولاه قضـــاء سرقسطة، كما انتهت إليه رئاسة الفقهاء المالكية بالأندلس[4].

كان عبدالله مالكي المذهب، يسير على منهج مالكية العراق من أصحاب الإمام مالك، متقناً للفقه والحديث وعلم الكلام، وقد ساعده ذلك في التأليف فـــألف

= تقع على طرف جيحون مما يلي بخارى، كان ثقة ورعاً، ولد سنة 231هـ، توفي في شوال سنة 320هـ، وله89 سنة، كان الناس يرحلون إليه للسماع، وكانوا يسمعون منه صحيح البخاري، وكان أحسن من روى الحديث عن البخاري. ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج2، ص 486ـ 487. كذلك اليافعي: المصدر السابق، ج2، ص 210.

(*) هو أبو بكر الشافعي الإمام الحجة المفيد، محدث العراق، محمد بن عبدالله بن إبراهيم بن عبدويه البغدادي البزاز، ولد بجبل سنة 260هـ، وسكن بغداد، وكان ثقة ثبتاً كثير الحديث، حسن التصنيف، جمع أبواباً وشيوخاً وأملى في حياة ابن صاعد، مات في شهر ذي الحجة سنة 354هـ. السيوطي: طبقات الحفاظ، المصدر السابق، ص 377. كذلك الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج3، ص 75ـ 77.

(**) هو محمد بن أحمد بن الحسن بن إسحاق بن إبراهيم بن عبدالله أبو علي المعروف بابن الصواف، كان ثقة مأموناً من أهل التحرز، تتلمذ على يديه العديد من فقهاء العراق، ولد سنة 270 هوتوفي سنة 359هـ وهو ابن 89 سنة.الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج1، ص304ـ305. كذلك ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج3، ص 132. واليافعي: المصدر السابق، ج2، ص 279.

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 205.

(2) المصدر نفسه، ص 205.

(3) الضبي: المصدر السابق، ص 341. و يذكر أن دخوله إلى الأندلس بعد رحلته كان في آخر أيام الحكم المستنصر بالله. يُنظر ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 205.

(4) ابن فرحون: المصدر السابق، ص 225.

كتاباً كبيراً في لختلاف مالك والشافعي وأبي حنيفة سماه(الدلائل علـــى أمهـــات المسائل) [1] ، وكتاب (نوادر الحديث) خمسة أجزاء [2]، وروى في بعض كتبـــه عن الإمام أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني، وروى عنه أبو محمد علي بـــن أحمد، وغيره [3] .

41/ عبدالله بن إسماعيل بن حرب بن خير بن فرج:

الحافظ القرطبي أبو محمد عبدالله بن الثور، تعلم في صباه العلم بقرطبـــة على يد مسلمة بن القاسم بن إبراهيم الضرير، وأحمد بن مطـــرف، وأحمـــد بـــن سعيد، ومحمد بن معاوية، وعبدالله بن محمد الأحدب، وسعيد بن أحمد بن عبدربه، ونظرائهم.

في سنة 359هـ/968م رحل مع عبدالله بن محمد بن ربيع بن حسن [4] إلى المشرق العربي الإسلامي، ودخل القيروان ومصر والعراق، و تعلـــم بـــالقيروان على يد أبي العباس التميمي، وزياد بن يوسف السدري، كما تعلم بمصر على يـــد أبي العباس أحمد بن الحسن الرازي، وأبي بكر محمد بن أحمد المفيـــد[*]، وابـــن رشيق، وجماعة من نظرائهم ، كما دخل العراق، فالتقى بها بأبي علي الصواف، و أبي الحسن أحمد بن مقسم، و أبي بكر الأبهري، وأخذ عنهم.

ثم عاد إلى الأندلس، فكان شيخاً نبيلاً عالماً بالحديث، بصيراً بالرجال، ثقة فيما يرويه؛ إلا إن ما يؤخذ عليه كان ضعفه في الخط .

أخذ يعلم الناس، فكتب عنه بعض علماء الأندلس منهم عبد الغفـــار بـــن عبيدالله بن السري الحُصيني، وابن الفرضي الذي قال: إنّه كتب عنه، وحصل منه

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 206.

(2) ابن فرحون: المصدر السابق، ص 225.

(3) الحميدي: المصدر السابق، ص258. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص 340.

(4) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 203.

(*) هو الحافظ أبو بكر المفيد محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب، محدث جرجرايا، وكان يفهم ويحفظ ويذاكر، وهو بين الضعيف، واتهمه بعضهم، روى عن أبي شعيب وأقرانه، وعاش 94 سنة، توفي سنة 378هـ. السيوطي: طبقات الحفاظ، المصدر السابق، ص 406. كذلك ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ص 212.

على إجازة الرواية عنه، كما قال إنه صَحِبَهُ ومن معه من الفقهاء في السماع عند محمد بن يحيى بن عبدالعزيز، والخطاب ابن مسلمة، وعبدالله بن محمد بن قاسم الثغري، وقد توفي في يوم 18 صفر سنة 380هـ/990م، ودفن بمقبرة الكلاعي[1].

43/ عبدالله بن الحسن:

هو الفقيه المالكي أبو محمد عبدالله بن الحسن بن السندي الوشقي، المتوفى في أول يوم من ذي الحجة سنة 335هـ/946م.

رحل إلى قرطبة طلباً للعلم؛ فتتلمذ على يد العديد من علماء قرطبة، ثم رحل إلى القيروان؛ فسمع بها من يحيى بن عمر، وحمل عنه موطأ لمالك بن أنس برواية بن بكير، ثم انصرف عائداً إلى وشقة، فكان أعظم فقهائها، فاستقضاه الخليفة عبدالرحمن بن محمد عليها، وعلى ما والاها، ورغم مشاغل القضاء؛ إلاّ أنه كان يقعد للتعليم، فيُقرأ عليه ويُسمع منه، فكان من بين تلاميذه يحيى بن مالك ابن عائذ [2] .

44/ عبدالله بن محمد بن أسد الجهني:

هو الفقيه والعالم الطليطلي أبو محمد عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن بن أسد الجهني البزاز، ولد سنة 310هـ/922م، انتقل من طليطلة إلى قرطبة وبها بدأ تعليمه على يد قاسم بن أصبغ، وكان يروي عنه قبل رحلته[3]، ثم رحل إلى المشرق العربي الإسلامي سنة 342هـ/953م [4]، فدخل الحجاز ومصر والشام، وكانت رحلته وسماعه بالمشرق مع أبي جعفر بن عون الله، وأبي عبيدالله بن مفرج، وتعلم على يد أبي علي سعيد بن عثمان بن السكن؛ صاحب الفربري، وأبي محمد عبدالله بن جعفر بن محمد بن الورد، وأبي بكر أحمد بن محمد بن أبي الموت المكي، وأحمد بن محمد بن أشته الأصبهاني صاحب كتاب (المحبر في

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 200ـ 201. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 258. والضبي المصدر السابق، ص 341.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 188، 443.

(3) ابن بشكوال: المصدر السابق، ق1، ص 246.

(4) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 205. كذلك ابن بشكوال: المصدر السابق، ق1، ص 245.

القراءات)، وأبي عبدالله محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عيسى بن عمر الخياش، وإبراهيم بن جامع صاحب مقدام بن داود، وأبي العباس أحمد بن إبراهيم ابن محمد بن جامع السكري، صاحب علي بن عبدالعزيز، وحمزة بن محمد بن علي الكناني، وأبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن فراس(*)، وأبي عبدالله محمد بن مسرور، وأبي الحكم منذر بن سعيد القاضي بالأندلس وغيرهم [1] .

وعندما عاد للأندلس طلب منه الناس أن يحدثهم فقال: ((لا أحدث مادام صاحباي حيين)) [2] يقصد أبو جعفر بن عون الله، وأبي عبيدالله بن مفرج، فلما ماتا جلس للسماع؛ فأخذ الناس عنه، فكان بذلك من الفقهاء والعلماء باللغة والأدب، ومعاني الشعر، إخبارياً كبيراً، لذلك كلفه أمراء بني أمية أن يقرأ على الناس كتب أخبار الفتوح بالمسجد الجامع بقرطبة، وكان ضابطاً لكتبه وروايته.

أخذ عنه من كبار العلماء أبو الوليد بن الفرضي، والقاضي أبو المطرف ابن فطيس، وأبو عمر بن عبدالبر، وأبو عمر بن الحذاء، والخولاني، والقبشي، وغيرهم كثير، وروى عنه أبو عمر يوسف بن عبدالله الحافظ مصنف أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي[3]، وقد توفي عن عمر يناهز 83 سنة، في يوم السبت، أو يوم الاثنين 21 أو 23 من شهر ذي الحجة سنة 395هـ/1004م، ودفن بقرطبة بمقبرة متعة، وصلى عليه القاضي أبو العباس بن ذكوان [4] .

(*) هو الإمام الشافعي الجليل، وشيخ الشافعية ورئيسهم ببغداد، وصاحب التصانيف، أبو إسحاق المروزي إبراهيم بن أحمد، انتقل في آخر عمره إلى مصر، فمات بها في رجب سنة 340هـ، وصنف كتباً كثيرة، و" شرح مختصر المزني" وأقام في بغداد زمناً طويلاً يدرس ويفتي. ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج3، ص 62ـ 63. واليافعي: المصدر السابق، ج2، ص 249.

(1) الحميدي: المصدر السابق، ص 251. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص 331.

(2) ابن بشكوال: المصدر السابق، ق1، ص 245.

(3) الحميدي: المصدر السابق، ص 251ـ 252. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص331ـ 332. وابن بشكوال: المصدر السابق، ق1، ص 245ـ 247.

(4) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 205. كذلك ابن بشكوال: المصدر السابق، ق1، ص245ـ 247.

45/ عبدالله بن محمد بن حسين [1] :

هو الفقيه أبو محمد عبدالله بن محمد بن حسين بن أخ الربيع، تعلم بالأندلس على يد عبيدالله بن يحيى بن يحيى الليثي، وأبي صالح، وسعيد بن عثمان الأغناقي، وأسلم بن عبدالعزيز، ومحمد بن عمر بن لبابة، وابن أبي تمام، وأحمد ابن خالد، وابن أيمن وغيرهم كثير، ثم رحل إلى المشرق العربي الإسلامي، وكانت رحلته في آخر عمره لأداء فريضة الحج، وبعد أن حج ، قعد للسماع من بعض شيوخ المشرق وفقهائه، فسمع بمصر من محمد بن زيان، وأبي سعيد عبدالرحمن بن أحمد بن يونس الحافظ[*]، وأبي إسحاق إبراهيم النسائي الحافظ، وغيرهم، ثم رجع إلى بلاده.

كان عبدالله بن محمد بن حسين عالماً بالحديث، إماماً فيه، بصيراً بعلله، حسن التأليف للكتب، له مؤلفات رواها الناس عنه بالمشرق العربي والأندلس، وكان ثقة فيما يرويه.

اختلف المؤرخون في تاريخ وفاته، فقيل: توفي يوم الثلاثاء 18 ذي الحجة سنة 318هـ/930م[2]، وقيل في سنة 322هـ/933م، أو سنة 323هـ/934م [3].

46/ عبدالله بن محمد بن عبدالمؤمن بن يحيى التجيبي:

هو أبو محمد بن الزيات القرطبي، المولود في يوم 17 ربيع الآخر سنة 314هـ/926م، كان من علماء الحديث جيد الإسناد، صحيحاً للسماع، صدوقاً في

---

(1) ابن الفرضي :المصدر السابق، ص 184. أما الحميدي: المصدر السابق، ص250. والضبي: المصدر السابق، ص 330. فقد جاء فيهما اسمه على هذه الهيئة: عبدالله بن محمد بن حنين.

(*) هو أبو سعيد عبدالرحمن بن أحمد بن يونس بن عبدالأعلى الصدفي،الحافظ،وصاحب تاريخ مصر ولد سنة 281هـ وسمع أباه والنسائي، مات في جمادى الآخرة سنة 340هـ ، أو 347هـ. السيوطي: طبقات الحفاظ، المصدر السابق، ص 383. كذلك ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج3، ص 86. واليافعي: المصدر السابق، ج2، ص 256.

(2) ابن الفرضي :المصدر السابق، ص 184ـ 185.

(3) الحميدي: المصدر السابق، ص 250. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص330.

روايته؛ إلا أن ضبطه لم يكن جيداً، وكان ضعيف الخط ، مُخلاً بالهجاء، وكان تاجراً [1].

رحل إلى المشرق العربي الإسلامي رحلتين دخل فيهما العراق، فسمع ببغداد من: أبي علي إسماعيل بن محمد الصفار، راوي أبي عمرو عثمان بن أحمد ابن عبدالله الدقاق، المعروف بابن السمَّاك، وأبي جعفر محمد بن يحيى بن علي بن حرب[*]، ومكرم بن أحمد القاضي، وأحمد بن سليمان النجاد، وأبي محمد جعفر ابن محمد بن نصير الخلدي الصوفي، وأبي بكر الشافعي، وأبي علي بن الصواف، ومحمد بن مقسم المقرئ[**]، وجماعة يكثر تعدادهم، كما سمع بالبصرة من راوية السنن بالبصرة أبي بكر بن داسة التمار[***]، وأبي بكر بن الحسن الأنباري[****]، ومحمد بن أحمد بن عمرو الحنفي، وغيرهم كثير. كما سمع بمصر من ابن الورد، وابن السكن، وحمزة، ومحمد بن محمد الخياش، وأبي عمر عثمان بن محمد

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 204.

(*) هو أبو جعفر محمد بن يحيى بن عمر بن علي بن حرب الطائي الموصلي، قدم بغداد، وحدث بها عن جده، وعن جد أبيه، وثقه أبو حازم العبدوي، ومات في رمضان سنة 340هـ . ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج3، ص 64.

(**) هو أبوبكر بن مقسم المقرئ محمد بن الحسن بن يعقوب بن مقسم البغدادي العطار، قرأ على إدريس الحداد، وسمع من أبي مسلم الكجي، تصدر للإقراء دهراً، كان علامة في النحو على مذهب الكوفيين، سمع من ثعلب " أماليه" وصنف عدة تصانيف، له قراءة معروفة منكرة، خالف فيها الإجماع، وقد وثقه الخطيب، توفي سنة 354هـ. ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج3، ص 114ـــ 115.

(***) هو أبو بكر بن داسة البصري التمار، محمد بن بكر بن محمد بن عبدالرزاق، راوي السنن عن أبي داود، توفي سنة 346هـ. ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج3، ص 83.

(****) هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسين بن بيان بن سماعة بن فروة بن قطن بن دعامة الإمام أبو بكر بن الأنباري النحوي اللغوي، ولد 11 رجب سنة 271هـ، وتوفي ببغداد ليلة عيد الأضحى من ذي الحجة سنة 327هـ أوسنة 328هـ، كان من أعلم الناس بالنحو والأدب، وأكثرهم حفظاً، وكان صدوقاً من أهل السنة، وكان يحفظ 300.000 بيت شاهداً في القرآن، وكان يحفظ 120 تفسيراً بأسانيدها، أملى كتباً كثيرة منها: غريب الحديث، والهاءات، والأضداد، والمشكل، والمذكر والمؤنث، والزاهر، وأدب الكاتب، والمقصور والممدود، والواضح في النحو، والموضح فيه، والهجاء، واللامات، شرح شعر الأعشى، شرح شعر النابغة، شرح شعر زهير، وغيرها. السيوطي: بغية الوعاة، المصدر السابق،ج1، ص212ـــ 214.

السمرقندي، والنميري، وابن رشيق، وجماعـــة ســـواهم، وســـمع بالإســـكندرية، وبالقيروان أثناء عودته للأندلس من غير واحد [1] .

كتب الناس عنه قديماً، وحدث، وسُمع منه كثيراً، فكان ابن الفرضي أحـــد تلاميذه الذين أجاز لهم روايته، توفي ليلة الخميس للنصـــف مـــن رجـــب ســـنة 390هـ/999م، ودفن يوم الخميس في مقبرة بني العباس [2] .

47/ عبدالله بن محمد بن القاسم بن حزم بن خلف الثغري:

هو أبو محمد القُلعي، نسبة إلى قلعة أيوب[*]، رحل منذ صباه من مدينتـــه إلى طليطلة ومدينة الفرج طلباً للعلم، وكان أخذه العلم بطليطلة على يدي ابن شبل، وأحمد بن يوسف بن عباس، و وهب بن عيسى، وبمدينة الفرج على يدي وهب بن مسرة [3] .

رحل في شبابه إلى المشرق العربي الإسلامي سنة 350هـ/961م، فـــدخل مصر والشام والعراق، حيث سمع بالبصرة من الهجيمي أبي إسحاق إبراهيم بـــن سعيد البصري المالكي، صاحب القاضي ابن بكير، مؤلف أحكام القرآن [4]، كمـــا سمع ببغداد من أبي علي بن الصواف(كتاب العلل) لابن حنبل، وغير ذلك، ومن أبي بكر الشافعي، ومن أبي أحمد بن جعفر بن حمدان سمع مسند أحمد بن حنبل، والتاريخ، وسمع من أبي الحسن أحمد بن محمد بن مقسم المقري، وغيـــرهم مـــن شيوخ بغداد، وسمع بالكوفة من أبي دحيم مسند أبي عمرو، وغير ذلك، كما رحل إلى الشام، وسمع بها من أبي العقب الدمشقي وغيره، و سمع بمصر من عبدالله بن جعفر بن الورد، ومن علي بن العباس بن ألون، ومن أحمد بن الحسن الـــرازي،

---

(1) الحميدي: المصدر السابق، ص 252. كذلك الضبي :المصدر السابق، ص332. وابن الفرضي :المصدر السابق، ص 204.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 204.

(*) مدينة بالأندلس بقرب مدينة سالم، وهي مدينة حصينة، بها يُصنع الغضار المُذهب، وينقل منها إلى كل جهات الأندلس، وهي قريبة من مدينة دورقة، بينهما 18 ميلاً. الحميري: المصدر السابق، ص 163.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 202.

(4) الحميدي: المصدر السابق، ص 254. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص 334.

والحسن بن رشيق، وأبي بكر محمد بن أحمد بن المسور، المعروف بابن أبي طنة، وجماعة يكثر تعدادهم [1] .

وبعد أن طاف المشرق العربي الإسلامي، وسمع كثيراً من علمائه، انصرف أبو محمد عائداً إلى الأندلس، فلزم العبادة والجهاد، حيث تولى القضاء في أيام المستنصر بالله بقلعة أيوب، ثم استعفى من القضاء فأعفاه.

كان أبو محمد القلعي فقيهاً فاضلاً، ديناً ورعاً، صليباً في الحق، لا يخاف في الله لومة لائم، وكان علماء الأندلس يشبهونه بسفيان الثوري في زمانه.

قدم إلى قرطبة في أحد شهري ربيع سنة 375هـ/985م، فقرأ الناس عليه أكثر روايته، وكان يحدث بكتاب "معاني القرآن"للزجاج، فتتلمذ على يديه عدد من شيوخ الأندلس منهم: محمد بن أحمد بن يحيى القاضي، وأحمد بن عون الله، وعباس بن أصبغ، وإسماعيل بن إسحاق، وعبدالله بن إسماعيل، صاحب ابن الفرضي، وعبدالله بن أحمد بن بُتري، وأبو سعيد بن يونس وعبدالله بن سعيد المعروف بابن الشقاق، ولم يزل يحدث بقرطبة إلى أن خرج إلى قلعة أيوب يوم الأحد لثلاث بقين من ذي القعدة سنة 376هـ/ 986م، ومع ذلك استمرت الرحلة إليه من جميع نواحي الثغر [2] .

48/ عبدالله بن محمد بن أبي الوليد الأعرج:

من أهل شذونة، سكن قرطبة، يكنى أبا محمد، توفي سنة 309هـ/921م أو سنة 310هـ/ 922م، أو في سنة 315هـ/927م بعد وفاة محمد بن عمر بن لبابة بسنة، والذي كانت وفاته في شهر رمضان سنة 314هـ/926م[3] .

تعلم في صباه العلم بقرطبة على يدي العُتبي، وابن مزين، ونظرائهما، ثم رحل إلى المشرق العربي الإسلامي مع خالد بن محمد بن غالب بن الصفار،

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص202.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، 202ـ 203. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 254. والضبي: المصدر السابق، ص 334

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 183، 320.

فالتقى محمداً ابن سحنون، ومحمداً بن تميم الغبري، ويــونس بــن عبــدالأعلى، ومحمداً بن عبدالأعلى، ومحمداً بن عبدالله بن عبدالحكم، وأحمد بن عبــدالله بــن صالح الكوفي، وسمع منهم فنبغ في الفقه، نبوغ شيخ ثقة خياراً، فســاعده غزيــر علمه على تبويب مستخرجة العتبي على تبويب المدونة، فصار مقصد أهل العلــم بالمغرب لتعلم المدونة على يديه، ومن ثم تعليمها لأهلهم هناك.

تتلمذ على يديه وحدَّث عنه خالد، وأحمد بن سعيد، وعبدالله بن محمد بــن عثمان، ومحمد بن عمر بن عبدالعزيز، وسليمان بن أيوب، وغيرهم [1] .

50/ عبدالرحمن بن عبيدالله بن موسى:

هو عالم الحديث والراوية القرطبي أبو المطرف عبدالرحمن بــن الزامــر، المولود سنة 320هـ/932م، والمتوفى سنة 369هـ/979م.

تلقى العلم في بداية حياته العلمية بالأندلس على يد أحمد بن يحيــى بــن الشامة، ووهب بن مسرة، وأحمد بن محمد بن مسور، ومحمد بــن معاويــة بــن القرشي، وأحمد بن مطرف، وأحمد بن سعيد، وآخرين يكثر تعدادهم مــن أهــل قرطبة وغيرها من مدن الأندلس.

وأثناء إقامته بالمشرق العربي في مكة والمدينة ومصر، لقي العديد مــن العلماء وأخذ عنهم العلم، حيث سمع بمكة من أبي بكر الآجري، وبالمدينة من أبي مروان القاضي، قاضي المدينة، وبمصر من الحسن بن رشــيق، والحســن بــن خضر، وجماعة سواهم من نظرائهم، وقد قيل: إنَّ عدد الرجال الذين كتب عــنهم بالأندلس، والمشرق معاً يزيد على 400 شيخاً، حيث يذكر ابن الفرضي؛ أنه قلَّما كُتب بالأندلس عن أحد إلاَّ وقد كَتب عنه، نظراً لأن هذا الشيخ قد أكثر من الجمع للحديث، ولأسماء الرجال؛ إلاَّ أن روايته عن الشيخ من شيوخه كانت لا تتعــدى حديثاً أو حديثين أو حكاية [2].

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 183. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 249. والضبي: المصدر السابق، ص 330.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 217.

51/ عبد الرحمن بن عيسى بن محمد بن مدراج:

هو المحدث الطليطلي أبو المطّرف، المتوفى بطليطلة يوم الخميس لثمان بقين من شهر جمادى الآخرة سنة 363هـ/973م.

تلقى العلم في شبابه بقرطبة وطليطلة وإلبيرة، حيث تتلمذ بقرطبة على يد أحمد بن خالد، ومحمد بن عبدالملك بن أيمن، ومحمد بن قاسم، وابن أبي عبدالأعلى، وقاسم بن أصبغ، وسلمان بن قريش، وغيرهم، وبطليطلة على يدي وهب بن عيسى، وغيره، و بإلبيرة على يد عثمان بن جرير الذي أخذ عنه روايته لكتاب (المستخرجة) للعتبي .

رحل هذا الشيخ بعد الأربعين من عمره إلى المشرق العربي الإسلامي، ودخل مكة ومصر، وسمع من أبي بكر محمد بن الحسين الآجري، ومن نظرائه بمكة وبمصر، وامتحن في منصرفه إلى الأندلس بالسلب.

وكان أبو المطرّف ورعاً فاضلاً معتنياً بالآثار والسنن، جامعاً لها، وكان يُرحل إليه لدراسة الحديث على يديه [1].

52/ عبدالرحمن بن يحيى العطّار:

هو القرطبي أبو زيد عبدالرحمن بن يحي بن محمد بن عبدالله بن يحيى العطّار، ولد في شهر رمضان سنة 327هـ/938م [2]، نشأ بقرطبة، وتعلم فيها علي يد أبي عمر أحمد بن مطرف بن عبدالرحمن، وأبي عمر أحمد بن سعيد بن حزم الصدفي ، وأبي بكر بن الأحمر، وعبدالله بن يوسف بن أبي العطاف، وأبي عيسى، ثم رحل إلى المشرق العربي الإسلامي، فسمع من حمزة بن محمد الكناني، وأبي الحسن علي بن محمد بن مسرور الدباغ، وأبي علي الحسن بن الخضر الأسيوطي، وأبي إسحاق بن شعبان، وأبي العباس الرازي، وأبي الحسن النيسابوري، وابن أبي رافع، وأبي حفص عمر بن محمد الجمحي، وغيرهم [3] .

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 216.

(2) ابن بشكوال: المصدر السابق، ج1، ص306.

(3) الحميدي: المصدر السابق، ص279. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص372.

وعندما عاد للأندلس، سكن بغدير ثعلبة، وصلاته بمسجد مكرم، وهناك بدأ يحدّث بكتاب جامع ابن وهب، الذي قرأه على يديه أبوعمر يوسف بن عبدالبر النمري، وأبو إسحاق بن شنظير، وقد توفي أبو زيد سنة 396هـ/1005م[1].

53/ عبدالسلام بن السمح الهواري:

هو العالم الشافعي أبو سليمان المَوْرُوري[*]بن عبد السلام بن السمح بن نابل بن عبدالله بن يحيون بن حارث بن عبدالله بن عبدالعزيز الهواري، ولد في موروور سنة 303هـ/915م، ثم انتقل للعيش في مدينة الزهراء، وأقام فيها إلى أن توفي بها.

كانت له رحلة إلى المشرق العربي الإسلامي، وصل بها إلى اليمن، فسكنها، وتردد، بها، وسمع فيها الكثير في الأدب والنحو واللغة وغيرها من العلوم، كما سمع بمكة من ابن الأعرابي، وسمع بجدة من الحسين بن حميد النجيرمي، نوادر علي بن عبدالعزيز، وموطأ القعنبي، وفقه الشافعي، وقرأ القرآن وجوّده، وبمصر تعلم من أبي جعفر بن النحاس وأبي علي الآمدي اللغوي، والعباس بن أحمد الأزدي، وأبي النجا الفرائضي، وجماعة سواهم، وعندما عاد للأندلس، أخذ يحدث الناس بما تعلمه من العلوم، وما أدخله من كتب المشرق، فتتلمذ على يديه، وسمع منه الكثير، كابن الفرضي الذي تردد عليه زماناً للسماع منه والقراءة عليه، حيث قرأ عليه (نوادر علي بن عبدالعزيز)، ونال سبق إدخاله للأندلس؛ إذ أن هذا الكتاب لم يكن عند أحد من شيوخ الأندلس سواه، وكتاب (الأبيات) لسيبويه، تأليف ابن النحاس، وكتاب (الكافي) في النحو، وغير ذلك كثيراً، وقد انتشرت هذه الكتب بين تلاميذه، فشهر بها كفقيه ونحوي وأديب، وكانت وفاته غداة يوم الثلاثاء 12 صفر سنة 370هـ/985م[2].

---

(1) ابن بشكوال: المصدر السابق، ج1، ص306.

(*) نسبة إلى كورة موروور المتصلة بقرمونة، والتي تقع في الغرب من الجوف من كورة شذونة، وهي من قرطبة بين القبلة والمغرب، وقاعدة قلب دار الولاية بها. الحميري: المصدر السابق، ص 188.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص233ـ 234.

54/عتاب بن هارون الغافقي:

هو أبو أيوب عتاب بن هارون بن عتاب بن بشر الغافقي الشذوني، ولـــد في شذونه في شهر ربيع الأول سنة 311هـ/923م، ونشأ وتعلم العلم في صباه فيها على يد أبيه وغيره، فكان من أفاضل حفاظ بلده لرأي مالك بن أنس.

وفي سنة 351هـ/962م رحل إلى المشرق العربي الإسلامي، ودخل مكـــة سنة 352هـ/963م فحج، وأخذ بها من أبي بكر محمد بن الأنماطي، وأبي حفـــص الجمحي، وأبي محمد الطوسي، وأبي الحسن الخزاعي، كما دخل مصر وروى بها عن أبي بكر بن الحداد التنيسي(*)، وغيره.

وعندما عاد إلى الأندلس أقام بشذونة بلده الأصـــلي، فرحـــل إليـــه ابـــن الفرضي الذي لقيه، وقرأ عليه كثيراً، وحصل منه على إجارة الرواية عنه[1].

55/ عثمان بن جرير بن حُميد الكلابي:

و قيل في اسمه أنه عثمان بن حديد بن حصيد الكلاعي، أو عثمان بن حديد ابن حميد [2]، إلبيري يكنى أبا سعيد، تلقى العلم على يد أكابر فقهاء قرطبة، فكان محمد بن أحمد العتبي، ويحيى بن إبراهيم بن مزين، وأبو زيد عبـــدالرحمن بـــن إبراهيم، وبقي بن مخلد أساتذته في بلاده، ثم رحل إلى المشرق العربي الإسلامي لاستكمال تعليمه في الفقه، فدخل إفريقية، ومصر، وأخذ العلم عن بعض الفقهـــاء هناك، حيث سمع بإفريقية من محمد بن سحنون، وأبي زيد عبدالرحمن بن محمد،

(*) هو محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر الكناني المصري أبو بكر بن الحداد، قاض من فقهاء الشافعية، ولـــد ســـنة 264هـ، ولي القضاء بمصر سنة 324هـ، توفي سنة 344هـ، أوسنة 345هـ، وكان يقال في زمنه: عجائب الدنيا ثـــلاث: "غضب الجلاد"، و"نظافة السماد"، و" الرد على ابن الحداد"، له كتاب في " الفروع" في فقه الشافعية، و" البـــاهر" فـــي الفقه، و" أدب القاضي"و" الفرائض" . ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج3، ص 75ـــ 76. كذلك السيوطي: طبقات الحفاظ، المصدر السابق، ص 383ـــ 384. واليافعي :المصدر السابق، ج2، ص 252. وابن قنفذ: كتـــاب الوفيـــات، (تح) عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1983، ص 215.

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 241. ابن قنفذ: المصدر السابق، ص 215.

(2) الحميدي: المصدر السابق، ص 305. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص 411.

وبمصر من محمد بن عبدالله بن عبدالحكم، ويونس بن عبدالأعلى، وأحمد بن عبدالله بن صالح الكوفي(*)، وأحمد بن شعيب النسائي، وغيرهم.

كان أبو سعيد فقيها في الرأي، حافظاً للمسائل، وكان طلاب العلم يرحلون إليه للسماع منه، فتتلمذ على يديه، وحدث عنه العديد من طلاب العلم بقرطبة وغيرها، منهم: خالد بن سعد، وعبدالله بن محمد الباجي، وغيرهما[1]، وقد اختلف المؤرخون في تاريخ وفاته، كما اختلفوا في نسبه، فقيل: توفي سنة 319هـ/931م، وقيل: في سنة 322هـ/933م، وقيل: سنة 323هـ/934م، وجاء على لسان أحد أحفاده إنه توفي سنة 323هـ/933م، وهو ابن 95 سنة [2] .

56/ علي بن سليمان الزهراوي :

هو المعروف بالحاسب والمُكنى بأبي الحسن الطبيب وعالم الرياضيات والتفسير والقراءات والفرائض، وإمام وخطيب جامع غرناطة، أبو الحسن الزهراوي، تلقى العلم بالأندلس على يد العالم الأندلسي أبو القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي، فكان من طلبته النجباء في الرياضيات [3]، ثم رحل إلى المشرق العربي الإسلامي لأداء فريضة الحج، فحج في نحو 7 أشهر، وبعدما عاد للأندلس، أخذ يُعلم طلاب بلاده علوم الرياضيات، وهي ما يسمى آنذاك بعلوم العدد والهندسة، وألّف فيها كتابه (المعاملات على طريق البرهان)، وهو الكتاب المسمى بكتاب (الأركان)، كما مهر في علم الطب، وكان من المؤلفين الكبار في

(*) هو أبو الحسن أحمد بن عبدالله بن صالح العجلي الكوفي، كان إماماً حافظاً، وكان يعد كأحمد بن حنبل، ويحي بن معين، نزل طرابلس المغرب أيام محنة القرآن، وسكنها، صاحب كتاب" التاريخ" و"الجرح والتعديل"، ولد سنة 182هـ وتوفي سنة 261هـ. ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج2، ص 292.كذلك اليافعي: المصدر السابق، ج2، ص 128. والسيوطي: طبقات الحفاظ، المصدر السابق، ص 266.

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 243.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 243. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 305. والضبي: المصدر السابق، ص 411. والأخيران يذكران إن وفاته كانت سنة 322هـ/933م.

(3) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ج2، ص 64.

التفسير، حيث ألّف كتاباً في (تفسير القرآن) قرأه عليه أبو بكر المصحفي وغيره، وحدثوا به عنه، فانتشر علمه [1].

57/ عمر بن حفص بن غالب الثقفي الصابوني:

هو الفقيه والمحدث العالم بالمسائل أبو حفص عمر بن أبي تمام القرطبي، تلقى العلم في مدينة قرطبة على يد محمد بن وضاح، ومن محمد بن عبدالسلام الخُشني، وغيرهما، وفي سنة 260هـ/873م، رحل إلى المشرق العربي، وتعلم بمصر الفقه والمسائل وغيرها على يد علمائها، نذكر منهم: محمد بن عبدالله بن عبدالحكم، وأخاه سعداً، وإبراهيم بن مرزوق، وأحمد بن عبدالرحيم البرقي، وأبا الطاهر الفرضي، وبحر بن نصر، ومحمد بن عزيز الأيلي، وأحمد بن الفضل العسقلاني، وأبا أمية محمد بن إبراهيم الطرسوسي، وأحمد بن محمود بن مقاتل بن صُبيح الخرساني وغيرهم، ثم نقل معارف المشرق إلى الأندلس، و أخذ يرويها لطلاب العلم ببلاده، فتفقه على يديه، وروى عنه الشيخ الأندلسي عبدالله بن أخي ربيع، ووهب بن مسرة الحجاري، وأبو محمد الباجي، وغيرهم، كما اشتغل في عقد الشروط، وبقي على ذلك إلى أن توفي سنة 316هـ/928م[2].

58/ عمر بن محمد بن إبراهيم العامري:

هو القاضي والمحدث والفقيه البجاني أبو حفص عمر محمد بن إبراهيم بن لرّقا العامري، الذي نشأ في بجانة، وتفقه فيها أول أمره، ثم رحل إلى المشرق العربي الإسلامي ليأخذ العلم من منابعه المشرقية، فأخذ عن الفقيه أبي بكر بن الأبهري و أبي الحسن على بن الحسن بن حمدان النمري البصري، كما دَرس كتاب (الإشراف) عن مؤلفه أبي بكر بن المنذر.

وساهم أبو فحص في الحياة الثقافية بالأندلس بما عاد به من علم من رحلته التي طاف فيها بلاد المشرق العربي الإسلامي، ككتاب (أحكام القرآن) لإسماعيل، والذي تعلمه على يديه أبو الوليد بن ميقل، ووليد بن خطاب، وعيسى

---

(1) الضبي: المصدر السابق، ص 423. كذلك ابن بشكوال: المصدر السابق، ق2، ص 413.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 256ــ 257.

ابن أبي العلاء والقاضي يونس بن عبدالله، وأبو عبدالله بن نبات، وإضافة إلى مهنة التعليم فقد تقلد منصب القضاء ببلده بجانة ثم قضاء تُدمير، وظل قاضياً إلى أن توفي سنة 380هـ/990م[1].

59/ عيسى بن سعيد بن سعدان الكلبي:

من أهل قرطبة يكنى أبا الأصبغ، كان مولده سنة 342هـ/953م، ووفاته كانت ليلة الأحد 5 جمادى الآخرة سنة 390هـ/999م، ودفن في مقبرة قريش.

تعلم في صباه العلم بالأندلس على يد كل من عبدالله بن محمد بن عثمان، وأبي عيسى يحيى بن عبدالله، وغيرهما من شيوخ بلاده.

رحل إلى المشرق سنة 371هـ/981م، فدخل العراق، ولقي ببغداد: أبا بكر الأبهري، وسمع منه كتابيه (في شرح المختصر)، وسمع من أبي بكر بن شاذان، وأبي الحسن مقسم العطّار، وأبي الحسن بن لؤلؤ وغيرهم، وكتب بالبصرة عن أبي الحسن محمد بن يوسف بن نهار الحركي المقرئ؛ إمام الجامع بها، وأبي بكر أحمد بن نصر الشذائي[*]؛ صاحب الوقف، وغيرهما، وسمع بمصر من أبي عبدالله محمد بن المحسن الأذنيّ، ومن أبي أحمد البغدادي، ومن سواهما ، وقرأ هنالك القرآن فأتقنه، وانصرف عائداً من رحلته إلى الأندلس، فلزم التأديب، وكان يقرئ القرآن، ويحدث بكتاب الأبهري، وبشيء من الحديث، فكتب عنه بعض علماء الأندلس (أخبار ابن مِقْسم) كابن الفرضي الذي نال صداقته، فحصل منه على إجازة رواية جميع ما رواه له [2].

60/ فضل بن سلمة الجهني :

هو أبو سلمة البجاني فضل بن سلمة بن جرير بن منخل الجهني، من موالي بني أمية، تلقى العلم في صباه بمدينتي بجانة وإلبيرة، على يد العديد من

---

(1) ابن بشكوال: المصدر السابق، ق2، ص 395.

(*) البصري المقرئ، أحد القراء الكبار، والشذائي نسبة إلى قرية شذا بالبصرة، توفي سنة 373هـ. ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج3، ص 196.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، 266ـ 267.

العلماء، ثم رحل إلى المشرق العربي الإسلامي رحلتان، أقام فيهما عشر سنوات، ودخل القيروان و لقي يوسف بن يحيى المغامي، وقرأ على يديه كتاب (الواضحة) لعبدالملك بن حبيب، فحفظ فقه الإمام مالك بن أنس، وكانت الرحلة إليه للسماع منه والتفقه على يديه.

ساهم أبو سلمة البجاني، في ازدهار الحياة الثقافية بالأندلس من خلال مؤلفاته التي ألفها، والتي منها كتاب في (اختصار الواضحة)، وكتاب (تنبيهات في الفقه)، كما ساهم في تعليم بعض طلاب الأندلس الذين أخذوا على عاتقهم نشر ما تعلموه منه، وتحديث الناس به،مثل أحمد بن داود القيرواني، وأبو مروان خُزر بن مصعب البجاني، و أحمد بن سعيد القرطبي، وغيرهم الكثير من أهل إلبيرة وبجانة وتُدمير، توفي فجأة سنة 319هـ/931م، وقيل سنة 317هـ/929م. [1] .

61/ قاسم بن أصبغ :

هو أبو محمد قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح بن عطاء البياني، المولود في 20 ذي الحجة سنة 244هـ/858م وقيل في يوم 10 أو 20 ذي الجحة من سنة 247هـ/861م في قرطبة [2] .

اهتم أبو محمد منذ بداية دراسته العلمية بعلم الحديث ورجاله، والنحو واللغة، والشعر، والتاريخ ، والأدب، وقد تعلم منها الشيء الكثير بقرطبة على يدي بقي بن مخلد، ومحمد بن عبدالسلام الخُشني، ومحمد بن وضاح، ومطرف بن قيس، الذي منحه الحق في رواية أخبار كتابه(تسمية رجال عبدالله بن وهب) وأصبغ بن خليل، وإبراهيم بن قاسم بن هلال، وعبدالله بن مسرة، ومحمد بن عبدالله الغازي، ثم توجه في عام 274هـ/887م لاستكمال دراسته في المشرق العربي الإسلامي بصحبة محمد بن عبدالملك بن أيمن، ومحمد بن زكريا بن عبدالأعلى، ودخل في رحلته القيروان، ومصر، ومكة، ثم بغداد عام276هـ/889م،

---

(1) الحميدي: المصدر السابق، ص 327. كذلك ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 277. والضبي: المصدر السابق، ص 443.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 286.

واستمع في هذه الرحلة إلى اللغويين والرواة بحضور حلقات دروسهم، ففي مكة كان يرتاد محاضرات علي بن عبدالعزيز البغوي، تلميذ أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، وفي بغداد أخذ عن أحمد بن زهير أبي خيثمة النسائي مجموعة تراجمه عن الرواة التي عُرفت بعنوان(تأريخ)[*] كما درس في بغداد على يدي ابن قتيبة[**] بعض مؤلفاته مثل(كتاب المعارف)، وارتاد مجالس المبرد[***] أيضاً.

وعندما عاد من رحلته العلمية إلى الأندلس، لاقى نشاطه التعليمي شهرة واسعة، وأصبحت محاضراته قبلة طلاب قرطبة، وغيرها من مدن وقرى الأندلس، وقد أشار إلى ذلك ابن الفرضي في قوله: كان الناس يقصدونه بشكل خاص لدراسة كتاب (التأريخ) لابن أبي خيثمة، و(الكُنَى) لابن قتيبة، هذه الكتب التي حصل من أصحابها على حق رواية أخبارها، وقد استمع الخليفة الناصر لدين الله لهذه الكتب على لسانه، كما استمع إليها من بعده ولده وولي عهده الحكم المستنصر بالله [1]، كما درس على يديه بعض علماء قرطبة، منهم: الراوية اللغوي الخطاب بن سلمة، وأحمد الرازي، وابن القوطية، ومحمد بن الحارث

(*) هو أبو بكر أحمد بن زهير أبي خيثمة بن حرب بن شداد النسائي، أخذ علم النسب عن مصعب بن عبدالله الزبيري، وأيام الناس عن أبي الحسن المدائني، والأدب عن محمد بن سلام الجمحي، ومات في شوال سنة 279هـ، وله كتاب التاريخ، أو تاريخ رواة الحديث، وكتاب أخبار الشعراء، وكتاب الإعراب، وكتاب البر، وكتاب المتمين، وكتاب وصايا العلماء عند الموت. ياقوت الحموي: معجم الأدباء، المصدر السابق، مج1، ص 357ـ 358. كذلك إسماعيل باشا: هدية العارفين، المرجع السابق، ج5، ص 51.

(**) عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكوفي أبو محمد الدينوري، الأديب المحدث، ، ولد سنة 213هـ وتوفى سنة 276هـ، له مؤلفات عديدة منها: كتاب المعارف في التاريخ وهو كتاب مطبوع. إسماعيل باشا: هدية العارفين، المرجع السابق، ج5، ص 441.

(***) هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبدالأكبر الثُمالي المعروف بالمبرِّد البصري، شيخ النحو والعربية ببغداد، ولد سنة 210هـ، ومات ببغداد في شهر شوال سنة 285هـ، ودفن بمقابر الكوفة، له من الكتب: كتاب معاني القرآن، والكامل، والروضة، وكتاب المقتضب، والمقصور والممدود، والاشتقاق، والقوافي، وإعراب القرآن، ونسب عدنان وقحطان، والرد على سيبويه، وشرح شواهد الكتاب، وضرورة الشعر، والعروض، وما اتفق لفظه واختلف معناه، طبقات النحاة البصريين، وغيرها. ابن الأنباري: المصدر السابق، ص 193ـ 201. كذلك السيوطي، بغية الوعاة، المصدر السابق، ج1، ص 269ـ271.

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 287.

الخُشني، ومحمد بن أحمد بن مفرج، وعبدالملك بن شهيد [1]، وقد حصل هؤلاء الطلاب من قاسم على إجازة في الرواية عنه [2].

ألّف قاسم بن أصبغ العديد من الكتب،منها: كتاب(أحكام القرآن) وكتاب (الأنساب)، وكتاب(بر الوالدين) وكتاب(غرائب حديث مالك مما ليس في الموطأ) وكتاب (فضائل قريش وكنانة)، وكتاب(فضائل بني أمية) وكتاب(الخمر)وكتاب (السنن على أبواب المنتقى) لابن الجارود، وكتاب(الصحيح على هيئة كتاب مسلم) وكتاب(المجتبى في اختصار سننه) وكتاب(الناسخ والمنسوخ في القرآن)[3].

كما أسهم قاسم بن أصبغ بنصيب وافر في نمو حركة الترجمة والنقل في قرطبة أيام الخليفة الناصر لدين الله مع أحد المستعربين من قضاة قرطبة المسيحيين بترجمتهما لكتاب "التاريخ العلمي" الذي نقله باقل أروسي إلى اللغة العربية، وقد خُصِّصَت هذه الترجمة التي أُنجزت خلال منتصف القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي لوريث العرش الخليفة الحكم المستنصر بالله، حيث قام بالترجمة من اللغة اللاتينية إلى العربية مباشرة القاضي المستعرب، أمّا مهمة قاسم ابن أصبغ فقد تمثلت في صياغة النص العربي صياغة أدبية [4]، وفي 14 جمادى الأولى سنة 340هـ/951م توفي بقرطبة، وقيل في مكة [5] .

62/ قاسم بن ثابت بن حزم :

هو أبو محمد قاسم بن ثابت بن حزم بن عبدالرحمن بن مطرف بن سليمان ابن يحيى العوفي السرقسطي، ولد بسرقسطة سنة 255هـ/868م، وترعرع فيها، وتعلم العلم في صباه فيها على يد والده، ثم قرر الرحلة لاستكمال تعليمه بالمشرق العربي الإسلامي، فرحل مع والده، واشترك مع أبيه في شيوخ علم الحديث

---

(1) ك ــ بويكا: المرجع السابق، ص 157.

(2) المرجع نفسه، ص 157.

(3) إسماعيل باشا: هدية العارفين، المرجع السابق، ج5، ص 826.

(4) ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 88.

(5) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 286ــ 287.

واللغة بالمشرق، فأدخلا الأندلس علماً كثيراً، ويقال أنهما أول من أدخل إليها كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي[1].

سمع في رحلته بمصر من أحمد بن شعيب النسائي[*]، وأحمد بن عمرو البزاز[**]، وسمع بمكة من: عبدالله بن علي الجارود، ومحمد بن علي الجوهري، وغيرهما [2].

كان قاسم عالماً بالحديث والفقه، متقدماً في النحو والغريب والشعر، طُلب للقضاء، فامتنع، وأراد أبوه إكراهه على ذلك، فسأله الاستخارة ثلاثة أيام؛ فمات في هذه الثلاثة، فيروون أنه دعا على نفسه بالموت [3] وكان ذلك في سنة 302هـ/914م أو سنة 303هـ/915م [4].

ساهم قاسم بن ثابت في إثراء الحياة العلمية بالأندلس بمؤلفاته التي كان منها كتاب "غريب الحديث" وكتاب في شرح الحديث سماه "كتاب الدلائل"[5]، بلغ فيه الغاية من الإتقان والتجويد حتى حُسد عليه، غير أنه مات قبل إكماله، فأكمله أبوه ثابت بن حزم، قيل فيه: إنه كتاب لم يؤلف أكمل منه في مضمونه ومعناه، رغم وجود كتاب الخُشني و كتاب عبدالملك بن حبيب آنذاك [6].

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 283. كذلك ابن فرحون: المصدر السابق، ص 322.

(*) هو أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار النّسائي، القاضي الإمام الحافظ، وشيخ الإسلام، الذي طاف البلاد وسمع من خلائق، كان أحد أئمة الحديث، وأفقه مشائخ مصر في عصره، وأعرفهم بالصحيح والسقيم من الآثار، وأعرفهم بالرجال، ولد سنة 215هـ، وتوفي سنة 303هـ شهيداً، وله من الكتب" السنن الكبرى،" و" الصغرى" و" خصائص علي"و" مسند علي"و" مسند مالك" . السيوطي: طبقات الحفاظ، المصدر السابق، ص 323ــ 324.

(**) هو البزار الحافظ العلامة الشهير أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبدالخالق البصري، صاحب المسند الكبير، المعلل، رحل في آخر عمره لأصبهان والشام ينشر علمه، مات بالرملة سنة 292هـ. السيوطي: طبقات الحفاظ، المصدر السابق، ص 307. كذلك الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج5، ص 94ــ 96

(2) المقري: المصدر السابق، مج2، ص 259.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 284. كذلك ابن فرحون: المصدر السابق، ص322. والسيوطي: بغية الوعاة، المصدر السابق، ج2، ص252.

(4) ابن الفرضي :المصدر السابق، ص 283 ــ 284. كذلك المقري: المصدر السابق، مج2، ص 260.

(5) إسماعيل باشا: هدية العارفين، المرجع السابق، ج5، ص 826.

(6) الحميري: المصدر السابق، ص 98. كذلك القفطي: أنباه الرواة، المصدر السابق، ج1، ص 279.

63/ قاسم الجُبَيري:

هو أبو عبيد قاسم بن خلف بن فتح عبدالله بن جُبَير الطرطوشـــي، ســـكن قرطبة [1]، وسمع بها من قاسم بن أصبغ وغيره، ثم رحل إلى المشـــرق العربـــي الإسلامي طالباً للعلم، فجال البلاد طولاً وعرضاً، وأخذ عن الشـــيوخ والأعيـــان، وأقام في رحلته 13 عاماً، درس فيها بمصر على يدي جماعة ، وبجدة على يدي الحسين ابن حميد النجيرمي الجدي، وحج، ودخل العراق، وسمع بها من أبي بكر محمد بن عبدالله بن صالح الأبهري، وتفقه عنده على مذهب مالـــك وأصـــحابه، وتحقق به [2].

تولي القضاء بطرطوشة، وبلنسية، وكان من العلماء الكبار الذين سخروا حياتهم لرعاية للعلم، وتأليف الكتب، التي كان من بينها كتاب في التوسط بين مالك وابن القاسم فيما خالف فيه ابن القاسم مالكاً، وهو كتاب حسن مفيد[3]، توفي ســـنة 371هـ/981م [4].

64/ محمد بن إبراهيم بن حيون :

هو الفقيه الحافظ والمحدث الأندلسي أبوعبدالله الحجاري، نسبة إلى وادي الحجارة[*]، وقد انتقل إلى قرطبة في أيام شبابه، وتعلم بها على يـــد محمـــد بـــن وضاح، وأبي عبدالله محمد بن عبدالسلام الخُشني، وغيرهما، ثم استكمل تعليمـــه بالمشرق العربي الذي رحل إليه، وتردد عليه نحواً من 15 عاماً، ولقي علماء مكة ومصر والقيروان وبغداد واليمن، وتتلمذ في مكة على يد علـــي بـــن عبـــدالعزيز البغوي، وأبي مسلم الكجّي، ومحمد بن علي بن زيد الصائغ، وأبي محمد علي بن عيسى بن العباس.

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 289. كذلك ابن فرحون: المصدر السابق، ص 324. وفيه إنه قاسم الجبيري ابن خلف بن عبدالله بن جبير الطرطوشي.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 289.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 289. كذلك ابن فرحون: المصدر السابق، ص324.

(4) ابن فرحون: المصدر السابق، ص 324.

(*) وادي الحجارة هي مدينة بالأندلس تعرف بمدينة الفرج، وتقع بين الجوف وشرق قرطبة، وهي مدينة حسنة كثيرة الخيرات، بها الزعفران الذي كان يباع لسائر البلاد. الحميري: المصدر السابق، ص 193.

أما في مصر فقد قرأ على أصحاب الإمام أحمد بن حنبل، منهم: عبدالله بن أحمد بن عبدالسلام الخفاف النيسابوري، وإبراهيم بن موسى بن جميل، وإبراهيم ابن يعقوب الجوزجاني، وأبي بكر أحمد بن محمد بن الوليد المري.

كما دخل بغداد، وارتاد حلقات الحديث حتى تعلمه، أما في القيروان فقد تعلم على يدي تميم بن محمد التميمي، وغيره.

وعندما عاد إلى الأندلس بعد أن صار فقيهاً، وعالماً بالحديث وعلله، وشاعراً مجيداً، إذ لم يكن بالأندلس في أيامه أحد أعلم منه بالحديث، وساهم في تعليم الأندلسيين علم الحديث، بروايته لتلاميذه، فتتلمذ على يديه محمد بن عبدالملك ابن أيمن، وقاسم بن أصبغ، وسعيد بن جابر الإشبيلي، ووهب بن مسرة الحجاري، وأحمد بن سعيد بن حزم ، وخالد بن سعيد.

وكان ابن حيُّون شيعي المذهب، وقد اتهم بذلك لشيء كان يظهر منه في حق الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، وقد توفي في قرطبة في يوم الإثنين آخر شهر ذي القعدة سنة 305هـ/917م [1] .

65/ محمد بن إبراهيم الخُشني:

هو أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن يحي بن عفان بن سعيد ابن سلمة بن عبدوس الخُشني المعروف بابن المُشكيالي الطليطلي، ولد سنة 312هـ/924م، وتوفي يوم الأربعاء بعد صلاة العصر 6 جمادى الآخرة سنة 400هـ/ 1009م، ودفن يوم الخميس بعد صلاة الظهر، وصلى عليه ابن يعيش.

تلقى العلم في صباه في مدينتي طليطلة وقرطبة، فكان كلٌ من قاضي طليطلة أبو عمر أحمد بن خليل، وأبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عيشون، وأبو ميمونة دواس بن إسماعيل وأبو عبدالله محمد بن عمرو بن عيشون، أساتذته في طليطلة، أما في قرطبة، فقد تعلم على يد أحمد بن ثابت التغلبي، ومسلمة بن قاسم، وابني أبان بن عيسى، وغيرهم.

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 313ــ 314. كذلك ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج2، ص431. والمقري: المصدر السابق، مج2، ص 262. والسيوطي: طبقات الحفاظ، المصدر السابق، ص 347.

رحل إلى المشرق العربي الإسلامي لأداء فريضة الحج، فحـــج، ولقـــي العلماء، فلقي بمصر أبا القاسم حمزة بن محمد الكناني، وأبا بكر محمد بن موسى ابن المأمون، وأبا عمر أحمد بن سلمة بن الضحاك، وأبا محمد بن الـــورد، وأبـــا الحسن بن شعبان، وبكر بن محمد بن العلاء القشـــيري(*)، وســـمع منـــه كتابـــه في(أحكام القرآن)، وأبا بكر بن أبيب الموت، وأبا هريرة بن العصام.

كما تعلم في الإسكندرية على يد أبي القاسم العلاف(**)، وبالقيروان علـــى يد أبي محمد بن مسرور، كتب عنهما وسمع منهما.

وعندما رجع أبوعبدالله إلى الأندلس استوطن طليطلة بلدته الأولى، فَعُـدَّ فيها من الحفاظ للمسائل والرأي، ومن كبار أعيانها، كما كان من المقـــربين مـــن نفس الأمير العامري المظفر عبدالملك بن محمد بن أبي عامر، وقد عمل في مجال التعليم؛ إذ كانت له حلقة علمية في داره يعلم فيها طلبته العلم [1] .

66/ محمد بن أبي الحسام طاهر التدميري:

هو أبو عبدالله محمد بن أبي الحسام طاهر بن محمد بن طاهر التُـــدميري القيسي، الفقيه العالم المجاهد، الذي نذر نفسه للرباط في الثغور والجهاد في سبيل الله مع المجاهدين، وتعليم الفقه والسنة.

عاش هذا الفقيه في تُدمير بين مرسية وديار بني طاهر، وطلب العلم منذ حداثة سنه بقرطبة فروى الحديث بها، وتفقه بأهل الشورى المفتيـــين، ونـــاظرهم وأخذ بحظ وافر من أجوبتهم، وناقش أهل الورع من فقهائها وعلمائها في أحـــوال بلده تدمير، كما رسخ في علم السنة على يد محمد بن أحمد بن يحيى، و العائذي، وعندما بلغ سن الثلاثين رحل في طلب العلم بالمشرق العربي الإسلامي، ودخـــل

(*) هو العلامة أبو الفضل بكر بن محمد بن العلاء القشيري، البصري المالكي، صاحب التصانيف، في الأصول والفروع، نزل مصر، وتوفي بها في ربيع الأول سنة 344هـ. ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج3، ص 74.

(**) هو يحي بن أيوب العلاف المصري، من كبار شيوخ الطبراني، وصاحب سعيد بن أبي مريم، توفي سنة 290هـ. اليافعي: المصدر السابق، ج2، ص 162. كذلك ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج2، ص 374، وفيه إنه توفي سنة 289هـ.

(1) ابن بشكوال: المصدر السابق، ق2، ص 486ـ 487.

الحجاز والعراق والشام، وسكن في الحرمين ثمانية أعوام، وأخذ يعيش فيها من عمل يده بالنسخ، كما دخل بيت المقدس، ولقي فيه بعض العلماء، وفي العراق لقي العديد من علماء الفقه المالكي، مثل: أبي بكر الأبهري الفقيه المالكي الذي تعلم على يديه الفقه، وفي واسط كان يلقى الشيوخ، ويرتاد حلقات المناظرة بها، يناظر فقهائها حتى استطاع أن يأخذ عنهم علمهم في الفقه والمسائل ورواياتهم في السنة النبوية، بذلك ساهم أبو عبدالله في إثراء مكتبة الأندلس بمؤلفه الذي كان قد جمعه في الإجابات [(1)] .

انصرف عائداً إلى الأندلس، استجابة لدعوة والده أبي الحسام، الذي كان يدعوه للعودة مع الحجيج الأندلسيين، فنزل في سنة 306هـ/918م، أو سنة 307هـ/919م في إحدى ضواحي مدينة تُدمير، في ديار بني طاهر خارج مرسية.

ولم يترك هذا الفقيه واجبه العلمي رُغْمَ شُغله بالجهاد في الرباط، بل كان يسير به جنباً إلى جنب مع الجهاد، بروايته للسنة، وعقده المناظرات في الفقه والمسائل، وشهد مع المنصور محمد بن أبي عامر عدة فتوحات منها: فتح مدينتي سمورة، وقلميرة، وظل ملازماً لرباط طلبيرة، حتى استشهد في موقعة أستورقة التي وقعت في 7 جمادى الأولى سنة 378هـ/988م، والتي غزاها مع المنصور محمد بن أبي عامر، أيام رباطه بطلبيرة [(2)] .

67/ محمد بن أبي علاقة البواب:

كان عالماً في النحو واللغة، وراوية للأخبار، ولد بقرطبة، وتعلم بها في بداية حياته العلمية، ثم استكمل تعليمه برحلته إلى المشرق العربي الإسلامي، فدرس علوم اللغة على يد بعض أهل العلم به منهم: أبا إسحاق الزجاجي، وأبا بكر ابن الأنباري، و أبا الحسن علي بن سليمان الأخفش الصغير[(*)]، وأبا عبدالله

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 364ـ 365.

(2) الضبي: المصدر السابق، ص 83ـ 84. كذلك المقري: المصدر السابق، مج3، ص 3ـ 4.

(*) هو علي بن سليمان بن الفضل النحوي أبو الحسن الأخفش الصغير، تعلم على يدي ثعلب والمبرد، وقيل: إنه لم يكن بالمتسع في الرواية للأخبار والعلم بالنحو، قدم مصر سنة 287هـ وخرج إلى حلب سنة 300هـ له من التصانيف:

نِفْطَويه(*)، وغيرهم، وسمع من الأخفش كتاب "الكامل" للمبَرِّد(**)، فصار بذلك من كبار علماء اللغة والنحو.

وبعد عودته للأندلس تتلمذ على يديه العديد من الطلبة بالأندلس الذين كان يعلمهم كتاب (الكامل) لأبي العباس المبرِّد، وكان ابن أبي علاقة يحضر مجالس الأمير الحكم المستنصر، حتى أن المستنصر قال فيه: ((إنه لم يصح كتاب الكامل عندنا من رواية إلا من قبل ابن أبي علاقة، بالرغم من أن ابن جابر الإشبيلي كان على دراية به، وقد سبق له أن رواه قبل ذلك بمدة بمصر، وما علمت أحداً رواه غيرهما)) (1).

كان ابن الأحمر القرشي يذكر أنه رواه، وكان صدوقاً، لكن كتابه ضاع، ولو حضر ضاهى الرجلين المتقدمين.

68/ محمد بن أحمد بن عبيد الله بن سعيد الأموي:

هو العالم القرطبي أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عبيدالله بن سعيد بن العطَّار، المولود في سنة 330هـ/941م، كان يسكن ربض ابن مكيس عند مقبرة الكلاعي، مجاور الرملة بقرطبة.

ظل أبو عبدالله في شبابه يروي بالأندلس عن أبي عيسى الليثي، وأبي بكر ابن القوطية، وأبي عبدالله بن الخرَّاز، وأبي عثمان سعيد بن أحمد بن عبد ربِّه، وغيرهم، وهؤلاء أساتذته الذين تعلم عليهم حتى صار فقيهاً حافظاً بصيراً بالفتوى

= شرح كتاب سيبويه، والمهذب، ، مات في بغداد في شهر شعبان سنة 315هـ أو 316هـ. السيوطي: بغية الوعاة، المصدر السابق، ج2، ص 167ـ 168. كذلك اليافعي: المصدر السابق، ج2، ص 200.

(*) هو إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة العتكي الأزدي الواسطي، النحوي الكبير العالم باللغة العربية والحديث الحافظ للقرآن على رواية عاصم، الفقيه الظاهري المقرئ ، صنف إعراب القرآن، المقنع في النحو، الأمثال، المصادر، أمثال القرآن، الرد على القائل بخلق القرآن، القوافي، وغير ذلك، ولد سنة244هـ، وتوفي سنة 323هـ. السيوطي: بغية الوعاة، المصدر السابق، ج1، ص 428ـ 430.

(**) هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري، الملقب بالمبرِّد، إمام النحو والعربية ببغداد في زمانه، صاحب التصانيف الكبار والتي منها : كتاب الكامل، والمقتضب، ومعاني القرآن، وغيرها، ولد سنة 210هـ وتوفي سنة 285هـ ببغداد.السيوطي: بغية الوعاة، المصدر السابق، ج2، ص 269ـ 271. كذلك القفطي: أنباه الرواة، المصدر السابق، ج3، ص 241ـ 253. واليافعي: المصدر السابق، ج2، ص 156.

(1) المقري: المصدر السابق، ج2، ص 353ـ 354.

مقدماً في الشورى، وعالماً متيقظاً، متفنناً في العلوم، وأديباً، وشاعراً ذكياً نبيهـاً، ونحوياً عارفاً بعلم الفرائض والحساب، واللغة والإعراب، مقدماً على ذلك كلـه، رأساً في معرفة الشروط وعللها، متقناً لها، مستنبطاً لغرائبها، مدققاً لمعانيها، ولا يجاريه في ذلك أحد من أهل عصره.

وقد ساعده على وصول تلك المكانة العلمية إضافة لعلوم بلاده الرحلـة التي قام بها إلى المشرق العربي الإسلامي، والتي حج فيها، وارتاد حلقات العلـم للعديد من العلماء، كحلقة العالم القيرواني أبي محمد بن أبي زيد بالقيروان، والتي ناظره وذاكره فيها، وحلقة العالم محمد بن خراسان الصقلي، الذي حصل منه على إجازة علمية في رواية ما تعلمه على يديه.

أدخل هذا العالم الأندلسي للأندلس كتاباً حسناً مفيداً عوّل عليه الناس فـي عقد الشروط [*]، وأسس لتعليم ذلك الكتاب حلقة علميـة فـي المسـجد الجـامع بالزهراء ارتادها الطلاب من كل بلاد الأندلس، وكان هذا في عهد المنصور محمد ابن أبي عامر، كما جرت له فيها مع بعض فقهاء قرطبـة وقاضـيها خطـوب، وأخبار مشهورة، وكانت وفاته عقب شهر ذي الحجة سنة 399هـ/1008م [1] .

69/ أبو عبدالله محمد بن أحمد بن محمد بن يحيى بن مفرج:

ولد هذا العالم والفقيه الحافظ، والراوية والإخباري الكبير في بداية عـام 315هـ/927م، وكان والده أبو القاسم أحمد بن محمد بن مفرج مـولى بالوراثـة للأمير عبدالرحمن بن معاوية أو عبدالرحمن بن الحكم، وكـان صـاحب كتـاب (الانتخاب) وهو عبارة عن مجموعة تراجم لرجال الأندلس .

تلقى تعليمه في شبابه على يد والده، وأحمد بن عبدالله القرشي الحبيبـي؛ حفيد الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك بن مروان بن الحكم[2]، الخبير بالتـاريخ

(*) لم تذكر المصادر التي اطلعت عليها اسماً لهذا الكتاب.

(1) ابن بشكوال: المصدر السابق، ق2، ص 484ـ 485.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص367. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 114. والضبي: المصدر السابق، ص 184.

والأدب، و تعلم تاريخ خليفة بن خياط على يد أستاذه المؤرخ بقـــي بـــن مخلـــد، وحصل على حق روايته منه، فأدخله الأندلس، كما درس ابن مفــرج علـــى يـــد الراوي أحمد بن عباد الرعيني، ومحمد بن عبدالله بن أبي دليم، وقاسم بن أصـــبغ ومحمد بن عبدالسلام الخُشني، وابن خبير الأديب البارز الذي اشتغل برواية كتب والده.

أقام محمد بن مفرج في بلدان الشرق منذ رحلته عام 337هـ/948م، وحتى عام 345هـ/956م، حيث أكمل تعلم علومه على أيدي علماء مكة، والمدينة وجدة، واليمن وعدن وصنعاء، والفسطاط والإسكندرية، والقدس وغزة، وطبريا ودمشـــق وطرابلس وبيروت وصيدا، وغيرها، وكان من بينهم المؤرخ المكي أبو سعيد بن الأعرابي، الذي قضى عنده آخر أعوام حياته بالمشرق، وأبو الحسن محمـــد بـــن جبريل العجيفي، الذي استمع على لسانه لكتاب (الأسماء والكنى)، لعبدالله ابن علي ابن الجارود، وحصل منه على حقه في روايته، والمترجم المصري أبو سعيد بن يونس، الذي درس على يديه كتابه (تاريخ المصريين) ثم حصل منه على حـــق روايته.

وعندما عاد محمد بن مفرج إلى الأندلس عيَّنَه ولي العهد الأمير الحكم بن عبدالرحمن الناصر قاضياً في أسيخا، أولاً ثم في إقليم رايـــو، وبقـــي فـــي هـــذا المنصب حتى وفاة الخليفة الحكم الثاني عام 366هـ/976م.

وفي عام 369هـ/979م باشر أبو عبدالله العمل في مهنة التعليم، واســـتمر معلماً حتى وفاته في 11 رجب سنة 380هـ/990م، حيث تتلمذ علـــى يـــده ابـــن الفرضي، وأحمد بن سعيد الأموي، وأبو عمر الطلمنكي، وأبو عبدالله بن الحـــذاء، وأبو عمر بن عفيف.

كان أبو عبدالله من بين كُتَّاب حاشية ولي العهد، والخليفة المرتقب الحكـــم الثاني، والذي طلب منه تأليف مؤلفات تراجم، وكان من بينهم مجموعـــة تـــراجم رجال الأندلس، وقد وردت بعض الفقرات المأخوذة منها في معجم التراجم الـــذي

وضعه تلميذه ابن الفرضي الذي سماه كتاب "المختصر"، كما وردت بعض أخباره في مؤلفات القاضي عياض اليحصبي.

يتضح من خلال كتاب ابن الفرضي بأن مجموعة ابن مفرج قد تضـــمنت على أقل تقدير 125 سيرة ذاتية لأشخاص مختلفين فـــي أعمـــالهم ومناصـــبهم، التابعين والقادة والعسكريين، ورجال قدموا إلى الأندلس خلال الأعــوام الأولـــى للفتح، والأعوام التي تليها، ولكنه ركز اهتمامه على الفقهاء والرواة والقضاة، في مختلف مدن وأقاليم الأندلس، ولم يفرد لرجال قرطبة سوى القســم القليــل مــن تراجمه أي 42 سيرة فقط، أما رجال المدن الأخرى، فكان نصيبهم 83 ترجمة.

وكان من بين المصادر التي استخدمها أبو عبدالله بن مفرج فـــي وضـــع كتابه حكايات وأخبار أستاذه قاسم بن أصبغ، ومجموعة تراجم محمد بن حـــارث الخُشني، وأهم المصادر التي اعتمدها في وضع تراجم رجال الأندلس خلال القرن الثامن (تاريخ المصريين) الذي وضعه أستاذه المصري أبو سعيد عبدالرحمن بـــن يونس الصدفي.

كما وضع كغيره من مؤلفي بلده كتاباً في (طبقات تلاميذ وأنصار مالك بن أنس)، وقد ورد ذكر هذا الكتاب من قبل القاضي عياض، الذي استخدمه مصـــدراً من مصادر مؤلفه (ترتيب المدارك)، حيث قال: إن هذا الكتاب من الكتب الصغيرة التي تتناول طبقات المالكيين، مثل: كتاب عبدالله بن أبي دليم.

أما مؤلفه الثاني فقد خصصه ابن مفرج (لرواة الحديث)، الـــذين ذكـــرهم مالك بن أنس في كتابه الموطأ، وعنوانه (كتاب في رجال الموطأ) وهو مفقـــود إلى حد الآن، وله أيضاً مجموعة بعنوان (كتاب الرواة في قريش) لم نعرف عنه سوى عنوانه.

كتب ابن مفرج سيرة حياة عالم القرن التاسع محمد بن وضاح، الذي لعب دوراً كبيراً في تشكيل علم الحديث بالأندلس، وساهم أيضاً مساهمة ملحوظة فـــي أدب التراجم في البلاد، من خلال كتابه (مناقب محمد بن وضاح ورجاله) وسيرة حياة معاصره الأكبر قاسم بن أصبغ، (مناقب قاسم بن أصبغ) .

زد على ذلك شرحه لفصل من كتاب (الأسماء والكنى) لأبي عبدالرحمن النسائي، وقد درس تلميذه ابن الفرضي هذه النسخة الأصلية من هذا الكتاب [1].

70/ محمد بن إسحاق بن السليم:

هو قاضي الجماعة بقرطبة،الشهير بأبي بكر محمد بن إسحاق بن منذر بن إبراهيم بن محمد بن السليم بن أبي عكرمة جعفر بن يزيد بن عبدالله، من قبيلة لخم من أشراف أهل شذونة، وإليهم تنسب مدينة بني السليم إحدى كور شذونة، والتي نزلها جده أبو عكرمة جعفر عند الفتح الإسلامي للأندلس، ولد هذا الشيخ سنة 302هـ/ 914م [2]، أو سنة 306هـ/918م [3]، وتوفي في يوم الإثنين 5 أو 7 من شهر جمادى الأولى سنة 367هـ/977م [4] .

درس ابن السليم الفقه على مذهب الإمام مالك بن أنس، فكان فقيهاً زاهداً، بصيراً بالاختلاف، عالماً بالحديث ورجاله، حسن الخط، والخطابة والبلاغة، متواضعاً، بارعاً في علم الفرائض، والحساب، والشعر، وقد تعلم هذه العلوم منذ صغر سنه بالأندلس على يد أستاذه قاسم بن أصبغ بن يوسف بن ناصح البياني، الذي أجاز له على حق الرواية عنه، وأحمد بن خالد بن يزيد، ومحمد بن عبدالملك ابن أيمن، ومحمد بن قاسم بن سيَّار، وعبدالله بن يونس، وسعيد بن جابر، وأحمد ابن دحيم بن خليل، ومن بعض العلماء الذين تلقى على أيديهم العلم بالمشرق العربي الإسلامي إثر رحلته إلى مكة والمدينة ومصر، والتي قام بها سنة 332هـ/943م [5]، حيث التقي فيها في مكة بمؤرخها أبي سعيد بن الأعرابي، وفي

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 367ــ 368. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 40،. والضبي: المصدر السابق، ص 49ــ 50. وابن فرحون: المصدر السابق، ص405ــ 406، 409. والمقري: المصدر السابق، مج2، ص 421ــ 422. و ك. بويكا: المرجع السابق، ص 201ــ 203.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 356.

(3) المصدر نفسه، مج2، ص 423.

(4) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 356. كذلك السيوطي، بغية الوعاة، المصدر السابق، ج1، ص 53. والنُباهي:

المصدر السابق، ص 77. والمقري: المصدر السابق، مج2، ص 423.

(5) ابن فرحون: المصدر السابق، ص 356. كذلك المقري: المصدر السابق، مج2، ص 423.

المدينة بأبي مروان القاضي المرواني، والزبيري أحمد بن مسعود، وأبي جعفر بن محمد ابن النحاس، وعبدالله ابن جعفر البغدادي، وابن أبي مطـر الإسـكندراني، وابن بهزاد الفارسي، وأبي العباس السكري، ومحمد بن أيوب الرقي بمصر [1] .

وعندما عاد إلى الأندلس، نذر نفسه لتدريس العلم، فأخذ يحدث بما تعلمه من المحدثين الكبار، وقد ذاعت شهرته حتى وصلت قصر الخلافة، فقلده الحكم ولي عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر مناصب إدارية، مثل عضويته في مجلس الشورى، ورئاسة مظالم الشرطة، كما قلده سنة 356هـ/966م، عندما صار أميراً للمسلمين بالأندلس قضاء الجماعة والخطبة والصلاة بالمسجد الجامع بقرطبة، بعد وفاة قاضي قرطبة المنذر بن سعيد البلوطي في يوم الإثنين 15 شعبان سنة 353هـ/964م[2]، فكان من القضاة البارزين، الموصوفين بالعدل والعلم، و مضرب مثل القضاة، فقيل: ((إنه لم يكن بالقضاء بقرطبة منذ دخلها الإسلام إلى وقته قاضٍ أعلم منه إلاَّ منذر بن سعيد ،لكنه أرسخ في علم أهل المدينة من منذر)) [3] .

وقد ساهم ابن السليم في ازدهار الحياة الثقافية بالأندلس من خلال مؤلفاته التي قام بتأليفها ككتاب(التوصل لما ليس في الموطأ)، وكتابه(اختصار كتاب المروزي في الاختلاف) وكتاب(المخمس في الحديث) [4] .

71/ محمد بن أصبغ بن لبيب:

هو أبو عبدالله محمد بن أصبغ بن لبيب، الأستجي، عالم الفرائض والحساب، والنحو واللغة، والغريب، ومعاني الشعر، والشاعر، المتكلم في مذاهب العلم الباطني، المتوفى سنة 327هـ/938م، أو سنة 328هـ/939م [5].

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 356. كذلك ابن فرحون: المصدر السابق، ص 356. والمقري: المصدر السابق، مج2، ص423.

(2) النُباهي: المصدر السابق، ص 75ـ76. وذكر غيره أنَّ توليه قضاء الجماعة بقرطبة كان سنة 356هـ وأن توليه الخطبة والصلاة كان سنة 358هـ. ابن فرحون: المصدر السابق، ص 357.

(3) ابن فرحون: المصدر السابق، ص 356.

(4) المصدر نفسه، ص 356.

(5) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 331ـ 332. كذلك السيوطي: بغية الوعاة، المصدر السابق، ج1، ص 56.

درس العلم بمدينتي أستجة وقرطبة، على يد عمر بن يوسف بن عمروس بأستجة، ومحمد بن عمر بن لبابة، وأحمد بن خالد، ومحمد بن عبدالملك ابن أيمن، ونظرائهم بقرطبة، ثم أكمل تعليمه بفضل رحلته إلى المشرق العربي الإسلامي والتي التقى فيها أبي جعفر العقيلي، وأبي سعيد بن الأعرابي، وغيرهما بمكة، فأخذ عنهم العلم سماعاً، ثم انصرف إلى الأندلس، فلزم الزهد والعبادة [1].

72/ محمد بن زكرياء اللخمي:

هو أبوعبدالله محمد بن زكريا بن محمد بن جعفر بن أبي الأعلى اللخمي، الأديب والإخباري والمحدث القرطبي، المتوفى في غزوة "وخشمة" مع أمير المؤمنين عبدالرحمن بن محمد، في محلة قلهُرّة، ودفن بها، وكانت غزوة وخشمة سنة 322هـ/933م [2] .

تعلم بالأندلس علي يد محمد بن وضاح، والخُشني، وغيرهما، ثم رحل إلى المشرق العربي الإسلامي سنة 274هـ/887م، في أيام إمارة المنذر بن محمد، مع قاسم بن أصبغ، ومحمد بن عبدالملك بن أيمن، وسمع منهما، وشاركهما في جميع روايتهما، وتردد بين حلقات الدرس في مكة والعراق، كحلقة علي بن عبدالعزيز البغوي في مكة، ومحمد بن إسماعيل الصائغ وغيرهما، و حلقة أحمد بن زهير بن حرب في بغداد الذي سمع منه كتاب "التاريخ"، كما أخذ عن إسماعيل بن إسحاق، وعبدالله ابن أحمد بن حنبل، وجعفر بن محمد الصائغ، وعبدالله بن مسلم بن قتيبة.

وعندما عاد أبو عبدالله إلى الأندلس، أخذ يحدث الناس بما أدخله من المشرق من كتب مثل كتاب (تاريخ أبن أبي خيثمة)، وبعض كتب ابن قتيبة، وكان أبو محمد الباجي من بين تلاميذه الذين قرأوا عليه، وأخذوا يحدثون عنه [3].

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 331. كذلك السيوطي: بغية الوعاة، المصدر السابق، ج1، ص 57.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 326.

(3) المصدر نفسه، ص 326ـ 327.

73/ محمد بن عبدالله بن عيشون:

هو أبو عبدالله محمد بن عيشون بن السلّاخ، أحد فقهاء طليطلة، ومؤلفها المشهور بالعلم، المتوفى في طليطلة في 9 صفر سنة 341هـ/952م [1] .

كان أبو عبدالله من علماء المالكية بالأندلس، وكان من الحفاظ للمسائل ، والعارفين للأخبار، وقد تلقى تعليمه في طليطلة وقرطبة، فكان سماعه في طليطلة من وسيم بن سعدون، ووهب بن عيسى، وبقرطبة تعلم على يد أحمد بن خالد، ومحمد بن عبدالملك بن أيمن، وقاسم بن أصبغ، ثم استكمل تعليمه بالمشرق العربي الإسلامي على يد أبي زيد الوداني، الذي درس على يديه موطأ مالك رواية أبي المصعب[2]، وابن الأعرابي الذي درس على يديه تاريخ ابن معين[3].

ساهم هذا العالم مساهمة كبيرة في الحياة العلمية بالأندلس بعد عودته من رحلته، حيث روى ما تعلمه بالمشرق، من التاريخ والفقه، كما ساهم بمؤلفاته التي قام بتأليفها في الفقه والحديث، والتي تمثلت في (مختصره المشهور في الفقه)، و(مسنده في أحاديث مالك بن أنس)، وكتاب (الإملاء)، و(اختصار المدونة)؛ إلاّ الكتب المختصرة منها [4] .

دَرَسَ على يديه العديد من الأندلسيين، نذكر منهم: أبا محمد بن دنين الطليطلي، ومحمد بن إبراهيم، و عبدوس الطليطلي.

74/ محمد بن عبدالله بن يحيى بن يحيى بن يحيى الليثي:

قاضي الجماعة بقرطبة، الحافظ الفقيه والنحوي والشاعر أبوعبدالله [1]، المعروف بابي عيسى[2]، والمولود في 13 ذي الحجة سنة 284هـ/897م، الذي

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 342. كذلك ابن فرحون: المصدر السابق، ص 350ـ 351.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 342.

(3) ابن فرحون: المصدر السابق، ص 351.

(4) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 342. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 80، والضبي: المصدر السابق، ص 117. وابن فرحون: المصدر السابق، ص 351.

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 339.

(2) ابن فرحون: المصدر السابق، ص 361.

كان كثيراً ما يخرج إلى الثغور، ويتصرف في إصلاح ما وَهَى فيها، فاعتل في آخر خرجاته، ومات في بعض الحصون المجاورة لطليطلة، ونقل إلى طليطلة فدفن بها، وذلك في شهر ربيع الأول سنة 339هـ/950م، أو كما قال الرازي: توفي يوم السبت لانسلاخ صفر سنة 339هـ/950م [1] .

تعلم في بداية حياته العلمية على يد عمّ أبيه عبيدالله بن يحيى، ومحمد بن عمر بن لبابة، وأحمد بن خالد وغيرهم، فكان حافظاً للرأي، معتنياً بالآثار جامعاً للسنن، متصرفاً في علم الإعراب، ومعاني الشعر والأخبار، شاعراً مطبوعاً [2] .

رحل سنة 312هـ/ 924م، لاستكمال تعليمه بالمشرق العربي الإسلامي، فلقي بعض علماء مكة ومصر وإفريقية، وكان يرتاد بعض حلقاتهم العلمية، حيث أخذ في مكة من ابن المنذر، وأبي جعفر العقيلي، وابن الأعرابي، ومحمد بن المؤمل العدوي، وأبي جعفر محمد بن إبراهيم الديبلي، وفي مصر من ابن زبان، ومحمد ابن محمد بن النفاخ الباهلي، وفي إفريقية من محمد بن محمد بن اللّباد، وأحمد بن أحمد بن زياد، وجماعة كثيرة، وكانت رحلته ورحلة محمد بن مسرة وأحمد بن حزم وأحمد بن مسرة وأحمد بن عبادة الرعيني في وقت واحد، واشتركوا في أكثر سماعهم من الرجال.

وعندما عاد إلى الأندلس تولى بعض المناصب الإدارية في الدولة، واستهلها بمجلس الشورى للقاضي أحمد بن بقي، ثم استقضاه أمير المؤمنين عبدالرحمن بن محمد، على إلبيرة وبجانه، ثم قضاء الجماعة بقرطبة في شهر ذي الحجة سنة 326هـ/937م [1] .

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 340.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 339. كذلك السيوطي : بغية الوعاة، المصدر السابق، ص 148. وابن فرحون: المصدر السابق، ص 361.

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 340. كذلك ابن فرحون: المصدر السابق، ص 361.

75/ أبو عبدالله محمد بن عبدالملك بن أيمن بن فرج:

ولد الإمام والفقيه والراوية أبو عبدالله محمد بن فرج القرطبي في يوم الجمعة أول شهر ذي الحجة من عام 252هـ/866م في مدينة قرطبة، وتوفي في منتصف شوال عام 330هـ/941م، وكان فقيهاً مالكياً، وراوية، وأديباً، ومؤرخاً، وعالماً بالحديث، بصيراً بالمسائل والأقضية، نبيلاً في الرأي، مشاوراً في الأحكام، صدراً فيمن يستفتى، وإمام أوقات بالمسجد الجامع بقرطبة بعد أحمد بن بقي القاضي الذي توفي عام 324هـ/ 935م[1].

تلقى تعليمه في أيامه الأولى ببلاده على أيدي محمد بن وضاح، ومحمد بن عبدالسلام الخُشني، والأخوين إبراهيم ويحيى ابني قاسم بن هلال ومحمد بن باز، وعبدالله بن خالد، ومحمد بن عبدالواحد الخولاني، ومحمد بن يوسف بن مطروح، ومالك بن علي القرشي.

في عام 274هـ/887م رحل مع أستاذه قاسم بن أصبغ [2] ومحمد بن زكريا بن عبدالأعلى من الأندلس في رحلة علمية إلى المشرق العربي الإسلامي، و تابع دراسته في مصر ومكة وبغداد على أيدي اللغويين والفقهاء والرواة، وشارك قاسم في جميع رجاله، وكان يرتاد محاضرات العلماء، ففي مصر ارتاد محاضرات المطلب بن شعيب، والمقداد بن داود الرعيني، وفي مكة محاضرات علي بن عبدالعزيز البغوي تلميذ أبي عبيد القاسم بن سلام، والصائغ محمد بن إسماعيل، وفي بغداد ارتاد محاضرات أحمد بن أبي خيثمة النسائي، الذي سمع منه سرد مؤلفه(تاريخ الرواة)، كما سمع من عبدالرحمن بن أحمد بن حنبل[*]، وإسماعيل ابن إسحاق الصائغ القاضي، ومحمد بن الجهم السِّمَّري[**]، وجعفر بن

---

(1) النباهي: المصدر السابق، ص 64.

(2) المقري: المصدر السابق، مج3، ص 5.

(*) هو أبو عبدالرحمن عبدالله ابن الإمام أحمد بن حنبل الذهلي الشيباني، ببغداد، توفي ببغداد جمادى الآخرة سنة290 هـ وله سبع وسبعون سنة كأبيه، كان إماماً خبيراً بالحديث وعلله، وكان يروي عن أبيه، وهو من رتب مسند والده، وكان من حفظة حديثه، سمع من والده صحيح الحديث وسقيمه، فكان من رواته. السيوطي: طبقات الحفاظ، المصدر السابق، ص 310. كذلك ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج2، ص 375ـ 377.

(**) هو محمد بن الجهم بن هارون أبو عبدالله الكاتب السِّمَّريُّ، صاحب الفراء، محدث ثقة صدوق، مات أول رجب

محمد بن شاكر الصائغ[*]، وعندما عاد إلى بلده هو وصاحبيه أَطْلَعَ الأندلسيين على مؤلفات الكُتّاب العرب المشرقيين[1].

كان محمد بن أيمن عالماً بتاريخ الأندلس، وتعتبر رواياته إحدى المصادر التي اعتمدها تلميذه ابن القوطية في كتابة مؤلفه(تاريخ افتتاح الأندلس)؛ لكنه لم يشر بإحالة إلى هذه الروايات، فجاءت في ثنايا أخباره التاريخية [2] .

ساهم الفقيه الراوي مساهمة فعالة في مجال أدب التراجم في الأندلس كحافظ وجامع لقصص قضاة قرطبة، التي تلقى قسماً منها على يد والده وجده، الذين كانا على صلة مباشرة مع القضاة، وكان من بين الأشخاص الذين تلقوا عنه الأخبار زيد الغافقي، وبكر بن حماد الملقب بالقَسَّام، الذين شهدوا أحداث رواياتهم بأمهات أعينهم، كما ساهم في مجال الحديث والسنن بمؤلفه الكبير في السنن والذي خرجه على سنن ابن داود، وهو مصنف رفيع لقي استحسان الفقهاء والعلماء فأثنوا عليه، لأنه كان يحوي من صحيح الحديث ما ليس في كثير من المصنفات [3] .

اشتهر من بين تلاميذه ولده الفقيه واللغوي والشاعر أحمد بن أيمن [4] ، وخالد بن سعد [5]، وعباس بن أصبغ الحجاري [6] ، وقد أشار ابن الفرضي إلى أنه كان ضابطاً لكتبه، وكان موثوقاً فيما رواه.

= سنة 277هـ، وله 89 سنة.الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج2، ص 159.

(*) هو عالم الحديث الحنبلي البغدادي الرواية الثقة الزاهد والعابد جعفر بن محمد بن شاكر الصائغ، معلم الحديث ببغداد، توفي سنة 279هـ وله تسعون سنة. ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج2، ص 341. كذلك اليافعي: المصدر السابق، ج2، ص 144.

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 333.

(2) ابن القوطية: المصدر السابق، ص 73.

(3) المقري: المصدر السابق، مج3، ص 6.

(4) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 44.

(5) المصدر نفسه، ص 114.

(6) المصدر نفسه، ص 239.

وقد أعطى محمد بن أيمن الحق في تواتر أخباره إلى ولده أحمد، الـذي اشـتهر كمؤلف لكتاب تضمن قصصاً عن القضاة، وكان من بين المصادر التـي اسـتقى منها أحمد بن أيمن ووالده أيضاً مواد ديوان القضاة وأرشيفه [1] .

وهناك تلميذ آخر ممن كان لهم الحق في نقل أخبار محمد بن عبدالملك بـن أيمن عن القضاة هو محمد بن الحارث الخُشني[2].

توا ثرت حكايات محمد بن عبدالملك بن أيمن في الوسط العائلي الضـيق ولم تصل إلى الجماهير الواسعة [3] .

76/ محمد بن عبدون:

هو عالم قرطبة في الحساب والهندسة وطبيبها ومؤلفها محمد بن عبدون الجبلي العدوي [4]، ولد سنة 311هـ/923م, وتوفى سنة 361هـ/971م، وكان يعمل مؤدباً في علم الحساب والهندسة قبل أن يرحل إلى المشرق العربـي الإسـلامي، ويتعلم الطب، وله في التكسير كتاب حسن.

في سنة 347هـ/958م رحل طلباً للعلم إلى المشرق الإسـلامي، ودخـل مصر والبصرة، واعتنى كثيراً بدراسة علم الطب حتى برع فيه، واشـتغل فـي مصر في مارستان الفسطاط[*]، وكان شيخه في مصر أبو سليمان محمد بن طاهر ابن بهرام السجستاني[**]، ثم رجع سنة 360هـ/970م إلـى الأنـدلس، فاتصـل

---

(1) ك. بويكا، المرجع السابق، ص 150.

(2) الخشني : قضاة قرطبة، المصدر السابق ، ص (د) في ترجمة المؤلف .

(3) ك. بويكا، المرجع السابق، ص 150.

(4) ابن جلجل: المصدر السابق، ص 115. كذلك المقري: المصدر السابق، مج2، ص 355.

(*) مارستان الفسطاط: يسمى أيضاً بالمارستان الأعلى، ويعرف أيضاً بالمارستان العتيق، أسس هذا المارستان أحمد ابن طولون سنة 259هـ، وقيل سنة 261هـ، ولم يكن في مصر قبل ذلك مارستان. عبدالرحمن زكي: المرجع السابق، ص 9.

(**) هو محمد بن طاهر بن بهرام أبو سليمان السجستاني، المنطقي، نزيل بغداد، تصدر في علوم الحكمة، له كتب صنفها منها رسالة في مراتب قوى الإنسان" و" رسائل إلى عضد الدولة عدة في فنون مختلفة من الحكمة" و" شرح كتاب أرسطوطاليس" وكتاب" الإمتاع والمؤانسة" . تولى الوزارة لصمصام الدولة بن عضد الدولة. القفطي: المصدر السابق، ص 185. كذلك ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ج2، ص 361ــ 362.

بالمستنصر بالله وابنه هشام المؤيد، وعمل على خدمتهما في الطـب، وصـناعة الأدوية[1].

ذكر المقري قول صاعد الأندلسي فيه: ((تمهر في الطب ، ونبـل فيـه، وأحكم كثيراً من أصوله، وعانى صنعة المنطق معاناة صحيحة، وكان شيخه فيـه أبا سليمان محمد بن محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني البغدادي، وكان قبل أن يتطبب مؤدباً للحساب والهندسة" وقول أبي عثمان سعيد الطليطلي: " لم يلـق فـي قرطبة من يلحق محمد بن عبدون في صناعة الطب، ولا يجاريه فـي ضـبطها وحسن دربته فيها وإحكامه لغوامضها)) [2].

77/ محمد بن عبيد بن أيوب:

هو أبو عبدالله الدبّاج القرطبي محمد بن عبيد بن أيوب، وقد عُرف بالدبّاج لتعاطيه عمل الدّيباج، توفي سنة 317هـ/929م.

تعلم في شبابه بقرطبة على يد الكثير من علمائها، وكان يروي عنهم جل رواياته.

كانت له رحلة إلى المشرق العربي الإسلامي دخل فيها بغداد، وتعلم فيها علم الحديث على يد إسماعيل بن إسحاق قاضي بغداد، وابن أبي خيثمة الذي سمع منه تاريخه، و أبي عبدالرحمن عبدالله بن أحمد بن حنبل.

وعند عودته من المشرق العربي إلى الأندلس نزل بالقيروان في فندق بن خيرون، فأتاه أكابر الناس، وسمعوا منه، حيث سمع منه عمر بن يوسف، ثم خرج من القيروان إلى الأندلس.

أدخل إلى الأندلس العديد من الكتب التي دونها بالمشرق بخط الوراقين، وأخذ يرويها، فكان ثقة فيما يروي، وكان عبدالله بن عثمان من رواته [3].

---

(1) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ج3، ص 74. كذلك المقري: المصدر السابق، مج2، ص 355

(2) نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب: المصدر السابق ، مج3، ص 12.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 322ــ 323.

78/ محمد بن علي بن الحسن بن أبي الحسين :

هو عالم النحو واللغة والبلاغة، أبوعبدالله محمد بن أبي الحسين القرطبي، المتوفى يوم السبت 6 صفر سنة 372هـ/982م [1]، أو سنة 373هـ/983م [2].

أخذ العلم بقرطبة على يد قاسم بن أصبغ وغيره، ثم رحل مع أخيه الأكبر حسن بن علي إلى المشرق العربي الإسلامي، ودخل مصر والرملة وبيت المقدس، ولقي بمصر عبدالله بن جعفر بن الورد، وأبا أحمد البغدادي، ومحمد بن محمد بن الخياش، وأبا بكر بن أبي الموت، وأبا يعقوب الباوردي، وأبا أحمد بن المُعسّـر، وحمزة بن محمد الكناني، ومحمد بن قاسم بن شعبان القرطبي، وأحمد بن سلمة الضحاك، وسعيد بن السكن، وأبا العباس أحمد بن الحسن الرازي، وأبا بكر بن خروف، وجماعة سواهم من المصريين، وسمع بالرملة من غير واحد[3].

ساهمت مسيرته العلمية في رفع مكانته بين أهل قرطبة، حكاماً وأهل علمٍ وعامة، وساعدته على تقلد بعض مناصب الدولة، كرئاسة الشرطة بالمغرب[4] والقضاء، فكان أحد قضاة الثغر الأعلى للأندلس، أيام الحكم الثاني [5].

79/ محمد بن عمر بن سعيد :

هو الفقيه والقاضي الطليطلي أبوعبدالله محمد بن عيشون الأزدي، توفي ليلة الثلاثاء ليومين بقيا من رجب سنة 370هـ/980م.

أخذ العلم في بلده بطليطلة، ثم رحل إلى قرطبة، وأكمل بها تفقهه على يدي جماعة من شيوخها، ثم رحل إلى المشرق العربي الإسلامي، ودخل مكة ومصر والشام والقيروان ولقي أبا سعيد بن الأعرابي بمكة، وأبا الحسن الجلاً، والخزاعي، والقشيري، وأبا مروان المالكي، وغيرهم، وسمع منهم سماعاً كثيراً.

---

(1) المصدر نفسه، ص 360.

(2) المقري: المصدر السابق، مج2، ص 267.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 360. كذلك المقري: المصدر السابق، مج2، ص 267.

(4) المقري: المصدر السابق، مج2، ص 267.

(5) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 360.

ثم عاد إلى قرطبة، وأدخل معه مصنف أبي داوود في السنن، وحديث عباس بن محمد الدوري، وأخذ يُحدّث بهما، فكان ابنه، وأبو الأصبغ الحزم بن أبي درهم، وقاسم بن أصبغ، وابن الفرضي من تلاميذه الذين أجاز لهم الرواية عنه[1].

80/ أبو عبدالله محمد بن عيسى:

من بني يحيى بن يحيى الليثي، ولد في سنة 284هـ/897م، وكان حافظاً عاقلاً ضابطاً لما روى ونقل، تولى قضاء الجماعة بقرطبة بعد رحلته إلى المشرق التي جمع فيها الكثير من الروايات، وسمع فيها الكثير من السماع، لعدم استقراره في بلد واحد، وعندما رجع إلى الأندلس سَمَا نجمه، ووُلّي القضاء، فكان محمود السياسة، صارماً في حكمه وفي تنفيذ الحقوق وإقامة الحدود، لا يحابِ أحداً في الله، ولا يخشى في الله لومة لائم، كما كان له بجانب علمه بالفقه علم بالأدب واللغة والبلاغة ونظم الشعر [2].

تعلم في شبابه العلم في الأندلس على يدي محمد بن عبدالله بن يحيى بن يحيى الليثي، وعمه عبيدالله بن يحيى، ومحمد بن عمر بن لبابة، وأحمد بن خالد.

وفي سنة 313هـ/925م رحل من قرطبة إلى المشرق العربي الإسلامي، ودخل مصر، وحج، وسمع بمكة من ابن المنذر، والعقيلي، وابن الأعرابي، وكان حافظاً معتنياً بالآثار، جامعاً للسنن، متصرفاً في علم الإعراب، ومعاني الشعر، شاعراً مطبوعاً، استهل حياته المهنية بعمله في مجلس الشورى للقاضي أحمد بن بقي ، ثم تولى القضاء حيث استقضاه الخليفة الناصر عبدالرحمن بن محمد على إلبيرة، وبجانة، ثم ولاه قضاء الجماعة بقرطبة بعد أبي طالب سنة 324هـ/935م، وجمعت له مع القضاء الصلاة، وكان كثيراً ما يخرج للثغور لإصلاح ما وهى فيها؛ لكنه اعتل في آخر خرجاته فمات في بعض الحصون المجاورة لطليطلة سنة 337هـ/948م [1].

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 359. كذلك ابن فرحون: المصدر السابق، ص351.

(2) الحميدي: المصدر السابق، ص 74ـــ 75.

(1)الضبي: المصدر السابق، ص111. كذلك المقري: المصدر السابق، مج2، ص 224ـــ 226.

81/محمد بن فطيس بن واصل :

هو أبوعبدالله الغافقي الإلبيري، الفقيه المالكي الحافظ، المولود في سنة 229هـ/843م، والمتوفى بحاضرة إلبيرة في شوال سنة 319هـ/931م، عن عمر يناهز التسعين سنة [1].

كان أبو عبدالله من أهل الحديث والفهم والحفظ، والبحث عن الرجال، تعلم في صباه بالأندلس على يد محمد بن أحمد العتبي، وأَبَان بن عيسى بن دينار، ويحيى بن إبراهيم بن مزين، وعبدالله بن خالد، وعبدالرحمن بن إبراهيم بن أبي زيد، وأصبغ بن خليل، وأبي زيد الجزيري، ومحمد بن يوسف بن مطروح، وعامر بن معاوية القاضي، وبقي بن مخلد، وعبيدالله بن عبدالملك بن حبيب، ومحمد بن وضاح، ويوسف بن يحيى المغامي، وغيرهم من نظرائهم [2].

في سنة 257هـ/870م رحل هذا العالم إلى المشرق العربي الإسلامي، وتردد بين أمصاره، فدخل مصر ومكة وغيرهما، وتفقه بهما على يد الكثير من علماء الفقه والحديث، حيث سمع بمصر من يونس بن عبدالأعلى، ومحمد بن عبدالله بن عبدالحكم، وإسماعيل بن يحيى المزني[*]، ومحمد بن أصبغ بن الفرج، وأبي عبيدالله بن أخي بن وهب الذي سمع منه (الموطأ) و(الجامع) لعمه [3]، وبحر بن نصر، ونصر بن مرزوق، وإبراهيم بن مرزوق، وبكار بن قتيبة القاضي[**]، ويزيد بن سنان البصري، وعلي بن زيد الفرائضي، وأحمد بن شيبان

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 325. كذلك السيوطي: طبقات الحفاظ، المصدر السابق، ص 353. والمقري: المصدر السابق، مج2، ص 272.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 324ـ 324. كذلك ابن فرحون: المصدر السابق، ص 344.

(*) هو أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني، الفقيه الإمام الشافعي، المصري، قال عنه الشافعي إنه ناصر مذهبه وأعرفهم بطرقه، وفتواه، صنف كتباً كثيرة منها: " الجامع الكبير" و" الجامع الصغير" و"مختصر المختصر" و"المنثور" و" المسائل المعتبرة" و" الترغيب في العلم"و" كتاب الوثائق"، توفي في 24 رمضان سنة 265هـ. اليافعي: المصدر السابق، ج2، ص 132ـ 133.

(3) الحميدي: المصدر السابق، ص 85.

(**) هو القاضي الحنفي بكار بن قتيبة الثقفي، تولى القضاء بمصر، سجنه ابن طولون، توفي مسجوناً، وهو باق على القضاء سنة 271هـ .اليافعي: المصدر السابق، ج2، ص 138. أما ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج2، ص 317، فيذكر أن وفاته كانت سنة 270هـ . وأن المتوكل ولاه القضاء سنة 246هـ .

الرملي، وسمع بمكة من: أبي بكر عبدالله بن حمزة القرشي، ومحمد بن إسحاق السّجزي، ومحمد بن إسماعيل الصائغ، وأبي يحيى بن أبي مسرة، ومحمد بن إدريس؛ ورّاق الحميدي، وأبي علي الحسن بن إبراهيم البياضي البغدادي، وأحمد ابن يحيى الكوفي[*]، المعروف بالصوفي، وسمع بطرابلس من أحمد بن عبدالله بن صالح الكوفي، وبإفريقية من شخوة بن عيسى القاضي، صاحب علي بن زياد، ومن أبي زكريا يحيى بن عون، وإبراهيم بن غياث الخولاني، وأبي زيد عبدالرحمن بن محمد، وجماعة سواهم من أئمة الحديث، وأعلام الرواية، بلغوا حوالي 200 شيخ، كان أفقههم محمد بن عبدالله بن عبدالحكم [1].

ورجع هذا الشيخ إلى الأندلس بعد رحلة طويلة تفقه بها، وأدخل الأندلس علماً كثيراً، فكان شيخاً نبيلاً ضابطاً لكتبه، ثقة في روايته، صدوقا في حديثه، زاهداً في حياته، وكانت الرحلة إليه بإلبيرة، وبقرطبة للسماع منه، حيث سمع منه خالد بن سعد، ومحمد بن أحمد بن مسعود اللذين كانا ممن حدث وروى عنه.

ألّف العديد من الكتب منها كتاب (الورع في الربا والأموال)، و(تحذير الفتن)، وكتاب(الدعاء والذكر)، وكان كثير الروايات، لهذا عُدَّ أعلم أهل عصره في كل شيء [2] .

82/ محمد بن قاسم بن سيّار:

هو مولى الوليد بن عبدالملك، أبوعبدالله محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم ابن سيّار القرطبي، ولد هذا الفقيه الذي رأس علم الوثائق ليلة الجمعة 13 جمادى الآخرة سنة 263هـ/876م، وتوفى بعد غزوة الخندق التي غزاها مع المجاهدين في يوم الأحد 3 ذي الحجة سنة 327هـ/938م، أو في سنة 328هـ/939م [1]، إثر

(*) هو النحوي الكوفي صاحب التصانيف النفيسة، ورئيس الأدب في زمانه، أبو العباس المشهور بثعلب، أحمد بن يحيى الشيباني، المتوفي سنة 291هـ له من الكتب "كتاب الفصحاء" و"إعراب القرآن" و" القراءات" و" حد النحو" و" معاني الشعر" وغريبها. اليافعي: المصدر السابق، ج2، ص 163ـــ 164.

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 325. كذلك ابن فرحون: المصدر السابق، ص 344.

(2) ابن فرحون: المصدر السابق، ص 344.

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 329ـــ 330. كذلك المقري، المصدر السابق، مج2، ص 272.

مرض أصابه بعد الغزوة في كَرَكي[*]، فقدم به ابنه قاسم الذي كان يشغل قاضي أستجة [1]من كركى إلى قرطبة فدفنه فيها يوم الثلاثاء 5 ذي الحجة وهو اليوم الثالث من موته[2].

كان محمد بن سيّار عالماً بالفقه، ورأساً في علم الوثائق، وكان من أعضاء مجلس الشورى في أيام الأمير الناصر لدين الله، وكان من المحدثين الكبار بقرطبة، ثقة، صدوقاً [3] .

تعلم في شبابه بقرطبة على يدي والده، والفقيه بقي بن مخلد، ومحمد بن وضاح، ومحمد بن عبدالسلام الخُشني، وإبراهيم بن قاسم بن هلال، وأحمد بن إبراهيم الفرضي، ومطرّف بن قيس، وغيرهم، وفي سنة 294هـ/906م رحل هذا الشيخ إلى المشرق العربي الإسلامي، وأقام به أربعة أعوام وأربعة أشهر، ودخل القيروان ومصر والإسكندرية ودمياط وطرابلس والعراق، ولقي العلماء، وارتاد مجالسهم العلمية، فكان أحمد بن شعيب النسائي، وأحمد بن حمّاد بن زغبة، ومحمد ابن أحمد ابن جعفر الوكيعي[**]، وأبو يعقوب المنجنيقي أساتذةً له بمصر، و بمكة تتلمذ على يد عبدالله بن علي بن الجارود، وأحمد بن محمد الشافعي، وإبراهيم بن سعيد الحداء، وعندما دخل العراق، طاف بمدنها متجولاً طالباً للعلم، فلقي أبا خليفة الفضل بن الحباب الجمحي القاضي[***]، و أبا يحيى زكريا بن يحيى الساجي، ومحمد بن موسى الجرثمي بالبصرة، وأخذ عنهم، وعن أبي جعفر محمد بن

(*) قلعة بالأندلس شيدت على أنقاض خراب مدينة أوريط القديمة. الحميري: المصدر السابق، ص 33.

(1) هو قاسم بن محمد بن قسم بن سيار، أحد علماء المذهب المالكي، البصيرين بعلم الوثائق، وقاضي أستجة في عهد عبدالرحمن الناصر، وإشبيلية في عهد المستنصر بالله، وصاحب الشرطة بها، وعندما توفي والده كان قاضياً لأستجة وقبرة، فنهض منها إلى قرطبة لتشييع جثمان والده. ابن الفرضي : المصدر السابق، ص 288.

(2) المصدر نفسه، ص 330.

(3) المقري: المصدر السابق، مج2، ص 272.

(**) هو محمد بن أحمد بن جعفر الكوفي أبو العلاء الذهلي الوكيعي، توفي بمصر سنة 301هـ، أو في التي قبلها. ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج2، ص 416.

(***) هو مسند العصر أبو حنيفة الفضل بن الحباب بن محمد بن شعيب البصري الجمحي، كان محدثاً متقناً ، وإخبارياً عالماً، ولد سنة 206هـ، وتوفي سنة 306هـ. اليافعي: المصدر السابق، ج2، ص 184. كذلك ابن الأثير: المصدر السابق، ج6، ص159. أمّا ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج2، ص 340ــ 341: فيذكر أنه أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي البصري، توفي في ربيع الآخر سنة 305هـ .

عبدالله بن سليمان الحضرمي(*)، الذي يقال له: مُطيَّن، وأبي ذر أحمد بن إبراهيم ابن موسى المهري، وأبي جعفر محمد بن عقبة الشيباني بالكوفة، وابن بنت منيع البغوي، و أبي جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة(**)، وأبي محمد يوسف بن يعقوب القاضي(***)، وصالح بن أحمد بن حنبل، وأبي جعفر محمد بن منصور الصائغ، بغداد، وأساتذة آخرين بدُمياط والإسكندرية، وطرابلس، والقيروان، وبذلك يقال: إنّ عدد الذين تتلمذ على يديهم، وسمع منهم يبلغ حوالي 163 عالماً[1].

وعندما عاد للأندلس، أخذ على عاتقه تعليم أهله، فتتلمذ على يديه الكثير من الطلاب أمثال أبي محمد الباجي[2].

83/ محمد بن مروان بن زريق:

هو أبو عبدالله بن الغشاء الماردي الأصل، ولد سنة 244هـ/858م، ورحل أهله من ماردة إلى بطليوس، واستقروا بها، وتوفى سنة 339هـ/920م، وهو ابن 95 سنة.

تعلم هذا الشيخ العلم ببلده على يد منذر بن حزم، ومحمد بن سويد القيسي، ورحل إلى المشرق العربي الإسلامي سنة 309هـ/921م، مع أخيه عبدالملك بن مروان، ودخلا العراق، وهنالك تعلما على يد أبي بكر بن أبي داود السجستاني،

(*) هو الحافظ الكبير أبو جعفر محمد بن عبدالله بن سليمان الحضرمي الكوفي، مطيَّن، صنف المسند، وله تاريخ صغير، كان ثقة، ولد سنة 202هـ، ومات في الكوفة في ربيع الآخر سنة 297هـ. السيوطي: طبقات الحفاظ، المصدر السابق، ص 309_ 310. كذلك ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج2، ص 403.

(**) هو محمد بن عثمان بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان أبو جعفر مولى بني عبس، من أهل الكوفة، سكن بغداد جمادى الأولى سنة 273هـ، حدث بها عن أبيه وعميه أبي بكر والقاسم، وغيرهم، كان كثير الحديث، ثقة، واسع الرواية، ذا معرفة وعلم وفهم، له التاريخ الكبير، مات في 18 ربيع الأول 297هـ في بغداد. الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج3، ص 253_ 257. كذلك ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج2، ص 403_ 404. واليافعي: المصدر السابق، ج2، ص 172.

(***) هو أبو محمد الأزدي يوسف بن يعقوب القاضي، ولي قضاء البصرة وواسط، ثم قضاء الجانب الشرقي، ولد سنة 208هـ، صنف" السنن" وكان حافظاً ثقة. توفي سنة 297هـ. ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج2، ص 404.

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 329_ 330.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 329_ 330. كذلك المقري: المصدر السابق، مج2، ص 272

وأبي القاسم بن بنت منيع كثيراً، ويحيى بن محمد بن سماعة، وأبي طلحة القزاري، وغيرهم من البغداديين، و في مصر تعلما على يد ابن زيان وغيره.

كان أبو عبدالله شيخاً عاقلاً حليماً وسيماً، كما كان تاجراً، وعندما عاد للأندلس، استقدمه المستنصر بالله، وكتب عنه[1].

84/ محمد بن معاوية بن الأحمر:

هو محمد بن معاوية بن عبد الرحمن بن معاوية بن إسحاق بن عبد الله بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو بكر يعرف بابن الأحمر، من أهل قرطبة، توفي لثلاث بقين من شهر رجب سنة 358هـ/968م، أوفي رجب سنة 356هـ/966م.

بدأ ابن الأحمر تعليمه بعلوم الفقه والحديث والتاريخ والنحو في الأندلس على يد عبيدالله بن يحيى، وسعيد بن خمير، وأصبغ بن مالك، ومحمد بن عمر بن لبابة، فنبغ فيها، وأصبح من علماء قرطبة الكبار.

كان هذا العالم ميسور الحال وصاحب مال كثير بسبب التجارة، فدفعه هذا إلى خوض غمار الرحلة العلمية دون عناء، فرحل إلى المشرق العربي الإسلامي سنة 295هـ/907م، طلباً للعلم والتجارة معاً ، يحمل معه من المال ما قدره 30 ألف دينار غير أن السفينة غرقت بهم، فغرق ماله معها .

نجى ابن الأحمر من الغرق، و دخل مصر والعراق والهند، والتقى العديد من العلماء، فأخذ عنهم، حيث أخذ بمصر عن أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي،(مصنفه في السنن) وهو أول من أدخله الأندلس وحدث به، كما أخذ عن إسحاق بن إبراهيم المنجنيقي، وإبراهيم بن موسى بن جميل، وأبي بشر الدولابي، ويموت بن المزرّع العبدي، صاحب الأخبار، وعلي بن سليمان الأخفش، صاحب النحو، وأخذ بمكة عن محمد بن المنذر الخزاعي، والجارودي، ودخل بغداد، وأخذ بها عن أبي بكر جعفر بن محمد بن المستفاض، وأبي القاسم عبدالله بن محمد بن

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص339.

عبدالعزيز البغوي ابن بنت منيع البغوي، وابن الأنبا ري، ونفطويه، وأخذ بالكوفة عن إبراهيم بن شريك، وبالبصرة عن أبي خليفة الفضل بن الحباب الجمحي، وزكريا بن يحيى الساجي، وأبي همام البكرواني، وبالأُبلة عن أبي يعلي محمد بن زهير القاضي، وأبي يعلي حمزة بن داود الثقفي، ومن ولد الحجاج بن يوسف، وجماعة كثيرة من البغداديين، والمصريين، وغيرهم كمحمد بن سليمان المروزي، وإسحاق بن أبي الدنيا، والفرياني، كما دخل أرض الهند طالباً وتاجراً، أو كما قيل إن سبب خروجه للهند هو معالجة ما أصيب به من مرض جلدي في أنفه وبعض جسده، ولم يجد له دواء بمصر والعراق فنُصح بالرحيل إلى الهند؛ لأن دوائه لا يوجد إلاّ بها، فخرج إليها، وحصل له الشفاء هناك على يد أحد أطبائها.

قدم ابن الأحمر إلى الأندلس عائداً من رحلته سنة 325هـ/936م، فبدأ الناس بالقراءة على يديه منذ سنة 336هـ/938م، فكان أبو عمر أحمد بن محمد بن أحمد بن الجسور، والقاضي أبو الوليد يونس بن عبدالله بن مغيث، وأبو محمد عبدالله بن الربيع بن عبدالله التميمي، ويوسف بن محمد بن يوسف بن عمروس الأستجي، وأبو الأصبغ عبدالعزيز بن بُخت من تلاميذه [1].

85/ محمد بن مفرج بن عبدالله بن مفرج المعافري:

هو أبو عبدالله محمد المعافري القرطبي المعروف بالفني، والمتوفى ليلة السبت 6 رمضان سنة 371هـ/891م.

أخذ العلم بقرطبة على يد قاسم بن أصبغ، وغيره، ثم استكمل تعليمه برحلته إلى المشرق العربي الإسلامي، تلك الرحلة التي دخل فيها مكة ومصر، وسمع فيها من ابن الأعرابي بمكة، ومن عبدالملك بن محمد بن بحر بن شاذان الجلاّب بمصر، كما لقي بمصر أيضاً أبا جعفر أحمد بن محمد بن النحاس، حيث

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 347ـ 348. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص88ـ90. وابن فرحون: المصدر السابق، ص404. ورضا هادي عباس: الأندلس محاضرات في التاريخ والحضارة، منشورات إلجا، فاليتا، مالطا، 1998م، ص 126ـ127.

أخذ عنه روايته لتأليفه (إعراب القرآن)، و (المعاني)، و(الناسخ والمنسوخ)، وغير ذلك من الكتب الأخرى، ويُعد أول من أدخل هذه الكتب إلى الأندلس، رواية.

كان أبو عبدالله ممن يعتقدون مذهب ابن مسرة ويدعون إليه، لهذا لم يكن ممن يعول عليهم في الفقه والعلم، ورغم أنه كان يحدث، ويُسمع منه؛ إلاّ أن الناس تركوا التعلم على يديه والسماع منه بعد علمهم بمذهبه [1].

86/ محمد بن موسى بن هاشم بن يزيد:

القرطبي المعروف بالأقشين [2]، مولى الأمير المنذر بن محمد بن عبدالرحمن ، والمكنى أبا عبدالله، توفي في رجب سنة 307هـ/919م [3]، أو كما قيل: في رجب سنة 309هـ/921م .

كان أبو عبدالله أديباً وإخبارياً، كما كان نحوياً، وقرر الرحلة إلى المشرق الإسلامي لإكمال تعليمه به، حيث كانت رحلته إلى سوريا ومصر، وقد لقي بالشام في مدينة قيسارية عمرو بن ثور، صاحب الفرياني، فسمع منه (مسند الفرياني)، كما دخل مصر ولقي بها أبا جعفر الدينوري، وأخذ عنه كتاب (سيبويه) رواية، كما أخذ بها كتب ابن قتيبة من الأندلسي إبراهيم بن موسى بن جميل [4].

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 359ــ 360.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 316. وجاء في كتاب الضبي: المصدر السابق، ص 127 إنه: محمد بن موسى بن هشام النحوي المعروف بالأقشين. و في كتاب الحميدي: المصدر السابق، ص 88، جاء اسمه على هذه الهيئة إنه: محمد بن موسى بن هاشم النحوي المعروف بالأفشين. أما في كتاب ك. بويكا: المرجع السابق، ص 74 المترجم إلى العربية فقد ورد اسمه بلقب أوغستين، وإنه مولى للمنذر بن محمد، وهذا الاسم المزدوج الإسلامي والمسيحي يدل على أنه من المولدين كما جاء في ابن الفرضي .

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 316.

(4) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص316. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 88,. والضبي: المصدر السابق، ص 127. والقفطي: أنباه الرواة، المصدر السابق، ج3، ص 216. والسيوطي: بغية الوعاة، المصدر السابق، ج1 ص 252.

ويُعد هذا العالم أحد مشاهير العلماء الذين اهتموا بالأخبار والأدب كمعاصره فرج بن سلاّم [1]، فكانت له كتب مؤلفة منها: كتاب (طبقات الكُتّاب بالأندلس)، وكتاب (شواهد الحكم) [2].

87/ محمد بن هشام بن جهور:

هو أبو الوكيل المرشاني، سكن قرطبة، توفي بها يوم السبت لثمان بقين من شهر ربيع الأول سنة 371هـ/891م.

تعلم الفقه والأدب بقرطبة على يدي أحمد بن سعيد، ثم رحل بعد الخمسين إلى المشرق العربي الإسلامي، فدخل مكة، وأخذ بها عن الفقيه محمد بن الحسين الأجري، وأبي العباس أحمد بن إبراهيم الكندي، وغيرهما.

أدخل الشيخ والأديب أبو الوكيل الأندلس بعض كتب الآجري، فقُرِأت عليه من قبَلِ بعض أهل الأندلس، كابن الفرضي الذي تتلمذ على يديه بها وحصل منه على إجازة روايتها [3].

88/ محمد بن يحيى بن زكرياء بن يحيى التميمي:

ولد الفقيه القرطبي القاضي أبو عبدالله محمد بن برطال، في يوم 10 رجب سنة 269هـ/882م، وكان معاصراً لفترة حكم الخليفة الناصر والحكم المستنصر بالله و هشام المؤيد والمنصور محمد بن أبي عامر، وتقلد العديد من المناصب الإدارية، كقضاء رية في عهد الخليفة الناصر، و قضاء جيان وصلاتها وأحكام الشرطة بها في عهد حفيده هشام المؤيد، وبقي على ذلك إلى أن توفي محمد بن يبقى بن زرب سنة381هـ/991م[4]، فولاه المنصور بن أبي عامر قضاء الجماعة والصلاة بقرطبة وذلك يوم الإثنين 13 رمضان من نفس السنة، فاستخلف على الصلاة إبراهيم بن محمد الشرقي، ولم يزل يلي أحكام القضاء إلى أن كبر

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق ، ص 276.

(2) المصدر نفسه ، ص 316.

(3) المصدر نفسه، ص 359.

(4) النُباهي: المصدر السابق، ص 79.

واعتلت صحته، فصرف عن خطـة القضـاء يـوم الثلاثـاء 6 محـرم سـنة 392هـ/1001م، وولي الوزارة، وكانت مدته في خطة القضاء 10 أعوام و3 اشهر و23 يوماً [1].

أخذ علمه في بداية حياته بقرطبة على يد العالم القرطبي أحمد بن خالـد يسيراً، وقاسم بن أصبغ كثيراً، ومحمد بن عيسى بن رفاعة، وأحمد بن دحيم بـن خليل، وغيرهم، ثم رحل إلى المشرق سنة341هـ/952م، فحج عدة مرات، ودخـل مكة، ومصر، والشام، وقد أخذ بمكة على يد أبي إسحاق بن فراس، وغيره، وأخذ بالقُلزم على يد عبدالله محمد بن يوسف، و بمصر على يد أحمد بن جامع السكري، وبكر بن العلاء القشيري، وحمزة بن محمد بن علي الكناني، وعبدالله بن جعفر بن الورد، وأبي أحمد المفسر، وأحمد بن الضحاك الهلالي، وأبي حفص عمـر بـن أحمد العطَّار، المعروف بابن الحداد، وأبي بكر محمد بن عبدالله بن محمـد بـن هاشم الصائغ، وأبي الطيب القاسم بن عبدالله بن محمد الرُّوذباري، وبكيـر بـن الحدَّاد، وأبي عمر عثمان بن محمد السمرقندي، وأبي علي بن السكن، وأبي بكـر ابن خروف، ومحمد بن محمد الخياش، وعلي بـن حمـدان النمـري القاضـي، وإسماعيل بن يعقوب بن حراب، وابن أبي الموت، وأبي بكر المفيـد البغـدادي، وأبي العباس أحمد بن الحسن الرازي، والحسن بن رشيق، ومحمـد بـن جعفـر غُنْدر، وعبدالكريم بن أحمد بن شعيب النسائي، كتب عنه كتاب "المجتبى"، وفـي الشام أخذ على يد عدد من علمائها، و ببيت المقدس على يد أبي القاسم إبراهيم بن أحمد بن عبدالله الخلنجي، و بالرملة على يد أبي محمد بن محمد بـن محفـوظ، المعروف بابن إسماعيل السُني، وبعد أن طاف تلك البلاد طالباً انصرف عائداً إلى الأندلس، وبدأ في تعليم بعض طلبتها، فعَلَتْ شهرته، حتى نال أعلـى المناصـب الإدارية في الدولة .

أدخل الفقيه ابن برطال كتاب (صحيح البخاري)، عن أبي علـي بـن السكن، وأخذ يحدث به، في مجلسه العلمي، فكان ابن الفرضي من ضمن تلاميذه،

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص378ـ 379.

الذين قرأوا على يديه ذلك الكتاب، كما حصل منه على إجازة روايته، ولم يــزل منذ صُرِفَ عن القضاء ملازماً لبيته، ضعيف الحركة، إلى أن مات في ليلة الأحد 22 جمادى الآخرة سنة 394هـ/1003م، وكان يوم توفي ابن 96 سنة [1].

89/ محمد بن يحيى بن عبدالسلام الأزدي النحوي:

هو الفقيه النحوي القرطبي أبوعبدالله الرباحي، أو القُلفاط أيضاً، وأصله من جيَّان، وكان يزعم أنه من ولد يزيد بن المهلب، توفي في رمضان ســنة 358هـ/ 968م، أو سنة 353هـ/964م [2] .

تتلمذ في بداية حياته بقرطبة على يد قاسم بن أصبغ ، وغيره، فنبغ فــي علم النحو والعربية والفقه والشعر، ثم استكمل تعليمــه فــي المشــرق العربــي الإسلامي، فتعلم الفقه على يد ابن الأعرابي بمكة ، والنحو بمصر على يــد أبــي جعفر أحمد بن محمد النحاس الذي أخذ عنه كتاب سيبويه، وغيره.

وعندما عاد إلى الأندلس دخل قرطبة واشتغل بها في التــدريس، فكــان يؤدب أولاد الملوك، وأستأدبه أمير المؤمنين الناصر لابنه المغيرة، كما اشتغل في مقابلة الكتب في مكتبة القصر عند المستنصر بالله، فتوسع له المستنصر بالله فــي الأجر على ذلك[3].

90/ أبو القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي:

هو عالم الرياضيات والفلك، والمؤلف الكبير، القرطبي، كان فــي زمــن الحكم إمام الرياضيين بالأندلس في وقته، وأعلم من كان قبله في علــم الأفــلاك وحركات النجوم، وكانت له عناية برصد الكواكب.

شغف هذا العالم منذ بداية تعليمه بــتفهم كتــاب بطليمــوس المعــروف بالمجسطي، ففهمه، وألَّف كتاباً حسناً في علم الرياضيات فــي تمــام علــم العــد المعروف عند أهل الأندلس بــ (المعاملات) ، وكتاب في علم الفلك اختصر فيــه

---

(1) ابن الفرضي: المصر السابق، ص378ــ 379.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 348ــ 349. كذلك السيوطي: بغية الوعاة، المصدر السابق، ج1، ص 262.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 348ــ 349. كذلك السيوطي: بغية الوعاة، المصدر السابق، ج1، ص 262.

تعديل الكواكب من زيج البتّاني، وعنى بزيج محمد بن موسى الخوارزمي، وصرف تاريخه الفارسي إلى التاريخ العربي، ووضع أوساط الكواكب فيه لأول تاريخ الهجرة وزاد فيه جداول حسنة، اتبع فيه خطى الخوارزمي في تأليفه، ولم ينبه على مواضع الغلط منه، وقد نبه على ذلك في كتابه المؤلف في إصلاح حركات الكواكب، والتعريف بخطأ الراصدين، كما أنجب العديد من التلاميذ لم يُنْجِب عالم بالأندلس مثلهم، من أشهرهم ابن السمح وابن الصفار والزهراوي، والكرماني، وابن خلدون، وقد توفى أبو القاسم قبل مبعث الفتنة في سنة 398هـ/1007م [1].

91/ مُطرّف بن عيسى بن لبيب بن محمد بن مطرف الغساني الإلبيري :

يكنى أبا القاسم، وأبا عبدالرحمن، ولد في إلبيرة، وعاش في غرناطة، وتوفي في قرطبة سنة 356هـ/966م، أو سنة 357هـ/967م، ودفن بغرناطة.

درس أبو القاسم الفقه والأخبار وعلم الإعراب والغريب، والشعر، فأخذ الفقه في إلبيرة على يد محمد بن فطيس، وفي بيشين على يد فضل بن سلمة، ومحمد بن أبي خالد، وأحمد بن عمريل، وغيرهم، أما في قرطبة، فقد درس على يد محمد بن عمر بن لبابة، وأحمد بن خالد، وعينه الحكم الثاني قاضياً في إلبيرة، فبقي بهذا المنصب فترة من الزمن، بالإضافة إلى شهرته في رواية أشعار القدماء، وحفظ القصص التاريخية.

ثم رحل وحج، واقتبس من المشرق العربي، وجلب معه علماً كثيراً، ساهم به في رعاية الحياة الثقافية لمدينة إلبيرة إضافة إلى مساهماته القيمة من خلال مؤلفاته التي ألفها، ككتابه في (فن التراجم)الذي خصصه لفقهاء إلبيرة، وآخر لشعرائها، كما تتبع أنساب العرب المحليين منذ حلولهم في هذه المنطقة وكتابه هو: (كتاب في أنساب العرب النازلين بإلبيرة وأخبارهم)، كما ألّف للخليفة الحكم بن

---

(1) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ج3، ص 62. كذلك القفطي: أخبار العلماء بأخبار الحكماء، المصدر السابق، ص214.

عبدالرحمن الناصر كتاباً سماه (المعارف في أخبار كورة إلبيرة وأهلها وبوائرها، وأقاليمها وغير ذلك من منافعها) [1]، وهو كتاب حسن ممتع جداً [2] .

92/ منذر بن سعيد البلوطي:

هو أبو الحكم منذر بن سعيد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن قاسم بن عبدالله البلوطي ثم الكزني، من أهالي قرطبة، يسكن موضع يقال فحص البلوط [3]، لهذا لقب بالبلوطي، وأصله من بلاد المغرب من قبيلة بن هذيل من مديونة[4] من فخذ يقال لهم كزنة، ولد سنة 273هـ/886م، في أيام حكم الأمير المنذر بـــن محمـــد، وتوفي في 28 ذي القعدة سنة 355هـ/965م، عن عمر يناهز 82 سنة [5] .

تعلم في بداية حياته العلمية بقرطبة على يد عبيدالله بن يحيى ونظرائـــه، فبرع في النحو واللغة والشعر والفقه والجدل والخطابة والبلاغة، وكان من أكابر القضاة الذين تولوا القضاء بالأندلس، حيث ظل قاضياً حوالي 16 سنة كاملة تولى فيها قضاء مدينة ماردة، وما والاها من مدن الجوف الأندلسي، وقضـــاء الثغـــور الشرقية، وقضاء غرناطة، وقضاء الجماعة بقرطبة بعد محمد بن عيسى في يوم 5 ربيع الآخر سنة 339هـ/950م، في عهد الخليفة الناصر لدين الله، كما ولاه أميـــر الأندلس الحكم المستنصر بالله بن عبدالرحمن الناصر الصلاة والخطابـــة بمدينـــة الزهراء، ولم يزل البلوطي قاضياً إلى أن وافاه الأجل [6] .

وعلى الرغم من أن البلوطي كان مذهبه في الفقه هو مذهب أبي ســـليمان داود بن علي الأصبهاني المعروف بالمذهب الظاهري؛ إلاَّ أنه كان يحرص كـــل

---

(1) إسماعيل باشا: هدية العارفين، المرجع السابق، ج6، ص 462.

(2)ابن بشكوال: المصدر السابق، ق2، ص 622. كذلك السيوطي: بغية الوعاة، المصدر السابق، ج2، ص 289.

(3) فحص البلوط: موضع بنواحي قرطبة. الحميري: المصدر السابق، ص 141.

(4) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، (تح) لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م، ص 500.

(5) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 404ـ 405.

(6) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 405. كذلك المقري: المصدر السابق، مج2، ص233.

الحرص على أن تكون أحكامه في القضاء على مذهب الإمام مالك بن أنس السائد في الأندلس آنذاك [1] .

رحل البلوطي سنة 308هـ/920م إلى المشرق الإسلامي، لاستكمال تعليمه في رحلة استمرت 40 شهراً ، فحج، ولقي عدداً كبيراً من علماء مكـــة ومصــــر ، حيث أخذ بمكة عن محمد بن المنذر النيسابوري كتابه المؤلف في اختلاف العلماء المسمى بكتاب(الإشراف) ، كما أخذ بمصر عن أبي العباس بـــن ولاّد[*] كتـــاب (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي الذي كان يرويه عن ابن النحاس، كما أخذ عن ابن النحاس أيضاً [2] .

وكان عالماً بالقرآن، حافظاً لما قالت العلماء في تفسيره، وأحكامه، ووجـــوه حلاله وحرامه، كثير التلاوة له، حاضر الشاهد لأياته، وقد ســـاهم هـــذا العـــالم مساهمة كبيرة في ثقافة البلاد من خلال ما جلبه معه من معارف المشـــرق عنـــد عودته، فقد أدخل إلى الأندلس كتاب العين، رواية ابن النحاس، وكتاب الإشراف، رواية عن مؤلفه محمد بن المنذر، ومن خلال ما ألفه من مؤلفات بلغت الشـــهرة العظيمة منها كتاب"أحكام القرآن" وكتاب(الناسخ والمنسوخ) إلى سائر تآليفه فـــي الفقه، والرد على أهل المذهب، ككتابه (الإنباه على استنباط الأحكام مـــن كتـــاب الله)، وكتاب (الإبانة عن حقائق أصول الديانة) [1]، وغيرها من الرسائل البليغـــة والأشعار المطبوعة.

---

(1) المقري: المصدر السابق، مج2، ص 232.

(*) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن الوليد التميمي، كان بصيراً بالنحو أستاذاً فيه، رحل إلى بغداد وتتلمذ على يد إسحاق الزجاج وغيره، صنف المقصور والممدود، وكتاب انتصار سيبويه على المبرد، توفي سنة 332هـ/943م. السيوطي: بغية الوعاة، المصدر السابق، ج1، ص386.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 404. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 349. والضبي: المصدر السابق، ص466. وياقوت الحموي: معجم الأدباء، المصدر السابق، ج1، ص 620. والسيوطي: بغية الوعاة، المصدر السابق، ج2، ص 301. والمقري: المصدر السابق، مج2، ص 232.

(1) إسماعيل باشا: هدية العارفين، المرجع السابق، ج6، ص 472.

93/ الوليد بن بكر بن مخلد بن أبي زياد:

هو إمام الفقه والحديث، وعالم العربية، والأديب والشاعر أبو العباس الغمري(*) السرقسطي الأصل، المتوفى في الدينور(**) في شهر رجب سنة 392هـ/1001م [1] .

كانت لهذا العالم رحلة علمية إلى المشرق العربي الإسلامي، طاف بها بلاد المغرب العربي والمشرق، فدخل إفريقية، وسمع بطرابلس الغرب، كما دخل مصر والشام والعراق، وخرسان وبلاد ما وراء النهر، ولقي العديد من العلماء الكبار وأخذ عنهم، ففي طرابلس الغرب لقي أبا الحسن علي بن أحمد بن زكريا بن الخصيب المعروف بابن زكرون الهاشمي الطرابلسي، أما مصر فقد كان أستاذه بها هو الحسن بن رشيق، وطبقته، وفي هُراة أخذ عن أبي علي منصور بن عبدالله الخالدي، وساهم هذا العالم من خلال علمه في الحياة الثقافية بالأندلس بمؤلفه الحسن في الإجازة وهو كتاب(الوجازة في صحة القول بالإجازة)، الذي ألّفه بعد لقاء كبير للعديد من العلماء الذين زادوا عن الألف شيخ بين محدث وفقيه [2] .

وبعد أن طاف تلك البلدان طلباً للعلم، وحصل له مراده، رجع إلى بغداد، وأخذ يتحلق ليسمع منه الناس حديثه، فصار له تلاميذ منهم: عبد الغني بن سعيد البصري الحافظ، وأبو ذر عبدالله بن أحمد الهروي، وأبو عمر عبدالواحد بن أحمد ابن أبي القاسم اللخمي الهروي المليحي، وأبو الحسن أحمد بن محمد بن أحمد

(*) وقيل هو الغُمْرِيُّ ، وإنه تسمى بها عندما كان في إفريقية إتقاء للرافضة، و سوف يستبدل الغين بضمة عندما يرجع لبلاده الأندلس. السيوطي، طبقات الحفاظ، المصدر السابق، ص 437. كذلك ابن بشكوال: المصدر السابق، ق2، ص 642ـ 643.

(**) هي مدينة تقع بالقرب من همذان، بينها وبين همذان نيف وعشرون فرسخاً. ياقوت الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ج2، ص 616.

(1) الحميدي: المصدر السابق، ص361. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص480ـ481. والمقري: المصدر السابق، مج3، ص 140.

(2) الحميدي: المصدر السابق، ص 361. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص 480. والمقري: المصدر السابق، مج3 ص 140.

العتيقي، والقاضي أبو القاسم علي بن الحسن بن علي التنوخي، وحمزة بن محمد ابن طاهر، ومحمد بن عبدالواحد الأكبر، وغيرهم [1].

94/ يحيى بن إسحاق:

هو الشيخ المفسر وعالم اللغة العربية القرطبي أبو إسماعيل يحيى بن إسحاق ابن يحيى بن يحيى بن كثير الليثي بن أحمد بن يحيى، المعروف بالرقيعة، المتوفى في وباء سنة 303هـ/915م [2].

تعلم في أول أمره العلم بقرطبة على يد أبيه، وكان أكبر سناً من أخيه عبيدالله، ثم رحل في طلب العلم إلى المشرق العربي الإسلامي، ودخل إفريقية، ومصر والعراق، وكان سماعه بإفريقية من يحيى بن عمر، وابن طالب، وبمصر من محمد بن أصبغ بن الفرج، وبالعراق من إسماعيل القاضي، وأحمد ابن زهير وغيرهما [3] .

وعندما عاد إلى بلاده عُيِّنَ مشاوراً للقضاة في الأحكام، كما تصرف في علم اللغة العربية والتفسير، وقام بتأليف بعض الكتب في اختلاف أصحاب مالك وأقواله، وهي الكتب التي اختصرها فيما بعد محمد وعبدالله ابني أبان بن عيسى، ثم اختصر ذلك الاختصار أبو الوليد بن رشد [4] .

95/ يحيى بن زكريا بن كليب :

هو الفقيه الحافظ أبو زكريا يحيى بن زكريا بن سليمان بن فطر بن سفيان بن حجاج بن كليب القرطبي، المتوفي في 19 جمادى الأخرى سنة 315هـ/927م، وتعلم في صباه بقرطبة على يد محمد بن وضاح والمغامي يوسف بن يحيى

---

(1) الحميدي: المصدر السابق، ص 361. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص 480. والمقري: المصدر السابق، مج3 ص 140. وابن بشكوال: المصدر السابق، ق2، ص 642ــ 643.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 437. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 373ــ 374. والضبي: المصدر السابق، ص 498. وابن فرحون: المصدر السابق، ص 434.

(3) ابن فرحون: المصدر السابق، ص 434.

(4) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 437. كذلك ابن فرحون: المصدر السابق، ص 434.

وكتب عنهما كُتُبَ عبدالملك بن حبيب، كما روى عن أبي زيد الجزيـــري كتـــاب التفسير المنسوب إلى عبدالله بن عباس .

رحل إلى المشرق العربي الإسلامي، وسمع به من عدة علماء، منهم: علي ابن عبدالعزيز البغدادي، وأبا مسلم الكجي، وغيرهما، وأصـــبح بفضـــل أولئـــك الشيوخ من فقهاء قرطبة في المسائل وحفظ الرأي، فعمل بمجلس الشـــورى مـــع محمد بن عمر بن لبابة، ونظرائه، إضافة إلى عمله في تدريس الناس الفقـــه فـــي المسائل والرأي، فكان الناس يجتمعون إليه للسماع منه، وللمناظرة عنـــده، فكـــان معظّماً في الخاصة والعامة[1].

96/ يحيى بن مالك بن عائذ:

ولد الحافظ والعالم الجليل أبو زكريا يحيى بن مالك بن عائذ بن كيسان بن معن بن عبدالرحمن بن صالح الطرطوشي سنة 300هـ/912م، وتوفي فجأة وهو قائم يخطب خطبة الجمعة في شهر شعبان سنة 376هـ/986م [2].

أخذ العلم وهو صبي بطرطوشة، وعندما بلغ العاشرة من عمره رحل إلى قرطبة سنة 310هـ/922م لطلب العلم، وكان طلبه بطرطوشة على يدي أحمد بـــن سعيد بن ميسرة ، وبوشقة من عبدالله بن محمد السندي، وفي قرطبة على يد أحمد ابن خالد، ومحمد بن عبدالملك بن أيمن، وعثمان بن عبدالرحمن، وعبـــدالله بـــن يونس المرادي صاحب بقي بن مخلد، وأبو عمر أحمد بن محمد بن عبـــد ربـــه، ومحمد بن قاسم، وأحمد بن زياد، والحسن بن سعد، وقاسم بن أصبغ، ومحمد بـــن يحيى، وعبيدالله بن إدريس، وجماعة سواهم[3].

وفي سنة 347هـ/958م رحل إلى المشرق العربي الإسلامي، رحلة طاف فيها بين البلدان حوالي 22 سنة، دخل فيها مكة، ولقي بها العديد من العلماء، ثـــم

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 439.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 433ـــ 444. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 379ـــ 380. والضبي: المصدر السابق، ص 507ـــ 508. أما ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج3، ص214. فيذكر إنه توفي في شهر شعبان سنة 378هـ .

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 443.

قام بأداء فريضة الحج سنة 348هـ/959م، ثم دخل مصر، فكان سماعه بها من ابن أبي الورد البغدادي، وأحمد بن الحسن الرازي، وأبي قتيبة عبدالواحد بن أحمد بن عبدالله بن مسلم بن الفضل البغدادي، ومحمد بن جعفر بن أبي درّان غُندر الحافظ، وسعيد بن السكن، وبكير بن الحسن الرازي، وأبي بكر بن أبي المـــوت[1]، أمّـــا العراق فقد جاب معظم مدنها، فدخل بغداد، والبصرة والأهواز، وأخذ يسمع مـــن العلماء حتى بلغ رجال سماعه فيها وحدها سبعمائة رجل ونيّف[2].

بذلك استطاع هذا العالم أن يجمع علماً عظيماً لم يجمعه أحـــد قبلـــه مـــن أصحاب الرحلة في المشرق، فكتب عن طبقات المحدثين، كما كتب النـــاس عنـــه كثيراً بالمشرق العربي ، فتتلمذ على يديه من مصر أبو محمد الحسن بن رشـــيق، ويحيى بن علي الحضرمي، ومن بغداد القاضي أبو الحسن محمد بن أحمـــد بـــن القاسم المحاملي [3].

وفي شهر رجب سنة 369هـ/979م قدم عائداً إلى الأندلس، ودخل قرطبة وتولى بها إماماً لصلاة الجمعة بمسجدها الجامع، الذي كان يعقد فيه حلقته العلمية التي يملي بها على طلابه، وسامعيه. وكان يرتاد حلقته معظم الأندلسيين من عامة وطلاب علم وأبناء ملوك وشيوخ وغيرهم [4] .

ساهم هذا العالم مساهمة بالغة الأهمية في الحياة العلمية بالأنـــدلس مـــن خلال كتبه التي أدخلها الأندلس، والتي كان يُمْليها على طلابه، حيث كان يـــروي بها أخباراً لم يروها أحد قبله عن الأندلسيين، وقد ذكر ابن الفرضي قـــولاً لابـــن عائذ سمعه في أيام طلبه للعلم منه وهو: ((لو عُدّت أيام مشيي في المشرق، وعُدّت كتبي التي كتبت هنالك بخطي لكانت كتبي أكثر من أيامي بها))[1] .

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 433ــ 444. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 379ــ 380. والضبي: المصدر السابق، ص 507ــ 508

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 443.

(3) الحميدي: المصدر السابق، ص 380. والضبي: المصدر السابق، ص 508.

(4) ابن الفرضي :المصدر السابق، ص 443. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 380. والضبي: المصدر السابق، ص 508.

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 444.

97/ يحي بن محمد التميمي:

هو الحافظ الكبير أبو زكريا يحيى بن محمد بن وهب بن مسرة بن حكم ابن مفرج التميمي، أحد أعيان مدينة الفرج، المولود في سنة 334هـ/945م، والمتوفي في يوم الجمعة عقب شهر ذي القعدة سنة 394هـ/1003م [1] .

أخذ العلم في بلاده على يد جده وهب بن مسرة، وغيره، ثم رحل لاستكمال تعليمه بالمشرق العربي الإسلامي، فلقي الشيوخ، وأخذ عنهم، ففي مصر تعلم على يد أبي بكر الطرطوسي، والحسن بن رشيق، وأبي الطيب الحريري، وأبي بكر بن إسماعيل، وعبدالغني بن سعيد الحافظ وغيرهم.

وعندما رجع إلى بلاده ساهم هذا العالم بقسط كبير في تطور وازدهار الحياة الثقافية بالأندلس من خلال رواياته لتلاميذه، وتأليفه لمختصره كتاب الأسماء والكُنى للنسائي، ذلك الاختصار الحسن والمفيد [2].

98/ يحيى بن محمد بن يوسف الأشعري:

هو الحافظ والفقيه العالم بالوثائق أبو زكريا بن الجياني، أحد فقهاء وأعيان قرطبة، والمتوفى في 22 صفر سنة 390هـ/999م.

تعلم هذا العالم في شبابه بمدينته قرطبة على يد مسلمة بن القاسم، ومحمد ابن معاوية القرشي، ومحمد بن أحمد الخراز، ونظرائهم، ثم أراد أن يستكمل تعليمه، فرحل إلى المشرق العربي الإسلامي، ودخل الحجاز ومصر، وقرأ على العديد من العلماء هناك، فكان من شيوخه بمكة أبوعبدالله البلخي، الذي سمع منه (كتاب الضعفاء والمتروكين) لأبي جعفر العقيلي، وأبو يعقوب الشيباني، وفي مصر سمع (كتاب مسلم بن الحجاج) المسند من أبي العلاء بن ماهان، وعندما عاد إلى بلاده شارك علماء الأندلس في إسهاماتهم لازدهار الحياة الثقافية بالأندلس

---

(1) ابن بشكوال: المصدر السابق، ق2، ص 660.

(2) المصدر نفسه، ق2، ص 660ــ 661.

من خلال فقهه، وعقده للوثائق، وإدخاله للكتب التي قرأها على علمــاء المشــرق كالكتابين المذكورين [1].

99/ يحيى بن يحيى:

هو الطبيب القرطبي أبو بكر يحيى بن يحيى بن السمينة، المتــوفي ســنة 315هـ/927م [2] .

كان ابن السمينة معتزلي المذهب، وكان له دراية كبيــرة بعلــم الكــلام، والجدل، فقيهاً وأديباً، بارعاً في علم النحو واللغة والعــروض ومعــاني الشــعر، والحديث والأخبار، بصيراً بالحساب والنجوم والطب [3] .

رحل إلى المشرق العربي الإسلامي، فمال إلى كتب الحجــة، ومــذاهب المتكلمين، وانصرف إلى الأندلس، فأصابه النقرس، فكان ملازماً لــداره ، فكــان يقصده الناس في بيته لسماع كتاب التفسير المنسوب إلى الحسن البصري[*]، والذي أدخله للأندلس بعد أن أخذه على يد خليل بن عبدالملك المعروف بخليل الفضلة[4]، ثم بدأ يرويه عندما حلّ ببلاده[5].

100/ يوسف بن محمد بن سليمان الهمذاني:

ولد أبو عمر يوسف الشذوني سنة 304هـ/916م، وتوفي بالمشــرق ســنة 383هـ/993م، وكان بِدْءُ تعلمه بمدينة شذونة على يد معلمه أبي رُزين، كما سمع بقرطبة من محمد بن عبدالملك بن أيمن، وقاسم بن أصبغ، والحســن بــن ســعد، وعبدالله بن يونس، ومحمد بن عبدالسلام الخُشني، وأبي عمر بن الشامة ، ومحمد

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 445.

(2) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ج3، ص 62.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 438. كذلك السيوطي: بغية الوعاة، المصدر السابق، ج2، 345. وابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ج3، ص62.

(*) هو أبوسعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب، وكان شيخ البصرة، مات في رجب سنة 110هـ . السيوطي: طبقات الحفاظ، المصدر السابق، ص 37.

(4) الذهبي: تذكرة الحفاظ، (تح) زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ج1، ص71. كذلك ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 120.

(5) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 439.

ابن عمر بن لبابة، ثم كانت له رحلة علمية إلى المشرق العربي الإسلامي، أقام فيها عشرة أعوام، سمع خلالها في مصر من عبدالله بن جعفر بن الورد، ومحمد ابن محمد الخياش، وأبي عمرو عثمان بن محمد السمرقندي، وحمزة بن محمد بن علي الكناني، وأحمد بن سليمان الضحاك، وأبي يعلي الصيداوي، والحسن بن رشيق، وأبي الطيب الجزري، وبكير بن الحسن، وابن أبي الموت، وأبي علي سعيد بن السكن، وابن المفسر، وأبي الحسن النمري، وعني بكتب محمد بن جرير الطبري، ككتاب (تفسير القرآن) ، و(تاريخ الأمم والملوك)، والذيل وهو كتاب (العذماء)، و(المحاضرات والمسجلات)، و(بعض تهذيب الآثار)، وكتاب (اختلاف الفقهاء)، سمع من أبي الحسن الفرغاني، وكتب بخطه كتاب الشافعي الكبير، 120 جزء، سمعه من أبي الحسن النمري، عن محمد بن رمضان، المعروف بابن الزَيات، عن الربيع بن سليمان، عن الشافعي، وصارت نسخته إلى المستنصر بالله، وسمع بجدة من الحسين بن حُميد (موطأ القعنبي)، وكتاب (الأموال) لأبي عبيد، وكتب حديثاً كثيراً مصنفاً ومنثوراً، وانصرف إلى الأندلس، فقدمه أمير المؤمنين إلى الصلاة بقلسانة[*]، وقدم أخاه إلى الصلاة بشريش[**]، وكان خطيباً، أديباً، وسيماً، رحل إليه ابن الفرضي ودرس على يديه، وقرأ عليه كثيراً، وأجاز له رواية سماعه منه، وكان ثقة خياراً [1] .

وهكذا يُلاحظ إن هؤلاء العلماء هم الذين أسسوا قواعد العلم وأثروا الحياة العلمية بالأندلس، فكانوا رسل الحضارة ودعاتها، خارج الأندلس وداخلها، وبفضل جهودهم وصلت العلوم الفقهية والعربية والرياضية والفلكية، وغيرها إلى درجة تكاد تكون فيها على حد سواء مع منابع العلم في المشرق العربي الإسلامي، حيث دخلت معظم مؤلفات العرب المسلمين في المشرق؛ سواءً في العلوم الإنسانية أو

(*) قلسانة أو قلشانة، متوسطة كور شذونة، وهي مدينة سهلية على وادي لكة، وبها كان قرار العمال والقواد على شذونة، وجامعها بناه الأمير عبدالرحمن بن محمد، فيه ست بلاطات. الحميري: المصدر السابق، ص 162ـ 163.

(**) شريش: إحدى كور شذونة، بينها وبين قلسانة 25 ميلاً، وهي تقع على مقربة من البحر. الحميري: المصدر السابق، ص 103

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 453ـ 454.

العلمية، إضافة إلى مؤلفاتهم التي بلغت الغاية في الإتقان، والتي ألفت في شتى العلوم .

كل ذلك العمل العظيم والمساهمات الكبيرة، جعلت كلّ الأنظار تتجه إلى الأندلس، لشهرة علمائها وازدهارها، فنشطت همّة المشرقيين، وأخذوا يرحلون إلى الأندلس للاستقرار أحياناً أو للعمل بالعلم فيها أحياناً أخرى، مما ساعد على نشاط الهمة لدى الكثير من الطلاب بالأندلس لخوض غمار بحر العلم والنيل منه بقسط وافر بعد أن أصبح قريباً منهم، وفي بلادهم.

كل هذه المزايا التي خلفها العلماء ورائهم خلال هذا القرن، والقرون السالفة، سما بنجم الأندلس، وصار يتلألأ في الأفق، حتى وصل إشعاعه إلى بقية القارة الأوربية التي كانت آنذاك ترزح تحت نير عبودية رجال الدين والإقطاعيين والسادة والنبلاء.

الفصل الرابع

أثر الرحلة العلمية الأندلسية إلى المشرق العربي الإسلامي على الأندلس

المبحث الأول/ الآثار الدينية:

أولاً: دخول المذاهب الفقهية:

1/ المذهب الأوزاعي.

2/المذهب المالكي.

3/ المذهب الشافعي.

4/ المذهب الظاهري.

5/دخول الثقافة الشيعية.

المبحث الثاني/ الآثار العلمية:

أولاً/ دخول المؤلفات المشرقية:

ثانياً/ نمو وتطور العلوم وازدهارها:

1/ علم الفقه.

2/ علم الحديث.

3/ علم التفسير.

4/ علم القراءات.

5/علم النحو واللغة.

6/ علم التاريخ.

7/ علم الفلك.

8/ علم الرياضيات.

9/ علم الطب والصيدلة.

ثالثاً/ دخول الورق ودوره في ازدهار الحياة العلمية بالأندلس:

كان من المعتقد عند العلماء إن اكتمال العلم لا يتم إلاّ بالرحلة إليه، كما أوضح ذلك ابن خلدون في قوله ((إن الرحلة في طلب العلم ولقاء شيوخه يساعد على زيادة اكتمال التعليم، فعلى كثرة الشيوخ وتعددهم يكون حصول ملكات التعليم ورسوخها في ذهن الطالب)) (1)، بذلك انتشرت فكرة الرحلة العلمية بين أبناء الأندلس، واعتبرت الرحلة مرحلة من مراحل التعليم العالي، وراح الطلاب يعملون على تيسير سبيلها إلى المشرق العربي الإسلامي الذي يزخر بالعلوم والمعارف المختلفة آنذاك، ولم تقف الخلافات السياسية حائلاً في انتقال العلماء وطلاب العلم بين شطري الوطن العربي الإسلامي؛ بل كانت الرحلة مفتوحة لكل من أراد خوض غمارها، وشائعة بين المشرق والمغرب، وتعد أمراً طبيعياً في ذلك العصر.

ومن خلال تتبع مسيرة هذه الرحلة العلمية التي قام بها طلاب الأندلس إلى المشرق العربي الإسلامي خلال الفصول السابقة، لاحظت أن لهذه الرحلة العلمية آثاراً كبيرة على الأندلسيين والمشرقيين على حدٍ سواء، فهي التي ساعدت على توثيق العلاقات وترسيخها بين الجانبين، وأضفت على الحياة العلمية والثقافية الأندلسية طابع النمو والازدهار، من نقلٍ لعلوم المشرق، ودفع لبعض المشارقة من الفقهاء والعلماء في مختلف العلوم إلى الرحيل إلى الأندلس، ونقلت الأندلس من بلد متخلف نسبياً ومقلد للشرق إلى منافس ومتفوق أحياناً، فصار الأندلس بعد ذلك بسنوات أسوة بالمشرق منبعاً من منابع المعارف والعلوم للغرب، ولتبيان هذا الأثر وهذا النمو والتطور كان لزاماً عليّ تتبع هذه الآثار وإبرازها لحيز الوجود، وحتى يتم ذلك، ويكون البحث منصفاً لأهل المشرق، سيكون تتبع تلك الآثار على النحو التالي:

المبحث الأول: الآثار الدينية :

أولاً/ دخول المذاهب الفقهية :

منذ القرن الثاني للهجرة/ الثامن الميلادي، شهد العالم العربي الإسلامي نمواً وتطوراً في التفكير الديني، بنشأة المذاهب الفقهية المختلفة في المشرق

---

(1) العبر وديوان المبتدا والخبر، ج1، ص 627.

العربي الإسلامي، وكان من أسباب ظهورها الخلاف الذي انتشر بين الفقهاء حين كانت حلقات العلم في المساجد تزخر بالمناقشات العلمية الفقهية للآراء المختلفة بالمشرق، هذا الفقه المستنبط من الأدلة الشرعية، كَثُرَ فيه الخلاف بين المجتهدين باختلاف مداركهم وأنظارهم، فكان المجتهدون من علماء الأمة يناقشون الأوجه المتعددة للقضية، قصدهم من ذلك الوصول إلى الحكم الشرعي الصحيح المبني على المصادر التشريعية من: كتاب الله، وسنة نبيه، وقول الصحابة، وإجماع، ورأي، وقياس، واستحسان، وغيرها، وكان الفقيه في كافة مسائل الخلاف ملتزماً بموضوعية البحث، يحاول إقناع مخالفه بما يتوفر لديه من نصوص الكتاب والسنة، والمعقول، فينقض أدلته تارة، ويصحح مذهبه تارة أخرى، ويُلزمه بمبادئه وقواعده التي يسلِّم بها، ويتنزل معه تارة في سبيل اقتناعه، كل هذا كان يتم في حوار هادئ، ومناقشة علمية رصينة.

ورغم ما تعرضت له بلاد الإسلام، من غزو وأزمات، فقد بقيت ظلال هذه المذاهب بمثابة قلاع منيعة ضدَّ تلك الأزمات، وكانت آراء أصحابها ورواياتهم ومؤلفات تلاميذهم، أركان هذه المدرسة الفقهية أو تلك.

انتشرت هذه المذاهب بين أبناء المجتمع الإسلامي، مشرقه ومغربه، وكان نصيب الأندلس منها المذهب الأوزاعي والمالكي والشافعي والظاهري وبعض الثقافات الدينية الشيعية، ورغم دخولها إلى الأندلس؛ إلاَّ أن انتشار هذه المذاهب وهذه الثقافات بقي ضئيلاً في الأندلس خلافاً للمذهب المالكي الذي ظل متصدرها في السيادة والانتشار هناك.

ولمزيد من التفصيل سوف نتعرض لدراسة كيفية وصول هذه المذاهب إلى الأندلس وانتشارها، في محاولة لتوضيح مدى أثرها في ازدهار الحياة العلمية بالأندلس.

1/ المذهب الأوزاعي:

عندما تولت الدولة الأموية زمام الأمور في الأندلس، ومنذ إمارة مؤسسها عبدالرحمن بن معاوية، نهج أهلها منهج التواصل مع المشرق العربي الإسلامي، لشعورهم بروابط العقيدة واللغة التي تربطهم بإخوانهم هناك، وقد لعبت العقيدة

دوراً كبيراً في هذا التواصل، لأنّ الدولة الأموية بالأندلس ظلــت علــى مــذهبها السني الأول وهو "مذهب الأوزاعي" الذي أدخله الشاميون[1]، بعد أن كان الفقه في الأندلس عبر السنوات الأولى يقتصر على فتاوى مبعثــرة نُســبت إلــى بعــض التابعين[2]، الذين صحبوا جيوش الفتح الإسلامي؛ للعمل على نشر الدين الإسلامي، وتعريف أهل البلاد فرائضه وتعاليمه، وقد لاقى هذا المذهب رواجاً، قبل أن ينتقل أهل الأندلس إلى المذهب المالكي.

كان القائم على نشر هذا المذهب في الأندلس الفقيه الشامي صعصعة بــن سلام الدمشقي، الذي يعتبره بعض المؤرخون أول من أدخل مذهب الأوزاعي إلى الأندلس، وظلت الفتيا دائرة عليه في عهد الأمير عبدالرحمن بن معاوية وصــدراً من أيام الأمير هشام بن عبدالرحمن[3]، كما أسهم الفقيه أســد بــن عبــدالرحمن النسائي بنصيب في نشره بين أهل الأندلس، بروايته عن الأوزاعي، وساعده على ذلك منصب قاضي إلبيرة الذي تقلده خلال خلافة الأمير عبدالرحمن بن معاويــة حتى سنة 150هـ/767م، حيث كان يفتي بفقه الأوزاعي[4]، وفي عهد الأمير هشام ابن عبدالرحمن الداخل أسهم قاضي قرطبة المصعب بن عمران الشامي الأصــل، بنشر روايات الأوزاعي في جيّان وقرطبة، قبل أن يرحل ليتفقه بفقه أهل المدينــة وهو فقه المذهب المالكي، وقد مدحه مالك بن أنس بعد ســماع روايتــه بقولــه: ((تكاد تكون روايات ابن عمران سيَراً)) [5]، وقد علَتْ مرتبة هؤلاء الرواة بــين

---

(1) القاضي عياض: المصدر السابق، ج1، ص31.

(2) حنش لقب له، واسمه حسين بن عبدالله بن عمر بن حنظلة بن فهد السباني الصنعاني، وكنيته أبو على بن رشدين، وهو تابعي من صلحاء الشام، وكان في جيش علي بن أبي طالب بالكوفة، وكان ممن ثار مع عبدالله بن الزبير على عبدالملك بن مروان، فأتي به عبدالملك في وثاق ثم عفى عنه، فصحب رويفع بن ثابت الأنصاري، في غزو المغرب، ثم اصطحبه موسى بن نصير في جيش الفتح، وقام بنشاط ملحوظ في الدعوة الإسلامية، فشرع في بناء مسجد سرقسطة، وكان ممن نصب قبلة المسجد بقرطبة، وروى بعض الأحاديث عن ابن عباس. المقري: المصدر السابق، مج1، ص264، 265، 274. ومج2، ص 99، ومج4، ص 59،7،6. كذلك ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، ج1، ص162. والحميدي: المصدر السابق، ص201ــ203. والتابعي زيد بن قاصد السكسكي ، وأصله من مصر ، وصل بلاد الأندلس، وروى بعض الأحاديث. المقري: المصدر السابق، مج4، ص 59.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 168.

(4) الحميدي: المصدر السابق، ص 172.

(5) النُباهي: المصدر السابق، ص45 ــ47.

حكامهم في الأندلس، فتقلدوا بفضلها أعلى المناصب في الدولة وهو القضاء، ولاقى هذا المذهب بفضلهم رواجاً وانتشاراً كبيرين، وأصبحت مدرسة الفقه الشامية هي السائدة، وهي التشريع المنظم في بلاد الأندلس إلى أن تحول عنه أميرها هشام بن عبدالرحمن إلى المذهب المالكي، الذي صار المذهب الرسمي للدولة في الأندلس .

2/ المذهب المالكي:

وهو مذهب أهل المدينة المنورة، التي كانت تحتل الصدارة بين المدارس الفقهية السنية الأخرى، لأنها مدرسة الرسول ﷺ والصحابة والتابعين، وقد اعتبر أصح المذاهب الفقهية في المشرق والمغرب، وقد أسس هذا المذهب بالمدينة الإمام مالك بن أنس، حيث يقال: ((إنّه لاشك عند أحد أن مالكاً أقوم الناس بمذهب أهل المدينة رواية ورأياً))[1]، وكانت أصول المذهب المالكي، ومصادر فقهه هي الكتاب والسنة وقول الصحابة والإجماع، وعمل أهل المدينة، والقياس والاستحسان، والمصالح المرسلة، وقد توسع مالك في الاستحسان توسعاً كبيراً، وكان يقول: ((الاستحسان تسعة أعشار العلم)) [2]، وقد رحل إليه العديد الطلاب من مشرق الأرض ومغربها، وانتشر بفضلهم مذهبه حتى دخل الأندلس، وصار بها المذهب الرئيسي، وكان دخوله إليها عن طريق الفقهاء الأندلسيين الذين رحلوا زمن عبدالرحمن بن معاوية وابنه هشام إلى المشرق العربي الإسلامي، ولازموا الإمام مالك سنين طويلة، ونبغوا في علمه، ثم رجعوا إلى بلادهم، وأخذوا في نشره بين طلابهم وسامعيهم، وكان من بينهم الفقيه الغازي بن قيس، وزياد بن عبدالرحمن شبطون، وقرعوس بن العباس، وغيرهم.

وقد اختلفت الروايات في أول شخص أدخل المذهب المالكي إلى الأندلس، فنسب بعضهم ذلك إلى الغازي بن قيس، الذي رحل وتتلمذ على يد مالك بن أنس وغيره، واشتهر بالثقة والأمانة العلمية، وكانت هذه الإشارة من قِبَل ابن القوطية

---

(1) محمد إبراهيم أحمد علي: المرجع السابق، ص 19.

(2) مصطفى الشكعة: المرجع السابق، 170ــ 171.

ومحمد مخلوف[1]، وفيما يبدوا إنهما استندا في رأيهما على أن الغازي بن قيس حاز سبق الرحلة إلى المشرق العربي الإسلامي، وأنه كان يسير على درب الفقهاء الأوزاعيين، فذهب إلى بلاد الشام أولاً، ونقل عن الأوزاعي، ثم رحل إلى محمد ابن عبدالرحمن بن أبي ذئب، وعبدالملك بن جُرَيْج، ونافع بن نعيم بالمدينة، ونقل رواياتهم وقراءة نافع، ثم اتجه إلى الإمام مالك بن أنس، فنقل عنه الموطأ، ثم قفل راجعاً إلى الأندلس، وجلس للتدريس في مساجد الأندلس، لينشر قراءة نافع وبعض ما سمعه من روايات الإمام مالك [2]، ونسب آخرون أولية دخول المذهب المالكي إلى الأندلس إلى زياد بن عبدالرحمن، وأشاروا إلى ذلك بأن زياداً كان أول من أدخل فقه مالك وموطأه إلى الأندلس [3]، لهذا اعتبره أحد المؤرخون على ذلك أول من قام بنشر العلم في الأندلس، فبعد عودته من الحجاز والتي درس فيها الفقه الإسلامي على يد مالك ابن أنس وأصحابه حتى أتقنه [4]ـ وكانت رحلة هذا العالم بعد عامٍ من ولاية الأمير هشام بن عبدالرحمن ـ[5] أخذ يقوم بتعليم الطلاب الفقه المالكي والحديث النبوي الشريف، وسيرته الطاهرة، وسيرة الصحابة، وتفسير القرآن الكريم من خلال تدريسه لتفسير عبدالله بن عباس الذي أدخله للأندلس.

هكذا بدأ تيار الرحلة العلمية في التدفق إلى بلاد الحجاز طلباً للعلم والرواية، واستمرت الجموع في الرحلة إلى المشرق زمن الأمير هشام بن عبدالرحمن، ثم نقلت مذهب مالك بن أنس، وكان من بين هؤلاء الفقهاء سعيد بن أبي هند الذي لقبه الإمام مالك بالحكيم أو حكيم الأندلس[6]، وسعيد بن عبدوس[7]، وأبوهند عبدالرحمن بن هند الأصبحي الطليطلي[8]، والفقيه عيسى بن دينار فقيه

---

(1) ابن القوطية: المصدر السابق، ص 92. كذلك محمد مخلوف: المصدر السابق، ج1، ص 94.

(2) ابن القوطية: المصدر السابق، ص 92. كذلك محمد مخلوف: المصدر السابق، ج1، ص 94.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 132. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 218ـ 219. والضبي: المصدر السابق، ص 294. والقاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 200.

(4) ابن فرحون: المصدر السابق، ص 194.

(5) ابن القوطية: المصدر السابق، ص 97.

(6) المقري: المصدر السابق، مج2، ص 256.

(7) الحميدي: المصدر السابق، ص232.

(8) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص211. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص279. والضبي: المصدر السابق،

الأندلس، الذي يرجع له الفضل الكبير في تعلُّم أهل الأندلس (علم المسائل) من خلال كتابه(الهداية) وهو كتاب في فقه البيوع، وكان أفقه أهل الأندلس آنذاك [1]، والفقيه قرعوس بن العباس [2]، والفقيه يحيى بن يحيى الليثي الذي شغل منصب المستشار الأول للأمير عبدالرحمن بن الحكم، حيث كان يستشيره في جميع أموره إلى أن توفي سنة 234هـ/ 848م [3] .

وبفضل هؤلاء العلماء وغيرهم انتشر مذهب الإمام مالك بن أنس في الأندلس انتشاراً واسعاً، وأصبحت المناصب الرئيسية في الدولة تنحصر على الغالب في فقهاء المذهب المالكي، ويُعَدُّ هؤلاء الرعيل الأول الذي ساهم بتأسيس مدرسة الفقه المالكي بالأندلس زمن الإمام مالك وبعده [4].

ظل الاتصال مستمراً بين مدرسة الفقه المالكي بالأندلس ومدرسة الفقه المالكي الحجازية والمصرية والعراقية والقيروانية، وأصدق مثال لذلك الفقيه عبدالملك بن حبيب السلمي، الذي نزع إلى آراء مدرسة المدينة الفقهية، وتعصب لها [5]، بينما نجد الفقيه عيسى بن دينار بن واقد الغافقي، يرحل إلى المدرسة المصرية، ويتأثر بها بدراسته على يد الفقيه المالكي عبدالرحمن بن القاسم الذي صحبه، وعوّل عليه في علم المسائل، وصنّف فيه كتابه " الهداية" الذي أُعتبر أنموذجاً يُحتذي به في فقه المعاملات المسمى بـ" فقه البيوع"، وظل هذا الكتاب المرجع الأول لهم في البيوع، كما وصل هذا الكتاب إلى المشرق العربي عن طريق أبي زيد عبدالرحمن بن إبراهيم الذي خرج به من الأندلس إلى المشرق العربي الإسلامي، وعرضه على ابن الماجشون للتحقق من صحته، وكذلك الفقيه عبدالملك بن الحسن زونان [6]، وكان يفتي بمذهب الأوزاعي، وعندما انتشر

= ص 371.

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 262ـ 263.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص291. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص333. والمقري: المصدر السابق، مج2، ص 256.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص431ـ 432.

(4) المقري: المصدر السابق، مج2، ص 256.

(5) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 221.

(6) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 220.

مذهب مالك بالأندلس، وأصبح المذهب الرئيسي للدولة تفقه به، ورجع إلى مذهب أهل المدينة، وهو يمثل النُقلة المذهبية التي سادت في الأندلس.

لقد ساد هذا المذهب في الأندلس وكان من أسباب سيادته في هذه البلاد الإسلامية تلك العناية والرعاية والاهتمام بالعلماء والفقهاء المالكيين من قبل أميرها الأموي هشام بن عبدالرحمن الداخل، ففي عهده حاز الفقهاء جاهاً واسعاً ومرتبة كبيرة، وتقلدوا أعلى المناصب في الدولة، وعملوا على نشر مذهبه وتثبيت أركانه، فكانوا يفتون بمذهب مالك ويتركون غيره، لذلك أخذ مذهب الأوزاعي في التلاشي والتبدد أمام قوة وسلطان المالكية وشخصية الأمير وتسامحه مع رعيته [1] .

وكان من ظمن الأسباب التي ساعدت على انتشار المذهب المالكي في الأندلس أيضاً الجهود التي بذلها الرعيل الأول من الفقهاء المالكيين في نشر المذهب، وكذلك الشخصية التي امتازوا بها، والتي تتميز ببعض المميزات التي تقع موقعاً حسناً من نفوس العامة والخاصة ومنها: تجنب أصحاب السلطان، والبعد عن تقلُد الوظائف بالدولة، مثلما عمل الفقيه زياد بن عبدالرحمن شبطون، والغازي ابن قيس، ويحيى بن يحيى الليثي في رفضهم تولي منصب القضاء[2]، والفقيه حفص بن عبدالسلام السلمي الذي لم يفارق أستاذه مالك سبع سنوات، وكان الأمير هشام يستدعيه في شهر رمضان للاستفادة من علمه وعلو إسناده في أحاديث الموطأ[3]، فكانوا بذلك مثلاً يُحتذى به في البعد عن مباهج الدنيا من جاه ومنصب ومال، فمثلوا عند العامة نماذج تُحتذى، وأقبلوا على الأخذ بالمذهب لا غرو أن أطنب كُتّاب التراجم في وصف أولئك الفقهاء بالتقوى والورع والتدين، ذلك المسلك الذي كان مثار إعجاب الرعية، أسهم في تغلغل المذهب المالكي في نفوس الأندلسيين وانتشاره بينهم، وقد كان للفقيه يحيى بن يحيى الليثي دور كبير في ترسيخ المذهب باقتصاره وظائف الدولة من قضاء وغيره على أصحابه من المالكية، وقد استفاد في تطبيق قانونه هذا من الحظوة التي كان يتمتع بها عند

---

(1) مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، المصدر السابق، ص 109ــ 110. كذلك ابن القوطية: المصدر السابق، ص 96ــ 97.

(2) الخُشني: قضاة قرطبة، المصدر السابق، ص 3ــ7.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 103.

الأمير عبدالرحمن بن الحكم، الذي كان لا يقطع أمراً دون الرجوع إليه فيه[1]، لهذا ساد المذهب المالكي على الصعيدين الرسمي والشعبي.

وعلى الصعيد السياسي، فقد كان للخلافات السياسية بين الدولة الأموية بالأندلس ودولة العباسيين بالمشرق دور في اعتماد السلطات الحاكمة في الدولة مذهب الإمام مالك بجعله المذهب الرئيسي للبلاد، إذ أنّ العباسيين قد جعلوا المذهب الحنفي هو مذهب الدولة الرئيسي، وأسوة بهم بحث الأمويون في الأندلس عن مذهب لدولتهم، فوجدوا ضالتهم في مذهب أهل المدينة الذي كان سائداً في تلك الفترة، وكان لقاؤهم مع مذهب الإمام مالك، فنقلوه إلى بلادهم، ومن ثم اعتمدوه مذهباً رسمياً لهم، هذا على صعيد السياسة الخارجية، أما على الصعيد الداخلي فقد نشب خلاف عميق بين أبناء الأسرة الأموية بالأندلس، وهو الخلاف الذي وقع بين الأمير هشام وأخيه سليمان وحزبه الشامي، الذي نتج عنه طرد هشام لأخيه سليمان من الأندلس مع أنصاره، وكانت هذه الحادثة شديدة على نفس هشام فكره الشام، وعزم على ترك مذهب أهلها، فراح يبحث عن ضالته، فوجدها في مذهب مالك، فعمل على رعاية هذا المذهب برعاية أهله [2] .

إضافة إلى الأسباب سالفة الذكر كان هناك سبب آخر ساعد على انتشار المذهب المالكي في الأندلس وهو أن هذا المذهب كان أقرب إلى نفوس الأندلسيين ومزاجهم وطبيعتهم نظراً لسهولته ووضوحه، فهو يعتمد على القرآن، ويأخذ بالنص الصريح الذي لا يقبل التأويل، ويُقدّم القرآن على ما عداه من السنة، ويُوثّقُ الحديث بالقرآن[3]، فقابل هذا المنهج ميلَ وهوىَ أهل الأندلس.

كان فقه مالك قريب الصلة بفقه الأوزاعي الذي كان ينفر من الجدل ويستند إلى الحديث [4]، وإذا كان فقه مالك مرحلة متطورة فإنّ النُقلة بالنسبة للأندلسيين لم تكن مفاجئة؛ بل كانت متدرجة، وأدت طبيعة الأندلسيين إلى النفور من أي مذهب يقوم على الرأي، فوجدوا ضالتهم في المذهب المالكي الذي يمثل

---

(1) القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص15. كذلك محمد إبراهيم أحمد علي: المرجع السابق، ص80ـ 81.

(2) إبراهيم بيضون: المرجع السابق، ص 212ـ 213.

(3) عزت قاسم: فقهاء المالكية وأثرهم على المجتمع الأندلسي، مكتبة الأنجلو، القاهرة 1993م، ص 24.

(4) السيوطي: طبقات الحفاظ، المصدر السابق، ص 79.

مدرسة المدينة [1]، التي توافرت فيها أحاديث الرسول e بعيداً عن رأي فقيــه أو قياس جديد، ولهذا لم تجد العلوم الفلسفية رواجاً أو قبولاً عند أبناء الأندلس، وكان الفيلسوف لا يستطيع نشر فلسفته فيحتفظ بها لنفسه خوفاً من العامة [2].

لهذا اعتبر أهل الأندلس مذهب مالك جزءاً مكملاً لشخصية بلادهم، وجزءاً من قوميتهم، ورفض فقهاء المالكية بشدة كل نزعة عقلية ترمي إلى نشر حركــة فلسفية أو نزعة مذهبية أخرى غير مذهب مالك، فعمل بذلك المذهب المالكي على وحدة الأندلس، إذ كوَّن فكراً واحداً للأندلسيين من الصعب انفصام عراه [3].

وكان من ثمار الرحلة العلمية ونشر مذهب مالك في الأندلس أن عكــف الأندلسيون على دراسة المذهب، وانتشرت بينهم كتبه ومؤلفاته وخاصة الموطــأ، الذي أدخله الرعيل الأول من الفقهاء والأعلام، مما أدى إلى اهتمـــام الأندلســيين بالفقه المسمى بعلم الشرائع، حتى أنه قيل عن عبدالملك بن حبيب إنه كان يخــرج من المسجد وخلفه نحو ثلاثمائة بين طالب حديث وفرائض وفقه وإعراب، وكان لا يُقرأ عليه شيء في حلقته إلاَّ كتبه وموطأ مالك[4]، وألَّف الأندلسيون كتباً كثيرة في الفقه من الصعب حصرها أشهرها (الواضحة في السنن والفقه) لابــن حبيــب[5]، و(المستخرجة) للعتبي[6]، وقد نالت هذه الكتب عناية كبيرة من قبل الأندلســيين، كما أولى دارسوا الفقه عناية كبيرة به لكي يتبوءوا مكانة مرموقة بــين طبقــات المجتمع الأندلسي، حيث كانت دراسة الفقه الطريق المضمون للعمل في الوظائف العامة في الدولة مما أدى إلى سيطرة فقهاء الملكية على النواحي التعليمية والتدخل في مناهج التعليم، كما أنَّ الأحكام الفقهية والفتاوى شَكَّلت الموسوعة القانونية التي

---

(1) الذهبي: سير أعلام النبلاء، (تح) شعيب الأرنوطي ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت،1431هـ، ج 8، ص 83.

(2) عبدالفتاح أحمد الفاوي: ابن باجه وفلسفته، حوليات كلية العلوم، جامعة القاهرة، العدد11، 1988م، مطبعة جامعة القاهرة، ص136.

(3) جودة عبدالرحمن هلال: وصية الشيخ الفقيه الحافظ أبي الوليد الباجي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، العدد الثالث، 1955م، ص 170.

(4) ابن فرحون: المصدر السابق، ص 253.

(5) القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 384.

(6) المصدر نفسه، مج1، ص449.

تنظم علاقة الفرد بالفرد و علاقة الفرد بالحكومة، وبذلك ارتبط الفقه بالسياسة العامة للدولة، وبلغ من مكانة الفقه المالكي وعناية الأندلسيين به إلى اقتصار لبس (القالص)(*) الذي كان يلبسه الأندلسيين عند ذهابهم لصلاة الجمعة على الفقهاء الذين كانوا يحفظون موطأ مالك [1] .

ولقد ظلت دراسات المذهب المالكي آخذة في النمو والاضطراد، وبرز من خلالها عدد كبير من كبار الفقهاء المعلمين والوعاظ، والأمر كذلك لاعجب أن يقول ابن الخطيب: ((إن مذاهبهم على مذهب مالك بن أنس، إمام دار الهجرة، جارية))[2]، ويؤكد ذلك المقري بقوله: ((... لا مذهب لهم إلاّ مذهب مالك)) [3] .

3/ المذهب الشافعي :

هو أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب ابن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبدالمطلب بن مناف [4]، يلتقي مع الرسول ﷺ في جده عبد مناف، خرج أبوه إدريس إلى الشام بأسرته فولدت له زوجته الأزدية اليمنية ابنه محمد بغزة أو عسقلان سنة 150هـ/767م، ثم توفي أبوه، وحملته أمه إلى مكة، وقد تعلم الفقه على يد مالك بن أنس في المدينة، ولازمه إلى أن مات سنة 179هـ/795م، وقد انتشر مذهب الشافعي بمصر التي خرج إليها بعد محنته التي اتهم فيها بالتشيع سنة 199هـ/814م، وبقي بها إلى وفاته سنة 204هـ/819م، وكان مذهب الشافعي يقوم على اعتبار القرآن والسنة أصلان، فإن لم يجد فيهما حكم، يلجأ إلى القياس [5] .

دخل هذا المذهب إلى الأندلس على يد بعض الفقهاء الأندلسيين الذين رحلوا إلى مصر، وتتلمذوا على يد تلاميذ الشافعي؛ غير أنهم لم يكونوا يفتون به

(*) القالص هو الثوب المُشَمَّر القصير، وعكسه النازل من الثياب. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1994م، مج7، ص 81، مادة قلص.

(1) المقري: المصدر السابق، مج4، ص 358.

(2)لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، (تح) محمد عبدالله عنان، القاهرة، 1977م، ج1، ص 134.

(3) المقري: المصدر السابق، مج1، ص 206.

(4) ابن حزم: المصدر السابق، ص 73. كذلك ابن حجر العسقلاني:المصدر السابق، ج2، ص 112.

(5) إسماعيل العربي: معجم الفرق والمذاهب الإسلامية، دار الآفاق الجديدة ، المغرب، 1993م، ص 225.

نظراً لسيادة مذهب مالك على بقية المذاهب بالأندلس، ومن هؤلاء الفقهاء قاسم بن محمد بن سيّار الذي تعلم الفقه الشافعي على يد فقهاء الشافعية بمصر، فنبغ فيه، وكان بعد عودته إلى الأندلس من أعظم أئمة الشافعية بقرطبة، وظل بعد عودته إلى بلاده ينشر مذهبه بها، وكان قاسم يؤمن بضرورة الرجوع إلى الاجتهاد في الفقه، وذلك بدراسة القرآن والسنة، والاستناد إلى الإجماع والقياس والنظر، وترك التقليد، وكان قبل مماته قد أوصى ابنه محمد بأن يسير في الفقه على مذهب الشافعي [1]، كما ساهم الفقيه الأندلسي يحي بن عبدالعزيز ـ وهو أحد أئمة الشافعية ـ في نشر المذهب الشافعي في الأندلس من خلال ما أدخله من كتب الشافعية للأندلس، بعد رحلته التي تفقه فيها بمذهب الشافعي ، ككتاب " رسائل الشافعية" وظل ينشر هذا المذهب بالأندلس طيلة حياته من خلال هذه الرسائل[2]، كما كان للفقيه الشافعي عبدالسلام بن السمح بن نابل الهواري باع كبير في نشر هذا المذهب بالأندلس، بعد رحلته التي دخل فيها مصر، وتفقه فيها على يدي علماء الشافعية[3] .

وقد ساهمت هذه الفئة من علماء الأندلس في نشر هذا المذهب؛ إلاً أن انتشاره كان محدوداً بسبب سيادة المذهب المالكي، وسيطرة فقهائه على المناصب الحساسة في الدولة، ومحاربتهم دخول أي مذهب غيره.

4/ المذهب الظاهري:

المذهب الظاهري هو المذهب الذي يعتمد في أحكامه على ظاهر الآيات والأحاديث ونكران القياس، وترك التقليد، وقد ظهر في بادئ الأمر في العراق على يد الفقيه أبي سليمان داود بن علي البغدادي [4]، وكان يعتمد مذهبه في تفسير الآيات القرآنية على النص الظاهر دون المعنى الحرفي، وقد ظهر هذا المذهب

---

(1) المقري: المصدر السابق، مج2، ص 260ـ261. كذلك السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، المرجع السابق، ص 311.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 436.

(3) المصدر نفسه، ص 233.

(4) هو أبو سليمان داود بن علي بن خلف الأصبهاني البغدادي، الحافظ الفقيه المجتهد، فقيه أهل الظاهر، ولد سنة 200هـ، وتوفي سنة 270هـ. السيوطي: طبقات الحفاظ، المصدر السابق، ص 276.

واتسع أفقه في بغداد، ومن هناك امتد إلى أن وصل بلاد الأندلس غرباً، على يد الفقيه الظاهري أبي محمد عبدالله بن قاسم بن هلال [1]، وكان لدخول كتب الظاهرية أثر كبير يتمثل في اعتناقه من قبل عدد من مفكري قرطبة منهم المنذر ابن سعيد البلوطي، الذي غلب عليه التفقه في مذهب أبي سليمان داود بن علي المعروف بالظاهري، فكان منذر يؤثر مذهبه هذا، ويجمع كتبه، ويحتج لمقالته، ويأخذ به في نفسه ودويه، ولكنه رغم هذا فقد كان لا يحكم إذا جلس للقضاء إلاّ بمذهب مالك وأصحابه خشية أن يتعرض لغضب فقهاء المالكية الذين كانوا يتعرضون لكل مذهب يخالف مذهب مالك وأصحابه، ويقومون على أهله، وبذلك يكون قد لزم الباطنية والاستتار بمذهبه، وقد نبّه إلى اعتقاده هذا ابن الفرضي بقوله: ((وكان مذهبه في الفقه مذهب النظار والاحتجاج وترك التقليد... وأنه كان يميل إلى مذهب داود بن علي بن خلف العباسي، ويحتج له)) [2]، وأكد الحميدي ذلك بقوله: ((نه كان يميل إلى القول بالظاهر قوياً على الانتصار لذلك))[3].

وقد ألّف المنذر في الدفاع عن مذهبه الظاهري عدة كتب منها: كتاب (الإنباه على استنباط الأحكام من كتاب الله)، وكتاب (الإبانة عن حقائق أصول الديانة)[4] .

لم يكن أتباع هذا المذهب بالعدد الكبير بحيث صار في مرتبة مذاهب أهل السنة الأخرى، لأن هذا المذهب أُخذ عليه أنه حَرَمَ البحث العقلي من إثراء الشريعة الإسلامية، فلم يسمح بالقياس والاستنتاج، ولا حتى بانتقال الحكم من الخاص إلى العام، وقد رفضت الظاهرية مذهب مالك لأنه يقوم على الرأي والاستنتاج، كما رفضت المذهب الحنفي، ورأت في المذهب الشافعي الذي خرجت

---

(1) الضبي: المصدر السابق: ص 350. كذلك حسين مؤنس: صورة الأندلس، المرجع السابق، ص 40. وآنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، تعريب حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1955م، ص 439.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص404.

(3) الحميدي: المصدر السابق، ص348 .

(4) المقري: المصدر السابق، مج2، ص 232.

منه مجرد منظم لقواعد الرأي الذي لم يبطله، والظاهرية يـرون أن الإجمـاع لا يخرج عن نطاق الصحابة الأولين[1].

وقد توقف انتشار هذا المذهب في عهد المنصور بن أبي عامر بسبب ما تظاهر به من إنكار غير المالكية من المذاهب، ولكن لم تكد تنقضي أيام المنصور حتى ظهر المذهب من جديد، وانصرف إلى نشره في قرطبة أبو الخيار بن مفلت، وتلميذه ابن حزم [2] .

ثانياً/ دخول الثقافة الشيعية:

دخلت الثقافة الشيعية للأندلس عن طريق بعض أهل الأندلس الذين رحلوا إلى المشرق العربي الإسلامي، وأخذوا بقليل أو بكثير من ثقافة الشيعة ولا سـيما في العراق ومصر أو المغرب، ويبدو أن أول من نقل هذه الثقافة إلـى الأنـدلس أبوعبدالله محمد ابن عيسى الأعشى[3]، الذي رحل سنة 179هـ/795م إلى العراق مخالفاً بذلك زملائه الأندلسيين الذين كانوا في ذلك الوقت يترددون على المدينـة ومصر للتفقه على مذهب الإمام مالك بن أنس وتلاميذه، وقد كانت نتيجة دراسـته في العراق أن نقل إلى الأندلس بعض كتب وكيع بن الجراح[*] الذي كان من أكبر محدثي الشيعة، وله كتب في الدفاع عن مبادئ الشيعة الزيدية[**]، وقـد عُـرض عليه القضاء في الأندلس، فرفض، وكان يذكر فضل علي بن أبي طالب، ويتخـذه قدوة في حياته [4] .

---

(1) إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 276ـ277.

(2) آنخل جنثالث بالنثيا: المرجع السابق، ص 441.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 296ـ 297.

(*) هو أبو سفيان الكوفي وكيع بن الجراح بن مليح الرواسي، الحافظ، ثقة تتلمذ على يدي أبيه وشعبة، ومالك بن أنس والأوزاعي، و كان حنفي المذهب، مات سنة 196هـ. أبو المحاسن الحسيني: التذكرة بمعرفة رجال الكتب العشرة، (تح) رفعت فوزي عبدالمطلب، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م، ج3، ص 1839.

(**) هم فرقة من الشيعة الرافضة، وهو ينقسمون إلى ثلاث فرق وهي الجارودية، والسليمانية" الجريرية"، والبترية، وهذه الفرق يجمعها القول بإمامة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وقد ظهرت هذه الفرقة زمن هشام بن عبدالملك المتوفى سنة 125هـ. عبد القادر البغدادي: الفرق بين الفرق، دار الكتب العلمية، بيروت، (د، ت)، ص 16. كذلك إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 198ـ200.

(4) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 296. كذلك الخُشني: قضاة قرطبة، المصدر السابق، ص 4.

كما رحل إلى العراق بعد ذلك عباس بن ناصح الثقفي الشاعر، الذي أوفده الأمير عبدالرحمن بن الحكم سنة 201هـ/816م لالتماس الكتب القديمة وهي كتب علوم الطب والنجوم وغيرها [1]، وقد كان رفيقاً في رحلته وحياته الدراسية في المشرق ليونس بن إياس البرغواطي، الذي طلب علم النجوم والكهانة والجذل، ثم عاد إلى بلاده ليُحيي الديانة البرغواطية، وهي ديانة تستمد أكثر أصولها من التشيع[2]؛ إلاّ أن أمثال هؤلاء لم يجاهروا بنزعتهم الشيعية صراحة، وإن نقلوا بعض ألوان التفكير الشيعي؛ ولكن انتشار الدعاية الفاطمية في نهاية القرن 3هـ/9م جعل بعض العلماء الأندلسيين يعتنقون هذا المذهب، مثل: محمد بن إبراهيم بن حيون الحجاري الذي لم يكن يذهب مذهب مالك، وكان معاصروه يتهمونه بالتشيع لشيء كان يظهر منه في حق معاوية بن أبي سفيان[3]، غير أنه كان حريصاً على كتمان مذهبه حتى لا يتعرض للاضطهاد من جانب فقهاء المذهب المالكي السائد بالأندلس آنذاك، وذلك عملاً منه بمبدأ التقية الذي كان أصلاً من أصول التشيع.

وهكذا ألمّ الأندلسيون بشيء من مبادئ الشيعة وفرقهم، ولكنه كان ضئيلاً من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد تدخلت الدولة في هذا الأمر، إذ كان من مصلحتها أن يُفهم التشيع على أنه مجموعة من الضلالات والبدع، لا تتفق مع ما يجب أن يكون عليه المسلم الصحيح، من سيرٍ بمقتضى السنة، والابتعاد عن مُحْدَثَاتِ الأمور، ولعل ما يمثل نظرة المثقفين الأندلسيين إلى التشيع ومدى ما كانوا يعرفونه منه ما ورد في كتاب العقد الفريد لابن عبدربه [4]

وتسربت إلى الأندلس معتقدات الباطنية[*] فاعتقد بها الكثير من الأندلسيين، منهم محمد بن عبدالله بن مسرة بن نجيح الذي قضى فترة من حياته الدراسية في

---

(1) ابن سعيد: المصدر السابق، ج1، ص 45.

(2) ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص 235.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 313ـ 314.

(4) ابن عبدربه: المصدر السابق، ج2، ص 403ـ 411.

(*) اسم أطلقه المسلمون في العقائد على عدد من الفرق الإسلامية وغير الإسلامية، والمصطلح مشتق من كلمة باطن خلاف الظاهر، ويعني أولئك الذين يبحثون في المعاني الداخلية أو الروحية في القرآن، ولجأوا إلى تأويل القرآن، ومن بين فرق الباطنية: الخرمية والقرامطة والاسماعيلية، كذلك تطلق على فرق غير إسلامية، مثل: المزدكية.

القيروان وهي الفترة التي كانت فيها الدولة الفاطمية قد بلغت أوج قوتها السياسية والدعائية، وقد نبّه على ذلك أحد المؤرخين بأن لابن مسرة آراء كانت تستوحى من تعاليم الباطنية، مثل قوله بالاستطاعة، وإنفاذ الوعيد، ويُحرّف التأويل في كثير من القرآن [1]، وقد رُدَّ هذا الرأي إلى فكرة المهدي المنتظر عند الباطنية، وقد قاربوا به مرتبة النبوة، ويرى الباحث كذلك أن ردّ ابن مسرة تدبير العالم إلى العرش لا يخلوا من التأثر بعقيدة الإسماعيلية في ذلك، هذا إلى جانب طائفة كثيرة من التعاليم التي اتخذها ابن مسرة من الإفلاطونية الحديثة، أي من المدارس الاعتزالية عن طريق الباطنية، وقد استمر تلاميذه متأثرين بهذه الأراء، وظلت آثارهم واضحة في فكر من تلاهم من مفكري الأندلس ومتصوفيها، مثل: أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن خير القيسي الجياني الأصل، القرطبي السكن[2]، وأبي عبدالله محمد بن مفرج بن عبدالله بن مفرج المعروف بالفني[3]، وأبي عمر أحمد ابن وليد بن عبدالحميد بن عوسجة، المعروف بابن أخت عبدون[4]، وأبي القاسم رشيد بن فتح الدجّاج القرطبي [5]، حيث اعتقد هؤلاء مذهب ابن مسرة، فتُرك الأخذ عنهم، وقد عملت الدولة الأموية بالأندلس على محاربة هذا الاعتقاد، لشعورها بخطر هذا الفكر الباطني، كونه عاملاً من عوامل التفكك المذهبي من ناحية، وأداة من أدوات السياسة الفاطمية ولو بطريق غير مباشر، والتي كانت تطمح إلى القضاء على الدولة الأموية بالأندلس، والنيل منها، حيث كانت بين الفينة والأخرى تبحث عن مدخل للبلاد الأندلسية، بنشر دعاتها وجواسيسها في الأقطار التي كانت تطمح في النيل منها، ومن بين دعاتها الذين دخلوا الأندلس، وكان متخفياً في هيأة شاعر معاصر أبو اليسر الرياضي، وقد غفلت المصادر التاريخية التي تم الاطلاع عليها عن ذكر أخباره بالتفصيل ذلك لأن مهمة

وللمزيد يُنظر إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 55ــ 57.

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 324.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 371.

(3) المصدر نفسه، ص 359.

(4) المصدر نفسه، ص 54.

(5) المصدر نفسه، ص 126.

الجاسوسية كانت تتطلب السرية التامة، لذلك لم تحفظ المراجـع أخبـاراً وافيـة ومفصلة عنه؛ ولكن ما بقي من أخبار يحمل الباحث على ترجيح هذا الرأي، حيث يذكر صاحب أخبار مجموعة إن أديباً محتالاً دخل الأندلس في أيام الأمير محمـد بن عبدالرحمن مفتعلاً كتاباً على لسان أهل الشام، يدعون فيه للدولـة المروانيـة الأندلسية، ويعرضون الخطبة لها في بلادهـم، ولكـن يبـدوا أن الأميـر فطـن لأغراضه الخفية، فاحتفى به وأكرمه دون أن يُمكّنه من مباشرة نشاطه، فاضـطر إلى مغادرة البلاد وذهب إلى مصر، التي استمر بها في نشر دعايته الفاطمية حتى وقع ابن طولون على خبره فأمر بحبسه [1] .

وكان من دعاة الدعوة الفاطمية أيضاً أبو جعفر محمد بن أحمد بن هارون البغدادي، الذي استعان به الفاطميون بعد موت أبي اليسر الرياضي، حيث يُـذكر أنّه تردد بالأندلس أعواماً، وأن دخوله للأندلس كان بقصد التجسس، وقـد دخـل الأندلس بغرض العلم، وذلك لأن الثقافة كانت تكوّن جزءاً كبيراً من برنامج الدعوة الفاطمية، وإلى أبي هارون البغدادي يرجع الفضل في نشر كتـب الجـاحظ فـي الأندلس، وكذلك كتب ابن قتيبة، ويبدو أن هذا الجاسوس قد وفق في مهمته، لمـا ناله بعد ذلك من درجة عالية عند الفاطميين بتقلده المناصب الهامة فـي الدولـة كالبريد والكتابة التي كانت من أعمال الجاسوسية آنذاك [2] .

كما لعبت التجارة دوراً كبيراً في الدعاية للفاطميين بالأندلس مـن خـلال بعض التجار المشارقة الذين دخلوا الأندلس لغـرض التجـارة، وحيـث يـذكر المؤرخون أن بعض جواسيس الفاطميين دخلوا الأندلس على هيئة تجـار كـابن حوقل النصّيبي(ت367هـ/977م)، حيث دخل مستتراً بالتجارة، ويـذكر محمـود علي مكي: أن ابن حوقل النصّيبي دخل الأندلس على ما يبدو ليسـتطلع أحوالهـا لصالح الفاطميين، ولعل هذا ما يفسر اهتمامه بتسجيل دخـل الدولـة ومواردهـا الاقتصادية، وتعداد خيراتها، ووصفه طرقها ومسالكها، ثم أحوالها مـن الناحيـة

---

(1) مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، المصدر السابق، ص 129ـ 130.

(2) ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص 155. كذلك محمود علي مكي: المرجع السابق، ص 113.

العسكرية، ولكن يبدو أن مشروعه في إقناع الفاطميين بضرورة غزو الأندلس لم يلق تأييداً من جانب الدولة الفاطمية [1] .

بالرغم من أن الفاطميين عدلوا عن غزو بلاد الأنـدلس؛ إلاّ أن تـأثيرهم ظهر في البلاد الأندلسية ولو كان محدوداً جداً، ويرجع سبب ذلـك إلـى تمكـن المذهب السني المالكي من أهله، وقد ظهر هذا التأثير الفـاطمي بـين صـفوف المفكرين الأندلسيين، من أمثلة ذلك ابن هانئ الذي قضى فترة شبابه في الأندلس، ثم طُرِدَ منها حينما عُرِفَ اتجاهه الفاطمي، حيث خرج مـن الأنـدلس، والتحـق بخدمة المعز لدين الله الفاطمي، ثم صار الشاعر الرسمي للدولة الشيعية العبيدية، ويعتبر شعره وثيقة هامة تطلعنا على نظريات الإسماعيلية في مختلف شؤون الدين والعقيدة [2] .

المبحث الثاني/ الآثار العلمية:

أولاً/ دخول المؤلفات المشرقية:

سعى أمراء بني أمية في الأندلس منذ أول أمرائها عبدالرحمن الداخل إلى تكوين دولة قوية البنيان، مكتملة الجوانب والأركان، وكانت الحياة العلمية إحـدى تلك الجوانب التي حظيت بالرعاية والاهتمام، وقد تمثلت تلك الرعاية في اتبـاع سياسة فريدة أسهمت في دخول العلوم إلى بلادهم كان أولها: دعوة العلمـاء مـن المشرق، وثانيها: الرحلة إلى علماء المشرق العربي الذين لم يتمكنوا من دخـول الأندلس للنهل من معارفهم وعلومهم، وثالثها: جمع الكتب والمؤلفـات المشـرقية وإدخالها الأندلس في صورتها الأصلية [3]، وقد قام بهذا الدور الكبير الكثير مـن العلماء الأندلسيين الذين كانت لهم دراية بالعلم بعد أن رحلوا إلى المشرق العربي الإسلامي، فراحوا يجوبون المشرق طولاً وعرضاً، وعملوا بكل جهد على تعلـم تلك العلوم المختلفة، ثم نقلها إلى بلادهم، فأدخلوا بذلك علوماً لـم تكـن تعرفهـا

---

(1) محمود علي مكي: المرجع السابق، ص 115.

(2) أبو القاسم محمد كرّو: المرجع السابق، ص 13 ــ 21.

(3) أحمد أمين، ظهر الإسلام، المرجع السابق، ج3، ص 22 ــ 25.

الأندلس من قبل، وانكبوا على دراساتها وتعليمها لأبناء بلدهم، حرصاً منهم علـــى الرقي بالحياة العلمية في بلادهم أسوة بالدول الإسلامية في المشرق العربي.

بدأت الحركة نحو تشجيع العلوم والآداب وجمع الكتب في الأندلس منـــذ عصر الأمير عبدالرحمن الداخل كما ذُكر سابقاً، وازدادت في عصر الأمير محمد بن عبدالرحمن الذي قام بوضع أساس المكتبة الأموية بالقصـــر أعظـــم مكتبـــات قرطبة، وفي عهد الخليفة الأموي الناصر لدين الله وابنه الحكم المستنصر، اللذين كانا من الأمراء الذين حملهم الشغف العلمي إلى اقتناء نفائس الكتب بالبحث عنها وجلبها للأندلس، وقد وصلت في عهد الناصر لدين الله هدية قيصر القســطنطينية مع رسل سفارته إليه وكانت عبارة عن كتابين أحدهما كتاب ديســقوريدس فـــي الطب و الثاني كتاب هوميروس في التاريخ وهو كتاب الإلياذة والأوديســا، وقـــد لاقى هذين الكتابين رعاية خاصة من قبل الخليفة الناصر، فقام بترجمتهمـــا إلـــى العربية لتتم الاستفادة من علومها[1]، وفي عهد المستنصـــر بـــالله ازداد الاعتنـــاء بالكتب من قبل هذا الخليفة العالم، فقام الحكم الثـــاني بجمـــع مكتبـــات القصـــر وتنظيمها، مكوّناً بذلك أساس المكتبة الأموية العظيمة، التي أنفق بقية عمره فـــي جمعها وتنسيقها [2]، فبلغ عدد فهارس المكتبة الأموية التي تحمل أســـماء الكتـــب أربعاً وأربعين فهرسة، في كل فهرسة عشرون ورقة، ليس فيها إلاّ ذكـــر أســـماء الدواوين، كما صارت قرطبة سوقاً رائجة للكتب التي جُلبت إليها من كل قطر[3]، وقد اتبع الحكم الثاني سياسة جميلة للحصول على نفائس تلك المؤلفات تمثلت في إرساله لأكابر العلماء المسلمين في كل قطر بالصلات الجزيلة، للحصـــول علـــى النسخ الأولى من مؤلفاتهم، مثلما فعل مع أبي الفرج الأصفهاني وأبي بكر الأبهري المالكي[4]، فأرسل للأول ألف دينار من الذهب الخالص ليحصل منه على نسخة من كتابه (الأغاني)، فحصل منه على نسخة منقحة للكتاب قبـــل أن يُنشـــر فـــي

---

(1) أوليري: مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب، (تر) تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص 256ـ 257.

(2) محمد ماهر حمادة: المكتبات في الإسلام (نشأتها وتطورها ومصائرها)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1994م، ص 122.

(3) المقري: المصدر السابق، مج1، ص 369.

(4) محمد ماهر حمادة: المرجع السابق، ص 125.

العراق، كما أرسل إليه أبو الفرج كتاباً آخر ألّفه في قومه بني أمية، ذلك لأن ميول أبا الفرج كانت أموية، فجدّد له الأمير الحكم الصلة الجزيلة [1]، وفعلها أيضاً مع القاضي أبي بكر الأبهري بأن بعث له مبلغ من المال ليحصل على النسخة الأولى من شرحه لمختصر ابن عبدالحكم [2] ، كما أسبغ رعايته على اللغوي العراقي الكبير أبي علي القالي، الذي وفد من العراق على أبيه الناصر، فقرّبه منه فألّف كتبه في كنفه، وأورث أهل الأندلس علمه [3]، كما أهدى إليه أبوعبدالله محمد الخُشني بعض كتبه ومنها كتابه(القضاة) أو(قضاة قرطبة)، وغيرها [4]، كما أهدى إليه مطرف بن عيسى الغساني كتابه المسمى بـ(المعارف في أخبار كورة إلبيرة) [5]، إضافة إلى إهداء العديد من علماء الأندلس لمؤلفاتهم تيمناً برعايته للعلم والعلماء.

بالإضافة إلى ما سبق ذكره من أعمال الحكم العلمية، فقد كان له طائفة من الوراقين المهرة، في بغداد والقاهرة ودمشق، كان عملهم هو البحث عن الكتب والحصول على النفيس منها والنادر، وجلْبه إلى الأندلس، وأسّس لذلك داراً في بلاطه لنسخ تلك الكتب، وتحقيقها، وتصنيفها، وتجليدها، وبذل في سبيلها الغالي والنفيس، لذلك اجتمع لديه من نفائس الكتب ما لم يُسمع به في مختلف العلوم، وما لم يجتمع لأحد قبله، ولمّا ضاق القصر الخلافي عن استيعاب العدد الهائل من الكتب الواردة إليه باستمرار، أنشأ على مقربة من القصر صرحاً عظيماً خاصاً بالمكتبة، وعهد بإدارة هذه المكتبة لأخيه عبدالعزيز، كما عهد بإدارة جامعة قرطبة لأخيه المنذر [6].

وفي عهد المنصور بن أبي عامر الذي كان أيضاً من الشغوفين بالعلم ورعايته دخلت العديد من المؤلفات إلى الأندلس، وذلك أنّ أكابر العلماء المؤلفين

---

(1) المقري: المصدر السابق ، مج1، ص 369.

(2) المقري: المصدر السابق، مج1، ص 369. كذلك القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 304ـ 305.

(3) المقري: المصدر السابق، مج4، ص 74.

(4) الخُشني: المصدر السابق، ترجمة المؤلف، ص هـ .

(5) القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 193ـ 194.

(6) محمد ماهر حمادة: المرجع السابق، ص 125.

يُهْدُون إليه كتبهم على نحو ما كان متبعاً مع الخليفة الحكم الثاني، ومثال ذلك ما فعله العالم اللغوي أبو العلاء صاعد البغدادي، الذي دخل الأندلس وأهدى للمنصور ابن أبي عامر كتابه(الفصوص)، فأعطاه المنصور علي ذلك خمسمائة دينار [1]، غير أن ما يعاب به على الأمير المنصور بن أبي عامر هو إحراقه لكتب الفلسفة التي كانت بالمكتبة الأموية، ومطاردته لعلماء الفلك والمنجمين وإحراق كتبهم[2].

ولم يكن هذا الشغف بجمع الكتب قاصراً على الأمير فقط، بل إننا نراه ينتشر بين أكابر العلماء، إذ أنشأ العديد منهم مكتبات خاصة زاخرة بنفائس الكتب، كما شغفت النساء المثقفات أيضاً بجمع الكتب، وإنشاء المكتبات، ومن أشهرهن عائشة بنت أحمد بن قادم(400هـ/1009م)، التي كانت أبرع نساء عصرها علماً وأدباً وشعراً، وكانت خزانة كتبها من أغنى وأقيم المكتبات الخاصة[3]، وكان سوق الكتب في قرطبة من أشهر الأسواق وأحفلها بالحركة؛ بل لقد سرى هذا الشغف بالكتب و الحرص على اقتنائها بين النصارى واليهود أيضاً، وكان الكثير منهم يجيدون اللغة العربية، ويتذوقون ثمرات الفكر العربي من الأدب والشعر والفلسفة، وغيرها، ومن أشهرهم الطبيب حسداي بن إسحق، الذي كان طبيباً للحكم الثاني[4]، وفي ظله وتحت رعايته كتب يهود قرطبة باللغة العربية، وألَّفوا بها مختلف الكتب، وكانت أشهر مكتباتهم الأندلسية الخاصة فيما بعد مكتبة يوسف بن إسماعيل ابن نغرالة اليهودي، وزير باديس أمير غرناطة [5] .

ولقد ساهم هؤلاء العلماء المشارقة، بكتبهم ومعارفهم في ازدهار ظاهرة التأليف بالأندلس، تلك المؤلفات التي جاءت نتاجاً لعلوم المشرق، فكانت تجيء إما شروحاً لبعض الكتب المشرقية أو ترجمة وتفسيراً لبعضها الآخر، وقد بدأت المؤلفات في الانتشار داخل الوسط العلمي الأندلسي، وكان لها الدور الكبير في

---

(1) غير أن المنصور قام فيما بعد بإخراج الكتاب ورماه في النهر بعد أن تيقن من كذب صاعد. المقري: المصدر السابق، مج4، ص 79.

(2) ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص 292ــ 293.

(3) ابن بشكوال: المصدر السابق، ق2، ص 692ــ 693. كذلك محمد ماهر حمادة: المرجع السابق، ص 98.

(4) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ج3، ص 82.

(5) ابن بشكوال: المصدر السابق، ق2، ص 654.

ازدياد الرحلة إلى منابع العلم طلباً له، ومن ثم ازدياد المؤلفات التي ساهمت في تكوين أكبر المكتبات العلمية الخاصة والعامة في الأندلس.

كان أول من قام بإدخال الكتب إلى الأندلس رسل الأمير عبدالرحمن الداخل وابنه هشام والذين كان هدفهم من هذا العمل جلب، وإدخال كتب الفقه المالكي إلى الأندلس، ثم تزايدت أعداد الرحالة إلى المشرق الإسلامي، وكان الواحد منهم يحرص كل الحرص على حفظ ما درسه أحياناً، وتدوينه في أحيان أخرى، ومن ثم نقله في كتاب إلى بلاده، ونشره بواسطة دروسه التي كان يلقيها على تلاميذه وسامعيه في حلقته العلمية التي يعقدها بالمسجد أو في بيته.

وقد تم التعريج في البداية على أن أهداف الرحلة العلمية إلى المشرق العربي الإسلامي كان دافعها ديني وعلمي، لهذا يُلاحظ أنهم كانوا يعملون بجهد غير مسبوق على نقل تلك العلوم إلى بلادهم، وقد شملت جميع العلوم، وكانت بداية الدخول لعلوم الفقه الإسلامي، والتي دخل معها علم الحديث والقراءات والمسائل وغيرها من العلوم الدينية، كما دخلت علوم اللغة والنحو والأدب والشعر، وكتب الطب والحساب والهندسة والفلك وغيرها من كتب العلوم القديمة والمترجمة إلى العربية.

كان من بين العلماء الذين أدخلوا مؤلفات العلوم المشرقية إلى الأندلس جودي بن عثمان النحوي بإدخاله كتاب الكسائي في النحو بعد أن درسه على يد مؤلفه بالمشرق، ثم أضاف لهذا الفرع العلمي مؤلفاً من تأليفه سنة 198هـ/813م، وهو كتاب منبه الحجارة [1]، وعندما اتجه العلماء للحجاز دخل مذهب الإمام مالك ودخلت معه كتب التفسير والحديث والقراءات والتاريخ والسير وغيرها، وكان رائد هذه الحركة هو الغازي بن قيس، الذي أدخل موطأ مالك بن أنس، وقراءة نافع بن أبي نعيم، كما أدخل كتاب تفسير القرآن لعبدالله بن عباس[2]، قبل معاوية ابن صالح الحضرمي، الذي يعد أول ناشر للعلم في الأندلس من خلال ما قدمه من

---

(1) السيوطي: بغية الوعاة، المصدر السابق، ج1، ص 490.

(2) ابن القوطية: المصدر السابق، ص 92. كذلك ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 272.

إسهامات كبيرة في الحديث والتفسير والتاريخ وسيرة الرسول e والصحابة[1]، وحذا حذوه عبدالرحمن الهواري الذي ألّف كتاباً في التفسير، وكان يُدرّسه لتلاميذه[2].

وفي القرن الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين، نضج التفكير عند أهل الأندلس، وتزايدت أعداد الراحلين إلى المشرق الإسلامي طلباً للعلم، فتدفقت العلوم والمؤلفات المشرقية، وبدأ التأليف يزدهر وينمو في جميع العلوم، ففي مجال اللغة العربية وضع أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي مختصراً لكتاب (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي، كما ألف عدة كتب في النحو واللغة منها(الواضح) و(لحن العامة) و(أخبار النحويين) [3]، وفي مجال الأدب أدخل عالم العراق أبو اليسر الرياضي كتب الجاحظ [4]، وفي الفقه أدخل بقي بن مخلد مسند أبي بكر بن شيبة[5]، وقام قاسم بن سيار بإدخال كتاب(الأم) للإمام الشافعي، وألّف في الرد على مخالفي المذهب الشافعي كتابه (الإيضاح في الرد على المقلدين)[6]، كما أدخل عبدالله بن قاسم بن محمد بن هلال كتب داود بن علي الظاهري [7] ، أمّا أهم كتاب دخل الأندلس، فهو كتاب (الموطأ) للإمام مالك بن أنس، وفي مجال العلوم العربية أيضاً، أدخل العالم والفقيه المالكي الأندلسي أبو إسحاق إبراهيم بن بكر بن عمران بن عبد العزيز اللخمي الإلبيري كتاب الأبهري في شرح المختصر[8]، كما أدخل أحمد بن إسحاق الغافقي كتاب محمد بن إسماعيل البخاري في السنن الذي كتبه بالمشرق، وكتاب (الإشراف) لأبي بكر بن المنذر النيسابوري، وأخذ يحدّث بهما في بُبَشْتَر [9].

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 400ـ 402.

(2) المصدر نفسه، ص 212.

(3) السيوطي: بغية الوعاة، المصدر السابق، ص 84ـ 85.

(4) المقري: المصدر السابق، مج4، ص 131.

(5) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 83.

(6) الضبي: المصدر السابق، ص447.

(7) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 180.

(8) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 26. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص 215.

(9) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 52.

ثانياً / نمو وتطور العلوم وازدهارها:

بفضل تلك العلوم المشرقية التي دخلت الأندلس، إمّا عن طريق علماء المشرق أو علماء الأندلس، نمت العلوم والمعارف، وشمل هذا النمو معظم العلوم كعلوم الفقه والحديث والتفسير والقراءات والنحو واللغة والهندسة والحساب والطب والفلك وغيرها من العلوم الأخرى، وأسس الأندلسيون العديد من المراكز العلمية، لدراستها وتدريسها، ونتج عن ذلك ظهور جيل جديد استطاع أن ينهض ببلاده، ويجعل من تلك المراكز منارات وصل إشعاعها العلمي فيما بعد إلى بقية الدول الأوربية.

1/علم الفقه:

ويقصد به العلم بالدين وفهمه واستنباط الأحكام الشرعية من مصادرها الرئيسية، وهي القرآن الكريم والسنة النبوية ثم الإجماع والقياس والرأي، وحصل علم الفقه على شرف الريادة في الدخول للأندلس، وكان مبتدأ دخوله مع دخول الدين الإسلامي الأندلس، أي منذ أيام الفتح الأولى، وقد سار المسلمون به مع حركتهم الجهادية، إذ كان نشر الدين الإسلامي حركة جهادية، استناداً إلى قول الرسول e لأصحابه عندما كان يعود من المعركة: عدنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ويقصد به جهاد النفس وترويضها في طاعة الله عز وجل، من خلال تعليمهم أصول الدين وفرائضه، واقتدى الصحابة والتابعين بعمل الرسولe، وكانوا يسيرون بالفقه الإسلامي جنباً إلى جنب مع عملية الفتح الإسلامي، وتعليم القرآن الكريم، وظل الفقه الإسلامي في الأندلس أول الأمر يعتمد على ما يعلمه التابعون للناس من أمور الدين كالصلاة والصيام والحج والزكاة وغيرها من أمورهم الدينية الأخرى والتي تمس حياتهم اليومية؛ ولكن مع استمرار بقائهم في الأندلس وظهور المذاهب الدينية في المشرق العربي الإسلامي، دخل المذهب الأوزاعي، مذهب أهل الشام، وهو مذهب الأثر والرواية، وظل المذهب الرسمي في الدولة حتى عهد أميرها الأموي هشام بن عبدالرحمن، الذي اتجه نحو مدرسة

الفقه الحجازية، واعتمد المذهب المالكي، وجعله المذهب الرسمي للدولة، وتـــرك غيره من المذاهب الأخرى[1].

وبانتقال الأندلس إلى هذا المذهب الحجازي الجديد، بدأ علم الفقـــه يشـــهد تطوراً في هذه البلاد، وخاصة بعد أن اعتمده الأندلسيون مذهباً رسمياً للدولة، وقد كان للفقهاء في الأندلس دور كبير بإدخالهم لهذا المذهب ومؤلفاته التي كانت تجسد الفقه الإسلامي الخالص وهو فقه أهل الحجاز إلى الأندلس.

وقد دخل فقه هذا المذهب للأندلس منذ أن دخل كتاب الموطأ عن طريـــق بعض الفقهاء الذين رحلوا إلى الحجاز أول الأمر، مثل: زياد بـــن عبـــدالرحمن، والغازي بن قيس[2]، وقرعوس بن العباس [3]وغيرهم من الفقهـــاء الـــذين قـــاموا بإدخاله إلى الأندلس، وقد ساعد القانون الذي سنّه فقيـــه المالكيـــة فـــي الأنـــدلس ومؤسس مذهبها المالكي يحيى بن يحيى الليثي، وهو اقتصار وظائف الدولة على فقهاء المالكية دون سواهم، على تدفق الأفواج خارج الأندلس صـــوب المشـــرق إلتماساً لعلم الفقه المالكي لنيل الحظوة والمكانة الرفيعة، فدخلت المؤلفات الفقهية المدنية والمصرية، والتي كان مؤلفوها من أصحاب مالك وتلاميذه، وبفضل هؤلاء وغيرهم انتشر فقه المذهب المالكي بين أهالي الأندلس، وقد حـــرص الأندلســـيون على حصولهم على تلك المعارف الفقهية، وسعوا جاهدين للحصول عليها، إما من مالك أو من أحد تلاميذه الذين تتلمذوا على يديه، إذ كان يجيز لهم التحدث عنه.

وظل فقهاء المالكية يعملون بجد ومثابرة في تنمية الفقه الإسلامي بدراسته والتمعن في خباياه، فظهرت من بينهم شريحة كان لها الفضل الكبير في ظهـــور مؤلفات فقهية في الأندلس من عمل أبنائها، مثل: كتاب الواضحة لعبـــدالملك بـــن حبيب وهو الأصل الثاني في الفقه المـــالكي، وتفســـيره لكتـــاب موطـــأ مالـــك، والمستخرجة للعتبي[4]، وكتاب العُبّاد والعوابد، ورسالة السنة، وكتاب الصلاة في

---

(1) ابن القرطية: المصدر السابق، ص92. كذلك مصطفى الشكعة: الأئمة الأربعة، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، القاهرة، وبيروت، 1990م، ص 217.

(2) محمد مخلوف: المصدر السابق، ج1، ص 94

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص291.

(4) القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص49ـ 450. كذلك محمد مخلوف: المصدر السابق، ص112،111.

النعلين لمحمد بن وضاح [1]، وغيرها من المؤلفات التي ارتكز عليها الأندلسيون في تعلمهم علم الفقه الإسلامي آنذاك، وكانت بداية التأليف تتطابق مع بعض كتب الفقه المشرقية، وأخرى منسوخة عنها، ثم ظهرت بعض الشروح لبعض المسائل الفقهية، والمختصرات، مثل مختصر محمد وعبدالله ابني أبان بن عيسى بن دينار لكتاب المبسوط ليحيى بن إسحاق[2]، وغيرها من أنواع المؤلفات الأندلسية، ويبدو إن هؤلاء العلماء الأفاضل هم الذين ساهموا في تأسيس القواعد العلمية الرصينة للعلوم في الأندلس التي ساعدت الأجيال اللاحقة في الرقي بالفكر الأندلسي إلى مرحلة الإبداع والابتكار، إذ لولا جهودهم المضنية في وصول هذه المعارف والعلوم وتدوينها لذهب الأثر، وأندثر الخبر.

2/علم الحديث:

علم الحديث هو علم يشتمل على أقوال الرسول e وأفعاله وروايتها وضبطها وتحرير ألفاظها [3] وتأتي أهمية علم الحديث في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم، فمن المعروف أن أغلب الآيات القرآنية جاءت مجملة أو مطلقة أو عامة، فجاء قول الرسول e أو عمله فبينها ووضحها أو خصَّصها، ويُعد الحديث الشريف المصدر التشريعي الثاني بعد القرآن الكريم، وكان الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً يسمعونه من الرسول e مباشرة، فيقومون بروايته، ثم جاء بعدهم التابعون، وسمعوا منهم، ورووا ماسمعوا، ونقلوه عنهم، ومن هذا كله نشأ علم الحديث [4].

وليس من شك في أن المسلمين قد بذلوا جهداً كبيراً في سبيل تدوين الحديث الشريف وتصحيحه، ولعل ذلك يتضح من خلال المؤلفات التي جَمعت فيها الأحاديث منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، والتي كان من أشهرها،

---

(1) محمد مخلوف: المصدر السابق، ص 113.

(2) المصدر نفسه، ص 112.

(3) السيوطي: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، (تح) عبدالوهاب عبداللطيف، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، 1912، ج1، ص 119.

(4) أحمد أمين: فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، (د. ت)، ص 203.

صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن ابن ماجة، وسنن أبي داود السجستاني، وسنن الترمذي، ومسند النسائي، وغيرها الكثير.

وقد بدأ الاهتمام منذ زمن مبكر بدراسة علم الحديث، وفي هذا الصدد يقول ابن عبدالبر القرطبي: ((إن أول ما نظر فيه الطالب وعُني به العالم بعد كتاب الله عز وجل سنن رسولهe، فهي المبينة لمراد الله عز وجل من مجملات كتابه، والدالة على حدوده، والمفسرة له، والهادية إلى السراط المستقيم)) [1].

وفي الأندلس كان الحديث من أول العلوم التي رحل في طلبها طلاب العلم من الأندلس إلى المشرق العربي الإسلامي، فعلى سبيل المثال لا الحصر هناك العديد من العلماء الذين رحلوا للقاء شيوخ علم الحديث، فبرزوا فيه بعد عودتهم لا سيما في جمعه ودراسته والتأليف فيه وجمعه في كتاب منظم [2] .

ومن هؤلاء محمد بن وضاح بن بزيغ، وبقي بن مخلد، وقاسم بن أصبغ، وأحمد بن سعيد بن حزم الصدفي، ومحمد بن مفرج، وابن الدباغ، وعبد الوارث ابن سفيان بن جبرون، وغيرهم الكثير.

وقد كان الفضل في إدخال علم الحديث للأندلس لابن وضاح وابن مخلد، اللذين رحلا إلى المشرق العربي، ثم رجعا إلى الأندلس، فأسسا مدرسة الحديث، التي نمت بجهودهما وجهود تلاميذهما المذكورين، وظلا علمان من أعلام الحديث إلى أن وافاهما الأجل [3].

ولم يقف الأندلسيون عند حدود أخذ علوم الحديث من أهل المشرق فحسب؛ بل أعطوا أيضاً من علمهم، ومارسوا التدريس والإقراء للأحاديث في المشرق، حتى أن بعضهم فضّل البقاء على العودة إلى بلاده.

ولقد أُلفت بالأندلس جملة من المؤلفات في هذا العلم، منها أن مؤلفات بقي ابن مخلد أُلف في هذا المضمار، وهي عدة كتب منها: كتاب المسند الذي رتبه على أسماء الصحابة، فروى فيه عن ألف وثلاثمائة صاحب ونيّف، ورتب حديث

---

(1) ابن عبدالبر: الإستيعاب في معرفة الأصحاب، (تح) علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، (د. ت)، ق1، ص 1.

(2) محمد بن الحارث الخشني: طبقات المحدثين، مخطوط مكتبة القصر الملكي في الرباط، رقم 6916، الورقة 49، 66. كذلك ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 43.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 305 ــ 306.

كل صاحب على أسماء الفقه وأبواب الأحكام، فهو إذاً مسند ومصنف، وكتاب في فتاوى الصحابة والتابعين ومن دونهم، وكتاب ذكر ما للصحابة من الحديث من العدد، وكتاب المُتقى من حديث بقي بن مخلد [1].

كما ألَّف قاسم بن أصبغ عدة مؤلفات في الحديث منها مصنف المُجتبى، ومصنف المنتقى، وكتاب في غرائب الحديث، وكتاب مسند حديث مالك [2] .

أما ابن الصدفي فقد ألف كتاباً في تاريخ المحدثين بلغ فيه الغاية [3] ، كما أُلفت كتب في فقه الحديث ، وقد سار في هذا المنهج محمد بن مفرج الذي ألف كتاباً في فقه الحسن البصري في سبع مجلدات، وآخر في فقه الزهري، كما جمع مسند حديث قاسم بن أصبغ و مسند حديث ابن الفرضي [4]، كما ألف ابن الدباغ خلف بن قاسم في الحديث عدة كتب منها مصنف حديث مالك، ومصنف شعبة بن الحجاج، وكتاب أسماء المعروفين بالكُنى من الصحابة والتابعين وسائر المحدثين[5]

كما ألف عبد الوارث بن سفيان بن جبرون تلميذ قاسم بن أصبغ، عدة مؤلفات في علم الحديث منها: كتابه الدلائل، وكتاب شرح غريب الحديث [6] .

وفي الواقع ليس من السهل الحديث عن كل علماء الأندلس المحدثين ومؤلفاتهم؛ لكن من خلال ما سبق ذكره منهم يتضح أن هذا العلم الذي دخل الأندلس عن طريق العلماء الذين رحلوا إلى المشرق العربي الإسلامي، لقي اهتماماً كبيراً من قبل العلماء في الأندلس، وكان هذا العلم هو المعول عليه في تنمية وإبراز العلوم الدينية الأخرى.

3/علم التفسير:

التفسير هو بيان معاني القرآن وتوضيحها، وكشف المراد منها ومعناها [1] وقد كانت بدايات التفسير في الأندلس عبارة عن تفسير لبعض آيات القرآن الكريم،

---

(1) الحميدي: المصدر السابق، ص 177_ 179. كذلك الضبي: المصدر السابق، ص 245_ 247.

(2) الداوودي: المصدر السابق ، ج2، ص 39.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 46

(4) الحميدي: المصدر السابق، ص 40.

(5) ابن الفرض: المصدر السابق، ص118_119.

(6) الحميدي: المصدر السابق، ص 395_ 396. كذلك ابن بشكوال: المصدر السابق، ص 382.

وليس القرآن كله، و غالباً ما كانت تعتمد على كتب الحديث في ذلك، فقد تضمنت كتب الحديث مثل: صحيحي البخاري [*] ومسلم [**] وغيرها أبواباً خاصة بتفسير القرآن الكريم، فيما نقل عن رسول اللهe، أو عن بعض الصحابة والتابعين من تفسير لبعض آيات القرآن الكريم، وهو ما يعرف بالتفسير بالمأثور [2] .

كما ساعدتهم في تطور هذا العلم دخول كتب تفسير القرآن التي دُوِّنت في المشرق العربي الإسلامي واختصارها، كتفسير عبدالله بن عباس، الذي أدخله للأندلس عبدالرحمن بن سعيد الجزيري القرطبي [3]، وتفسير الحسن البصري الذي أدخله للأندلس خليل بن عبدالملك المعروف بخليل الفضلة[4]، وتفسير عبدالرحمن بن زيد ابن أسلم الذي أدخله يحيى بن يحيى الليثي[5]، وتفسير يحيى ابن سلام وهو الذي يعده المؤرخون أقدم تفسير دخل الأندلس على يد محمد بن وضاح واسم هذا التفسير"شفاء الصدور المهذب عن تفسير القرآن الكريم"[6]، وتفسير عبدالرزاق الصنعاني الذي أدخله للأندلس كل من تمام بن عبدالله بن تمام المعافري[7]، وهاشم بن يحيى بن حجاج البطليوسي[8]، وتفسير أبي عبيد القاسم بن سلام، وقد عرف أهل الأندلس مختصرين لتفسير ابن سلام وهما مختصر أبي

---

(1) إبراهيم الكروي: المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1999م، ص 201.

(*) هو أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، المولود سنة 194هـ/ 810م، من بخارى، وهو من أئمة الحديث، وأعلامه، صاحب الكتاب المشهور" الجامع الصحيح" أو "صحيح البخاري" توفي سنة 256هـ/ 871م. السيوطي: طبقات الحفاظ، المصدر السابق، ص 271.

(**) هو أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ولد سنة 204هـ/ 820م، من كبار علماء الحديث، واضع كتب" صحيح مسلم" توفي سنة 261هـ/ 874م، في مدينة نيسابور. السيوطي: طبقات الحفاظ، المصدر السابق، ص 283.

(2) إبراهيم الكروي: المرجع السابق، ص 230ـ231.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 213.

(4) المصدر نفسه، ص 120.

(5) القاضي عياض: المصدر السابق، ج1، ص 311.

(6) فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، (ترجمة) فهمي أبو الفضل وآخرون، القاهرة، 1978م، ج1، ص 213ـ 214.

(7) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 78.

(8) المصدر نفسه، ص 426.

عبدالله محمد بن عبدالله بن عيسى بن أبي زمنين[1]، وأبي المطرف بـن مـروان القنازعي[2]، كما دخل إلى الأندلس تفسير محمد بن جرير الطبري وهو التفسير الذي حوى التفاسير التي سبقته، وأصلاً لكل التفاسير التي ظهرت بعده، وقد أدخله للأندلس أبو أيوب سليمان بن محمد الشذوني[3]، واختصره فيما بعد عالم القـرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، محمد بن أحمد بـن عبـدالرحمن بـن صمادح التجيبي(ت 419هـ/ 1028م) في كتاب سماه(مختصر في غريب القرآن) من تفسير الطبري[4].

أما بالنسبة للتأليف في علم التفسير القرآني وعلومه، فقد شهدت الأنـدلس نشاطاً كبيراً خلال هذه الحقبة، فقام بعض فقهاء الأندلس بتفسير كامل القرآن على نمط تلك التفاسير التي قَدِمَتْ إليهم من المشرق العربي الإسلامي، وامتـداداً لمـا سبقها من تفاسير المشارقة، لكن حملت طابعها الذي يميزها عن غيرها من تلـك المؤلفات، لأن البيئة والثقافة لعبت دورها المهم في شكل المؤلف ومضمونه، لكن المؤسف أن تلك المؤلفات قد ضاع أغلبها بسبب ما لحق الأندلس مـن النكبـات والظروف التي لحقت البلاد وأرهقت العباد على مر الأيام والسنين.

ومن بين العلماء الأندلسيين الذين كان لهم دور كبير في تطور علم التفسير في الأندلس بفضل مؤلفاتهم، المنذر بن سعيد البلوطي الذي ألّف في مجال التفسير عدة مؤلفات منها:كتاب (الإنباه على استنباط الأحكام مـن كتـاب الله)، وكتـاب (الإبانة على حقائق أصول الديانة)، وكتاب (أحكام القـرآن)، وكتـاب (الناسـخ والنسوخ) [5] .

---

(1) الداوودي: المصدر السابق، ج2، ص 37.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص 293، 295.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 158.

(4) عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، بيروت، (د، ت)، ج5، ص 194.

(5) المقري :المصدر السابق، مج2، ص 231، 233.

كما ألف مجاهد بن أصبغ بن حسان مؤلفات فيه منهـــا: كتــاب الناســخ والمنسوخ، وكتاب فساد الزمان، وكتاب طبقات الزمان[1]، كما ألّــف علــي بــن سليمان الزهراوي تفسيراً للقرآن [2] .

وبفضل هؤلاء العلماء وغيرهم تطور علم التفسير وكان لهذا العلم باع كبير في نمو وازدهار الحياة الدينية بالأندلس، كما ساهمت هذه التفاسير في تطور علم اللغة والنحو بالأندلس.

4/علم القراءات:

علم القراءات هو العلم الذي يدرس أصول قراءة القرآن الكريم، إذ أنه يعد المرحلة الأولى أو المدخل لعلم التفسير، ولذلك كانت عناية الأندلسيين بهذا العلــم كبيرة لدرجة أنه لم تَخْلُ مدينة أو بلدة أو مسجد من مقرئ يقوم بالقراءة الصحيحة للقرآن، وقد تعددت القراءات التي نزل بها القرآن الكــريم إلــى ســبع قــراءات واعتبرت أصولاً للقراءة [3] .

قرأ أهل الأندلس القرآن الكريم أول أمرهم على قراءة حمزة [*]، فكانــت بذلك أول قراءة عرفوها، واستمروا عليها حيناً من الدهر، ثم تحولوا عنهــا إلــى قراءة نافع بن أبي نعيم[**] والتي أدخلها إلى الأندلس الغازي بن قيس بعد رحلتــه التي دخل فيها المدينة المنورة ولقي فيها نافع [4] ، ويعلل القاضي عياض ســبب

---

(1) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 409ـ 410.

(2) ابن بشكوال: المصدر السابق، ق2، ص 431.

(3) ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 468.

(*) نسبة إلى أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الكوفي التميمي، ولد سنة 80هـ/ 699م، وكان حجة ثقة بكتاب الله بصيراً بالفرائض، حافظاً للحديث، وهو أحد القراء السبع، توفي سنة 156هـ/ 772م، بحلوان بمصر. ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، القاهرة 1933م،ج1، ص 261ـ 263. كذلك الذهبي: معرفة القراء الكبار، المصدر السابق، ص 66ـ71.

(**) هو نافع بن عبدالرحمن بن أبي نعيم، أحد القراء السبعة، كان من القراء الأوائل بمعرفة الوقف والابتداء في القرآن الكريم، أي معرفة المواضع من الآيات التي يحسن بالقارئ الوقوف عندها، ثم يبدأ بما بعدها، وكان نافع قد قرأ على يد أبي ميمون مولى أم سلمة زوج الرسول ﷺ، وعن عدد من التابعين، ولم يلبث أن ذاع سيطه بعد أن استمع الناس إلى قراءته، وأعجبوا بها، وأقبلوا على تعلمها، وهكذا تجاوزت المدينة إلى سائر الأقطار، حيث انتهت إليه رئاسة القراءة آنذاك، توفي سنة 169هـ/ 785م. ابن الجزري: المصدر السابق، ج2، ص 330ـ334. كذلك الذهبي: معرفة القراء الكبار، المصدر السابق، ص 64ـ 66.

(4) محمد مخلوف: المصدر السابق، ج1، ص 94.

انتقال الأندلسيين من قراءة حمزة إلى قراءة نافع بانتقالهم من المذهب الأوزاعي إلى المذهب المالكي، ذلك لأن نافعاً كان شيخاً لمالك في قراءة القرآن الكريم[1]، وقد سارت قراءة القرآن على هذه الطريقة، إلى أن أدخل محمد بن وضاح قراءة ورش[*]، فاعتمدها أهل الأندلس قراءة رسمية لهم [2] .

وقد ساهم أهل المشرق في نمو علم القراءات في الأندلس من خلال مقرئيهم الذين رحلوا إلى الأندلس، وقاموا بإقراء أهلها القرآن الكريم منهم عبدالله ابن عمر بن أحمد القبيسي البغدادي، الذي رحل إلى الأندلس، ونزل قرطبة، وأخذ يقرئ القرآن، وعلي بن محمد بن إسماعيل بن بشر الأنطاكي الذي دخل الأندلس وصار مقرئها ومسندها، وصنف في قراءة ورش، وقد قرأ عليه طائفة من قراء الأندلس منهم أبو الوليد بن الفرضي، الذي مات بقرطبة سنة 397هـ/1006م[3]، ونتيجة لدخول هذه القراءات ومقرئيها نبغ في هذا العلم عدد من المقرئين الذين أخذوا على عاتقهم تعليم الناس القرآن الكريم، وساهموا في ازدهار هذا العلم، منهم عبدالله بن محمد القضاعي المعروف بمقرون المقرئ، وكان معاصراً للخليفة الحكم الثاني الذي يقال إنه طلب منه العودة إلى بلاده لإقراء الناس القرآن الكريم، فقدم من المغرب العربي، إلى مالقة ثم إلى قرطبة في حدود سنة 350هـ/961م، كما برع في هذا العلم عيسى بن سعيد بن سعدون القرطبي، الذي رحل وقرأ القراءات على أحمد بن نصر الشذائي وأبي حفص الكناني وغيرهما، ثم رجع إلى الأندلس، وأقرأ في مسجد قرطبة مدة إلى أن توفي سنة 390هـ/999م، وكان من بين مقرئي الأندلس محمد بن إبراهيم بن هانئ بن عيشون الإلبيري(ت

---

(1) القاضي عياض: المصدر السابق، مج1، ص 55.

(*) هو أبو سعيد عثمان بن سعيد الملقب بورش، أصله من إفريقية، قرأ القرآن الكريم على نافع بن أبي نعيم، ونافع هو الذي لقبه بورش، وهو اسم لطائر، انتهت إليه رئاسة المقرئين في مصر، توفي بمصر سنة 197هـ .الذهبي: معرفة القراء الكبار، المصدر السابق، ص 91ـ 93.

(2) محمد مخلوف: المصدر السابق، ج1، ص 113.

(3) الذهبي: معرفة القراء الكبار، المصدر السابق، ص 191.

بعد390هـ/999م)، الذي رحل، وأخذ القراءات عن محمد بن عبدالله بن أشته، وأقرأ بالأندلس زماناً [1] .

كما ازدهر علم القراءات في أيام الدولة العامرية على يد مجاهد مولى الأمير المنصور بن أبي عامر، فاعتنى بعلم القراءات، واجتهد في تعليمه، وعرضه على من كان من أئمة القراء في حضرته، وعندما تولى مجاهد إمارة دانية والجزائر الشرقية، راجت بها سوق القراءة، وذلك بسبب أن مجاهداً كان من أئمة القراء فيها، فكان يحرص كل الحرص على أن يكون لهذا العلم شأن كبير في بلاده، فنبغ عدد كبير من القراء في عهده، منهم: أبوعمر الداني(ت444هـ/1052م) وألف كتاب التيسير في القراءات السبع، وكتاب إيجاز البيان في قراءة ورش عن نافع، والمقنع في رسم المصحف، وطبقات القراء وأخبارهم، وجامع البيان في القراءات السبع وطرقها المشهورة والغريبة، والوقف والابتداء، وسواها الكثير [2]، كما تعددت المؤلفات في هذا المضمار العلمي، وصارت من المؤلفات التي يُعوّل عليها في فهم القراءات في الأندلس [3] .

5/علم النحو واللغة :

كان لابد للعرب في الأندلس أن يبذلوا جهوداً في سبيل المحافظة على لغتهم، وذلك نظراً لغلبة العنصر الأعجمي فيها، ونتيجة لاتصال الأندلس ببلاد المشرق العربي الإسلامي، انتقلت إليها علوم مختلفة كان النحو واللغة من ضمنها، حيث حملت إليها كتب المشارقة في النحو مثل كتاب سيبويه والكسائي وسواهما، وفي اللغة دخل كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، وغيره، كما ساهم علماء المشرق العربي الإسلامي الذين رحلوا إلى قرطبة بدور كبير في نمو هذين العلمين كأبي علي القالي الذي قام بتدريس اللغة العربية وآدابها، وأملى على الأندلسيين كتابه الأمالي [4] .

---

(1) المصدر نفسه، ص 216ــ 217.

(2) ابن بشكوال: المصدر السابق، ص 405ــ 407.

(3) ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 468.

(4) للمزيد يُنظر: ياقوت الحموي: معجم الأدباء، المصدر السابق، ج2، 302ــ 306.

كما أسهمت الرحلة العلمية التي قام بها طلاب وعلماء وفقهاء الأندلس إلى المشرق العربي الإسلامي في نمو وتطور هذين العلمين ببلادهم، بإدخالهم مؤلفات أهل المشرق في هذا المضمار العلمي كما أشرنا، ونشرها بين أبناء الأندلس الراغبين في دراستها وتعلم علومها، وكان رائد هذه الحركة خلال القرن الثاني للهجرة/ الثامن الميلادي العالم الفقيه جودي بن عثمان الذي نال شرف إدخال علم النحو إلى الأندلس، بعد أن درس هذا العلم على أساتذته الكبار أمثال: الفراء والريَّاشي والكسائي، الذي أدخل كتابه في النحو، وتصدر لتعليمه لأبناء بلده، ثم سعى بجهده إلى تأليف كتاب في النحو سنة 198هـ/813م، سماه" منبه الحجارة"، وقد بقي هذا الكتاب يدرس، ويعتمد عليه في تدريس النحو[1]، أما في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، فقد ازدادت الرحلة في طلب العلم ومعها ازداد دخول كتب النحو والعربية للأندلس، ففي النحو قام موسى بن أصبغ المرادي وكان من علماء النحو واللغة في الأندلس برحلة إلى العراق تعلم فيها بعض قواعد اللغة والنحو على يد محمد بن الحسين بن دُريد وغيره، وبعد أن برع في النحو رجع إلى بلده فألف قصيدة من ثمانية آلاف بيت في النحو نظم فيها قواعد المبتدأ، وظلت هذه القصيدة مثالاً حياً على النبوغ الذي بلغه أهل الأندلس في علم اللغة والنحو[2]، إلى أن ألَّف على غرارها ابن مالك[*] قصيدته المشهورة بالألفية، كما دخل في هذا القرن إلى الأندلس كتاب الكافي في النحو لابن النحاس، على يد عبدالسلام بن السمح بن نابل الهواري [3]، والحسين بن وليد بن نصر، الذي يرجع الفضل له في إدخال كتاب آخر في النحو وهو كتاب الجمل للزجاج، إضافة إلى مؤلفاته الحسنة في النحو والتي منها كتابه الذي اعترض فيه على ابن النحاس في

---

(1) السيوطي: بغية الوعاة، المصدر السابق، ج1، ص490.

(2) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص408. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص337. والضبي: المصدر السابق، ص 455. والسيوطي: بغية الوعاة، المصدر السابق، ج2، ص 306.

(*) هو أبو عبدالله جمال الدين محمد بن عبدالله بن مالك الطائي الجياني، العلامة الشافعي، النحوي الكبير، له الكثير من المؤلفات في النحو نظماً ونثراً منها وأشهرها الكافية، والألفية، والتسهيل وشرحه، توفي سنة 672هـ .
السيوطي: بغية الوعاة ، المصدر السابق، ج1، ص 130.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 233.

مسائل ذكرها في كتابه الكافي، وكتابه الآخر في شرح كتاب الجمل للزجـــاج [1]، كما أدخل محمد بن أبي علاقة الذي رحل إلى المشرق للأندلس عند عودته كتاب الكامل للمبرد، وقد أشاد الخليفة المستنصر بعمله هذا بقوله: ((إنه لم يصح عنـــدنا كتاب الكامل من روايته إلاَّ من قبل ابن علاقة، رغم دخوله للأندلس من قبل ابـــن جابر الإشبيلي، وروايته بالأندلس قبل ذلك)) [2]، كما دخل أيضاً كتاب سيبويه في النحو وهو على رواية ابن النحاس، وقد أدخله كل من محمد بن موسى بن هاشـــم بن يزيد الأفشتين [3]، ومحمد بن يحي بن عبدالسلام الأزدي، حيث حصل الأخير بفضل علمه على حظوة عالية عند خليفة الأندلس الناصر لدين الله، بـــأن جعلـــه مؤدب ابنه المغيرة في النحو، كما حصل على مهنة داخل قصر الإمـــارة، وهـــي العمل في مكتبة القصر بقرطبة، وقد اشتغل بها في مقابلة الكتب الـــواردة علـــى المكتبة وتصنيفها، وظل على هذه المكانة الرفيعة أيام الخليفة الحكم الثاني[4].

وفي ميدان علم اللغة، دخلت إلى الأندلس جملة أخرى من مؤلفات أهـــل المشرق، وكان رائد هؤلاء العلماء في حيازة سبق إدخالها ثابت بن حزم، الـــذي يعتبره أحد المؤرخون مؤسس علم اللغة بالأندلس، وصاحب الفضـــل الأول فـــي إدخال كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، والذي يُعد من أفضل كتـــب اللغـــة العربية آنذاك في المشرق[5]، ثم أدخله معه إلى الأندلس فيما بعد الفقيه والقاضـــي الأندلسي المنذر بن سعيد البلوطي على رواية ابن النحاس[6].

ونتيجة لدخول هذه المؤلفات وهؤلاء العلماء، ونظرائهم، تطـــور علمـــي النحو والعربية، و نبغ فيهما العديد من العلماء الأندلسيين ـ إضافة إلى من ســـبق ذكرهم ـ أذكر منهم: أبا بكر الزبيدي الذي تأدب بالعربية على يد أبيه وأبي علـــي القالي، حتى أصبح أوحد زمانه في اللغة والنحو، وألّف العديد من المؤلفات الجيدة

---

(1) الحميدي: المصدر السابق، ص 194.

(2) المقري: المصدر السابق، مج2، ص 353ــ 354.

(3) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 316.

(4) المصدر نفسه، ص 348ــ 349.

(5) محمد مخلوف: المصدر السابق، ص 128.

(6) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 404.

مثل كتابه (طبقات النحويين واللغويين)، وكتاب (لحن العوام)، و(مختصر كتاب العين)، (والأبنية)، و(استدراك الغلط الواقع في كتاب العين)، وكتاب (الانتصار على من أخذ عليه في مختصر العين)، و(رسالة الانتصار للخليل فيما ردّ عليه من العين)، و(مختصر لحن العوام)، و(الواضح في النحو) [1]، كما ظهر عالم آخر وهو أبو القاسم الحسين بن الوليد بن نصر العريف، الذي كان نحوياً وعالماً بالعربية، وقد ألف عدة كتب في علم النحو منها: كتاب يشتمل على مسائل في النحو اعترض فيها على أبي جعفر النحاس، و(رسالة في الإعراب) و(شرح الجمل للزجاج)، وسعيد بن عثمان بن القزاز الذي تتلمذ على يد القالي ونظرائه، وألف كتاباً في الرد على صاعد بن الحسن اللغوي البغدادي في مناكير كتابه (الفصوص) وأكثر التحامل عليه [2]، وأحمد بن عبدالعزيز بن فرج بن أبي الحباب القرطبي، الذي لازم القالي، وأخذ عنه علمه في العربية والأدب[3] .

ومن خلال هذا العرض البسيط لآثار الرحلة العلمية إلى المشرق العربي الإسلامي على الأندلس في علم اللغة والنحو، أرى أن هذين العلمَين قد احتلا مركزاً كبيراً عند أهل الأندلس، ولعلنا نجد ذلك في اعتراف ابن خلدون بمكانة الأندلسيين في صناعة العربية، إذ يقول: ((وأما صناعة العربية بالأندلس، ومعلموها أقرب إلى تحصيل هذه الملكة وتعليمها ممن سواهم، لقيامهم فيها على شواهد العرب وأمثالهم، والتفقه في الكثير من التراكيب في مجالس تعليمهم، فيسبق إلى المبتدئ كثير من الملكة أثناء التعليم، فتنقطع النفس بها، وتستعد إلى تحصيلها وقبولها)) [4]

6/علم التاريخ:

ولع الأندلسيون بعلم التاريخ، مثل ولع المشرقيين به، وساهم من رحل منهم إلى المشرق العربي الإسلامي في ترسيخ قواعد هذا العلم، وبروز مؤلفاته في الأندلس، ويظهر أن الاشتغال بعلم الحديث الشريف كان أحد العوامل التي

---

(1) الحميدي: المصدر السابق، ص 46. كذلك ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 366.

(2) الضبي: المصدر السابق، ص 267ـ 268. كذلك الحميدي: المصدر السابق، ص 194.

(3) ابن بشكوال: المصدر السابق، ج1، ص 19ـ 20.

(4) ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 650.

ساهمت في نمو هذا العلم، حيث كان المحدثون يجمعون الأحاديث التي يتصل بعضها بالعبادات والمعاملات، وبعضها الآخر بسيرة النبي e، والصحابة، مما أدى إلى جمع سيرة الرسولe، ثم إلى كتابة التاريخ.

فمن خلال تتبع حركة الرحلة العلمية التي قام بها أبناء الأندلس، أرى أن أول مؤرخي الأندلس هو عبدالملك بن حبيب الذي رحل إلى المشرق، وتعلم الحديث وما إليه من الفقه الإسلامي، حيث أكسبه علمه توسعاً في فهم التاريخ، فألف فيه كتابه(التاريخ) أو(استفتاح الأندلس) [1] والذي سار فيه على نهج أهل المشرق في التأليف، إذ نراه يبدأ بالكتابة في مؤلفه هذا ببداية الخليقة إلى أن يصل في تتبعه للأحداث التاريخية إلى فتح الأندلس، وما جرى بها من أحداث، كما أُلِّف كتاب تاريخ آخر تخصص فيه صاحبه في تاريخ بلاده وهو ابن القوطية(تاريخ افتتاح الأندلس)، والذي قام فيه بتفسير الحوادث التي وقعت في بلاده، وقد عُثر على هذا الكتاب وتمَّ نشره [2] .

وممن اشتهر بعلم التاريخ في الأندلس أيضاً آل الرازي، وهم ثلاثة من المؤرخين، كتبوا في مجال التاريخ والجغرافية، وأولهم محمد بن موسى الرازي الذي وفد على الأندلس أيام الأمير محمد بن عبدالرحمن سنة 249هـ/863م، ونال حظوة عند الأمير بفضل مؤلفه في التاريخ الأندلسي، وهو كتابه" الرايات"، وأمَّا الثاني، فهو أبو بكر أحمد بن موسى الرازي، الذي كان أديباً وشاعراً؛ إلاَّ أن التاريخ غلب عليه حتى إنَّه لُقِّب بالتاريخي لكثرة اشتغاله بالتاريخ، ولعل من أهم مصنفاته (كتاب في أخبار ملوك الأندلس) و(صفة قرطبة وخططها)، و(أنساب مشاهير الأندلس)، أما الثالث فهو عيسى بن أحمد بن موسى الرازي، الذي عاش في أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وقد أكمل كتاب والده[3]، وألف كتابين في تاريخ الأندلس هما:(كتاب تاريخ الأندلس) و(حجاب خلفاء الأندلس)،

---

(1) نشر القسم الأندلسي منه الدكتور محمود علي مكي في مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، الجزء الخامس مدريد، 1957م.

(2) حققه عبدالله أنيس الطباع، وراجع التحقيق عمر فاروق الطباع، ونشره مؤسسة المعارف، بيروت 1994م.

(3) رضا هادي عباس: الأندلس محاضرا ت في التاريخ والحضارة، منشورات إلجا، فاليتا، مالطا، 1998م، ص54.

كما ألّف غيرهم العديد من الكتب مثل كتاب (أخبار مجموعة في فتح الأندلس) الذي نسب إلى مؤلف مجهول، وقد حوى هذا الكتاب وقائع التاريخ الأندلسي منذ الفتح إلى خلافة عبدالرحمن الناصر [1] .

ولأن المجال لا يسع إلى ذكر كل من عمل في هذا الحقل العلمي، اكتفيت بذكر تلك النماذج من أولئك المؤرخين على سبيل المثال لا الحصر، لتوضيح مدى الاهتمام الذي لقيه هذا العلم، ومدى النمو والازدهار الذي شهدته حركة تدوين التاريخ الأندلسي أسوة بمؤرخي البلاد المشرقية.

7/علم الفلك:

اهتم العرب المسلمون بعلم الفلك أو ماكان يسمى بعلم الهيئة أو علم النجوم، لأنهم كانوا يجدون فيه معنى دقيقاً وعميقاً يوصل إلى برهان وحدة الله، وإلى معرفة عظمة القادر وحكمته السامية وقوته الكبرى، وكمال خلقه، فضلاً عن ضرورات الدين التي تتطلب النظر والتأمل الدائم للسماء، ومراقبة الأهلة لتحديد شهر الصيام والأعياد، ومواعيد الشروق والغروب، واتجاه القبلة [2] .

ولم تكن الأندلس بمعزل عن بلدان المشرق العربي الإسلامي وما يحدث فيه من تطور في الحياة الفكرية؛ بل كانت دائمة المواكبة لما يحصل في المشرق من تطورات في دراسة علم الفلك، وقد أشار بعض المؤرخين الأندلسيين في كتبهم إلى رواج هذا العلم والاهتمام به في الأندلس، أمثال العالم الأندلسي صاعد في كتابه طبقات الأمم حيث يقول: ((أما صناعة أحكام النجوم فلم تزل نافقة بالأندلس قديماً وحديثاً، واشتهر بتقليدها جماعة في كل عصر إلى عصرنا هذا)) [3]. ويبدو من خلال هذا أن اهتمامهم كان في وقت مبكر، كما أشارت مصادر أخرى إلى أن الأمير عبدالرحمن بن الحكم(206ـ 238هـ/821ـ852م) قام بإرسال عباس بن ناصح الثقفي الجزيري إلى العراق ليلتمس الكتب القديمة، فأتاه بكتاب السند هند، وغيره، وهو أول من أدخلها الأندلس، وعرّف أهلها بها [4] .

---

(1) حققه إبراهيم الأبياري، سنة 1989م، بدار الكتاب المصري بالقاهرة، ودار الكتاب اللبناني ببيروت.

(2) عبدالواحد ذنون طه: دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004م، ص 43.

(3) ابن سعيد: المصدر السابق، ج1، ص 45. كذلك عبدالواحد ذنون: المرجع السابق، ص 47.

(4) ابن سعيد: المصدر السابق، ج1، ص 45.

وقد استمرت هذه الحركة العلمية في عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن، ثم وصلت إلى ذروتها في عهد الخليفة الحكم الثاني الذي كان معتنياً بالعلوم، والسعي في جلب الكتب من بغداد ومصر وغيرها، الأمر الذي قدّم دعماً كبيراً للدراسات العلمية بالأندلس، ولم يكن علم الفلك بعيداً عن هذا المضمار، ويحتمل انتقال الكثير منها إلى الأندلس ولا سيما مؤلف الخوارزمي[*] الذي وصل إليها خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي .

لقد أدى وصول هذه المؤلفات إلى بلاد الأندلس والتعرف على إنجازات علماء المشرق إلى توفير المُناخ الملائم للطلاب والعلماء الأندلسيين للدراسة والاستزادة في مجال علوم الفلك، فظهرت مدارس فلكية مشهورة وأُلّفت الكتب القيّمة في هذا المجال، والتي لا تقل أهمية عن مآثر العرب المسلمين في المشرق العربي الإسلامي، ومما يُؤسف له ضياع الكثير من هذه الآثار، لإبادة جميع مخطوطاتها إبادة منظمة من قبل المنصور بن أبي عامر[1]، ومن ثم السلطات الإسبانية بعد خروج المسلمين، وانتهاء وجودهم السياسي فيها إثر سقوط آخر معاقلهم وهي غرناطة سنة 897هـ/ 1492م، ولم يسلم منها غير الشيء القليل الذي ترجم إلى العبرية واللاتينية، فأمكن الاستدلال منه على ما احتوته من معلومات وما توصل إليه الأندلسيون في هذا المجال[2] .

وقد أُلّفت خلال هذه الفترة العديد من كتب الفلك التي قام بتأليفها علماء أندلسيون مثل أبي القاسم بن مطرف القطان الذي ألف كتاب (الهيئة) وهو أقدم نص فلكي أندلسي[3]، وتلاه بعض العلماء مثل أبي القاسم المجريطي، الذي كان له باعٌ كبيرٌ في هذا العلم بتأليفه جملة من الكتب، منها: كتاب(شرح كتاب المجسطي

(*) هو محمد بن موسى الخوارزمي، أصله من خوارزم، وقد عينه الخليفة المأمون قيّماً على بيت الحكمة البغدادي، وكان متقناً لعلوم الهيئة والرياضيات، وكان الناس يعولون على زيجه الأول والثاني، ويعرفان بالسند هند، من مؤلفاته كتاب الزيج نسختين، وكتاب الرخامة، وكتاب الجبر والمقابلة، وكتاب العمل بالاسطرلاب، وكتاب عمل الاسطرلاب، وكتاب التاريخ. ابن النديم: الفهرست، ص 383. كذلك القفطي: أخبار العلماء بأخبار الحكماء، المصدر السابق، ص 187ــ 188.

(1) ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص 292ــ 293.

(2) عبدالواحد ذنون طه: المرجع السابق، ص 48.

(3) المرجع نفسه، ص 50.

لبطليموس)[*] وكتاب(الأزياج) وهو كتاب اختصر فيه تعديل الكواكب في زيج البتاني، وزيج مسلمة تعديل لزيج الخوارزمي، وكتاب في الآلات هو رسالة في الاسطرلاب [1] .

وقد أبدع هؤلاء العلماء إبداعات فلكية عظيمة، حيث صنعوا في هذا المضمار آلات فلكية منها اختراع عباس بن فرناس التاكرني(ت 274هـ/887م) بعض الآلات الرياضية والفلكية الدقيقة منها آلة تعرف(المنقالة) لقياس الزمن، وهي آلة لحساب الوقت، وآلة أخرى تسمى بذات الحلق للرصد، كما صنع في بيته أنموذجاً مصغراً للسماء يُخيل للناظر فيها نجوم وغيوم وبروق ورعود، وكان هذا كما يظهر من صفته نموذجاً تطبيقياً لبعض مظاهر علوم الفلك النظرية التي اهتم بها هذا العالم الأندلسي الذي اشتهر أيضاً بمحاولته الجريئة للطيران [2] .

كما عاش في هذا العصر عالم آخر عُرف باهتماماته بحركات الكواكب وأحكامها، ودراساته في تعيين القبلة وهو مسلم بن أحمد بن أبي عبيدة الليثي" صاحب القبلة، المتوفى سنة 295هـ/907م، حيث نادى ببعض المفاهيم الفلكية الصحيحة، مثل: كروية الأرض، ودورانها في فلك، واختلاف فصول السنة باختلاف المواقع من الكرة الأرضية[3]، وكان لشيوع هذه المفاهيم أثر في معارضة بعض المعاصرين له، وعدم اعتقادهم بها، منهم: أحمد بن محمد بن عبدربه الذي قال بعض الأبيات الشعرية مستنكراً آراء صاحب القبلة الفلكية ومن هذه الأبيات[4]:

(*) هو بطليموس قلاوديوس صاحب كتاب المجسطي عاش في الإسكندرية خلال القرن الثاني الميلادي، وكتابه المجسطي هو كتاب في علم الهيئة والنجوم وحركات الكواكب والأفلاك، وأول من اعتنى بترجمته إلى العربية وتفسيره يحي بن خالد بن برمك المتوفى سنة 190هـ، ثم توالت عليه العناية بشرحه وتحريره ومراجعته واختصاره. ابن جلجل: المصدر السابق، ص 36ــ 37.

(1) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ج3، ص62. كذلك القفطي: أخبار العلماء بأخبار الحكماء، المصدر السابق، ص 214.

(2) المقري: المصدر السابق، مج4، ص 348ــ 349. كذلك محمد عبدالله عنان: تراجم شرقية أندلسية، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ص 266ــ 270.

(3) المقري: المصدر السابق، ج4، ص 62.

(4) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 392ــ 393.

وقلت إن جميع الخلق في فلك ... بهم يحيط وفيهم يقسم الأجلا
والأرض كورية حف السماء بها ... فوقاً وتحتاً وصارت نقطة مثلاً
صيف الجنوب شتاء للشمال بها ... قد صار بينهما هذا وذا دولاً
فما لكانون في صنعا وقرطبة ... بردٌ وأيلول يذكى فيهما السولاً

وقد تعدى اهتمام الأندلسيين بعلم الفلك حدَّ الصناعة والاهتمام بالرصد الفلكي، إلى إضافة بعض النظريات إلى علم الفلك من خلال تعديل بعض المفاهيم السابقة للوصول إلى وضع نظريات، بواسطة البحث في الأبحاث السابقة، وإخضاعها للدراسة والنقد، ومع أواخر القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي وما بعده، وصل تفكيرهم من النمو و النضج والعطاء، وسعة المعرفة، وإتقان إرصاد الكواكب، إلى خروجهم بحصيلة جديدة من النظريات المتممة لنظريات ودراسات من سبقهم من العلماء[1]، فقد عكف مسلمة المجريطي على دراسة زيج الخوارزمي، وأجرى عليه تعديلات وإضافات بنّاءة تمثلت: في زيادة جداوله، وتحويل تاريخه من تقويم يزدجرد إلى التاريخ الهجري العربي، في محاولة منه لتخليص جداول الخوارزمي المتأثرة بالتراث الهندي والفارسي، كما عمد المجريطي إلى نقل خط منتصف النهار(خط الاستواء) الذي يبدأ عند الآرين، وجعل هذا الخط يمر بقرطبة، وقد أصبحت جداول الخوارزمي بصيغتها الجديدة التي جهلها المجريطي بها، أساساً للمؤلفات الفلكية المتأخرة في أوربا[2].

ومن هنا يبدو أنّ مؤلفات وإنجازات وقياسات علماء الأندلس ظلت لها السيادة حتى عصر النهضة، وظلت جهودهم التي لا تقل عن جهود إخوانهم بالمشرق أمثال الخوارزمي وثابت بن قرة وغيرهما مثالاً يشير إلى أن الحضارة العربية الإسلامية واحدة الثقافة في مشرق العالم العربي الإسلامي ومغربه.

---

(1) عبدالواحد ذنون طه: المرجع السابق، ص 61.

(2)عبدالواحد ذنون طه: المرجع السابق، ص 62. كذلك خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2000م، ص 333.

8/علم الرياضيات:

منذ أن بدأ عصر الاستقرار في الأندلس بدأت الحركة العلمية في النمو والازدهار في شتى العلوم، وكان حظ علم الرياضيات منه الشيء الكثير، حيث نمت العلوم الرياضية، وتطورت، وازدهرت عبر القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين، وقد ساعد على ازدهارها تلك الرعاية التي خص بها أولي الأمر بالأندلس هذا العلم وأهله منذ أيام الأمير الحكم الأول أو عبدالرحمن بن محمد، من إرسالهم للوفود العلمية إلى المشرق العربي الإسلامي، وحث الطلاب بهذه البعثات على دراسة العلوم العقلية بهذه البلاد، والنهل من هذا العلم قدر المستطاع وإدخاله لبلادهم، لتعلمه والاستفادة منه.

ولقد أرسل أحد هذين الأميرين وفداً إلى العراق برئاسة الشاعر الأندلسي عباس بن ناصح الثقفي، الذي برع في الهندسة والأدب والفلسفة والفلك، وقد أمره الأمير أن يدرس الآثار العلمية المنقولة إلى العربية عن اليونانية، واستنساخ نسخ منها وجلبها إلى بلاده، فأدخل هذا العالم للأندلس كتاب الحساب الهندي المعروف عند العرب باسمه(السند هند)، وبفضل هذا الكتاب دخلت الأرقام الهندية إلى الأندلس(*)(1) ، كما ساعد على تطور هذا العلم بالأندلس عالم آخر وهو أبو القاسم المجريطي الذي كان يعلم أهل الأندلس كتابه في علم العد والحساب، حيث كان في زمن الأمير الحكم المستنصر بالله إمام الرياضيين بالأندلس،بالإضافة إلى علمه في الفلك (2) .

لقد تقدمت علوم الرياضيات في هذه الفترة من عمر الأندلس وكان من روادها ـ إضافة إلى من سبق ذِكْره ـ عبدالله بن محمد المعروف بالسري، الذي اشتهر أيام المستنصر بالله، وكذلك أبو بكر بن عيسى الذي كان يعقد لهذا العلم مجلساً، يعلم فيه علم الحساب والهندسة والفلك، والعالم أبو غالب حباب بن عبادة

(*) كانت المغرب والأندلس تستعمل الأرقام الغبارية 1ـ2ـ3 ومنها انتقلت إلى أوربا خلال القرن الثاني عشر وما زالت حتى الآن، كما عرفوا استخدام الصفر، ومنه اقتبست لفظة(ciffra) اللاتينية عن طريق الأندلس.

(1) ابن سعيد: المصدر السابق، ج1، ص45

(2) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ج3، ص 62. كذلك القفطي: أخبار العلماء بأخبار الحكماء، المصدر السابق، ص 214.

الفرضي، الذي عاش في أيام الناصر لدين الله، واشتهر بعلم الحساب، وتأليف الكتب في هذا الفرع العلمي، إذ ألّف كتاباً جيداً في حساب الفرائض، كما اشتهر أبو مسلم بن أحمد (صاحب القبلة) (ت 304هـ/916م) بعلم الحساب، وقد عارضه في بعض الأمور ابن عبدربه الأندلسي[1].

وفي عهد الدولة العامرية أي ما يسمى بفترة الحجابة(366ــ 399هـ/976ــ1008م)، وهي فترة حكم الحاجب محمد بن أبي عامر أيام تولي الخليفة هشام المؤيد، ساهم العالم الأندلسي أبو الحسن علي بن سليمان الزهراوي، وكان أحد طلبة المجريطي النجباء في علم الرياضيات، أوما يسمى آنذاك بعلم العدد والهندسة، وألّف بعد رحلته التي قام بها إلى المشرق الغابرية الإسلامي بعض الكتب في هذا المضمار العلمي منها كتاب في المعاملات على طريق البرهان، وهو الكتاب المسمى بالأركان، وظل يعلمه لأهل الأندلس طيلة حياته [2]
.

ومن هنا يتضح أن الأندلس قد استفادت فائدة عظيمة من الرحلة والرحالة الأندلسيين في نمو وتطور هذا العلم، باطلاعهم على مؤلفات أهل المشرق فيه، وبروز علماء أفاضل فيه، وتأليفهم العديد من المؤلفات التي أصبحت عماد هذه العلوم .

علم الطب والصيدلة:

وفي المجالات الطبية من تطبيب وصيدلة لم يتخلف هذا العلم عن غيره من العلوم الأخرى النقلية والعقلية؛ بل حظي هذا العلم برعاية بعض أهله، إذ إننا نعرف ما لهذا العلم من فائدة على البلاد وأهلها، وقد كان أهل الأندلس يعتمدون في علومهم الطبية على كتاب مسيحي مترجم، وهو (كتاب الإبريشم) وهو (المجموع أو الجامع)[3]، ولم يكن لهم علم بالطب أيام الأمير عبدالرحمن بن الحكم، رغم أنّه كان يُعد من مؤسسي الفكر في الأندلس، وكان المؤسس الأول

(1) خليل السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص 330ــ 331.

(2) ابن بشكوال: المصدر السابق، ق2، ص 413.

(3) ابن جلجل: المصدر السابق، ص92.

لمكتبة القصر بقرطبة والتي ازدهرت فيما بعد بجهود الأمراء والخلفاء الأمويين، والعلماء والتّجار، وخاصة أميرها العالم الحكم الثاني الذي كانت مكتبة القصر في عهده أكبر المكتبات العلمية بما حوته من المؤلفات الحسنة في جميع المعارف والعلوم؛ غير أن هذا العلم ما لبث أن شهد نمواً وتطوراً منذ عهد الأمير محمد ابن عبدالرحمن بن الحكم(238ـ 273هـ/ 852ـ889م)، أوائل القرن 3هـ/ 9م، وكان رائد الحركة الطبية في الأندلس آنذاك أحمد بن إياس(حمدين بن أبا)، وجواد النصراني، الذي ينسب له دواء الراهب، والشرابات التي تنسب له ولحمدين، وقد كان شراب حمدين يتألف من مائة صنف من الأعشاب[1]، و كان أستاذه في هذا العلم عراقياً من حرّان وهو يونس الحراني، الذي هاجر إلى الأندلس في أيام الأمير محمد بن عبدالرحمن الأوسط، وأدخل معه معجوناً طبياً لعلاج أمراض الجوف، وهو الدواء المعروف بالمغيث الكبير، وكان يبيع السقية منه بخمسين ديناراً [2] ، وقد اشتغل هذا الحرّاني في الأندلس بمهنة الطب، وأشرك معه أطباء من الأندلس في صناعة هذا المعجون، فانتفع به الناس منذ ذلك الوقت [3]، وقد خلّف هذا الطبيب الحرّاني ابنين هما أحمد وعمر، وقد تعلم هذان الطبيبان من أبيهما علم الطب، واشتغلا به، ثم استكملا تعليمهما في هذا العلم بالمشرق، على يد علماء مشرقيين، منهم: الطبيب الحراني ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة، الذي تعلما على يده كتب جالينوس في الطب، كما تعلما طب العيون على يد طبيب العيون ابن وصيف الكحّال، وقد اشتغلا في الطب أيام الخليفة المستنصر بالله، فكان العراق رائد هذا التحول في الأندلس [4]،وهي الفترة التي شهد فيها علم الطب ازدهارا كبيراً.

كما ساعد على هذا الازدهار في علم الطب دخول كتب العلوم الطبية إلى الأندلس التي تُرجمت إلى العربية ككتاب (ديسقوريدس في الطب والصيدلة) الذي

---

(1) ابن جلجل: المصدر السابق، ص 93.

(2) القفطي: أخبار العلماء بأخبار الحكماء، المصدر السابق، ص 258ـ 259. كذلك ابن جلجل: المصدر السابق، ص 94

(3) ابن جلجل: المصدر السابق، ص 95.

(4) المصدر نفسه، ص 112.

دخل إلى الأندلس في أيام الناصر لدين الله سنة 340هـ/951م، وقد استعين في ترجمته ببعض أطباء الدولة البيزنطية [1] .

وفي مجال الصناعة الطبية برع أطباء الأندلس براعة كبيرة في صناعة الأدوية، التي كانت قواعدها مشرقية، فصُنعت الأدوية المشروبة والمعجونة، وقد أسس أطباء الأندلس بعض المعامل لصناعة الأدوية، كالمعمل الذي أسسه أحمد بن يونس الحراني في مدينة الزهراء، وهو المعمل الذي صنع فيه الدواء الذي كان يعالج به الخليفة المستنصر بالله من تخمته التي كانت تصيبه جراء الأكل، كما صنع بعض المعاجين الطبية له، وتمكن هذا الطبيب من صناعة بعض الأدوية المفردة والمركبة، واستعان في صناعته للأدوية ببعض الطباخين الصقالبة المهرة، ونتيجة لما توصل إليه هذا الطبيب من الدقة في صناعة الأدوية استأذن الخليفة بأن يقوم بمعالجة من يأتي إليه سواء من العامة أو الخاصة، فحصلت بذلك الفائدة الطبية لكل الناس في الأندلس [2] .

و اشتهر أيضاً محمد بن عبدون الجبلي بالطب، وصناعة الأدوية، هذا الطبيب الذي رحل إلى المشرق، وتزود بعلوم البصرة ومصر، ثم رجع إلى الأندلس عام 360هـ/970م وعمل على خدمة المستنصر بالله وابنه هشام المؤيد في مجال الطب [3] .

وبذلك ذاعت شهرة هؤلاء الأطباء وغيرهم كحسداي بن إسحق [4] وعلي ابن سليمان الزهراوي[5]، ويحيى بن يحيى ابن السمينة [6]، حتى توافدت عليهم الوفود من إسبانيا المسيحية لعلاج ما استعصى علاجه من الأمراض عندهم [1] .

---

(1) القفطي: أخبار العلماء بأخبار الحكماء، المصدر السابق، ص 126. كذلك ابن جلجل: المصدر السابق، ص 21ــ 22.

(2) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ج3، ص 67ــ 68. كذلك ابن جلجل: المصدر السابق، ص 113. والقفطي: أخبار العلماء بأخبار الحكماء، المصدر السابق، ص 284.

(3) المقري: المصدر لسابق، مج2، ص 355. كذلك ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ج3، ص 74.

(4) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ج3، ص82.

(5) الضبي: المصدر السابق،ص 423. كذلك ابن بشكوال: المصدر السابق، ق1، ص 413. وابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ج2، ص 64.

(6) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص 438. كذلك ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ج3، ص 62.

كما كان لديوان الأطباء الذي أسسه الخليفة المستنصر بالله أيام حكمه دور في ازدهار علم الطب بالأندلس، حيث سُجل فيه اسم كل طبيب يحترف مهنة الطب والصيدلة، وإذا ما ارتكب أي طبيب أو صيدلاني خطأً يتوجب العقاب أسقط اسمه من هذا الديوان(2).

ثالثاً/ دخول الورق ودوره في ازدهار الحياة العلمية بالأندلس:

نظراً للاتصال الكبير بين أقطار المشرق والمغرب الذي بلغ ذروته في القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين، والذي قام به العلماء والتجار، عرفت الأندلس الورق المشرقي، وكان اعتماد الأندلسيين في الكتابة أول أمرهم على الرقوق(*) التي كانت ترد من الكوفة (3)، إسوة بإخوانهم في المشرق العربي الإسلامي، ومع تطور الصناعة الورقية وانتشارها في الأقطار الإسلامية عرف أهل الأندلس الورق، إلاّ أن استعماله كان ضئيلاً، وقد أشار المقدسي إلى ذلك بقوله: ((كل مصاحفهم ودفاترهم من رقوق إلى جانب ما كانوا يقومون بجلبه من الورق من المشرق العربي الإسلامي عن طريق التجار)) (4)، وقد نوّه المقري بالورق المنصوري في بلاد الأندلس، وهذا النوع من الورق كان يصنع في الفسطاط بمصر بقوله: ((والمطابخ التي يُصنع فيها الورق المنصوري مخصوصة بالفسطاط دون القاهرة)) (5).

أمّا بالنسبة لصناعة الورق في الأندلس، فلم يعرف الأندلسيون صناعته إلاّ في أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، حيث اشتهرت بهذه الصناعة مدن بلنسية وطرطوشة وشاطبة (6)، وكانت شاطبة أكثرها شهرة في صناعة

---

(1) خليل السامرائي: المرجع السابق، ص 330.

(2) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ج2، ص 494.

(*) الرقوق: الرق جلد رقيق يكتب فيه، والرق الصحيفة البيضاء وجمعها رقوق .الطاهر أحمد الزاوي، مختار القاموس، المرجع السابق، ص 257، حرف الراء.

(3) كانت الرقوق تصنع في الكوفة، وكانت من أجود أنواع الرقوق، ثم أنشأت صناعة لترقيق جلود الكتابة ودباغتها في كل من واسط والبصرة، غير أن رقوق الكوفة كانت أجودها. هالة شاكر: المرجع السابق، ص 98.

(4) المقدسي: المصدر السابق، ص 239.

(5) نفح الطيب، المصدر السابق، مج4، ص211

(6) حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، 1992م، ص 384.

الورق، لجودته ورخص ثمنه، وقد أطنب البلديون في مدح كاغدها[*]،وقد بدأ تصدير الورق الشاطبي منذ سنة 400هـ/1009م، حيث يقول ياقوت الحموي في ذلك: ((ويُعمل الكاغد الجيد فيها، ويُحمل منها إلى سائر بلاد الأندلس)) [1].

وقد عرف أهل الأندلس صنفين من الورق في العصور الوسطى، وهما الكاغد وهو ورق عادي، والرَّقاق وهو ما يُعرف بالبارشمان، وقد وصلت الرقاق الشاطبية إلى كافة أوربا، لأن الكنيسة استعملتها لكتابة الأناجيل والوثائق الكنسية عليها، وقد قلد الإيطاليون صناعتها فيما بعد [2] .

وساهمت حوانيت الوراقين في نمو حركة الترجمة والنقل والتأليف، وتكوُّن المكتبات العظيمة، التي نافست بها قرطبة مراكز الثقافة المشرقية في بغداد وغيرها، كما كان لها الدور الكبير في نمو روح المغامرة لدى المشرقيين والقيام بالرحلة إليها، فرحل إليها العديد من علماء المشرق من أمثال: أبي علي القالي، وأبي العلاء صاعد البغدادي، وغيرهما، والذين قاموا بالرحلة إلى الأندلس ونشر العلوم بين أبناء هذا القطر.

ولم تنفرد صناعة الورق وحدها بالتقدم الذي شهدته الأندلس، بل تقدمت أيضاً كل أدوات الكتابة من حبر وأقلام وشمع للأختام وسكاكين لقطع الأقلام وما إلى ذلك، فنرى الأندلسيين ينبغون في صناعة الأحبار المعدني منها والنباتي، والمطبوخ وغير المطبوخ، والبسيط والمركب، كما عرفوا أقلام الغاب، وكانوا يسمونها الأنبوب، وريش الطيور، بل لقد صنع بعضهم أقلام حبر تُملأ بالحبر، وتصنع بهيأة مُحكَمة بحيث يحملها صاحبها معه ويكتب بها متى شاء، كما تفننوا في صناعة المحابر من الزجاج والبلور والرخام، وكانوا يزخرفونها بكتابة اسم صاحبها بالحفر عليها، مع بعض الشعر أحياناً، وكانت محابرهم محكمة الصنع

(*) الكاغد: هو القرطاس، وجمعها قراطيس . الطاهر أحمد الزاوي: مختار القاموس، المرجع السابق، ص 532، حرف الكاف.

(1) ياقوت الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ج3، ص 351.

(2) حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، المرجع السابق، ص385.

تُعمل على هيأة الخنجر في قراب لتوضع في حزام الثوب مع أقلامها وأنواع غبار التجفيف.

ونشأت في قرطبة وغيرها أسواق الرقّاقين إلى جانب أسواق الـورّاقين، فأما الورّاق فهو تاجر الكتب، أي المخطوطات في ذلك العصر، ومن المفترض أن يكون عالماً بالكتب، وأقدارها وخطوطها، بحيث يستطيع تلبية حاجـات عُملائـه، وفي العادة تجد الورّاق أديباً لكثرة مزاولته النظر في الكتب.

أما الرّقاق فهو تاجر الأدوات الكتابية، ويسمىstationary في اللغة الإنجليزية[1]، وهو ما يسمى الآن عندنا تاجر القرطاسية أي بائع الأقلام والأحبار والكراسات.

رابعاً/ نمو روح النقد العلمي عند الأندلسيين:

إضافة إلى ما سبق ذكره من آثار للرحلة العلمية إلى المشـرق العربـي الإسلامي على الأندلس فقد كان لهذه الرحلة أثر آخر لايقل أهمية عن تلك التي تم ذكرها، ألا وهو نمو روح النقد الأدبي لدى الأندلسيين، ففي بـادئ الأمـر كـان الأندلسيون ينظرون إلى كل ما يأتي من المشرق باحترام وإجلال، ولكـن نتيجـة لاستمرار الاحتكاك بين الطرفين، وإطّلاع أهل الأندلس على علوم المشرق ازداد الاهتمام من قبل العلماء الأندلسيين بالتحري عن هذه العلوم، ونقدها نقداً علميـاً، ولم يعد يُقبل كل شيء قادم من المشرق على أنه صحيح، أو أنه أمر مسـلَّم بـه، وهذا يعني أن بلاد الأندلس أخذت تتخطى مرحلة الاقتباس والتقليد، إلى مرحلـة نضج الشخصية العلمية الأندلسية بفعل المؤثرات المشرقية الواردة إليها[2]، وقـد انتقد علماء الأندلس العالم اللغوي البغدادي أبا العلاء صاعد، وأثبتوا أنه رجل قادر على تأليف الكذب من كتب الأدب، كما انتقدوا أيضاً أبا علي القالي القادم من بغداد وبينوا خطأه في إقامة وزن بيت من الشعر [3]

ومهما كان الأمر فإنّ حضارة الأندلس ماهي إلاّ نتاجاً لحضارة المشـرق الإسلامي، التي دخلت إليها عن طريق علمائها الذين رحلوا إلى المشرق، وتعلموا

---

(1) حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، المرجع السابق، ص 385.

(2) عبدالواحد ذنون طه: المرجع السابق، ص 199.

(3) ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق، ق 4، مج1، ص 14ــ 15.

فيه، ونهلوا من معارفه، ثم أدخلوها إلى بلادهم، بالإضافة إلى جهود أهل المشرق الذين رحلوا إلى الأندلس لغرض تعليم أهلها معارفهم التي برعـوا فيهـا، وقـد استفادت الأندلس من هذه العلوم، وقامت بتطويرها من خلال مؤلفاتهم، التي انتقل تأثيرها الحضاري إلى أوربا، فأنقذها من عصر الظلمات، فحين أخـذت تـتلمس أسباب الرقي لم تجد أمامها إلاّ العلوم العربية للاغتراف من معينها، وبذلك يكون أهل الأندلس قد ساهموا بقدر ليس بالقليل في تطور الحضارة العربية الإسـلامية التي استمرت أكثر من ثمانية قرون إلى أن سـقطت آخـر المعاقـل الإسـلامية بالأندلس وهي مدينة غرناطة .

الخـــــاتمة

والآن ..وبعد أن بلغ البحث تمامه في حدود المستطاع، وأشرفت صفحاته على غايتها، في هذه اللحظات التي أضع فيها اللمسات الأخيرة بين سطوره، أشعر بأنني أفرغ من صحبة عزيزة مباركة، تتمثل في هذا الحشد الكبيـر مـن أعـلام التاريخ الإسلامي، الذين اختاروا الأندلس مكاناً لغرس قيمهم ومبادئهم، ومع أنني أودعهم على أمل اللقاء بهم في مكان آخر، فإنني لا أشك لحظة في تعلقي بهم بعد أن عشت معهم ومع أعمالهم وأفكارهم ومواقفهم مدة.

ولعلي أستأذنهم بأن أسأل نفسي سؤالاً: هل أوفيتهم حقهم مـن الدراسـة، بالرصد والحصر لكل ما تركوه لنا؟ أم لا.

بالقطع لا.. فكل ما قدمته في هذه الصفحات لا يعدو أن يكون مجرد إشارة لهذه الأعمال الوفيرة، وتلك الابتكارات الغزيـرة، فهـي مجـرد مفـاتيح إلـى شخصياتهم، بها يستطيع القارئ أن يدرك ما قد فاته، وليجده بدون عناء ولا مشقة، وهي مجرد إيمائة متواضعة، لأنني لو أردت البحث في شخصية كل واحد مـنهم وتأثيره في زمانه ومكانه لاستغرق الاهتمام أكثر من ذلك بكثير.

لهذا ولغيره من الأسباب أستطيع القول بأن هذا الجهد قد أوصـلني إلـى جملة من النتائج، وهي على النحو التالي:

إنه رغم ما كان بين قطبي الدولة العربية الإسلامية من خلافات سياسـية إلاّ أن التواصل بين فئات المجتمع في الأندلس والمشرق الإسلامي ظـل قائمـا، وكان رواده طبقة العلماء والفقهاء التي كانت تعيش حياة طبيعية هادئة، وكانـت تسعى إلى مد حبل التواصل بين أفرادها الذي لم ينقطع، بـل كـان دائـم القـوة والصلابة، لهذا لم تغب الأندلس عـن سـاحة الحضـارة الإسـلامية و نموهـا وازدهارها، بل كانت تسير مع هذا التطور وهذا النمو سير أخ مجانـب لأخيـه، حيث انتقلت بواسطة هؤلاء العلماء والفقهاء الأندلسيين معظـم علـوم المشـرق العربي الإسلامي إلى الأندلس، الدينية منها والأدبية والعقلية، وكانت هذه العلـوم بمثابة المصباح الذي أنار طريق المعرفة للأندلسيين، فوضعت القوانين التي تنظم الحياة العلمية بالأندلس، كقوانين التعليم ومناهجه، ومواده، وأماكنـه، ومراحلـه،

والقوانين التي تنظم شؤون الدولة من دواوين وغيرها، وكانت من أرقي القــوانين التي عُرفت آنذاك.

وبهذه القوانين والابتكارات العلمية التي ابتكرها العلماء المســلمين فــي الأندلس، صارت بلادهم قبلة طلاب العلم، فرحل إليها الطــلاب والعلمــاء مــن المشرق والغرب الأوربي، و أصبحت علوم ومعارف الأندلس مصادر ينهل منها المشرق الإسلامي بعد أن كان هو منبعها. والشواهد التاريخية كثيرة على ذلك.

وختاماً أقول إن هذه النتائج التي توصلت إلى معرفتها ما هي إلاّ قليل من كثير، بالنظر إلى ما حققه أولئك العلماء من إنجازات حضارية في مختلف مناحي الحياة الأخرى، فإن كنت قد أخطأت في التعبير عنها فلي أجر من اجتهــد، وإن كنت قد أصبت فلي أجر من اجتهد وأصاب.

والله ولي التوفيق

الباحث.....!

مصادر ومراجع البحث

أولاً: المخطوطات

ـ الخُشني، محمد بن الحارث (ت 361هـ/971م)، طبقات المحدثين، مخطوط مكتبة القصر الملكي في الرباط، رقم6916، لوحة رقم 49، 66.

ثانياً: المصادر

ـ **القرآن الكريم، مصحف الجماهيري، برواية قالون عن نافع.**

ـ ابن الأبّار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله (ت 658هـ/1259م)، التكملة لكتاب الصلة، (تح) عبدالسلام الهراس، دار الفكر العربي، بيروت، 1959م.

ـ ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت 630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ،(تح) أبي الفداء عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت،1989م.

ـ ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أحمد بن القاسم (ت 668هـ/1269م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الثقافة، بيروت، 1987م.

ـ ابن الأنباري، كمال الدين عبدالرحمن بن محمد (ت 577هـ/1181م)، نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء، (تح) محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998م.

ـ ابن بسام، أبو الحسن علي (ت 542هـ/1147م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، (تح) إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1987م.

ـ ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبدالملك (ت 578هـ/1182م)، الصلة، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، 1966م.

ـ ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد (ت 614هـ/1217م)،
رحلة ابن جبير، الشركة العالمية للكتاب، ش. م. ل، (د. ت).

ـ ابن الجلاب البصري، أبو القاسم عبيدالله بن الحسن (ت 378هـ/988م)،
التفريع، (تح) حسين بن سالم الدهماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م.

ـ ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حسان (ت 384هـ/994م)،
طبقات الأطباء، (تح) فؤاد السيد، مطبعة المعهد العالي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م.

ـ ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت 852هـ/1448م)،
تقريب التهذيب،(تح)مسعد عبدالحميد السعدني، مكتبة القرآن، القاهرة، 1994م.

ـ ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد (ت 456هـ/1036م)،
جمهرة أنساب العرب، مراجعة لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.

ـ ابن حوقل، أبو القاسم محمد النصيبي (ت 367هـ/977م)،
صورة الأرض، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1979م.

ـ ابن الخطيب، لسان الدين أبوعبدالله محمد التلمساني(ت776هـ/1274م)،
الإحاطة في أخبار غرناطة، (تح) محمد عبدالله عنان، القاهرة، 1977م.

ـ ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت 808هـ/1405م)،
العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

ـ ابن دُريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت321هـ/ 933م)،
الاشتقاق، (تح) عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، (د. ت).

- ابن سعيد، أبوالحسن علي بن موسى (ت 685ه/ 1274م)، المُغرب في حُلي المغرب، (تح) شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1978م.
- ابن عبدالبر، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد(ت 463ه/1070م)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (تح) علي محمد البجاوي، القاهرة، (د. ت).
- ابن عبدربه، أحمد بن محمد (ت 328ه/939م)، العقد الفريد، تقديم خليل شرف الدين، دار مكتبة الهلال، بيروت، (د. ت).
- ابن عبدون، التجيبي، رسالة في القضاء والحسبة، (تح) ليفي بوفنسال، القاهرة،1955م
- ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي(ت712ه/1312م)، البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، (تح) ج.س.كولان وإ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت،1980م.
- ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي (ت 799ه/1396م)، الديباج المُذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، (تح) مأمون محيي الدين الجنّان، دار الكتب العلمية، بيروت،1969م
- ابن الفرضي، أبو الوليد عبدالله بن محمد (ت 403ه/1012م)، (تح) روحية عبدالرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.
- ابن قنفذ، أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب كتاب الوفيات، (تح) عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983م.

ـ ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر القرطبي (ت 367هـ/977م)، تاريخ إفتتاح الأندلس، متبوعاً بقصة فتح الأندلس لابن قتيبة، وأخبار الفتح من الرسالة الشريفية، (تح) عبدالله أنيس الطبّاع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، 1994م.

ـ ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (ت 275هـ/888م)، سنن ابن ماجه, (تح) محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، (د. ط)، (د. ت).

ـ ابن النديم، محمد بن إسحاق (ت 385هـ/995م)، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، 1978م.

ـ أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي (ت 275هـ/ 888م)، سنن أبي داود، دار الحديث، القاهرة، (د. ت)

ـ الإدريسي، محمد الشريف السبتي (ت حوالي سنة 548هـ/1154م)، نزهة المشتاق في لختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، 1989م.

ـ الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت 356هـ /966م)، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، (د. ت).

ـ البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل (ت 256هـ/869م)، صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، 2999م.

ـ البغدادي ، عبد القاهر بن طاهر الإسفرائيني (ت 429هـ/1037م)، الفَرق بين الفرق، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت).

ـ البكري، أبوعبدالله بن عبدالعزيز (ت 487هـ/1094م)، جغرافية الأندلس وأوربا (من كتاب المسالك والممالك)، (تح) عبدالرحمن علي الحجي، بيروت، 1968م.

ـ البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت 279هـ/.892م)، فتوح البلدان، (تح) عبد القادر محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م.

ـ الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَورة (ت297هـ/909م)، الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت).

ـ خليفة، حاجي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار العلوم الحديثة، بيروت، (د. ت).

ـ الحسيني، أبو المحاسن محمد بن علي العلوي (ت765هـ/1363م)، التذكرة بمعرفة رجال الكتب العشرة، (تح) رفعت فوزي عبد المطلب، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م.

ـ الحميدي، أبوعبدالله محمد بن أبي نصر (ت 488هـ/1095م)، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966م.

ـ الحميري، محمد بن عبدالله بن عبد المنعم(ت أواخر القرن 9هـ/ 15م)، صفة جزيرة الأندلس، منتخبة من كتاب الروض المعطار، دار الجبل، بيروت، 1988م.

ـ الحنبلي، شهاب الدين أبو الفلاح بن العماد(ت1089هـ/1675م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (تح) مصطفى عبد القادر عطا، دار القلم، بيروت، (د. ت).

ـ الخُشني، أبو عبدالله محمد بن حارث (ت 361هـ/971م)، قضاة قرطبة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966م.

ـ الخطيب البغدادي، أبوبكر محمد بن علي (ت 463هـ/1070م)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، (تح) مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

ـ الداوودي، الحافظ شمس الدين محمد بن علي (ت 945هـ/1538م)، طبقات المفسرين، (تح) لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت).

- الذهبي، محمد بن أحمد (ت 748هـ/1347م)، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، (تح) محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، (تح) علي محمد البجاوي، وفتحية علي البجاوي، دار الفكر العربي
- سير أعلام النبلاء، (تح) شعيب الأرنؤطي، ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1431هـ.
- العبر في خبر من غبر، نسخة محققة على أصول مخطوطة بإشراف مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، 1997م.
- تذكرة الحفاظ، (تح) زكريا عُمَيْرات، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م..
- الزبيدي، محمد بن الحسن(ت379هـ/989م)، طبقات النحويين واللغويين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م .
- السيوطي، الحافظ جلال الدين عبدالرحمن(ت849هـ/ 911م)، طبقات الحفاظ، (تح) علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1996م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، (تح) محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، 1979م.
- تاريخ الخلفاء، (تح) أحمد إبراهيم زهوة، وسعيد العبدروسي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1999م.
- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، (تح) خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.
- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، (تح) عبدالواحد عبداللطيف، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، 1912م.

- الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة(ت 599هـ/1202م)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، القاهرة،1967م.
- الطبري، محمد بن جرير(ت 330هـ/ 941م)، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.
- القاضي عياض، أبو الفضل بن موسى اليحصبي (ت544هـ/1149م)، (تح) محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.
- القفطي، أبي الحسن علي بن يوسف (ت 646هـ/ 1248م) أخبار العلماء بأخبار الحكماء، مكتبة المثنى، (د. ت).
- ـــ أنباه الرواة على أنباه النحاة، (تح) محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1968م.
- الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف (ت 350هـ/961م)، الولاة وكتاب القضاة، (تح) رفن كست، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د. ت).
- مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها بينهم، (تح) إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م.
- مخلوف، محمد بن محمد بن عمر بن قاسم (ت1360هـ/1941م)، شجرة النور الزكية، (تح) عبدالمجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م.
- المراكشي، محيي الدين عبدالواحد بن علي (ت 647هـ/1249م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، (تح) خليل عمران منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

ـــ المقري التلمساني، أحمد بن محمد (ت1041هـ/1631م)، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، (تح) يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، 1986م.

ـــ المقريزي، نصر الدين أحمد بن علي (845هـ/1441م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1987م.

ـــ المقدسي، أبو عبدالله محمد بن أحمد البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبوللي، القاهرة، 1991م.

ـــ النُباهي، أبو الحسن بن عبدالله بن الحسن (كان حياً سنة 794هـ)، تاريخ قضاة الأندلس(المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، (تح) لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983م.

ـــ النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف (ت 676هـ/1277م)، مختصر طبقات الفقهاء، (تح) عادل عبد الموجود، وعلي معوض، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1995.

ـــ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (733هـ/ 1333م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، (تح) أحمد كما زكي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة،1980م

ـــ اليافعي، أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي (ت 768هـ/1366م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، (تح) خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

ـ ياقوت الحموي، شهاب الدين ابن عبدالله (ت626هـ/ 1228م)، معجم البلدان، (تح) فريد عبدالعزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت).

ـ معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، دار الكتب العلمية، بيروت،1991م.

ـ اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن واضح(ت 292هـ/904م)، تاريخ اليعقوبي، (تح) خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت 1999م.

ثالثاً: المراجع العربية والمترجمة

ــ الأبراشي، محمد عطية،
التربية الإسلامية وفلاسفتها، دار الفكر العربي، ط3، 1970م.

ــ أرسلان، شكيب،
الحُلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د. ت).

ــ أمين، أحمد،
فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، (د. ت).

ــ ضحى الإسلام ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 10،(د. ت).

ــ ظهر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، 1953م،

ــ الأهواني، أحمد فؤاد،
التربية في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، ط6،(د. ت).

ــ أوليري، مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب، (تر) تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د. ت).

ــ أيوب، إبراهيم،
التاريخ العباسي السياسي والحضاري، الشركة العالمية للكتاب، بيروت،2001م .

ــ باشا، أرتين،
التعليم في مصر، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة،(د. ت).

ــ بالنثيا، آنخل جنثالث،
تاريخ الفكر الأندلسي، (تر) حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1955م.

ــ البغدادي، إسماعيل باشا،
هدية العارفين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م .

- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م،

- بروفنسال، إ. ليفي، الإسلام في المغرب والأندلس، (تر) السيد محمود عبد العزيز سالم وآخرون، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1990م.

- حضارة العرب في الأندلس، (تر) ذوقان قرقوط، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د. ت).

- بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، (تر) نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1953م.

- بويكا. ك، المصادر التاريخية العربية في الأندلس من القرن السابع حتى الثلث الأول من القرن الحادي عشر، (تر) نايف أبو الكرم، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 1999م .

- بيضون، إبراهيم، الدولة العربية في أسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1986م.

- الحجي، عبدالرحمن علي، التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار العلم للطباعة والنشر، بيروت، 1976م.

- حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل بيروت، ومكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1996 م.

ـــ حسين، كريم عجيل،
الحياة العلمية في مدينة بلنسية الإسلامية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بغداد، 1976 م.

ـــ حمادة، محمد ماهر،
المكتبات في الإسلام (نشأتها وتطورها ومصائرها)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1994م.

ـــ حلاق، حسان،
العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، الدار الجامعية، بيروت 1986م.

ـــ دراسات في الحضارة العربية الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت، 1989م.

ـــ خالص، صلاح،
إشبيلية في القرن الخامس الهجري، دار الثقافة، بيروت، (د. ت).

ـــ الدغلي، محمد سعيد،
الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي وفي الأدب الأندلسي، منشورات دار أسامة، 1984م.

ـــ ديورانت، ول ،
قصة الحضارة (عصر الإيمان)، (تر) محمد بدران، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، 1974م.

ـــ ريبيرا، خوليان،
التربية الإسلامية في الأندلس، (تر) الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، 1994م.

ـــ الزاوي، الطاهر أحمد،
ترتيب القاموس المحيط، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1980م.

ـــ مختار القاموس، الدار العربية للكتاب، 1983م، 1984م.

ـــ زكي، عبدالرحمن،
تراث القاهرة العلمي والفني في العصر الإسلامي، مكتبة الأنجلو، القاهرة، 1969م.

ـــ سالم، السيد عبدالعزيز،
العصر العباسي الأول(دراسات في تاريخ الغرب)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 1978م.

ـــ تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس(من الفتح حتى سقوط الخلافة بقرطبة) مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997م.

ـــ المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1968م.

ـــ التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة العربية، بيروت، (د. ت).

ـــ السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون،
تاريخ العرب وحضارتهم بالأندلس، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2000م.

ـــ سزكين، فؤاد،
تاريخ التراث العربي، (تر) فهمي أبو الفضل وآخرون، القاهرة، 1978م.

ـــ سعد، قاسم علي،
جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، دار البحوث والدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، 2002م.

ـــ شاك، فون،
الفن العربي في أسبانيا، (تر) الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، 1980م.

ـــ شاكر، هالة،
الورق والوراقون في العصر العباسي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2004م.

ـــ الشريف، مصطفى،
تاريخ النهضة العلمية بقرطبة،(بحث) قسم إجازة التدريس، 1937م، رقم8073.

ـــ الشطشاط، علي حسين،
تاريخ الإسلام في الأندلس (من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة)، دار قباء، القاهرة 2001م.

ـــ تاريخ الجراحة في الطب العربي(من القرن 3 ـــ7هـ/ 9 ـــ13م) منشورات جامعة قاريونس، بنغازي،1999م.

ـــ الشعراوي، أحمد إبراهيم،
الأمويين أمراء الأندلس الأول، دار النهضة العربية، القاهرة، 1969م.

ـــ الشكعة، مصطفى،
الأئمة الأربعة، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، القاهرة وبيروت، 1990م.

ـــ شلبي، أحمد،
تاريخ التربية الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،1977م.

ـــ الصوفي، خالد،
تاريخ العرب في الأندلس (الفتح وعصر الولاة)، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1980م.

ـــ ضيف، أحمد،
بلاغة العرب في الأندلس، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 1924م.

ـ ضيف، شوقي،
تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، (د. ت).

ـ طلفاح، خير الدين،
حضارة العرب في الأندلس، مطبعة الخانجي، القاهرة (د. ت).

ـ طه، عبدالواحد ذنون،
دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004م.

ـ الطيبي، أمين توفيق،
دراسات في التاريخ الإسلامي، الدار الأندلسية للطباعة والنشر والتوزيع، ليبيا، طرابلس، 1992م.

ـ عاشور، سعيد عبدالفتاح،
المدنية الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوربية، دار النهضة العربي، القاهرة، 1963م.

ـ العبادي، أحمد مختار،
دراسات في التاريخ العباسي والفاطمي، مؤسسة الجامعة، الإسكندرية 1982م.

ـ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، مؤسسة الجامعة، الإسكندرية، (د. ت).

ـ دراسات في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية ، بيروت، 1972م.

ـ والسيد عبد العزيز سالم،
تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، دار النهضة العربية، بيروت،1981م.

ـــ دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، نشره محمد أحمد بسيوني، الإسكندرية، (د. ت).

ـــ عباس، رضا هادي،
الأندلس محاضرات في التاريخ والحضارة،منشورات إلجا، فاليتا، مالطا، 1998م .

ـــ عبدالعال، حسن،
التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري، دار الفكر العربي، بيروت، (د. ت).

ـــ عبدالعزيز، محمد الحسيني،
الحياة العلمية في الدولة الإسلامية، دار العلم للملايين، بيروت، (د. ت).

ـــ عبدالعزيز، محمد عادل،
التربية الإسلامية في المغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،1987م.

ـــ عبدة، عبدالله كامل موسى،
الفاطميون وآثارهم في إفريقية ومصر واليمن، دار الآفاق العربية، القاهرة 2001م.

ـــ العربي، إسماعيل،
معجم الفرق والمذاهب الإسلامية، دار الآفاق الجديدة ، المغرب، 1993م.

ـــ العريبي، محمد،
المناهج والمذاهب الفكرية والعلوم عند العرب، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1994م.

ـــ عطوان، حسين،
الرواية التاريخية في بلاد الشام، دار الجيل، عمّان، 1986م.

ـــ علي، محمد إبراهيم أحمد،
اصطلاح المذهب عند المالكية، دار البحوث والدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الإمارات العربية المتحدة، دبي، 2000م.

ـــ علي، محمد كرد، الإسلام والحضارة العربية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية، 1968م.

ـــ عنان، محمد عبدالله،
دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1969 م.

ـــ مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، لجنة التأليف للطباعة والنشر، القاهرة، 1929م.

ـــ تراجم شرقية أندلسية، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د. ت).

ـــ تاريخ العرب في أسبانيا، مطبعة السعادة، القاهرة، 1924م.

ـــ عيسى، محمد عبدالحميد،
تاريخ التعليم في الأندلس، دار المعارف، القاهرة، 1982م.

ـــ غنيمة، محمد عبدالرحيم،
تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى، دار المعارف، القاهرة، 1989م.

ـــ فكري، أحمد،
قرطبة في العصر الإسلامي(تاريخ وحضارة)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1983م.

ـــ قاسم، عزت،
فقهاء المالكية وأثرهم على المجتمع الأندلسي، مكتبة الأنجلو، القاهرة، 1993م.

ـــ كاشف السيدة إسماعيل،
مصر فجر الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، 1949 م.

ــ كحالة، عمر رضا،
معجم المؤلفين، بيروت، (د. ت).

ــ الكردي، إبراهيم،
المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1999م.

ــ كرّو، أبو القاسم محمد،
ابن هانئ الأندلسي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1977 م.

ــ كريم، سامح،
أعلام في التاريخ الإسلامي في مصر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1996م.

ــ مؤنس، حسين،
معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، القاهرة، 1992م.

ــ مدني، أمين،
الثقافة الإسلامية وحواضرها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980م.

ــ النبراوي، فتحية،
تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، دار المعارف، القاهرة،1981م.

ــ نصار، عبد المقصود،
العصر العباسي الأول، دار الطباعة المحمدية بالأزهر، القاهرة، 1976م.

ــ الهاشمي، عبد المنعم،
عصر التابعين، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 2000م.

رابعاً: **المجلات والدوريات**

ـ إسماعيل، أحمد علي،
صورة مصر الجغرافية عند الفتح كما صورها ابن عبدالحكم، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، 1995م.

ـ حداد، فريد سامي،
الزهراوي جراح العرب الأعظم، مجلة العلوم، العدد الثاني،1967م.

ـ خطاب، محمود شيت،
الأندلس وما جاورها قبل الفتح الإسلامي وفي أيامه وفتح الأندلس وعبرة الفتح وحضارة المسلمين في الأندلس، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد السادس، 1959م.

ـ الخولي، علي محمد الشاذلي،
دور المساجد التاريخي في التثقيف العلمي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، السنة الأولى، العدد العاشر،1961م.

ـ الدوري، تقي الدين عارف،
تاريخ المسلمين وحضارتهم في الأندلس، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد،1957م.

ـ دياب، مفتاح محمد،
الحياة العلمية والثقافية في الأندلس في العصور الوسطى، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد 8، 1991م.

ـ السعيد، السعيد مصطفى،
الروابط الثقافية بين مصر وأسبانيا، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية 1958م.

ـ الشيال، جمال الدين،
الصلات الثقافية بين المغرب ومدينة الإسكندرية، مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية، مطبعة جامعة الإسكندرية، 1962م.

ـ شيبوب، صديق،
جمهورية أندلسية بالإسكندرية، مقال بمجلة الكتاب، فبراير 1949م.

ـ العبادي، أحمد مختار،
التأثير المتبادل بين الإسكندرية والمغرب، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، 1995م.

ـ الفاوي، عبد الفتاح أحمد،
ابن باجة وفلسفته، حوليات كلية العلوم، جامعة القاهرة، مطبعة جامعة القاهرة، العدد11، 1988م.

ـ قاسم، قاسم عبدة،
رحلتان أندلسيتان إلى القاهرة، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، 1993م.

ـ مؤنس، حسين،
صورة الأرض، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، المجلد الرابع عشر، 1980م.

ـ مكي، محمود علي،
التشيع في الأندلس إلى نهاية ملوك الطوائف، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، العدد الأول والثاني، المجلد الثاني، 1954م.

ـ المنجد، صلاح الدين،
دمشق في نظر الأندلسيين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد الخامس، العدد 1ـ2، 1958م.

ـ هلال، جودة عبدالرحمن،
وصية الشيخ الفقيه الحافظ أبي الوليد الباجي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية،مدريد، العدد الثالث، 1955م.